المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية

(١٩٠٠ ق.م - ١٩٩٥م)

الجزء الأول

من العهد القديم إلى قيام دولة اسرائيل

١٩٠٠ ق م - ١٩٤٨م

الصهيونية العالمية

تأليف سفير / د. حسين شريف

...صرية
العامة للكتاب

يستعرض الكتاب فى أجزائه الأربعة حياة اليهود، الدينية والاجتماعية والسياسية، خلال ما يقرب من أربعين قرناً، منذ عهود آبائهم الأولين، مروراً بحياتهم تحت حكم السلوقيين والبابليين والرومان، وما تلا ذلك من موجات الشتات الكبرى، وكذلك ظروف حياتهم فى العصور الوسطى، وأوضاعهم منذ بداية العصر الحديث حتى ظهور الصهيونية، وما انتهى إليه نشاط زعمائها بالتواطؤ مع القوى الاستعمارية من زرع إسرائيل فى قلب العالم العربى.

وهذا الكتاب ثمرة مجهودات استمرت أكثر من ٢٥ عاماً من البحث والاطلاع أثناء عملى الطويل بالسلك الدبلوماسى، وإقامتى لفترات طويلة بالخارج - مما أتاح لى فرصة الاطلاع على العديد من المراجع التى تناولت حياة اليهود والصهيونية والعرب، ومشكلات الشرق الأوسط بالتفصيل، وقد كان محظور دخولها إلى البلاد العربية، إذ كان مجرد اقتنائها من قبل أى فرد يعد جريمة لا تغتفر.

وما كان لهذا الكتاب أن يظهر فى أى فترة سابقة، ولكن كان له أن يرى النور الآن فى ظلال الديمقراطية - فى عهد الرئيس مبارك - حيث أصبحت حرية الرأى والنشر مما يكفل تفاعل الأفكار والآراء الذى يثرى حياتنا الفكرية والثقافية، ويسمح بعرض الرؤية الصحيحة فى كل مجال.

المفهوم السياسى لليهود عبر التاريخ
من العهد القديم إلى مفاوضات
السلام الشرق أوسطية
١٩٠٠ ق.م / ١٩٩٥م

الجزء الأول

من عهد الآباء الأوليين
إلي قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨

تأليف

سفير/ د. حسين شريف



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٥

الإخراج الفنى
صبرى عبد الواحد

محتويات الكتاب

الجزء الأول

كلمة المؤلف

١ ـ اليهود فى العهد القديم.

٢ ـ اليهود والإمبراطوريات القديمة.

٣ ـ اليهود والعهد الجديد.

٤ ـ اليهود وعصر النهضة فى أوروبا.

٥ ـ أوضاع اليهود السياسية والاجتماعية قبل ظهور الصهيونية.

٦ ـ الصهيونية السياسية العالمية.

٧ ـ المبادئ الرئيسية فى تأسيس الحركة الصهيونية.

٨ ـ المرحلة الأولى للصهيونية.

٩ ـ الرواد الواقعيون.

١٠ ـ أوضاع اليهود ابان الحرب العالمية الأولى.

١١ ـ المرحلة الثانية للصهيونية العالمية ١٩٢٠ ـ ١٩٤٠,

١٢ ـ عقد الإنجازات الصهيونية.

١٣ ـ عقد الخلافات بين الصهيونية وحكومة الإنتداب .

١٤ـ المرحلة الثانية للصهيونية «العالمية» ١٩٤٠ـ ١٩٤٨«بن جوريون» فى الولايات المتحدة وقرارات مؤتمر «بلتمور».

١٥ـ اضطهاد النازية لليهود واستغلال الصهيونية لمعاناة اليهود فى أوروبا.

١٦ ـ الخلاف بين حكومة العمال البريطانية والصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية.

١٧ ـ دور المنظمات الارهابية فى قيام دولة إسرائيل.

١٨ ـ عرض القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة.

١٩ ـ موقف الولايات المتحدة من قيام دولة إسرائيل.

٢٠ ـ تقييم.

الرجلان اللذان اقاما دولة إسرائيل

١ ـ «حاييم وايزيمان».

٢ ـ «دفيد بن جوريون».

كلمة المؤلف

يرتبط التـصرف الصحيح في أمـرٍ من الأمـور بالمعـرفـة المستوعبة لموضوعه، ولا يتيسر اتخاذ القرار المناسب فى مشكلة من المشكلات إلاّ من خلال الإحاطة بهذه المشكلة، وإذا كان ذلك أمراً مسلّماً به على المستوى الفردى، فهو أكثر ضرورة حين يتصل بشئون العلاقات بين دولة وأخرى، أو بين شعب وشعب وأمة وأمة. وقد لوحظ فى فترة سابقة أن معلومات ناقصة أو خاطئة أدت إلى قرارات متسرعة ونتائج وخيمة، سواء فى السلم أو الحرب، فى علاقاتنا من بعض القوى فى المنطقة. ولم يكن سبب النقص أو الخطأ فى تلك المعلومات هو الندرة فيها أو فى مصادرها بل كان راجعاً إلى شئ من الاستهانة بقدرات الخصوم والتهوين من شأنهم، سواء على المستوى الفكرى الخاص والعام أو على المستوى الشعبى وكذلك على المستوى السياسى والاقتصادى.

ومن ثم كان علينا أن نتعرف - دون أن نغالط أنفسنا - على حقيقة الآخرين وتوجهاتهم وأفكارهم وصياغتهم لتاريخهم، كمدخل صحيح للتعامل معهم، ومن هنا كان التفكير فى التعرف على رؤية الآخرين لأنفسهم، ورؤيتهم لنا فى مرآة تاريخهم ، سواء كانت هذه

النظرة بما يعجبنا أو يزعجنا، أو كانت صحيحة أو مغلوطة من وجهة نظرنا، أو مخالفة لما نراه نحن فى مرآة تاريخنا. وينطبق هذا على ما تضمه هذه الصفحات من أخبار أو معلومات أو آراء عن تاريخ اليهود حسبما كتبه بعض الأوربيين المتعاطفين، أو اليهود أنفسهم، وبخاصة ما جاء بقلم «ابا إيبان» وزير خارجية إسرائيل الأسبق فى كتابه «شعبى». وقد بدا من المناسب ألا نشير فيما أطلعنا عليه أو قرأناه فى هذه المراجع، بل عرضنا فى إيجاز ما أوردته دون أن نحمل عواطفنا، ومهما كان ماقرأناه غير منصف لنا ولتاريخنا، حتى نتعرف على طريقتهم فى التفكير، وعلى أسلوبهم فى كتابة تاريخهم، لنكون على بينة من مقاصدهم، وما تنتهى إليه أغراضهم.

وفى الوقت نفسه بدا من الضرورى أن يكون لنا تعقيب يبين وجهة نظرنا فيما قرأناه من أخبارهم التى صاغوها من وجهة نظرهم، وآرائهم التى طرحوها تعبيرا عن فكرهم واعتقادهم. ولذلك سيجد القارئ تعليقات محددة بعد كل فصل تبين الإعتراضات التى تكشف التحيز، أو الخطأ العابر، أو المغالطات من جانبهم.

ولاشك أن بعض ماكتبوه لا يرضينا، ولا يتوافق مع مشاعرنا، بل قد يلحق الأذى بنفوسنا، لأنه يمس جانباً من أفكارنا ومعتقداتنا، ولذلك لزم التعليق عليه، وإيضاح موقفنا منه. وكان من اليسير حذف بعض الجمل أو تعديل بعض الفقرات أو تقويم بعض الأفكار، ولكننا آثرنا أن تبدو آراؤهم عنا وعنهم كما صاغوها بأنفسهم، لنعرفها على حقيقتها التى يتصورونها، ليأتى تعقيبنا فى موضعه الصحيح، وقد تأسينا فى ذلك بمنهج (القرآن الكريم) فى عرضه لمواقف الخصومة والمعاندين إذ لوحظ أنه يسوق أقوالهم - مهما كانت تحمل من شطط أو تجريح أو هجوم على الحق بالباطل - ثم يثنى بالرد على مفترياتهم وأوهامهم.

أما الجانب الآخر، فيستدعى شجاعة فائقة من جانبنا، حتى نطرح حقائقه الأليمة، إذ يعرض الإصرار من طرف، والتراخى من طرف آخر، واليقظة فى ناحية والغفلة فى الناحية الأخرى. إن الشجاعة التى ينبغى أن يتذرع بها الكاتب والقارئ هنا، توجب أن نقول فى مرارة: «إن الإصرار واليقظة كانا من نصيب الخصوم، وأن التراخى والغفلة كانا من نصيبنا، فبينما أصروا على إقامة كيانهم، تراخينا نحن فى الحفاظ على كياننا، وبينما تسلحوا باليقظة فأدركوا طبيعة المتغيرات العالمية، كانت غفلتنا كفيلة بحجب عيوننا عما يجرى فى الواقع، وما تحمله موجات التغيير المتلاحقة حتى أفقنا ذات يوم من سنة ١٩٤٨، فإذا الأرض قد ضاعت، وإذا هؤلاء قد سادوها». فبينما دأبوا خلال أحقاب الزمان ليؤسسوا لهم دولة، خاضوا فى سبيلها غمرات الصعاب، دأبنا نحن على الفرقة والتمزق. لقد صحونا على تقدمهم وتخلفنا، وعلى قوتهم وضعفنا، وعلى قدرتهم وتخاذلنا. وظهر لنا أنهم كانوا يعرفون عنا أكثر مما نعرف عن أنفسنا، وتبين أنهم درسوا أحوالنا وأدركوا جوانب الضعف فينا - ومن ثم استطاعوا أن يدخلوا علينا من أقطارنا، لأنهم علموا وجهلنا، وعملوا وكسلنا، فحين استخدموا الأسلحة الحديثة، استخدمنا نحن الأسلحة الفاسدة، وإذ كانوا على دراية بأساليب أحدث التكنولوجيا كنا نحن نرتجل الخطب الحماسية، وأشعار الفخر، ونقول «حنا للسيف» وهم يجربون الصواريخ.

وحين شغلتنا الزعامات، فكلنا لها المديح، ورفعناها إلى مراتب القداسة، كانوا هم يعتمدون على الديمقراطية فى كل شئونهم.

ومع اعتصار الأسى والأسف للنفس، ينبغى أن نشير إلى مثل من عندهم: إن «بن جوريون» الذى يعتبرونه نبيهم المسلح لأنه أفنى عمره مقاتلاً من أجل مجدهم، انتهى به الأمر إلى صحراء النقب

يقضى فيها سنواته الأخيرة، لأنهم سحبوا منه الثقة عندما استشعروا ـ احتمالاً ـ أن سلوكه السياسى تشوبه نوازع تناقض ما تعاهدوا عليه من حرية وديمقراطية، ولم يشفع له ماضيه الذى يقدسونه، ولا جهده الذى يقدرونه، ولم تحتشد جحافل المظاهرات تطالب ببقائه فى زعامتهم، ولم يطالب فرد واحد بمنحه ميزات الزعامة وأبهة الرياسة، فمضى إلى مزرعةٍ فى هدوء، وانسحب من حياتهم دون ضجيج أو عجيج.

إن هذه الكلمات الساخنة قد لا تتناسب مع موضوع علمى، ولكن ليعذرنى القارئ إذ يبدو أنها لازمة للتعبير عن واقع أليم، ولتكون أيضاً مدخلاً لليقظة عند قراءة الصفحات التالية وعند قراءة لمحات من تاريخ الإسرائيليين، لعلنا نصر على أن تكون خطوات مستقبلنا فى الطريق الصحيح.

والله ولى التوفيق.

سفير . د/ حسين شريف

القسم الأول

اليهود فى العهد القديم

الفصل الأول

عصر الآباء الأولين

الفصل الثانى

عصر القضاة والملوك

الفصل الثالث

سقوط الملكية

الفصل الرابع

عصر النبوة والأنبياء

الفصل الأول

عصر الآباء الأولين

اليهود فى العهد القديم

(١) عصر الآباء « الأولين »

ينفتح التاريخ اليهودى على ضوء فترة تلتقى فيها الأسطورة بالحقيقة، ولقد دخلت الأسطورة بعمق فى التجربة الإنسانية حيث اكتسبت واقعيتها. إن ما يعتقد الإنسان أنه حدث فى الشرق الأوسط ليس أقل تكوناً أو تشكلاً مما هو معروف أنه حدث فعلاً.

إن الحقيقة والأسطورة ليلتقيان لوصف بزوغ إسرائيل جزءاً من الشرق الأوسط فيما بين النيل والفرات.

وكانت مصر تتمتع عند مولد إسرائيل على مدى قرون وقرون بحياة مستقرة راسخة آمنة. ولم يكن الفراعنة سادة أسرة حاكمة فحسب، بل كانوا كذلك رسل حضارة عظيمة، إذ تقوم الأهرام شاهدة على عظمة فطرية راسخة، حيث امتد النفوذ السياسى لمصر الفرعونية من أعالى النيل فى النوبة إلى عبر فيافى سيناء حتى كنعان وسوريا. وكان المد الفرعونى يصل أحياناً غرباً إلى ليبيا،وإن كان النفوذ الفرعونى بالنسبة إلى دلتا النيل وشرقها يصطدم دائماً بالإمبراطوريات التى تعاقبت فى « أرض الفراتين». كان السوريون

قد بدأوا التاريخ المعروف فى نطاق صار مهداً للإمبراطوريات والثقافات. إذ خضعت «سومر» فى الألف الثالثة قبل الميلاد للحكم «الأكادى» الذى اجتاح الشرق بين النهرين ليؤسس أقوى إمبراطورية عرفها الإنسان في ذلك الزمان. وكانت موجة الغزو التالية من الغرب، حيث اجتاحت قوة «العموريين» قوة «الأكاديين» وأسست دولة بلغت ذروتها بظهور «بابل» امتدت حقبة زاهرة. فلما بدأ التاريخ العبرى كانت «سومر» و«اكاد» و«بابل» قد خلفت من ورائها الحقبة الأولى، حيث نشأت مدن وحضارة وتقدم في مجال الزراعة. وقد ظهرت حضارة «بابل» فى حياة وأعمال «حمورابى» الذى اتخذ فى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد لقب «ملك بابل وسومر وأكاد» وثلاثة أرباع العالم. وقد سن قانوناً مدنياً، كشف عنه سنة ١٩٠١، ومعروض الآن فى متحف «اللوفر» بباريس. ويصف «حمورابى» بكل فخر حقبة حكمة بقوله: «لقد قدمت مياها دائمة لأرض سومر وأكاد، ووحدت شعوبها المتفرقة، وأنعمت عليهم بالبركة والفيض، وفى مساكن هادئة جعلتهم يعيشون».

وكانت القبائل العبرية كما يروى العهد القديم «التوراة» قد خرجت من أرض النهرين. فلم تكن من ثم قبائل بدوية بدائية، بل نتاج حضارة قديمة نشأت فى بلاد سومر وأكاد وبابل، حيث أخذوا ثقافة بلاد النهرين، ثم الحضارة المصرية. غير أن المنزل الذى استقروا فيه ونعموا فيه بالشهرة الأبدية إنما يقع بين الإمبراطوريات التى امتدت فى الشرق القديم، إذ نجدهم بعد نشأتهم فى بابل وحلولهم مصر، حيث يكافحون لإنشاء وطن قومي فى ركن من الأرض بين النيل والفرات إذ يكونون معبراً حيناً أو إسفيناً بين الإثنتين أحياناً، فيعيشون فى ظل هذه أو تلك، ولكنهم دائماً يعيشون وينتعشون (١).

(١) رأى أغلب المؤرخين اليهود والغربيين.

وقد أطلق المؤرخون على هذه المنطقة «الهلال الخصيب» وإن بالغ الاسم فى صفتها.. ذلك أن مع كل بوصة من الخصب مساحات شاسعة من الرمال والصخور، ولذلك كانت معبراً للتجارة والأفكار على السواء. واحتل العبريون ركناً من هذا الهلال الخصيب وعرفوا أمن مصر وبلاد النهرين، ولكن التاريخ كذلك يسجل هجرة مفاجئة نحو الجنوب الغربى من الهلال الخصيب.

ويذكر المؤرخون اليهود أن وحدة الشعب العبرى دعمت عبر العصور عقيدتهم بأنهم من نسل جد واحد،وقد كانت من حول أطراف الهلال الخصيب أيام «حمورابى» فى بابل هجرات معروفة . كما ورد فى العهد القديم أن إبراهيم وأسرته قد هاجروا من «أور» فى الجنوب الغربى من أرض النهرين إلى حران مركز عمران «عمورى» فى الشمال الغربى حيث تلقى تعاليم ربه بترك وطنه إلى موطن آخر،ليستأنف حياةً وتاريخاً اختص به.

ويتحرك إبراهيم إلى فلسطين موطن الكنعانيين حيث أورث الأرض ما بين «دان»، و «بئر سبع».

وكان إبراهيم عليه السلام ـ آرامياً (١) تائهاً، فانحدر إلى مصر وتغرب هناك (تثنيه الاشتراع ٢٦:٥)، وظل تائها يتنقل من مكان إلى آخر بين فلسطين ومصر والأردن (دون أن يتملك فى أرض فلسطين سوى «مغارة المكفيلة» مدفناً لزوجته سارة ولأسرته (تكوين ٢٣ : ٢ ـ ٢٠).

وقد اعترف إبراهيم، بعد هجرته إلى أرض كنعان بـ ٥٥ سنة، بأنه غريب ونزيل (تكوين٢٣ : ٤).. وظلت هذه المغارة، والحقل المحيط بها، الملك الوحيد لنسل إبراهيم إلى حين دخول هذا النسل

(١) وآرام هو الأسم الذى أطلقه الكتاب المقدس على بلاد سوريا وما بين النهرين ـ العراق ـ ، والآراميون فى الكتاب المقدس ينتسبون إلى آرام بن سام. فهم والكنعانيون من سكان سوريا والعراق.

إلى أرض كنعان بواسطة «يشوع بن نون»،وذلك بعد ٦٧١ سنة من تاريخ هجرة إبراهيم.

﴿ واذكر فى الكتاب إبراهيم، إنه كان صديقاً نبياً ﴾.
(سورة مريم - الآية ٤١)

ومن نسل إبراهيم كان يعقوب (أو إسرائيل) ومن يعقوب كان إثنا عشر ولداً هم أسباط إسرائيل، أو «بنو إسرائيل» الذين آووا فى أرض كنعان أرضهم وميراثهم. فلما اضطرتهم المجاعة إلى الرحيل إلى مصر ظلوا يعتبرون أنفسهم «غرباء» أو «ضيوفاً» فى هجرة مؤقتة.

ويذكر أبا إيبان فى كتابه (شعبى) أنه ما من سبب مقنع لهجرة الجد الأكبر إبراهيم من بلاد النهرين حيث الحضارة والحياة المتقدمة. أما آباء اليهود من نسل إبراهيم ويعقوب، فقد رويت - من بعد قصة الخلق والطوفان مباشرة فى سفر التكوين - سيرتهم التى تغلغلت، كما تغلغل تاريخهم - من هجرة إبراهيم إلى أرض كنعان إلى غربة إسرائيل وبنيه فى مصر - عميقة فى عقليتهم وخيالهم. ولئن آمن المسيحيون والمسلمون بقصة إبراهيم واتخذوه الأب الروحى، فهو عند اليهود وفى عقيدتهم الأب الوحيد. شأن امتياز اليهودية التى آمنت بالوحدانية منذ أن بشربها إبراهيم عليه السلام، والتى نجدها واضحة فى سفر التثنية الذى وضع إبان قيام الدولتين الشمالية والجنوبية. ففى أيام داود وسليمان وضعت أقدم الأجزاء فى العهد القديم، وأثناء قيام الدولتين جمعت أخبار القبائل وقصصهم بدافع من الأنبياء ثم أضيفت إلى هذه القصص قصص أخرى، وشرحت شروحا تتفق والأهداف التى جمعت من أجل تحقيقها، إلا أن هذه القصص أثارت كثيراً من الخلافات يبن الدولتين، كما يتضح هذا من تكرار القصص وتضاربها. فمثلاً فى قصة الطوفان: تنص

الآية الثانية عشرة من الإصحاح السابع من سفر التكوين على أنه دام أربعين يوماً وأربعين ليلة، بينما نقرا فى الآيَة الرابعة والعشرين من الإصحاح السابع فى السفر نفسه أنه دام مائة وخمسين يوماً. كذلك قصة الخلق مثلاً جاءت فى الآية السابعة والعشرين الإصحاح الأول وفيها: كان الإنسان آخر الخلق، وعرض لنفس القصة فى الإصحاح الثانى (ى ٤ ـ ٢٥) فكان الإنسان هو الأول، وبعده جاءت الأشجار فحيوانات الحقول فطيور السماء. وفى سفر التكوين (ى ١٧ ـ ٢٢) نفهم أن طوفاناً قضى على كافة البشر لَم يحدث، وذلك لأن النص يقول: إن «لامك» يرجع إلى نسله جميع سكان الخيام ورعاة الماشية، وكل ضارب بالعود والمزمار وآلة نحاس وحديد، وأن سلسلة النسب لم تقطع بين هؤلاء الناس وبين«لامك» الذى عاش قبل الطوفان، و لا بينه وبين الإنسان الأول.

ويحدثنا سفر التكوين أيضاً فى إصحاحيه التاسع الآية (١٩) والإصحاح العَاشر الآيات (١ ـ ٣٢) أن الأرض كانت عامرة بالسكان، وكان ذلك العمران شيئاً طبيعياً، بينما نجد فى نفس السفر الإصحاح الحادى عشر الآيات (٤ ـ ٩) إن انتشار السكان علَى الأرض كان عقوبة ولم يكن شيئاً طبيعياً، ومثل هذه المفارقات كثيرة بين قصص العهد القديم. وقد أثرت كثيراً فى نفسية المجتمع الإسرائيلى كما تبدو فى عاداته وتقاليده وطقوسه الدينية وقصصه المتصلة بأعياده وأخباره الخاصة بسير آبائه وكتابه المقدس. وخير مظهر تتجلى فيه هذ الحقائق ظهور الأنبياء فى المجتمع الإسرائيلى.

ويبدأ القصص اليهودى بما وقع فى «بيت إسرائيل» من تمزق أدى إلى حمل ابنه يوسف إلى مصر، حيث يبلغ فيها منزلة رفيعة فى الدولة، وحيث يأتيه إخوته ليقيموا فى مصر، ثم تمضى بهم

قرون فى مصر قبل أن ترى سلالتهم أرض آبائهم وميراثهم الموعود فى كنعان، كانوا أول عهدهم بمصر أحراراً آمنين فى أرض زراعية بعيداً عن أرض كنعان، ولكنهم ما لبثوا أن ضرب عليهم القهر والعبودية.

ويبدو أن مشكلة الزراعة غير الآمنة فى أرض «كنعان» كانت السبب فى جلب المزيد من الإسرائيليين إلى مصر، حيث يلتحمون فى المجموعة السامية الأخرى. وبالرغم من التمازج بين المصريين والكنعانيين فترة حكم «الهكسوس»إلا أن الثقافة والحياة الاجتماعية الإسرائيلية ظلت فى عزلة منفصلة. وكان هذا يرجع إلى بغض المصريين لليهود، حتى فى عهد حكم «يوسف» وفقاً لما جاء فى التوراة «لا يأكل المصريون الخبز مع اليهود». كان هذا بغضاً من المصريين وقد شجع هذا اليهود على الاحتفاظ بحياتهم فى «كنعان» حية فى ذاكرتهم.

ومن البديهى أن اليهود عاشوا منعزلين عن المجتمع المصرى. ويشير (سفر الخروج) إلى انهيار الأمن بالنسبة للإسرائيليين فى عهد أحد الفراعنة، الذى يمكن أن يكون رمسيس الثانى، بعد انهيار حكم الهكسوس فى القرن السادس عشر قبل الميلاد، فقد حرموا مرتباتهم وأجبروا على الاشتراك فى العمل فى بناء المدن الجديدة كعبيد، ولم يكن لهم خيار فى البقاء أو الخروج .. وأثناء حياة القهر هذه ظهر بينهم قائد، أصبح المؤسس للأمة الإسرائيلية والدين اليهودى على السواء.

ثورة العبرانيين بقيادة موسى عليه السلام

ولد «موسى» فى ظل حياة مصرية وتقاليد مصرية .. وإن كان

من سلالة عبرية. وقد أعطى الإله اليهودى (YAHWEH) «يهوه»[1] شخصية محددة مقدسة فى ضمير شعبه. وقد نظم القبائل شبه البدوية للثورة. وقد التجأ إلى الذاكرة الحية رغم عدم وضوحها للحرية الرعوية فى أرض الميعاد. ونجح فى الخروج بشعبه عبر سيناء إلى أرض كنعان، حيث كان عليهم بناء أمتهم التى تحمل شاهداً حيا على عقيدتهم .

ووصف بزوغ هذه العقيدة بأنه «ثورة فى عالم الفكر الإنسانى» إذا رأت العقائد السابقة أن قدر الإنسان إنما يخضع لنواميس الطبيعة وظواهرها المادية من شمس وهواء وخصب ومطر ومن ثم اتخذ منها أربابا.

أما إبراهيم فقد رفض عبادة الأصنام، ولم يكن ربه هو الواحد الأحد؟ المحيط بالوجود الذى لا تدركه العقول، ولكنه إنما كان إله أسرة إبراهيم دون سواها، وذلك على العكس من عقيدة «موسى» التى كانت أقل سذاجةً وانغلاقاً [2]. وقد ظهرت الأفكار الوثنية واضحة فى صرخة الفيلسوف الرومانى «ماركوس اوريليوس» إذ يقول: «فوق وتحت، أمام وخلف ودوران، تلك هى نغمة الكون الرئيسية والتى لا معنى لها ، ولذلك آمنت العقيدة اليهودية منذ موسى الى الآن أن الله مبدع قوى الطبيعة، بعيدا عن إيقاعها الدوار حيث لاتتجلى بها الإرادة الربانية فى الطبيعة فى التاريخ الإنسانى. إذ التقدم لا التكرار هو قانون الحياة وإذ يتخذ الله فى الفكر الموسوى صفة «إنى أنا»

---

(١) يسمى (YAHWEH) أو (JEHOVAH) وهو الله. وهو يهوه، أو ادوناى،و يقال إن الله أوحى به إلى موسى على جبل حوريب.

(٢) رأى أبا إيبان فى كتابه (شعبى).

الواحد الذى لا تحيطه صفة. «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا» . (سورة الاحزاب - الآية ٧).

إن لدى الإنسان القدرة على نبذ الشر واختيار الخير.. وإذا قارنا بين فكرة الإله فى اليهودية وفكرة الإله عند كل من بلاد النهرين ومصر، لوجدنا صورة الإله أحيانا فى شكل تمثال مركب فى رأس إنسان وجسم حيوان، وربما صور أحيانا فى منزلة أدنى من منزلة البشر.

وما زال الفكر الموسوى لإسرائيل وحدها. وهى ضد الوثنية والشرك، ومن ثم فهى عالمية بكافة المعانى.

وكان صاحب الدين الجديد كذلك قائداً لشعبه نحو الحرية. إذ كان يؤمن بأن الخلاص إنما يتمثل فى الثورة على العبودية وعلى الفكر المصرى. وما كانت قصة «الخروج» من مصر خلاصا من العبودية فحسب.. بل كانت حدثا خطيرا فى التاريخ اليهودى. وقد أشار كل من «بنجامين فرانكلين» و«توماس جفرسون» حين استطلعا الرأى فى شعار الوحدة الأمريكية، أن يمثل خاتم الولايات المتحدة الرسمى هجرة بنى إسرائيل فى الطريق المنشق فى لج الماء فى طريقهم الى الحرية. وذلك ما يعبر عن «مقاومة الظلم طاعةً لله».

التيه

خلت القرون الثلاثة من تاريخ بنى إسرائيل بين القرنين السادس عشر والثالث عشر ق.م مما يشير إليهم، إلا ماورد عنهم فى التوراة، وكذلك لم يشر تاريخ مصر إلى حياة اليهود فى مصر، وقد يعزى ذلك إلى أن حكم «الهكسوس» كان أسوأ من أن يوصف، ومع

ذلك فقد أصبح مقبولا أن الهجرة الإسرائيلية إلى مصرقد وقعت خلال القرن الثامن عشر ق. م أو بعده. وأن الخروج كان خلال القرن الثالث عشر ق. م وفى حكم رمسيس الثانى (١٢٩٠ - ١٢٢٥ق.م) وكذلك لم يكن عدد المهاجرين الى مصر، أو عدد المهاجرين منها، محددا وواضحا - إذ لايمثل ماورد فى ذلك الحق والمنطق.

بدأ خروج بنى إسرائيل من الشمال الشرقى من دلتا النيل حتى جبل سيناء أو «جبل حوريب» الذى لا يزال سرا يقال إنه تحلل فى جرانيت جبل شبه جزيرة سيناء الجنوبى. وباءت بالفشل محاولات الإسرائيليين فى الوصول إلى كنعان، حيث اضطروا إلى العودة إلى سيناء وعاشوا فى الصحراء حياة البداوة رعاة تائهين.

العبادة والمقدسات الدينيةاليهودية
فى عهد(موسى وهارون)

ذكر فى سفر الخروج أن «يهوه» تجلى على موسى فى سيناء، ويذكر العهد القَديم أن من بين أتباع «يهوه» المدينيين وكبير كهنتهم «يثرو» والذى كان يرعى قطعانه بالقرب من الجبل الذى يقيم فيه الإله «يهوه» (١)، وأن موسى هرب من مصر لاجئاً إلى «يثرو» إلى المدينيين ومن ثم يقترن بابنة «يثرو» وهى «صفوره»، ويذكر سِفر العدد (٢) أنها كوشية. و «صفوره» هذه هى التى علمت موسى الختان، وفى المكان المقدس للكاهن «يثرو» تجلى «يهوه» لموسى، فقَدم «يثرو» و«موسى» و«هارون» القرابين ليهوه. وعن «يثرو» كما تذكر التوراة أخذ موسى تشريعاته القانونية، كما أن وظيفة «اللاوى»

---

(١) خروج ٣ ى ١.
(٢) إصحاح ١٢ ى ١.

تعبر عن وظيفة الكاهن المدينى والحاخام الإسرائيلى. وبذلك يمكن القول بأن أصول الكهنوتية الإسرائيلية ترجع إلى موسى، ولم تكن قبله فى المجتمع الإسرائيلى كهانة لأنه لم تكن هناك طقوس دينية يهودية، كما لم يعرف المجتمع الإسرائيلى القرابين وتقديمها، ولو أن الأخبار التى وردت فى العهد القديم تحدثنا عن القرابين التى كان يقدمها الآباء الأولون إلا أنهم لم يعرفوا كهنة، وكانوا هم أنفسهم يتولون هذه المهمة وذلك لأن عبادة «يهوه» كانت عبادة عائلية وليست شعبية. كما أن الشعب الإسرائيلى لم يكن قد وجد بعد، فليست هناك حاجة إلى خلق كهنوتية عامة. وأول من أوجدها هو موسى، لذلك تعتبره الديانة الإسرائيلية أول كاهن. وقد قام بهذا الدور عند إتمام العهد[١] وتسلم ككاهن ـ أى كسادن للخيمة المقدسة ـ المعجزة من «يهوه»[٢].

وقد ظلت هذه الصفة ملازمة له حتى بعد أن عين أبناء لاوى (اللاويين) لخدمة «يهوه»[٣] ثم نجد موسى بعد ذلك يتنازل عن الكهنوتية لأخيه «هارون» وأولاده[٤]. «ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا سورة الفرقان ـ الآية ٣٥»، وهارون هوالذى كان يرسم الكهنة بأمر الله، لذلك نجد الكهنة ينقسمون إلى فريقين: كاهن يسمى «كوهين» وآخر يسمى «ليڤى» واللفظان يعبران قديماً عن مدلول واحد، لكن فيما بعد فرق المجتمع بين «كوهين» و«ليفى» أو «لاوى» للكاهنة.

وفى العهد القديم نجد بقايا لاستخدام لفظ «لاوى» فى هذا المعنى، حيث يطلق سفر الخروج على هارون لفظ (اللاوى)(٥) أى الكاهن، وهو فى هذا اللقب يشبه موسى تماماً كما جاء فى سفر الخروج.

---

(١) خروج ٢٤ ى ٦ .
(٢) خروج ٣٣ ى ٧ .
(٣) خروج ٣٢ ى ٢٦ .
(٤) القضاة ١٨ ى ٣٠ .
(٥) خروج ٢٩ .

التابوت المقدس (تابوت العهد)

«التابوت المقدس» أو كما سمى فيما بعد باسم «تابوت العهد» أو كما عرف قديماً «تابوت إله إسرائيل» ، أو «تابوت يهوه» ، و«تابوت يهوه قائد الجيوش» ، وتسمية أخرى وهى «تابوت الشهادة» وكان يؤتى بتابوت العهد إلى معسكر الجيش فيستقبل بالتهليل والتكبير ليتحقق النصر ، ويقع الذعر فى قلوب الأعداء الذين كانوا يقولون «إله العبريين حضر إليهم فى المعسكر» .

والآن نتساءل حتى اليهود أنفسهم ، كيف أن تابوتاً تصير له مثل هذه المكانة ؟ والجواب أن الإسرائيليين نظروا إلى التابوت على أنه عرش «يهوه» الذى يجلس عليه ، أو على أنه قد نقش عليه اسم يهوه قائد القوات . واستولى الفلسطينيون على تابوت العهد فى موقعة «أفيق» عام ١٠٥ ق . م .

ومن المقدسات الإسرائيلية أيضاً «خيمة مقدسة» أقامها موسى خارج المعسكر ليتلقى فيها الوحى أو ليستقبل الله ، وكان يقوم فتى موسى «يشوع» بحراستها ، ويطلق على هذه الخيمة اسم «خيمة الاجتماع» أو كما تسمى فى العبرية «أوهل موعيد» أى الخيمة التى يجتمع فيها الآلهة لتخطيط مصائر القوم .

العودة إلى كنعان

وبعد موت «موسى» خلفه «يوشع» فى قيادة الشعب اليهودى ، وهو الذى اتبع خطة غير مألوفة باختراق كنعان من طرفها الشرقى ، حيث نتج عن هذا الغزو استقرار عبر الأردن ، ولما كان لا يوجد فى مصر تنظيم قبلى فمن الصعب تحرير القبائل التى اشتركت فى «الخروج» أو فى الغزو .. فقد عاش الإسرائيليون بعد الغزو حياة غير سهلة مع جيرانهم ، ربما للشعور الذى ينتابهم بالتخوف من الهزيمة والضياع .

على أن التوراة إذ تروى دخول الإسرائيليين كنعان لا تعده غزواً بل عودة قبائل إلى ماضٍ لا ينسى.

وها هى التوراة نفسها تحدثنا أن «يشوع» - فتى موسى وخليفته - يأمر قومه اليهود بعد الاستيلاء على «أريحا» أن: «اقتلوا كل من فى المدينة من رجل وامرأة، واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها» (التوراة سفر يوشع ٢٢ - ٣٩)، ثم تحدثنا التوراة بعد ذلك أن موكب الخراب قد انتقل - وعلى رأسه يشوع - من «أريحا» إلى «عاى» فيقتل كل أهلها، حتى تفاخر التوراة بأنه: «لم يبق منهم شارد ولا متقلب» وبلغ عدد القتلى ١٢ ألفاً هم جميع أهل «عاى» ثم أحرق يشوع «عاى» «وجعلها تلاً أبدياً خراباً».

وتضم هذه المساحة الضئيلة من الأرض - التى استولى عليها «يوشع» فيما بين البحر المتوسط وصحراء العرب وحدود سوريا فى الشمال وشبه جزيرة سيناء فى الجنوب - ألواناً شتى من المناخ والتضاريس، حيث نطاق خصيب من حول نهر الأردن، ونطاق غنى من غابات فى الجليل، ثم سهل ساحلى، مع مناخ مدارى فى الجنوب إلى أمطار شتوية منتظمة فوق المرتفعات.

وقد حمل هذا الإقليم عديداً من الأسماء، فقد سماه الأكاديون «عمورو» بمعنى «الغرب» فى الأكادية أو أرض العموريين، وسماه المصريون «رتنو». ولكنهم سموه كذلك «كنعان» أيام الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة. وهو الاسم الذى أطلقه العبريون على هذه المنطقة.

ولقد كان لجغرافية فلسطين أثر فى التنظيم القبلى.. إذ ساعد تنوع تضاريسها - من مرتفعات جبل «حرمون» وثلوجه إلى أشد المناطق انخفاضاً فى العالم حول البحر الميت - على انتشار القبائل فى تلك المناطق، واختلاف طبيعة حياتها.

وفى هذا المكان استطاع الإسرائيليون أن يكونوا أمة زراعية صغيرة، ولم يكن هناك كما تشير التوراة ملك لإسرائيل، بل كان كل يفعل ما يراه ملائماً وفقاً لهواه.

فكانت الفترة التى استولى اليهود فيها على بعض الأراضى فى فلسطين غير هادئة، بل كانت مليئة بالحروب والاضطرابات، لأنهم كانوا دخلاء فيها.

ولقد مات «يشوع بن نون». ولم يتمكن من تحقيق حلم «موسى»، فقد بقيت أرض كثيرة للامتلاك منها: «أرض الجبيليين» وكل لبنان نحو شروق الشمس، من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة، جميع سكان الجبل من لبنان (يشوع ١٣ - ١و٥ و٦)، ومات موسى قبله وفى أعماق نفسه حسرة لمشاهدة أرض الميعاد «وتضرعت إلى الرب فى ذلك الوقت قائلاً: دعنى أعبر وأرى الأرض الجيدة فى عبر الأردن هذا الجبل الجيد، ولبنان» (تث ٣: ٢٣و٢٥).

وبين غزو كنعان وبين إنشاء ملك شاءول (١٢٣٠ - ١٠٢٣ق.م) وذلك فيما وصف فى التوراة بعصر القضاة - لم تكن إسرائيل بعد أن دخلت كنعان قد أحرزت بعد مقومات الأمة .. إذ كان عليها أن تقضى زمناً حتى تتحول من شبه رعوية إلى مجتمع زراعى، وإلى وضع سياسى خاص بها لتتحول من قبيله إلى أمة بحكم اتصالها بشعب كنعان، واختلاف نوعية المجتمع الإسرائيلى نفسه.

الفصل الثانى

عصر القضاة والملوك

عصر القضاة والملوك

كـان اليـهـود يلجأون إلى قـاضٍ فى فـتـرات الأزمات... وكـان حـارساً عـاماً على مـصالح الشعب، عـرافاً، قائداً عسكرياً، ومـخلصاً، كل فى واحـد. ولئن كـان «سفر القضـاة» سجلنا الوحـيد لهذه الحقبـة، فليس لدينا تاريخ واضح محقَق عنها، ذلك أن بعض القضاة لم يصلنا من تاريخـهم إلا أسماؤهم، كمـا لم يحدث أن استطاع أحد منهم حكم إسرائيل جميعا.. ومع أن الأزمـة الفلسطينية كانت طارئة فلم تستطع القبائل مواجهتها.

ويذكـر المؤرخـون اليـهـود «كـان الفلسطينيـون شـعـباً إغـريقـيـاً مطرودين من جزيرة كريت، ومن شواطئ آسيا الصغرى أمام غزاة من الشمـال. فلما فشلوا فى الاستقرار فى مـصر ثبتوا أقدامـهم على شـاطئ فلسطين بالقـوة حـول خـمـس مـدن هى: غـزة، وعـسـقـلان، وأشـدود، وعـقـرون، وجت،كـمـا احـتلوا أخـصـب البـلاد فى المنطقـة، بفضل ما كانت لديهم من أسلحة عظيمة، إذ ورثوا عن الحيثيين سر صناعة الحديد وتحويله إلى أسلحة.. وما كانوا عليه من بنيان جسمى قوى.

ولم يكن للإسرائيليين أن يقاوموهم .. وبعد هزيمتهم فى موقعة

أفـيق (APHEK) وبعد سقوط تابوت عهد الرب فى الموقعة فى يد الفلسطينيين سنة ١٠٥٠ ق. م كـان الدرس واضـحـاً وهو أن على الإسرائيليين أن يكون لهم قائد يحميهم من اضطهاد الفلسطينيين.

عصر الملكية لدى اليهود «شاؤول»

هناك كـثيـر من الإشارات فيمـا ينسب إلى «شاؤول» (أول ملك على اليـهـود) ومـا كـان لصـمـويل فى ذلك من دور. فـقـد طلب الإسـرائيليـون من «صـمـويل» أن يخـتـار لهم مـلكاً. فنهـاهـم عن ذلك ناصـحـاً بأن الملك سـوف يسـتـغلهم، وطفق يعـدد لهم مـسـاوئ الحكم الملكى. ولكن اليـهـود أصـروا على أن يكون لهـم ملك يحكم بينـهم ويقودهم فى المعارك. فكان أن انصاع صـمويل لصوت الشعب. فكان أول ملك اختاره «شاؤول» ابن «قيس» وكان شاباً قوياً لم يكن مثله بين أبناء إسـرائيل. وكـان قـد حـقق انتـصـاراً على الفلسطينيين مما دفع القبـائل الإسرائيليـة المختلفة إلى المناداة به مـلكاً، وكـانت مـدة ملكه سلسلة من الحروب ضد الفلسطينيين (١).

وفى حروبه هذه لم يحاول مرة إعلان التعبئة العامة أو حرص على فرض ضرائب جديدة وكان هذا الملك يقتات من عمله الخاص فى حقله ولم يتخذ لنفسه قصراً أوحاشية وكان يكتفى بدعوة ضباطه إلى منزله، كما أنه اعتاد أن يعقد مـجلس الحرب فى ظلال الشجرة المقدسة.

وقـد بدأ حكم «شـاؤول» بالكفـاح ضـد الفلسطينيين. إذ شُغلَ فى أعـوام حكمـه الأولى ببناء جـيش قـوى، جلب لـه الكثـيـر من قـبَـيلتـه «بنيـامين» وحـقق بـه النصـر فـى «مـخـمـاس» مـع عـدد آخـر من الانتصارات التى أدت إلى خروج الفلسطينيين من كل من «بنيامين» و«أفـرايم» وإلى عـدد من الإغـارات على جـيـران آخـرين منـهم.

(١) صموئيل الأول ٩ ـ ١٤.

«المؤابيون» و«العمونيون» و «الآراميون» فى الشرق والجنوب الشرقى ثم «العماليق» فى الجنوب.

وكان «شاؤول» يوزع الأراضى المستَولى عليها من العدو على رؤساء «البنياميين»، لذلك كان حكمه كملك حكماً قبلياً، وبينما كانت قبيلته تكون قلب جيشه إذ به يجمع الرجال الأقوياء من مختلف القبائل حول قبيلته، ومن بين هؤلاء الرجال الأقوياء. كان «داود» وهو من قبيلة يهوذا.

ولقد ملأ «شاؤول» الحلقة المفرّغة بين حكم القضاة البدائى وبين إنشاء الملكية الكاملة تحت حكم «داود» ولعله كان الشخصية التراجيدية فى قَصَص التوراة.

على أنه لم يصلنا إلا القليل عن إدارة الدولة فى عهد «شاؤول» ويبدو أن الوحدة بين أجزاء دولته ظلت ناقصة إذ انحصرت سلطته الكاملة وسط البلاد، على حين وصلت سلطته إلى مناطق الحدود بالتدريج. وقد كان مقره موطنه الأصلى «جبعة» فى أرض «بنيامين».

وفى أواخر حياته أصيب بلوثة عقلية فاتهم كثيرين من الإسرائيليين بالخيانة، كما أن من بين الذين حل بهم غضبه كان «داود» الذى عينه «شاؤول» مساعداً له وزوجه ابنته وجعله أحد كبار قواده، وأخيراً حاول «داود» بمساعدة ٦٠٠ مغامر تأسيس مملكة لنفسه فى أقصى جنوب يهوذا، إلاّ أنه فشل واضطر للهرب إلى الفلسطينيين والانضمام إليهم ووضع سيفه فى خدمتهم ضد مواطنيه السابقين.

ويذكر العهد القديم أن «شاؤول» لقى وأبناؤه حتفهم فى حرب ضد الفلسطينيين الذين مثلوا بجثثهم وعلقوها على حيطان «بيت

شام، وعاد قلب فلسطين إلى الفلسطينيين ثانية وطردوا الإسرائيليين الذين كانوا قد استقروا هناك.

وهكذا نجد أن الأعمال التى قام بها «شاؤول» والخاصة بالوحدة بين الشمال والجنوب وتحرير الإسرائيليين من الاستعباد قد ذهبت مع الريح، ولو أن النظام الملكى ظل قائماً.

الملك «داود»

استطاع «داود» وهو ابن «يسى» أحد مزارعى قبيلة «يهوذا» التى كانت عدو شاؤول الوحيد بالداخل. أن يحرز انتصاره على «جليات الفلسطينى»، ثم بزغ نجمه حتى صار أحد أركان جيش «شاؤول» يذهب معه فى حروبه حيث ذهب. ثم تزوج ابنته وصار صديقاً حميماً لابنه «يوناثان» وقد أصبحت غاراته الجريئة على الأعداء نغمة الملاحم الشعبية.

غير أن «شاؤول» قد بدأ يخشى شعبية «داود» فلما استشعر «داود» الخطر يحدق به حتى فر إلى موطنه فى مرتفعات «يهوذا» وعاش أعوامه التوالى كخارج على القانون، وإلى ذلك أشارت التوراة إذ أجبر «داود» على اللجوء إلى الفلسطينيين. حيث شهد الحرب التى خاضها «شاؤول» وأبناؤه الثلاثة وجرحوا فيها جروحاً بليغة رفض حارسهم الفلسطينى أن يعجل بالإجهاز عليهم تخلصاً من الموت البطىء. فلما رفض حارسهم أخذ شاؤول سيفه واندفع إليه. وشهد «داود» مأساة موت الملك وأبنائه الثلاثة.

وقد ورث «ايشبوشث» الملك عن أبيه. فنقل مقره إلي «محنايم» شرق الأردن. وأصبح «داود» فى وضع يجعله يسعى للملك فحمل بجيشه على «حبرون» فدخلها بعون الفلسطينيين الذين سعدوا بالخلاف الداخلى فى إسرائيل. وكانت قبائل «يهوذا» ترى فى «داود»

زعيماً لها ،كما كانت على استعداد لقبوله ملكاً. غير أن «داود» كان طموحاً حريصاً على استكمال ما بدأه «شاؤول» من توحيد قبائل إسرائيل كلها لا «يهوذا» وحدها تحت سلطاته. وقد كان وضع الإسرائيليين غير مكين بعد انكسارهم أمام الفلسطينيين فى جبل «جلبوع» ولكنهم كانوا مصممين على إرساء دعائم مملكة لهم. وكان على «داود» فى سبيل تثبيت ملكه أن يحاول حل المشاكل الداخلية والخارجية جميعاً. وأن يخوض لذلك غمار حروب متعددة. ساعده موقف «ابنير» (ABNER) قائد جيوش «إيشبوشث» إذ أحس بالفارق بين سيده وبيين داود. ثم ما تبع ذلك من خروج الكثير على «ايشبوشث» حتى أحدقت به العزلة.

وانتهز «داود» هذه الفرصة وأعلن قيام دولة مستقلة فى الجنوب وسكانها خليط من إسرائيلى «يهوذا» وبعض أفراد قبيلة «كالب». واتخذ «داود» مدينة «حبرون» عاصمة لمملكته الجديدة، كما أطلق على مملكته هذه «يهوذا» نسبة إلى قبيلة «داود» نفسه. لذلك نشبت حرب بين «ايشبوشث» وبين «داود» دامت زهاء سبعة أعوام وانتهت لصالح «داود» بفضل حادثى قتل و خيانة، أولهما ضد (أبنير) ابن عم (شاءول) وأحد قواده العظام، كما نجح فى تدبير مؤامرة لقتل «ايشبوشث» وقد نفذها قائدان من البنياميين، وبذلك توج نفسه ملكاً على إسرائيل ثم أخذ يعمل لتوحيد البلاد وتكوين جيش قوى وإجلاء الفلسطينيين(١)، وانتصر «داود» عليهم واستولى على «أورشليم» التى كانت العقبة فى اتحاد الجنوب مع الشمال،وفضلاً عن هذا كان يطمع فى اتخادها مقراً له لأنها ليست شمالية فتغضب الجنوبيين أو جنوبية فتغضب الشماليين بل مدينة وسطى محايدة فتحتها قوات مشتركة من الشماليين والجنوبيين وأقام فيها «داود» وأصبحت قلعتها

---

(١) صموئيل الثانى، ١ ى ١٩ و٢٧ .

«صهيون» تعرف بإسم «مدينة داود» واستطاع بمساعدة عمال وفنيين كنعانيين بناء قصر له فيها.

أما جهاز مملكته الإدارى فكان بسيطاً جداً وجيشه يتكون من عنصرين:

١ ـ «صبا» وهم مجموعة من الرجال الأشداء من مختلف القبائل، وكانوا يستدعون عن طريق النفير أو رفع الأعلام أو إشعال النيران فوق قمم الجبال ولا يرتدون زياً رسمياً، أما عددهم ومدة خدمتهم فموضع خلاف.

٢ ـ نفر من الجيش النظامى وعدد رجاله ستمائة مقاتل وكانوا قد تجمعوا حول «داود» عندما نفاه «شاؤول» وهم «جبوريم» أو «جبورى داود» أو «كريتى بليتى»نسبة إلى عشيرتين فلسطينيتين، ومعظم أفراد هذا الحرس من الأجانب وبخاصة من العشيرة المعروفة «جيتيم» نسبة إلى مدينة (جات) وكانوا يكونون بزعامة قائدهم «اتاى» فرقة من جيش «داود» وكان هذا الجيش يعيش على السلب والنهب.

وقد انتهز «داود» الضعف المؤقت لكل من مصر وآشور ليبنى حدوداً قوية لملكه. فأمن ملكه وحدوده، بغارات على الدويلات المجاورة.

وقد امتد حكم «داود» أربعين عاماً، وكانت أعوام حرب. حتى تمكن من توطيد ملكه من حدود مصر وخليج العقبة إلى نهر الفرات.

لكن أيام «داود» لم تنته كما بدأت، ففى النصف الثانى من سنى حكمه تعرض لكثير من المؤامرات بسبب وراثة العرش فنجد ابنه الأكبر «أمنون» يقتل بيد أخيه أبشالوم» الذى ثأر لأخته «تامار» التى فض «أمنون» بكارتها ثم ألقى بها خارج الباب. فبقتل (أمنون)

تخلص «أبشالوم» أيضاً من منافسة «أمنون» له فى اعتلاء العرش. لكن «داود» تألم لهذا الحادث فطرد «أبشالوم» الذى قام بثورة ضد «داود» مما اضطر الملك إلى الهرب إلى شرق الأردن ومعه حرسه الخاص «جبوريم» وانتصر قائد هذا الحرس على «أبشالوم» وذبحه واسترد «داود» مملكته. لكن ليس معنى هذا أن الأمر قد استتب «لداود» وذلك لأن رجال قصره انقسموا إلى حزبين حزب يؤيد «أدونيا» الابن الأكبر «لداود» وينادى بأحقيته فى وراثة العرش، وكان داود يميل إلى هذا الرأى وحزب يناصر الابن العاشر «سليمان» وذلك بفضل المساعى التى بذلتها أمه الجميلة أقرب النساء إلى قلب الملك. ولما شعر «أدونيا» بهذا الخطر الذى يتهدده قرر إعلان نفسه ملكاً قبل وفاة الملك «داود» إلا أن « بت - شبع» أم سليمان طلبت إلى الملك الشيخ أن يهدى العرش إلى «سليمان» فخشى «أدونيا» العاقبة وهرب واستجار بالمذبح راجياً العفو.

ثم مات «داود» بعد هذا الحادث بزمن قصير وكان شخصية تجمع كثيراً من المتناقضات، كان قوياً جباراً إذا ما تطلب الموقف الشدة.

وتُصوِّر التوراة «داود» - على أنه كان شديد القسوة، فتروى أن «داود» قد جمع كل الشعب وذهب إلى (ربة) عاصمة «عمون» وهى عمان الحالية، وحاربها وأخذها .. وأخرج غنيمة من المدينة كثيرة جداً. وأخرج الشعب الذى فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفئوس حديد. وأحرقهم فى أتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمون. ثم رجع «داود» وجميع الشعب إلى «أورشليم».

وهكذا تنسب التوارة إلى «داود» أنواعاً من التعذيب لم يعرفها الإسرائيليون من قبل رغم ما يعرفه قراء التوراة من وحشية اليهود التى لا أثر للرحمة فيها. ومدى استهانتهم بالروح البشرية - فالإحراق

بالأفران بالقاء القوم فى أتون النار، وسلخ جلودهم ونشرهم بالمنشار، ووضعهم تحت نوارج الحديد وفئوسها هذا غير مقبول ولا مستساغ من أطغى الطغاة.

أما مع أولاده ونسائه فقد كان ضعيفاً جداً، هذا إلى جانب أنه كان شاعراً وموسيقياً وخطيباً. وبينما العهد القديم والتوراة عدد سيئات النبى «داود»، فإن القرآن الكريم قد خصه بالآية الكريمة

﴿ وربك أعلم بمن فى السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً ﴾.

(سورة الإسراء الآية ٥٥)

الملك «سليمان»

اختار «داوود» وهو على فراش الموت ابنه «سليمان» من أحب نسائه إليه «بت - شبع» وهى زوجة «أوريا الحثى» أحد ضباط «داود» والمقربين إليه.

وإلى قصتها مع «داود» عليه السلام يشير القرآن الكريم بالآية الكريمة:

﴿ إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب. قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وأن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن «داود» أنما فتناه فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب ﴾ .

(سور «ص» آية ٢٣ - ٢٤)

وقد ملك «سليمان» على إسرائيل وقرر أن يحكم حكماً مطلقاً، وقد كلفه تحقيق هذه الرغبة أن يقضى على العناصر التى قد تعارضه، فقتل أخاه الابن الأكبر والوريث الشرعى «أدونيا» كما

تخلص من كبير الحاخاميين حتى لا يثير الأحكام الشرعية ضد «سليمان» إذا ما خالفها. لقد ورث «سليمان» ملكاً ويجب المحافظة عليه وتحويله إلى وسيلة لتقوية سلطانه وتحقيق رغباته فاستغل «سليمان» ملكه ليكون مصدراً لثرائه وأبهته، فحكم البلاد حكماً مطلقاً ولم يخض «سليمان» غمار حروب كثيرة، فقد بلغ «داود» بالمملكة حدوداً لن يستطيع «سليمان» تجاوزها، وللمحافظة على حدودها لم يستخدم جيشاً أو أسلحة بل سلك طريقاً آخر ألا وهو طريق الدبلوماسية والمصاهرة فتزوج من بنات ملوك «العمونيين» و «الموابيين» و«الآراميين»، و«الكنعانيين» و«الحيثيين»، بل واقترن بإحدى بنات «فرعون» فحصل عن طريق إتمام هذا الزواج على فتح الطريق إلى البحر المتوسط. وكان «سليمان» يضع فى الاعتبار ضعف مصر فى هذا الوقت (١٠٠٠ ق.م) وتقسيم أرض النهرين إلى دويلات عديدة. فاستطاع ضم بعض المدن ذات المنزلة الاستراتيجية الهامة فضم كلاً من «جاذر»، و«مجدو» على الطريق بين مصر ودمشق. ثم «تدمر» وهي باب طريق القوافل إلى البحر الأحمر و«حران». وعلى الرغم من أن إسرائيل كانت دولة زراعية فقد وجد «سليمان» أن التقدم فى الميدان التجارى أمر يسير، فعمد إلى إنشاء أسطول عظيم، وجعل «عصيون جابر» الميناء الرئيسى فى خليج العقبة.

وقد شجع «سليمان» كذلك الاكتشافات الجغرافية، فأبحرت سفنه حتى وصلت إلى اسبانيا وبهذ اجعل منطقته حلقة اتصال بين الشرق والغرب والشمال والجنوب.

واستطاع «سليمان» كذلك أن يحمل ملكة سبأ على أن تهرع إليه مقدمةً هداياها وجمالها لتتزوجه وتعقد اتفاقات تجارية مع دولته.

وبعد أن أمن «سليمان» مملكته خارجياً أخذ يعمل لتأمين عرشه داخلياً وبخاصة فهو يعرف تماماً أن أهم مشكلة واجهت «داود» هى

طموح بعض القبائل إلى التمتع بنوع من الحكم الذى يضمن للشعب إبداء رأيه فيما يتخذه الملك من قرارات، قد تؤذى الشعب. ولاشك فى أن تحقيق هذه الرغبة يتعارض مع رغبة «سليمان» فى الحكم المطلق، لذلك ركز «سليمان» جهوده فى تفتيت أى تحالف قد يقوم بين هذه القبائل، كما مزق الحدود بينها ليخلق منها مشكلة دامية تفرق بين هذه القبائل وتشغلها عن الانتباه «لسليمان» وما يتخذه من مخالفات شرعية. فقسم المملكة إلى اثنتى عشرة محافظة، على كل محافظ أن يتولى جمع الضرائب التى يحتاج إليها الملك، كما فرض على كل محافظ إعاشة الملك، وحاشيته وجيشه وخيله شهراً.

ويذكر سفر الملوك الأول أن «سليمان» عين موظفين من حاشيته والمخلصين لهَ لتوعية القبائل وتوجيهها لخدمة الملكية وأن العاصمة الوحيدة التى يجب على الشعب الاتجاه إليها هى «أورشليم» ولكى تسيطر «أورشليم» على سائر المدن والعواصم المحلية للمحافظات المختلفة يجب أن تزخر بالعظمة والأبهة، وقد نجح «سليمان» فى تحقيق هذه الغاية وبلوغها، فأكثر من المبانى الحكومية والملكية كما حصن المدينة وأمدها بقناة تحمل إليها المياه كما ختم مشروعاته العمرانية ببناء آخر جعل من أورشليم المدينة الرئيسية ومدينة المستقبل أعنى إقامة المعبد على تل (موريا) وهكذا تبلورت العبادات فى مكان بعينه أصبح المنارة التى تضىء للقوم طريقه.

معبد «سليمان»

شيد «سليمان» معبداً لعبادة الإله «يهوه»، وانتقده بعض الأنبياء المتأخرين وبخاصة لكثرة البذخ الذى يتجلى فيه(١) وهو من الناحية الدينية لا يتميز عن غيره من المقدسات الأخرى التى وجدت فى «سماريا أوسيلو»(٢)، فالمعبد السليمانى فى نظر هؤلاء الأنبياء عديم القيمة.

---

(١) أرميا ٧ .
(٢) أرميا ٧ ى ١٢ وفيما ١ ى ١٠

ومن مساحة المعبد نتبين أنه لم يشيد لكى يتسع لاجتماع القوم بل ليكون بيتاً لسكن الله، هذا ويعتبر معبد سليمان مبدأ تحول فى الطقوس الإسرائيلية فقبله لم يكن هناك بيت مقدس يحمل اسم «يهوه» لذلك كان الشعب الإسرائيلى يصعد إلى المرتفعات ويؤدى طقوسه الدينية لكن الآن بعد أن أوجد المعبد الذى يحمل اسم الله أصبحت تأدية الطقوس خارجه باطلة وكأنها عبادة وثنية (١).

لكن قيام المعبد لم يقض على الأماكن المقدسة الأخرى التى كانت منتشرة فى البلاد وبخاصة فإن الدولة الشمالية لم تعترف بهذا المعبد لأن لها معابدها الخاصة فى «بيتئيل» و«دان» وفى البيت الملكى. وكانت هذه الأماكن تقوم بدور مهم فى سبيل تأدية الطقوس الدينية، كذلك نجد ملوك مملكة «يهوذا» حتى عصر الملك «حزقيال» يحافظون على الأماكن المقدسة الأخرى القائمة على المرتفعات ولا يحاولون القضاء عليها، وعلى النقيض من ذلك نجد النبى «إلياس» يبنى المذبح الذى تهدم على «الكرمل» ولما ثار أنبياء مثل «عاموس» و«هوشيع» و«ميخا» و«أشعيا» ضد هذه المبالغة فى العبادات لم يقصدوا هذه المبالغة فى العبادات بل أماكن العبادة ذاتها وأنها أدنى من المعبد، بل نظروا إلى تهالك الشعب على تقديم القرابين وغيرها وهى ليست كل ما يطلبه الله من عباده، وكانت عظاتهم لا تدعو إلى هدم المذابح وتقديم القرابين إلى معبد «أورشليم» بل كانوا يبشرون بأن الله لا يرجو منهم شيئاً غير العمل الصالح وحب الآخرين والتواضع.

(١) الملوك الأول ٣ ى (٢) وثلثية ١٢ ى ١٠.

ومع مضى الزمن نجد (المعبد السُليمانى) يكتسب قلوب سكان مملكة «يهوذا» كمعبد ملكى. فالنظام الملكى خدم المجتمع الإسرائيلى خدمات جليلة فهو الذى جمع بينهم ووحد صفوفهم سياسياً واجتماعياً، ولما شيد «سليمان» المعبد، جمع معبده قلوبهم فقصدوه من مختلف الجهات، فتعارف الإسرائيليون وتآخوا واجمعوا على طقوس واحدة وعبادة واحدة، ولم تتح الفرصة للخلافات العقائدية المتوارثة للظهور ثانية فتسبب الفرقة والانقسامات. وكان يعاون الملك ويشاركه فى هذه الاحتفالات خدمه وكبار موظفى الدولة، ويحيط الشعب ومليكه بأقدس ما جاءهم عن آبائهم الأولين «التابوت المقدس».

ولما توارت «سماريا» من المسرح السياسى أخذت مكانة (المعبد الأورشليمى)تزداد سمواً وشهرة. وانفرد بالمكانة الدينية فى جميع أنحاء البلاد، وتنكر «يهوه» للمقدسات القديمة واعترف بـ «صهيون» فتحول الرأى العام الإسرائيلى إلى الفكرة الصهيونية وآمن بأن «صهيون» مقر الإله ولن يزول (أرميا ٧ى ٤).

لكن معبد «أورشليم» بالرغم من حسناته العديدة إلا أنه ابتعد عن العقيدة الإسرائيلية اليهودية بسبب الأصول الطقسية التى باشرها وحرض الشعب على الإيمان بها، وهذه الطقوس هى فى الواقع طقوس كنعانية.

شهد عصر «سُليمان» تقدماً مادياً كبيراً. إذ تزايد عدد المدن والقرى. وتضاعف عدد السكان فوصل إلى ٨٠٠ر٠٠٠ نسمة. ولكن ذلك إنما أقام فى وجهه مشاكل مالية اضطرته إلى فرض ضرائب على الشعب، إلى جانب سيطرته على قرابة اثنتى عشرة مقاطعة فى الجليل.

واستغل «سليمان» شمالاً وجنوباً علاقاته الودية من ناحية ومهاراته السياسية من ناحية أخرى، فقد نجح تجار «سليمان» فى احتكار التجارة المصرية سلعاً ونقلاً، كما أجبر «سليمان» القبائل الشمالية على شراء حاجياتهم من تجاره الخصوصيين، وبالغ «سليمان» فى احتكار وسائل كسب العيش فلم يترك وسيلة من وسائل الرزق إلاّ وسيطر عليها، حتى رسوم المرور التى كانت من قبل حرة فاحتكرها وفرض أتاوة عليها محتجاً ببعض الطرق التى عبدها وزودها ببعض المحطات. واستغل «سليمان» الصداقة القديمة بين والده والفينيقيين فاشترك معهم فى أسفارهم البحرية إلى جنوب إسبانيا، وأمده الفينيقيون بالملاحين وبناة السفن الذين شيدوا له أسطوله التجارى الذى كان يخرج من «إيلات» وغيرها من خليج العقبة إلى المدن الساحلية فى الجزيرة العربية وإفريقيا والهند، وهكذا عادت تلك الأسفار وهذه التجارة على «سليمان» بالخير العميم.

والنتيجة المنتظرة لهذا الاحتكار الملكى للاقتصاد العام للمملكة إثراء الحاشية والطبقة الخاصة التى أسند إليها الملك هذه الأعمال الاقتصادية، فظهرت فى المجتمع الإسرائيلى طبقة قوامها الحاشية والموظفون التجاريون، وقد أصبحت هى صاحبة الجاه والثروة وسال الذهب فى خزائنها فتطورت الحياة الاجتماعية الصاخبة فى المدن التى أخذت تشتهر بالصخب والملذات.

أما السواد الأعظم من الشعب فقد انزوى واكتفى بالزراعة والمهن الصغيرة التى لا تقوم بأوده لاضطراب ميزان الحياة الاقتصادية وظهور طبقة غنية تشترى كل حاجياتها بأفدح الأثمان فى حين عامة الشعب تئن وترزح تحت نير ارتفاع الأسعار وتكاليف الحياة فتمزق المجتمع الإسرائيلى داخلياً فأوجد هذا الوضع حالة تذمر ضد «سليمان»، واستغلت المعارضة الساخطة تهاون «سليمان» الدينى

وأقامت كثيراً من دور العبادات الأجنبية فى البلاد، ووردت كذلك أفكار دينية جديدة. فقد انتشرت عبادة «بعل» وغير بعل فى إسرائيل. واتهم «سليمان» بمحاباته لقبائله فى الجنوب، مما اضطر القبائل الشمالية إلى التمرد ضده حين فرض العمل الإجبارى عليهم. وتكتل معظم (الأسباط الإسرائيلية) ضد هذا الحكم المطلق فظهرت فى أواخر عهد حكم «سليمان» فى مدينة (سيلو) حركة ثورية عارمة مناهضة لسليمان، وسياسته، وتزعم هذه الثورة النبى (أخيّا). وناصره «يربعام» الذى اشتهر بقسوته الوحشية إبان توليه منصب إدارة العبيد فأعجبت هذه القسوة «سليمان» فعينه فى إدارة السخرة فى سبط «أفرايم». ولما انضم إلى الثوار حاول «سليمان» قتله فهرب إلى مصر بعد أن أعطى الإشارة لاندلاع الثورة التى ناصرتها مصر بخاصة، فالفرعون الجالس على عرشها لم يكن صهر «سليمان». وعملت مصر على توسيع رقعتها فثار «الآراميون» و «الأدوميون» وقوى الثورة التى انتشرت فى جيش «سليمان» فأصبح غير قادر على خوض غمار حرب أهلية تساندها مصر التى أدركت فى قوة إسرائيل فى عهد «سليمان» خطراً يهددها.

وهكذا أدت الاضطربات الداخلية والأخطار الخارجية ثم موت «سليمان» إلى الكارثة الخطيرة التى تردت فيها إسرائيل، فالوحدة التى نجح «داود» بعد جهد فى تحقيقها تلاشت، والمجتمع الذى لم يعرف النظام الطبقى أصبح فى عهد «سليمان» سادةً وعبيداً أصبح رأسمالية ملكية مستولية على كل شئ وشعباً أثقل الفقر والمرض كاهله فأسلمت هذه الكوارث المجتمع الإسرائيلى إلى يد أعدائه، فما خرج من سبى إلا ليتردى فى غيره حتى جاء «تيتوس» فى القرن الأول الميلادى عام ٧٠ وضربه الضربة القاضية فتشرد فى مختلف بلاد العالم تتلقفه الأحداث وتنتابه المصائب.

على أن التاريخ يذكر - رغم قصر حكم «سُليمان» - أنه وحد العقليات بين أبناء أمته. وقد أوردت التوراة مظاهر إعجاب هذه الأمة به، بما خلف لها من تراث من الأساطير والحكم والأمثال وأغاني الحب وغيرها.

فقد ذكره القرآن الكريم:

﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ﴾

(سورة النساء الآية ١٦٣).

وقال الله تعالى:

﴿ وداود وسُليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لكم شاهدين. ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾

(سورة الأنبياء الآية ٧٨، ٧٩).

وقال الله تعالى:

﴿ ووهبنا لداود سليمان نِعْمَ العبد إنه أواب ﴾

«سورة ص الآية ٣٠».

الفصل الثالث

سقوط الملكية

سقوط الملكية

ثلاثة ملوك فرضوا على إسرائيل شخصيتهم حتى أصبحت تعرف بأسماء «شاؤول» و«داود» و«سليمان» الذين تعاقبوا خلال ثلاثة قرون على حكم شعب إسرائيل عصر الملك الأول - عصر البطل - «شاؤول»، وعصر «داود» هو عصر «المزامير»، ثم عصر «سليمان» الحكيم.

إلا أن حكم هؤلاء الملوك لم يترك أثراً يذكر في الملكية ذاتها، لقد جاء بعد «سليمان» ابنه (رَحبْعام) وحاول أن يستفيد من كل أُبهة المُلك وجاهه إلا أنه فشل في تثبيت مبدأ الوراثة بالرغم من مساندة سبطي «يهوذا» و «بنيامين» لبيت «داود». لقد ناصر السبطان بيت «داود» لا الملكية ومبدأ الوراثة وذهبت بقية الأسباط النازلة في قلب المملكة وشمالها بعيداً فأنكرت (الملكية) ولم تعترف به ملكاً عليها، فما كان منه إلا التمادي في علوائه واستبداده، وبدلاً من الأخذ بنصيحة أحد مستشاريه العقلاء وحكمته، قد أخذ بنصيحة أخرى أخذ فيها بالتهديد والوعيد. فكانت سياسته مؤدية إلى إنهيار مُلكه واضطراره إلى الهرب إلى القدس.

وحدث أن (يُربعام) الذى ثار فى وجه استبداد «سُليمان» ولجأ إلى مصر لم يكد يعلم بوفاته حتى عاد إلى وطنهِ وقاد الثائرين ضد حكم الفرد المستبد الذين أجمعوا على اختيار «يربعام» ملكاً، وهكذا تفككت أواصر المملكة وقامت فى البلاد دولتان؛ إسرائيل فى الشمال وتسمى أيضاً دولة «أفرايم» أو «سماريا»، ويهوذا» فى الجنوب.

ولئن بدت نذر الانفصال فى عهد «سُليمان» فلم يعد بعد موته ممكناً تجنب الدولة الانقسام إلى دولتين منفصلتين سياسياً وتاريخياً، وقد كانت إسرائيل أكبر وأثرى. ولكنها لم تعمر أكثر من مائتى عام. على حين كان قدر «يهوذا» مختلفاً، كانت أصغر وأقل ثراءً. وكان لها فرصة الاستقرار العقدى والدينى الذى تمثل فى معبد «القدس» حيث ساعد موقعها الجغرافى على عدم إغراء المعتدين.

المملكة الشمالية (سماريا)

كان (يربعام) أول الملوك التِسعة عشر الذين حكموا إسرائيل خلال القرنين التاليين. ويذكر «يُربعام» فى سِفر الملوك أنه هو الذى فتح الطريق مرة أخرى أمام عبادة «بعل»، وبعض مظاهر العبادة الوثنية فى إسرائيل. فلم يكتمل لإسرائيل المظهر الدينى الخالص أبداً، لكثرة الاحتكاك بالأجانب. وقد وفق «يربعام» سياسته على هذا الواقع.

ومن أسباب ضياع دولة «سماريا» عدا إقحام نفسها فى السياسة الخارجية لجاراتها الخلافات الدينية التى فصلتها ثم عزلتها عن دولة «يهوذا» دينياً مما اضطرها إلى الارتماء فى أحضان جاراتها عقائدياً وثقافياً حتى أصبحت وكأنها أجنبية فملكها «يربعام» الثائر ضد أسرة «داود» واللاجئ إلى مصر لا يتوانى منذ اعتلاء عرش دولة إسرائيل

أو «سماريا» فى تفتيت الوحدة التى بدأها «داود» بين مختلف أسباط المجتمع الإسرائيلى ثقافياً وعقائدياً، فقاوم معبد «أورشليم» ليجرده من أهميته الدينية كمركز رئيسى للعقيدة وطقوسها وذلك عن طريق تدعيم معبدى (بيثئيل) و(دان)، ومنحهما الصفة المقدسة.

وهكذا أخذ الشعب الإسرائيلى يعود ثانية إلى الطقوس القريبة إلى الوثنية منها إلى الوحدانية، وهذا الانحراف الدينى دفع كثيرين من «اللاويين» وغيرهم من المتدينين إلى مغادرة البلاد والهجرة إلى يهوذا.

ثم كان لكل من «عمرى» (OMRI) «يربعام الثانى» دور فى تطوير السياسة فى المملكة الشمالية. وإقامة نوع من الصداقة مع «يهوذا» فاستطاع «عمرى» أن يوسع من حدود مملكته وأن يوطد علاقته «بالفينيقيين»، وتلك صور خاصة فى زواج ابنه «آخاب» من ابنته «ازابل» بنت «أثبعل» ملك صيدا، وقد كان هدفه مقاومة القوة التى قامت فى دمشق، قوة الآراميين.

غير أن الفوارق الطبقية، زادت اتساعاً خلال هذه الحقبة فزاد الفقير فقراً والغنى غنى.

وفضلاً عن ذلك فقد ازدادت الأزمة الدينية، فقد جلبت «ازابل» معها دينها الوثنى الذى حرصت على نشره والتبشير به فى الناس، فكان أن تعرضت هى وزوجها بهذالكراهية الأنبياء. فاتهم النبى «إيليا» وجماعته «آخاب» بأنه يتبع دين زوجته. وأنه يعرض إسرائيل لغضب أهلها مما لم يفعله ملك قبله.

وقد تعرضت إسرائيل لغزو «آرامى» فى عهد «بن حدد الثانى» ملك «آرام» حيث نصح الشيوخ «آخاب» بالمقاومة فنجح فى المرة الأولى وأخذ «بن حدد» أسيراً فى غزوه الثانى إلا أنه أطلق سراحه بعد ذلك.

وكانت الحياة تتصل بالعقيدة اتصالاً وثيقاً فانقسم المجتمع الإسرائيلى على نفسه إلى قسمين: قسم بزعامة (يوناداب بن ركب) ويعرف أنصاره بـ «الركابيين» وكانوا يدعون إلى التقشف ومقاومة التبرج والبذخ أوحياة الترف والانحلال الخلقى، وكانوا ينادون بهجر المدن لفسادها والحياة فى القرى المقامة من الخيام لبساطتها وبعدها عن زخرف الحياة.

أما المعارضة فقد تجمعت حول شخصية النبى (إلياهو) الذى عارض هذا الوضع الجديد للشعب الإسرائيلى وعقيدته، وقال إنه العامل الرئيسى للانحلال، لذلك سعى جاهداً لتحطيمه فاندفع النبى (إلياهو = إلياس) واعظاً ومنذراً ومن ثم اختفى فجأة فى الصحراء، معتكفاً ليجمع قواه الروحية ويعادو الكرة مرة أخرى، وقد أمده الله بقوته مخلصاً لربه ورسالته وتجمع حوله بعض الأنصار الذين بهرتهم شجاعته وإيمانه واتخذوه مثالاً رفيعاً وتسمت هذه الجماعة باسم (نزيريم = نذر)، وقبل أن يتوارى النبى «إلياس» اختار خليفته وهوالنبى (إليشع = إليسع) كما ترك جماعة منظمة قوية وهى الـ (نزيريم) التى نجحت وحطمت الأسرة الملكية الطاغية أسرة «عمرى». وإبان حكم (يهورام) آخر ملوك أسرة «عمرى» ظهرت آثار المجهودات التى بذلها كل من النبى «إلياس»، والنبى «إليسع» فظهر قائد جديد طمع فى الحصول على العرش والجلوس عليه.

هذا القائد هو (يهو) وقد سلك مسلك سابقيه عند رغبتهم فى اغتصاب العرش فحاول إبادة أسرة (عمرى) تحقيقاً لنبوءة النبى «إلياس» أو «إليسع»، لذلك عطل عبادة «بعل» كما قتل إزابل زوجة «آخاب» وأبناءها جميعاً وكثيرين من كهنته وهكذا اختفت فينيقيا من المسرح السياسى فى دولة إسرائيل أو سماريا. ثم أن حكم الفرد وما

يستتبعه من حجر على الحريات المختلفة انتهى إلى ما انتهت إليه سائر الحكومات الفردية المستبدة، فقد ثار الشعب الاسرائيلى المضطهد وخرجت منه جماعة (نزيريم) المعارضة لحكومة الفرد المستبد ولكل مذهب اجتماعى دخيل سواء كان تقليداً أو عادة أو عقيدة، فقد نظرت إلى مثل هذه المذاهب المستوردة نظرة عداء وبغض وكراهية.

وهكذا نجد المجتمع الإسرائيلى لا يخرج من دوّامة إلاّ وتتلقفه أخرى وتتحول إسرائيل إلى مسرح للانقلابات السياسية فلا يكاد يتربع ملك على عرشها حتى يقتله آخر ويحل محله معتقداً أو مدعياً أنه يحرر الشعب ويأخذ بيده إلى العزة والرفاهية.

إذ شهدت المملكة خلال حكم «يُربعام الثانى» عهداً أعادها إلى قديم قوتها وثرائها، غير أنه مع زيادة الثراء وإزدياد حدة الفوارق بين الطبقات زادت حدة الفساد الخلقى. فبينما تمتع الأثرياء بثرائهم شهد الفقراء من يتجر فيهم. وقد أنذر رجال الدين مثل «عاموس» و«هوشع» إسرائيل فإن عليها أن تعود إلى الله حتى تخلص مما تردت فيه.

ولقد تعاقب على عرشها من بعد «يربعام الثانى» ملوك ستة لم يدم الملك لأحدهم سوى شهر واحد. ثم تشتعل الحرب فى المنطقة. وتتحلل إسرائيل بالتدريج حتى استطاع الآشوريون الاستيلاء على مناطق منها إلى أن تمكن مليكهم «سرجون الثانى» من مقاومة «السامرة» ويحتل المدينة سنة ٧٢١ ق. م، وينتهى بذلك استقلال المملكة الشمالية دفعة واحدة.

وقد كان من نتيجة ذلك شتات آخر لقبائل إسرائيلية عشر توزعت فى أنحاء العالم، ولم يحتفظ سوى القليل منها بعقيدتهم،

وتزاوج الأجانب ممن هبط إسرائيل مع أهلها وانصهروا فى تقاليدهم تدريجياً. ومن ثم ظهر عنصر جديد نسب إلى العاصمة «السامرة» فسموا بـ «السامريين» وقفوا بعنف ضد العبريين. وأصبحت «السامرة» مقاطعة آشورية تحت سلطان حكام آشوريين وضاعت بذلك القبائل العشر، سياسياً وروحيا ضياعاً تاماً.

مملكة «يهوذا»

كانت «يهوذا» تفتقد كأى دولة فقيرة - لاملاحة ولا بحارة خارجية خاصة بها - لكل عناصر التقدم والرقى، فاضطرت لضمان حياتها وبقائها إلى العودة للزراعة ثانية.

وأخذت الدولة تفقد تدريجياً علاقاتها الخارجية، ومن ثم أصبحت مسرحاً لحروب طاحنة بسبب وضعها السياسى الشاذ وتعرضها لضربات خصومهامن الآشوريين وغيرهم مما اضطرها إلى محاولة الاحتماء بآشور فضاع استقلالها.

وكانت «يهوذا» وقتذاك ليست الدولة المستقلة ذات السيادة بل دويلة يتقاسمها الأمراء والكهنة والأنبياء، وكانت كل طائفة من هذه الطوائف متباينة فيما بينها من حيث النشأة والتطور إلا أنها كانت حريصة على مصالحها الخاصة وعلى زيادة ثرائها.

وكانت هذه الطبقات ، فى الواقع، هى التى توجه السياسة الخارجية غير مكترثة بمصالح الشعب إذا ما تعارضت ومصالحها الخاصة. وقد أسهمت فى إقامة المملكة الجنوبية قبيلتا «بنيامين» و«يهوذا» التى أضفت اسمها على المملكة، وقد كان من حظها تقلص مساحتها وعزلتها وتدنى منزلتها، سواء حليفاً أو عدواً، بالقياس إلى القوى المتصارعة فى الشرق الأدنى. وذلك مع تعرضها لتهديد جارتها الجنوبية مصر.

ولقد استطاع «آسا» ملكها أن يوقف زحف مصر الجنوبي. وأن يوغر صدر ملك «آرام» على إسرائيل، فضمن بذلك حدود مملكته الشمالية والجنوبية. وقد استطاع «يهو شافاط» ابن «آسا» أن يوطد ملك «يهوذا»، وأن يحسن علاقته بإسرائيل فزوج ابنه «يهورام» لابنة «آخاب» من «إزابل» «عثليا»، ولكنها لم تستطع بعد وفاته أن تستولى على السلطة باعتبارها أجنبية وكان الملك لابنه الطفل.

يهوذا تحت السلطان الآشوري

وقد وجدت «يهوذا» نفسها بعد تبعية المملكة الشمالية لآشور تنجرف إلى صراع القوى فى العالم القديم، حتى إذا كان عهد «آحاز» إذا باستقلالها الوهمى يشترى بالجزية من آشور. فكان أن فقدت «يهوذا» ما كانت تحظى به من حماية اكتسبتها من موقعها الجغرافى المنعزل. وشهدت السنون المائة والعشرون التى أعقبت ذلك صراع «يهوذا» من أجل بقائها وذلك ضد قوة «الآشوريين» أولاً ثم ضد وريثتيها «بابل» الجديدة ومصر ثانياً.

وقد وجدت «يهوذا» عزماً فى ملكها «حزقيا» الذى دخل فى معاهدة مع «بابل» آملاً بالتحالف معها فى توجيه ضربة لآشور، وكذلك حاول المصريون صد تقدم الآشوريين لولا هزيمتهم فى «عقرون»، غير أن «يهوذا» لم تتمكن من البقاء إلاّ تحت سيطرة آشور، حيث ساد السلام المنطقة أمداً يسيراً.

ووقعت أحداث كثيرة وإصلاحات، فى عهد «يوشيا» (٦٤٠ - ٦٠٩ ق. م)، يسرها تغيير الأحوال الخارجية إذ تهاوت آشور، بعد الذى لحق بها من ضعف بما تعرضت له من غزو الشمال أمام «بابل» الجديدة ومصر فى الجنوب، ثم كان لاكتشاف شريعة «موسى» فى المعبد وما بها من نظم اجتماعية وروحية أثره فى إثارة

الحماس الدينى، فكان أن أعلن أنه القانون الذى يذكر العبرانيين دائماً بأنهم شعب القدس مدعو إلى مصير واحد.

وقد لقى «يوشيا» أول الأمر تأييداً من «آرميا» وإن كان قد تخلى عن تلك الإصلاحات حين رأى أنها لم تكن بذات أثر عميق فى الناس. وبدا كأنما استدار التاريخ دورة كاملة، فقد ترك بنو إبراهيم شواطئ الفرات فى فجر التاريخ وها هم هؤلاء يعودون سجناء متغيبين. وإذا «يهوذا» فى سلام، ولكنها مهجورة خاوية.

الفصل الرابع

عصر النبوة والأنبياء

عصر النبوة والانبياء

كانت حركة النبوة أقوى أصول الفكر العبرى، كما كانت في جوهرها دينية الطابع، ولكنها كذلك تجاوزت مصطلح الشعائر والأخلاق لتصبح فلسفة متينة للسلوك الفردى والاجتماعى.

والنبوة مصدرها الشعور الدينى المرهف، والجلاء الروحى، وإدراك الأمور التى قد تؤدى إلى انهيار المجتمع سياسيا وثقافيا واجتماعيا، فهى عنصر مزدوج دينى ودنيوى، إذ تجمعت أسفار الأنبياء على مدى يجاوز مائتين وخمسين عاما، شملت سقوط إسرائيل ويهوذا، فلقد ظل الأنبياء أجيالا ينذرون بانهيار الدولة العبرية. إذ قدموا إجابات عن الأسئلة التى دارت حول قدر اليهود. وكانت نظرتهم إن الله قد دمر خلقه. ولكن إسرائيل إذا كانت فيما يبدو قد انتهت، فإن اليهودية دينا وعقيدة قد بدأت فى أرض فلسطين، أما كتابات الأنبياء التى تواترت بالسماع فهى فى العرف السائد من عمل الأنبياء أنفسهم، غير أن علينا لتقدير القيمة القاطعة فى تلك الكتابات، أن نتناول مسئولية من جاء بعد من الحواريين، إن كانوا اقتصروا على الرواية وترتيب الكتب، أم كانت لهم يد فى

التأليف نفسه، وهل حرفت النبؤة لتجلو أفكاراً متأخرة، كما يقول «عاموس». ويستنتج من ذلك أن كلماته إنما جاءته عن فرض لا عن تعليم.

فاذا كانت للنبؤة التقليدية أن تتخذ وحدة بارزة فى الفكر اليهودى، فمن المهم أن نتذكر أنها تمتد ثلاثة قرون من التجربة المزاجية العنيفة.

لقد تميزت الظروف السياسية والاجتماعية التى عاشها الأنبياء بتقلبات حادة، وماكان لنبى أن يتعدى قدره البشرى، إذ يعتبر نفسه مختارا من عند الله رسولاً لشعبه. غير أن هذا لا يؤدى به إلى الشعور بأنه أكثر من إنسان. فهو يترك نفسه ينفعل غاضبا وتهزه مشاعره، وهو عرضة لحظات للضعف والتردد، ولكنه متفرد ينادى بقوة بأفكار تعبر عن فلسفته ومزاجه.

حتمية الأخلاق

لم يكن الأنبياء أول من دعا إلى الأخلاق. فلقد كان الخير والشر قائمين مبادئ وفكرا قبل أن يتجليا للعيان، ذلك أن جوهر أمر الله - كما قالوا - لم يكن شعائر بل أخلاقا، وماكان صلاح الإنسان إلا الاهتداء إلى قضاء الله فى الأرض.

وقد كانت تعاليم الله للإنسان أن «بغضت كرهت أعيادكم». وقد يبدو هذا غريبا على مستمعى الانبياء، إذ كان متوقعا أن يكون الله راضيا عن أضاحيهم المقربة إليه. فقد أنعم الله على الإنسان بالعقيدة، فعليه أن يتبعها حيث لاتوجد معرفة بالله على الأرض.

ومن هنا كذلك كان الهجوم العنيف على الوثنية بكافة أشكالها. فإن الزنا والخمر تذهب بقلب الإنسان. لانها تقتل الرحمة والتواضع، ولذلك فقد اعتبرت الوثنية، مصدرا لكل الشرور الاجتماعية فى العالم.

العدل الاجتماعى والسياسى

على أن هذه الأخلاق ازداد الطلب عليها إلحاحا، فقلت فرص تركها لاختيار الأفراد، فإذا الأخلاق لأول مرة فى التاريخ تعد عاملا حاسما فى حياة الأمة.

واذا بالتوراة تتناول كثيرا من مبادئ الاجتماع والسياسة، كما فى الاصحاح الثانى (١٥٠١٢) والأول (١٠ ـ ١١ ـ ١٥ـ ١٧) من سفر «اشعيا» والاصحاح الثالث (١٢) من سفر «ميخا».

وتشير نصوص التوراة كذلك إلى ماسوف ينزل «بأشور» من عقاب لا على أعمالها، بل لغطرسة ملوكها. وكذلك إسرائيل إذا آمنت بالقوة العسكرية وتجبرها، فهى ترتكب عندئذ خطية تنطوى على عدم الثقة بالله.

وتتعرض النبوة بالنقد السياسى، فترى أن إسرائيل ترتكب نفس الخطيئة التى سوف تعاقب آشور عليها، من ثم يصبح القتال فى سبيل الاستقلال علامة على تحدى الله، اما التسليم على العكس فهو طريق الخلاص الوحيد. (ارميا: ٣٨ : ١٧).

وفكرة الخلاص النهائى هى مركز الفكر النبوى. وهى تبدو نفسيا وكأنما هى تعبير عن رفض الأنبياء قبول نهاية إسرائيل. ذلك أن أفكارهم إنما تدور حول أن سمو إسرائيل ليس هو العظمة والقوة بل إن على اسرائيل ان تحكم العالم، لابقوة السلاح ولكن بروحانياتها دون

سواها. فقد حمل الشعب المختار رسالة، وعن طريق إسرائيل سوف يتعلم البشر معرفة الله، ويتبعون تعاليمه.

ومهما يكن من شئ فلم يكن الأنبياء من أصحاب مذهب المدينة الفاضلة، فان لم يمكن الوصول لهذا الهدف، فعلى الأقل يتبين طريقه وربما يأتى فى «نهاية الأيام».

وما كان لنعمة الله أن تكون للإنسان وحده، ولكنها كذلك لسائر الكائنات الحية، كما أن هناك كذلك فكرة بأن الستار سوف يرفع فى «نهاية الأيام» عن أبدية عالمية، فلا يحارب الناس عندئذ بعضهم بعضا.

إن مجئ الأنبياء ظاهرة تاريخية عالمية تقع فى مختلف العصور. وفى المجتمع الإسرائيلى نجد النبوة تنتشر انتشارا واسعا، وقد ظهر الأنبياء من مختلف طبقات الشعب، لذلك فهم يختلفون فيما بينهم فى نبؤاتهم وأعمالهم، فنبوة «دبورا» بدائية بسيطة تتركز فى الدعوة إلى وحدة الشعب عقائديا بخلاف نبوة «شموئيل» فمتعددة النواحى فهو نبى وصوفى ويمثل الحب الإلهى صادقا.

وفى عصر «داود» نجد نوعاً هادئا من الأنبياء أمثال «ناثان» و «جاد»، و«اخيا» الذى يتميز باهتمامه بالسياسة فى العصر السليمانى، ثم النبى «الياهو» الذى طالبه الشعب بالمعجزات، وكان من دعاة طهارة العقيدة ونقائها. وكان من اتباع طائفة الـ (نزيريم) معارضا للملكية المطلقة، ثم جاء بعده النبى «اليشع» فلخص رسالته فى عبارته المشهورة «القضاء على أسرة عمرى الملكية». وفى القرن الثامن ق.م ظهر امثال «عاموس» و «هوشيع» فى دولة «سماريا» و«أشعيا» و«ميخا» فى دولة يهوذا.

ويتميز أبناء المجتمع الإسرائيلى بظاهرة مشتركة وهى مثالية الصلات بين الحياتين الدنيوية والأخروية، أى الصلة بين الوجودية وهدفها وبين الجوهر الإلهى، والوصول إلى هذه الغاية من عمل الأنبياء وإليهم يرجع الفضل فى بعث هذه الفكرة. فالإنسان يخرج من دائرته الخاصة ليتصل بالله فى الوجود، وهذه هى الفكرة الأساسية للنبوة، والله هو منظم الحياة، وهو ينظمها تنظيما لايجعل منها هدفا أو وسيلة للحصول على منافع، بل للأخلاق.

وهكذا نجد الأنبياء يخضعون الحياة الإنسانية فى كل ألوانها إلى هذه الدعائم التى تقوم عليها الوحدانية.

وتذكر التوراة أن النبى «ارميا» جاءته النبوة شابا وكان يعيش بين شعوب متناحرة، ودول متحاربة تتكالب على توسيع رقعة بلادها على حساب الآخرين، ويسائل «ارميا» نفسه عن هذه الأحداث أتقع اعتباطا أم تقديرا من الله العزيز الحكيم، لاشك فى أنها من صنع الله وذلك لأن لهذه الأحداث هدفها وغايتها، فاستخدام القوة إذن وسيلة من وسائل الله لتحقيق غاية خاصة، ولما تضعف القوة وتصبح غير قادرة على الحياة يقضى عليها الضعف لا القوة، فهنا ضعف يقضى على قوة عاجزة عن الحياة. فهذا الضعف وهذه الفوضى أو بتعبير آخر انعدام القوة الرادعة، يجب أن تعوضها الإنسانية بالأخلاق والسير فى الطريق المستقيم، فالدين وحده هو الذى يفصل بين الحق والباطل والظلم والعدل. وترتب على هذه الرسالة النبوية أن البقية الباقية من المجتمع الإسرائيلى والتى لجأت إلى يهوذا استغنت عن الزعامة السياسية واستسلمت للدول القوية المحيطة بها وأعادت بناء كيانها لا على أسس قد يتغلب عليها الخصم، أعنى القوة، بل بإرساء

قواعد كيانها على العناصر الحقيقية الخالدة، وذلك لأن سلامة الأمة تقوم على الاستقرار والثقة، لذلك آثر الاسرائيليون العودة إلى المجالين الروحى والعقلى أو الثقافى.

وحدث عام ٦٢٣ ق.م. أن حاول الملك «يوشيا» - هذا الملك الذى هزم شر هزيمة فى موقعة «مجيدو» وقتله الفرعون المصرى «نيخو» - ادخال إصلاح على المعبد الذى تقام فيه الطقوس لعبادة «يهوه» فعثر على وثيقة لانعرف عمرها وهى عبارة عن نسخة أخرى بأسلوب خاص للشريعة المدونة، والنص الجديد تكرار وتجديد للشريعة القائمة، وهى تعالج صلة الإنسان بالله والمجتمع، وهى فى صورة عظات وضعت على لسان «موسى» عليه السلام قبل موته وأهم محتوياتها:

١- العهد القديم ميثاق بين الله وشعبه المختار.

٢- يتعهد الشعب بطاعة الله.

٣- كينونة الشعب تتوقف على مدى طاعته أو عصيانه لربه.

٤- الله يفعل بهذا الشعب مايريد.

٥- الله لايحده زمان وهو أقوى القوى.

٦- كينونة الشعب صلته بالسماء والأرض ومرجع هذا سلطان الروح والعقل.

٧- مجئ الإنسان إلى هذا العالم ليس مصادفة فلا يخشى الانسان وجوده فهناك عنصرإلهى رفيع هو سر الوجود.

٨ - الحياة وجود.

٩- الوجود وسيط لمعرفة الله خالق الكون، وليس لله شكل، هكذا هو الله.

١٠ـ الوجود متصل بالأرض وهو العدالة التى تربط البشرية.

١١ـ الظلم مظهر القوة التى هى سبب التفاوت وعدم المساواة.

هذه هى أهم تعاليم هذه الوثيقة وهى ولاشك ميثاق اجتماعى خطير، ينظم الحياة، والعلاقة بين أفراد المجتمع الإسرائيلى ، وذلك لانها تعنى، كما عنيت شريعة «حمورابى» بالجزاء والعمل والأجور والخدمات الاجتماعية للمحتاجين وتشجيع الزواج والحث على احترام الوالدين والأرامل واليتامى، ومن تعاليم هذه الوثيقة نتبين أن مملكة الله هى هذه الدنيا والتى هى مملكة الإنسان أيضا. هذه هى حقيقة ديانة المجتمع الاسرائيلى الذى انقسم على نفسه حولها، وبخاصة عندما حاول بعض اليهود القول بأن حياة الإنسان فى هذه الدنيا تمهيد لحياة أخرى، والواقع أن اعتبار الحياة قنطرة إلى أخرى يتعارض مع نصوص (العهد القديم)، ففى سفر أشعيا)[١] نقرأ «ان الهاوية لاتحمدك، الموت لايسبحك، لايرجو الهابطون إلى الجب أمانتك. الحى الحى هو يحمدك، كما أنا اليوم، الأب، يعرف البنين حقك».

---

(١) الاصحاح ٣٨ ى ١٨.

القسم الثانى

اليهود والإمبراطوريات القديمة

الفصل الأول
المنفى والميعاد

الفصل الثاني
اليهود فى العصر الهلينى

الفصل الثالث
اليهود تحت السيطرة الرومانية

الفصل الأول

المنفى والميعاد

اليهود والإمبراطوريات القديمة

المنفى و الميعاد

ليس من السهل التحقق من عدد الذين ذهبوا إلى المنفى. ولكن المحقق أن عددا كبيرا منهم قد خرج إلى دار الهجرة، زعماء سياسيين ورجال دين ومهرة فنيين، وإن كان هؤلاء الفنيون قد استبقوا فى دولة «بابل»، ومع ذلك فقد دافعوا عن عزلتهم وشخصيتهم فيما يحيط بهم من غربة بين غرباء. وعلى الرغم من أنهم شاركوا فى الحياة السياسية والاجتماعية للوثنيين الا أنهم رفضوا مذهب الوثنيين الدينى. وكان هذا بإيمان واحد، وهو أن موقفهم هو الذى يحدد بقاء مذهب التوحيد الذى يعتنقونه أو ضياعه.

واستطاع الإسرائيليون الاحتفاظ بشخصيتهم وتميزهم الروحى عبر آلاف السنين، سواء فى المنفى أو داخل دولة «بابل» لاعتبارهم «اليهودية» نظاما عقائدياً، وفلسفة حياة أيام الخضوع للحكم البابلى.

فقد ظلت قضية «الشخصية» أو «الذوبان»، تحكم تاريخ الأمة قرونا طويلة. ولم يكن لتحل فى الهجرة الأولى ولا فيما تلاها من هجرات.

ولقد كان لنفوذ البيئة البابلية قوة. وكان القرن السادس ق.م أحد الحقب التاريخية المهمة.

فقد وقعت امبراطورية بابل الجديدة التى أسست على أطلال الإمبراطورية الآشورية فريسة سهلة للملك (cyrus) «كورش[1]»، حيث امتدت حدود الإمبراطورية الفارسية التى ابتلعت بابل الجديدة، من الهند وأواسط آسيا إلى مصر وشبه جزيرة البلقان.

ونضيف كذلك ماحل بالإسرائيليين بعد دمار ديارهم، حيث يعتقد البعض أن آلهة «بابل» قد هزمت إله إسرائيل. وقد حثهم النبى «أرميا» على العيش فى سلام فى واقعهم الجديد. وذلك فضلا عن صوت آخر هو صوت النبى «حزقيال»، الذى حمل على المنفيين إلى بابل وأصبح صوتهم، فآمن بأن المنفى مؤقت ودافع عن فكرة العودة. ولقد شهدت هذه الفترة جمع التوراة، إذ يفترض الكثير من العلماء أن الجزء التاريخى من التوراة من أول «سفرالتكوين» حتى «سفر الملوك»، ربما كتب خلال هذه الفترة من المنفى.

وقد حال المنفى بين الناس وبين أداء شعائرهم وقرابينهم فى معبدهم.

(يهوذا بعد السقوط)

اختفت الأرض التى تركها من ورائهم كتاب أخبار الأيام على مدى خمسين عاما، ومع ذلك فلم يكن ثمة مايسجل إلا الخراب

(١) (كورش) حاكم فارسى تولى الحكم سنة ٥٥٩ق.م.

والآلام. ولم يكن للدولة المنهوبة من مصادر القوة ماتستمد منه البعث والحيوية، ولم تعد «بابل» توطن «يهوذا بالعناصر الأجنبية كما فعلت آشور فى شمال إسرائيل. غير ان أهل مملكتى «مؤاب وآدوم» اللتين تحطمتا على يد «نبوخذ نصر»، قد اخترقوا مرتفعات «يهوذا» للإقامة الدائمة فى أجزائها الجنوبية، ولم يعد لمصر بعد سنة ٥٨٦ق.م أى دور فى شئون فلسطين أو حتى قيام البطالمة على الأقل.

على أن حكام الفرس كانوا أكثر حكام العالم القديم المستبدين سماحة، مع العناصر العرقية التى كانت تحيا تحت سلطانهم.

العودة إلي «صهيون»

وبسقوط «بابل» أصبحت فلسطين وسوريا جزءا من الإمبراطورية الفارسية وظلتا كذلك حتى هزمت فارس على يد «الإسكندر الاكبر» سنة ٣٣٢ ق.م، ولم يصلنا من الشواهد الأثرية ما يلقى الضوء على هذين القرنين من الحكم الفارسى لفلسطين. وقد كان فى كتب المؤرخ الإغريقى «هيرودوت»، أن ظهر اسم «فلسطين» لأول مرة دلالة على شعب، ولم يكن يطلق من قبل إلا على النطاق الذى يمثله الفلسطينيون.

وقد قدر «لكورش» الذى تولى عرش فارس سنة ٥٥٩ دور فى التاريخ اليهودى، إذ فى حكمه تحققت رؤيا النبوة فى العودة إلى «صهيون». فما أن وضع يده على القدس، حتى سمح بعودة اليهود إلى «يهوذا».

غير أن يهود «بابل» لم يهبوا يدا واحدة لمواجهة هذا التحدى. ولم تذهب سوى أقلية لاتجاوز خمسين ألفا فى الموجة الأولى. ولكنهم كانوا أولى عزم «مع كل من نبه الله روحه ليصعدوا ليبنوا بيت الرب الذى فى «أورشليم»وكل الذين حولهم أعانوهم بآنية فضة وبذهب وبأمتعة وبهائم وبتحف، فضلا عن كل ماتبرع به. غير أن البلد التى عاد إليها الإسرائيليون من السبى، لم تعد الأرض التى تفيض لبنا وعسلا.

كان أول عمل للعائدين من السبى هو إقامة المعبد (معبد رزوبابل[1])، وقد شيد «رزوبابل ويشوع» «مذبح المحرقات» فى مكانه[2]. كما أن المعبد الجديد اختلف عن معبد «حزقيال» فلم يفصل بين العامة ورجال الدين. كما أن أدوات المعبد سقط منها «تابوت العهد»، لذلك كان مكان قدس الأقداس خاليا، واستعيض عن التابوت بحجر كان يضع عليه كبير الكهنة المبخرة يوم الاحتفال بعيد الغفران وظل هذا المعبد قائما حتى هدمه «انطيوخوس الرابع ابيفانوس» ملك سوريا، وكان ذلك عام ١٦٩ق.م. مما سبب ظهور الحركة المكابية واسترد «يهوذا المكابى» أورشليم وأمر بإعادة بناء المعبد، كما سيجه بأسوار عالية وأبراج حصينة، ومنذ ذلك الحين يعرف ببرج أورشليم الحصين.

إصلاحات «عزرا ونحميا»

تشمل الأحداث فى يهوذا من بعد تكريس المعبد للظلام، وأن

---

(١) عزرا٣.
(٢) عزرا٣ ى ٣.

ازدياد مايعرف عن قوة المجتمع المتنامية فى «بابل» الذى كان يعمل على إنقاذ الوطن الأم من التدهور. فلما أن وصلت الأخبار بما تعانيه يهوذا، سارع اليهود فى «بابل» للإنقاذ. واحتل اثنان منهما طليعة العمل هما «نحميا» سنة ٤٤٤ و «عزرا» سنة ٣٩٧ فجاءا إلى القدس حيث اطلعا على طبيعة الحياة، وقد ساعد «نحميا» على إعادة تركيب الدولة السياسى، على حين أسس «عزرا» حياتها الروحية.

كان مشروع «نحميا» الأول هو إعادة بناء أسوار القدس. ولما كان الخوف من أن يعد هذا العمل ضد السامرة، كان العمال يعملون «يداتبنى ويدا تحمل السلاح» وبقى «نحميا» فى (القدس) اثنى عشر عاما، عاد بعدها إلى «بابل». ثم رجع بعد ذلك إلى «يهوذا» مرة أخرى، ليجد التدهور قد عاد إلى ماكان عليه.

أما «عزرا»، فقد حمل معه التوراة، وحارب التزاوج بين اليهود وغير اليهود.

ومن ثم استطاع المجتمع اليهودى داخل الإمبراطورية الفارسية أن ينمى معتقداته وقيمه.

الفصل الثانى

اليهود فى العصر الهلينى

العصر الهلنستى

كان العصر الهلنستى عصراً انصهرت فيه الحضارات الشرقية القديمة فى حضارة الإغريق، وقد سلمت الشعوب القديمة شخصيتها لنوع جديد من الحياة والتفكير وفى تقليد استمر ضد التيار. فلم يستطع غروب عهد الإغريق، ولابزوغ قوة الرومان أن يهز من بقاء اليهود، ويرجع هذا لموقف اليهود ضد كل من الثقافتين (١).

فبينما كانت قوات «الإسكندر الأكبر» تسيطر على أنحاء من «آسيا» سنة ٣٣٢ ق . م، كانت «يهوذا» تعيش فى أمان فى ظلال الحكم الفارسى.

على أن غزوات «الإسكندر» العسكرية لا تعطى القصة الكاملة لما حققه، لقد رأى فى نفسه وريثاً لقوة يجب أن تسود وتمتد. وقد شجع «الإسكندر» على التزاوج، وزوج عدد من قواده من أميرات فارسيات.

ويعتبر «الإسكندر» ، حامى العلماء، وأغلبهم كان مثله من تلاميذ «أرسطو» ، غير أن القليل من أعمالهم الأصلية وصل إلينا، وإن بقيت مهارتهم التقنية فيما خلفوا من آثار، وذلك فى الطرق البرية والبحرية والمدن الشهيرة من عصر «الإسكندر» .

(١) رأى أغلب المؤرخين اليهود ومنهم أبا إيبان

وقد استمر التوسع حتى بعد وفاته سنة ٣٢٣ ق . م. إذ أُنشِئَتْ فى فلسطين وحدها ثلاثون مدينة بما تضم من معابد وملاعب رياضية ومسارح.

البطالمة فى «يهوذا»

خضعت فلسطين بعد وفاة «الإسكندر» لنظامى حكم متعاقبين: الإمبراطورية البطلمية فى الجنوب، وكانت مصر مركزها حيث حكمت فلسطين فيما يزيد على القرن. من سنة ٣٠٢ ق. م إلى سنة ١٩٨ ق. م، والإمبراطورية السلوقية فى الشمال ومركزها «بابل».

وقد رأى الإغريق فى اليهود شعباً غريباً وإن تعاطفوا مع تعاليمهم الروحية، إذ اكتشفوا فيهم أمة من الفلاسفة، تحاول اكتشاف أسرار الكون والإنسان. بل لقد تعاطف الإغريق أكثر مع مبادئ اليهود، وخاصة فى «إسبرطة» المدينة التى أوى إليها «ياسون» الحاخام اليهودى حين أبعد من القدس.

وكان من بين اليهود من حاد عن الثقافة الإغريقية، وآخرون مالوا إليها، ولكن الطبقة العليا من المثقفين كانت أقرب إلى الاتجاه الثانى الذى يميل إلى الانصهار فى الثقافة الإغريقية.

يهود الإسكندرية

شهدت مصر الهجرة اليهودية، حيث قدم اليهود فى الإسكندرية ثقافة تتسم بالخصائص اليهودية والهلنستية التى تأثرت بفلسفة العالم القديم. وكان اليهود قد نزحوا إلى الإسكندرية منذ أُنشئ الميناء سنة ٣٣١ ق. م حيث أُجبر كثير من اليهود فى «يهوذا» على الرحيل إلى الإسكندرية أيام حكم «بطليموس الأول» (٣٢٣ - ٢٦٣ ق.م).

وفى مصر تمتع اليهود تحت حكم البطالمة بكل الحرية الدينية والثقافية، حيث أُعفوا من كافة الإلتزامات التى تتعارض مع دينهم، ولم تفرض عليهم مظاهر الإجلال المقدسة للملك.

وكانت الهلينية فى نظر المتشددين من يهود القدس إنما تعنى الوثنية، فلم يتغلغل الفكر الإغريقى فى صميم الحياة اليهودية كما لم يكن لدى كثير من اليهود معرفة باللغة الإغريقية.

وكان المجتمع اليهودى بعامة ينعزل بإرادته عن الانصهار فى المجتمع الإغريقى.

وكان تعداد سكان الإسكندرية يومئذ قرابة نصف المليون، يُشَكِّلْ اليهود بينهم أقلية صغيرة وإن احتلوا خمس المدينة. كان لليهود حى فى الإسكندرية هو حى «الدلتا»، أى الحى الرابع، وكانت لهم تنظيماتهم الاجتماعية الخاصة ومنظماتهم القانونية، رغم اضطرارهم فى الأمور التجارية إلى الالتزام بالقانون الهلينى القائم.

وكانت الإسكندرية يومئذ تتمتع بمركز حضارى رفيع، كان لها متحفها وجامعة للآداب والعلوم وكان أروع ما تفخر به مكتبتها، وأصبحت مصر - ذلك البلد الذى أنتج ورق البردى - مصنعا للكتب لكافة دول البحر المتوسط. وقد وقع فى أيدى اليهود ممن يعرفون الإغريقية مخطوطات لتعاليم «أفلاطون» و«أرسطو»، ومع ذلك فلم يستطع اليهود كسب الجنسية السكندرية لأنها إنما كانت تعطى للذين يتركون دينهم ويعبدون إله المدينة.

اليهود تحت حكم «السلوقيين»

لم يدع السلوقيون اليهود فى عزلتهم الروحية، إذ تملق الحزب الحاكم فى القدس كل ما هو إغريقى ونفر من كل ما هو يهودى أصيل، ولم يكن «أنطيوخوس الرابع»، حين اعتلى العرش خلفاً لأخيه، يفرض الهلينية دائماً على المجتمع اليهودى. لقد أوجد نوعاً من تربة صالحة كانت أعدت من قبل، فأدخل عادات وثنية بين اليهود وفى قرى «يهوذا»، ونهب المعبد ليمول حملاته العسكرية على

مصر. وقرر أن تُسَاسْ «يهوذا» شأن سائر المقاطعات. ومن ثم أوجب إكراه اليهود على الخروج عن خاص شئونهم.

وكان «ياسون»، الحاخام الأكبر قد استطاع كسب منصبه برشوة «أنطيوخوس» ثم خلفه على منصب الحاخام الأكبر «منلاوس» ثم كان إثر شائعة ذاعت فى القدس بموت «أنيوخوس» بعد هزيمته أمام «مصر» أن ارتد على «يهوذا» بجيش كبير ، فسفك دماء الآلاف من أهلها وانتهك حرمة المعبد وحرم الأركان المقدسة فى الشريعة اليهودية.

ثورة المكابيين

لم يمنع اليهود من ممارسة عقيدتهم من قبل، وهاهم هؤلاء القوم ينفرون بسلاحهم حيث انطلقت شرارة الثورة بقرية صغيرة جنوب القدس تسمى (مودين) عند سفح جبل «يهوذا»، وتمكنوا من إقامة دولة فى «يهوذا»، مستقلة برئاسة «ماتاتيا»، تتمع بالحرية الدينية على امتداد الحدود الموضوعة.

ثم تولى من بعد وفاة «ماتاتيا» سنة ١٦٧ ق . م ابنه يهوذا المسمى «مكابى» - ويعنى المطرقة - قيادة التمرد حيث نهض فى ضباب الزمان قائداً من كبار القادة العسكريين فى التاريخ.

كانت حركته شأن سائر الحركات الدينية، صراع الأقلية ضد الأغلبية. وكان بعد سنوات ثلاث من قتال ضار أن تحررت «القدس»، وعاد المعبد تارة أخرى ليخدم الشعائر الدينية. ويذكر التاريخ اليهودى هذا الحدث باسم «حانوقا» عيد «الضياء»، وقد كان إلى جانب تأثيره المباشر أنه قام رمزاً على كفاح أمة تسعى لتثبيت شخصيتها الروحية ضد القوى الأكبر.

وكان بعد وفاة «شمعون» سنة ١٣٥ ق. م أن اعتلى ابنه «يوحنا» العرش. وكانت سياسة التوسع العدوانى التى اتبعها قد ساعدت على

الامتداد عبر «الأردن» و«سامرا» و«آدوم» فهو المسئول عن فصل كامل من التاريخ اليهودى. ولكنه أوجد نوعاً من النبلاء ورجال الدين يقفون معاً ضد الشعب.

سقوط الحشمونيين (١)

كان «أرسطو بوليس» خليفة «يوحنا» على المُلك وحاخاماً أكبر، استولى على العرش بعد أن قتل أمه ، وأخاه الأكبر، برغم أن ملكه لم يدم أكثر من عام واحد. وخلفه أخوه «الكسندرا جاياناى» الذى سجن أخاه وظل فى الحكم سبعة وعشرين عاماً. وعلى الرغم مما عرف عن حكمه من سوء وقسوة فقد قاد حربين، متوسعاً فى حدوود ملكه، ولكنه لم يوفر الأمن لمواطنيه، وثار «الفريسيون» عليه علناً واستدعوا ملك سوريا ليؤيدهم ضد مليكهم. وفى الظروف هذه يخرج «الكسندرا جاياناى» من «يهوذا» ليعود لها فقط بعد ست سنوات.

ثم تولت الملك بعد وفاته ، زوجته «سالومى الكسندرا»، وتتميز سنوات حكمها التسع بإزدهار لم تشهده البلاد على امتداد ثمانين عاماً. وتعتبر آخر ملوك «يهوذا» المستقلين. واستمر العداء بين الفريسيين والصدوقيين (٢) بعد وفاتها سنة ٦٧ ق. م واصطرع إبناها «هيركانوس» و«أرسطو بوليس» على الملك.

الفريسيون (٣) والصدوقيون

كانت الدوافع وراء تاريخ «يهوذا» السياسى دينية دائماً، وكان رجال الدين والكتبة يداً واحدة. وعندما تفرقا فى عهد المكابيين. خرج عن رجال الدين الصدوقيون، وعن الكتبة الفريسيون.

---

(١) الحشمونيون هم عشيرة المكابيين أنفسهم.

(٢) (SUDDUCEES) صدوقى لا يعتقد بالبعث أو بالآخرة.

(٣) أصل الكلمة (PHARISEES) وأشك فى أن يكون الكاتب قد عَنى بها ما هو معروف الان بـ «الطبقة المتوسطة»، وليست الزنادقة (الفريسيون هم المتشددون فى الدين).

ويمكن التعرف على الفوارق بين الجماعتين بالاهتداء إلى طبيعة وضعهم الاجتماعى وموقفهم من القانون. فقد كان الفريسيون مستعدين للتضحية بالقوة السياسية من أجل المجد الروحى. ويحمل اسمهم معنى «التَرّكْ أو النبذ» ومعناها «المنعزل». ويكون الترك أو النبذ هنا بمعنى الاعتزال.

على حين مَثَّلتْ «الصدوقية» طبقة رجال الدين والأرستقراطية، إذ حاولوا حمل «يهوذا» على أن تكون «هلينية»،وعلى الرغم من أنهم كانوا أقلية فقد كانت قوتهم السياسية كبيرة فى بعض الأحيان.

وقد إزداد الخلاف حده بين الجماعتين تحت حُكم «الحشمونيين». ولقد تمركز العمل الدينى للصدوقيين فى المعبد وقرابينه. ولم ينكر الفريسيون المعبد ولا امتيازاته لطبقة رجال الدين.

وقد كانت جماعة الغُلاة الـ « ZEALOTS» الزيلوت، واحدة من نشاط الفريسيين الفدائى.

الترجمة السبعينية وفيلون (١)

ترك الإبداع اليهودى خلال العصر «الهلنستى» آثاراً هامة أكثرها أدبية ، وإن ظلت غير معروفة فى فلسطين. وقد احتفظت الكنيسة المسيحية بالكتب التى أنتجها العصر الهلنستى ولم يشملها كتاب اليهود المقدس.

على أن أهم الأحداث الفكرية فى العصر «الهلنستى» بالنسبة لليهود، إنما كانتِ ترجمة «العهد القديم» إلى الإغريقية. وكانت هذه الترجمة التى عرِفتْ باسم «الترجمة السبعينية» نتاَجْ جماعة من الإسكندرية أعانتهم جماعة من علماء فلسطين، بدأوا مشروعهم فى

(١) (SEPTUAGINT)، هى الترجمة اليونانية السبعينية للتوراة. وأما عن «PHILO» ، اسم إغريقى. (فيلون: فيلسوف يهودى سكندرى شهير).

القرن الثالث ق . م ويتمثل المزج بين التقاليد اليهودية والفلسفة اليونانية أروع ما يكون عند «فيلون» السكندرى الذى عاش بين حقبتى القديم والجديد. ومن المعروف أنه زار القدس ضيفاً على «أجريباس» وكانت التوراة فى نظره اسماً للحكمة. فقد جمع «فيلون PHILO» فى شخصه قمة التطور الهلنسنى لليهودية وآمن بألا تعارض بين العقيدة والفلسفة، ولكنه لم يستطع إقناع يهود عصره بذلك.

ويبدو أن قلة من الأميين قد سلّموا بما نادى به من أن شريعة «موسى» هى شريعة الفطرة وأن اليهودية دين عالمى. وقد وصفه أحد المؤرخين المحدثين بأنه: «رجل واسع المعرفة ذو أهداف نبيلة وشخصية عظيمة لا فائدة منها». ذلك أن الجسر الذى بناه لم يستعمله من بناه من أجلهم وإنما استخدمه المسيحيون حين أقبلوا على النهوض بعقيدتهم. وأصبح فكر «فيلون PHILO»، نقطة البداية للفلسفة المسيحية فى العصور الوسطى. ذلك أنه لم يكن مدوناً لدى الأجيال اللاحقة من اليهود. أما عند علماء المسيحيين، فقد كان وما زال شخصاً بارزاً.

تعليق

عن المصادر للمؤلفين والمؤرخين اليهود:

الملاحظة الأولى التى تسترعى الانتباه، هى: إغفال مراجعهم، رغم أن كتبهم مليئة بالأخبار التاريخية،وتعد مرجعاً تاريخياً - فى نظرهم ونظر غالبية الشعب اليهودى على الأقل - ذلك أن دراسة التاريخ، تفرض على المؤرخين إغفال ما لا يستند إلى وثائق ومصادر علمية صحيحة. وليس منطقياً أن تعى ذاكرة الإخباريين

اليهود تلك الأرقام والحوادث منذ أقدم العصور دون الرجوع إلى كثير جداً من مصادر التاريخ.بينما لم يذكروا من مراجعهم سوى العهد القديم.

على أن المؤلفات اليهودية - برغم كل محاولات التزييف فيما تناولوا من أخبار - قد استطاعت استعراض تاريخ اليهود عبر العصور القديمة بقدرة وبراعة الأسلوب. ولكنهم رغم طول باعهم فى تحريف الحقائق التي يدعم بها الفكر اليهودى الحديث، لم يستطيعوا إنكار وقائع أخرى تدين اليهود شعباً وعنصراً، وهى حقائق يعرفها العالم أجمع. فعمدوا إلى إضفاء سمة «التحقيق العلمى» إلى كتبهم. وسوف نعرض لذلك فى حينه.

فلم تَرِدْ كلمة «يقال» فيما عرضوا له من عصور تسبق الميلاد. فى حين أنَه ما من مصدر تاريخى واحد عنها، يجرؤ فيه مؤلفه على الجزم بواقعة واحدة دون تردد يبديه أكثر من مرة.

والسبب البديهى الذى لا يَخفى على أحد هو: قلة ما وصل إلينا من مصادرٍ ووثائق عن حقب التاريخ القديم وخاصة عن الحضارات الشرقية، وقصص الأنبياء. بل إن هناك أخباراً عن تاريخ الإسلام، وهو عصر متأخر كثيراً عن العصر القديم الذى تناوله المؤرخون اليهود والغربيون لم يزعم الرواة الجزم بحدوثها ، ومن ثم ترويها المصارد المتعددة بروايات متعددة.

وقد كان على المؤلفين اليهود والغربيين كذلك أن يتحلوا بما ينبغى من التحرز عند سرد قصص أنبيائهم فلا يقطعون بصحة ماروى اكثره بالرواية والسماع، ولذلك فلا مناص من السؤال، لمن وضعت هذه المؤلفات؟ اهى للقارئ اليهودى العادى؟ أم هى لقراء العالم العاديين ؟ ام هل هى للمثقفين الواعين؟ أم للدارسين المتخصصين؟.

أما القارئ اليهودى العادى فهو إن لم يعرف حقيقة تاريخه فهو لن يقرأ هذه المجلدات، ولن يهتم كثيراً بما أورد من أرقام ووقائع وتحليل، إذ هو مشغول بأمور أكثر فائدة له من الناحية المادية .

فإن كان المقصود هو القارئ العالمى العادى، فهو كذلك لن يصل به الاطلاع الواسع إلى قراءة مجلدات مثل هذه عن تاريخ اليهود. وأما إن كان للمثقفين الواعين، فلسوف يكتشفون زيف الوقائع التى زيفت عن نطاق تخصصهم وحقائق تاريخ حياة شعوبهم.

لم يكن إلى إخفاء مجد مصر أيام الفراعنة من سبيل وإن حاول المؤلفون اليهود بعد ذلك إبراز ما تعرض له اليهود، وتصويرهم بصورة المضطهدين من العبيد، وإن أدرك ان الإسراف فى تزييف الحقائق هنا أو إنكارها خليق أن يفقد كتبهم صفة «التحقيق العلمى»، ذلك أن العالم على إختلاف مجتمعاته وثقافاته ، إنما يدون عن مجد التاريخ الفرعونى.

والعجيب هنا ما يذكره المؤلفون اليهود عن دين «إبراهيم» وربه، وما زعموا من أنه دين خاص ورب خاص، فلم يعبد الله الواحد رب كل شئ، وفى ذلك يتضح أمران:

- تجاهل المؤلفون اليهود كنه رسالات الأنبياء والرسل قبل موسى وعيسى ، ومحمد عليهم السلام.

- وهم يتجاهلون ذلك حتى يخرجوا بما يزعم من أن التوحيد (MONOTHEISM) ، لم يعرف قبل موسى، وهو تزييف لا يقبله الجاهل للتاريخ [1].

---

(١) يمكن الرجوع إلى كتاب (موسى والتوحيد) تأليف «فرويد» ترجم محمد العزب موسى حيث يوضح فرويد أن التوحيد فكرة مصرية.

ويشير «أبا إيبان» فى مؤلفه «شعبى» كذلك إلى مدى الاحترام الذى يوليه اليهود لله. على حين يصور أهل بلاد «النهرين» إلههم أحياناً فى شكل حيوان أو طير أقل مستوى من الإنسان، ونسى من عاقبهم «موسى» لعبادتهم «العجل». وإن كان أقر بأن بعض اليهود - بل كثيراً منهم - تركوا ديانتهم وإلههم إلى الوثنية. ونسى أو تناسى فى كل ما ذكر ماذا فعل اليهود بـ «المسيح»، بل وينسى ماذا فعلوا بـ «موسى» «نبيهم الذين يتشدقون به الآن.

ونسى من ناحية أخرى أن اليهودية لم تقدم للعالم حضارة متميزة بعينها، إن العبرية لم تسهم فى العالم بمعلم الآداب، على العكس من ذلك. قدمت بلاد النهرين حضارة بابل العريقة وحاكمها الشهير «حمورابى» الذى وضع شريعة مدنية تعد من الشرائع ذات المنزله، وما زال نصها فى متحف اللوفر محفوظا منذ اكتشف فى العقد الأول من القرن العاشرين.

أما الحضارة المصرية فهى وإن بدأت فى الدين بالتعدد فقد عرفت الاله الواحد. على عهد اخناتون . وقد شهد «فرويد» عالم النفس الشهير وهو يهودى بأن اليهود أخذوا فكرة الإله الواحد عن المصريين.

الحقيقة التى ترد على «ابا ايبان» ادعاءه ومزاعمه من بغض المصريين لليهود ما أورده بقلمه واعترف به عن وضع اليهود فى مدينة الإسكندرية منذ بنيت فى القرن الثالث قبل الميلاد. إذ يذكر أن اليهود وإن كانوا اقلية فقد كانوا يملكون خمس المدينة. وإنهم كانوا يميلون إلى الانعزال بعقيدتهم ولغتهم. ولا يعترف بذلك عن وضع اليهود فى الإسكندرية وحدها، ولكنه يذكره وهم فى سلطان مختلف الممالك سواء بلاد الرافدين أو مصر.

ويشهد التاريخ الحديث والمعاصر فى كافة مدن الدنيا وما فيها من أحياء خاصة باليهود، اذ تعرف كل مدن الدنيا انعزال اليهود التام عن المجتمعات التى يعيشون فيها، وتعرف كل مدن الدنيا انتفاء ولاءاليهود للدول التى تؤويهم.

والتفسير الذى أغفله المؤرخون اليهود، أن اليهود يتخذون من قولة (الشعب المختار) ستاراً للعزلة، وفى عزلتهم يتكاتفون فيما بينهم. وفى تكاتفهم تحقيق لأهداف اقتصادية وسياسية ظهرت فى كافة الدول التى انقلبت عليهم، وطاردتهم فى العصر الحديث.

كذلك ، أسقط عمداً من المؤرخين اليهود كراهية أهل الإسكندرية لليهود، بسبب تدخلهم فى شئون السياسة، وانعزالهم فى الحى الرابع الذى تقوقعوا فيه وأتباعهم سياسة (الربا)، مما أدى إلى حروب أهلية بين «السكندريين» و«اليهود» خلال القرنين الأول، والثانى الميلاديين.

الفصل الثالث

اليهود تحت السيطرة الرومانية

اليهود تحت السيطرة الرومانية

لم يكن لأى من الدول فى البحر المتوسط، أن تحلم بتحدى سلطان الإمبراطورية الرومانية وقوتها، فقد نمت من دولة صغرى، إلى إمبراطورية كبرى. وقد تحدث المؤرخ الرومانى «بوليبوس» فيما كتب عن تاريخ العالم ما بين عام ٢٢٠ ـ ١٤٥م. يقول: «لا أظن أحدا من الغباء بحيث يمنعه من معرفة كيف استطاع الرومان فى أقل من ٥٣ سنة أن يخضعوا لحكومتهم العالم المأهول كله أو جله، ذلك عمل ليس له فى التاريخ مثيل».

فقد كان الرومان يغزون الإمبراطورية الهلينية على حين كانت الثقافة اليونانية مع ذلك تغزو روما. حتى أصبحت اليونانية لغة المثقفين. وغدا الكتّاب الرومان يقدمون مسرحيات من الملهاة والمأساة اليونانية لقومهم الرومان، بل كتب بعض مؤرخى الرومان تاريخ دولتهم بلغة اليونان، وذلك فضلا عن أثر الفن اليونانى فى المعمار والنحت، بحكم ما كان يجلب من المعلمين من اليونان.

وقد شهدت الحالة الاقتصادية تغييرا كبيرا فى ظل الهيمنة الرومانية، ولم يستطع القانون الرومانى حل الكثرة الكثيرة من

المشاكل التى نشأت فيما دخل تحت نفوذهم من أقاليم كانت تحت يد حكام محليين يتمتعون باستقلال تام، فكان أن ازدهرت الدكتاتورية فى هذا الجو، وكان على رأسهم «القيصر» الذى كان دكتاتورا، بل بمثابة (إله). ذلك أن النتائج العاجلة للنصر، كانت صراع الطبقات والأقليات، وبهذا كان دمار الإمبراطورية. فقد اغتال الرومان قيصر باسم حرية الشعب. وبدأ الصراع على ميراث السلطة التى اقتسمها زمنا كل من «أنطونيوس واوكتافيوس» ولكنها كانت مسألة وقت قبل أن يصطدم الرجلان، وقد كان فى عهد الرومان أن اندمج شرق البحر المتوسط وغرب آسيا، ثم أضيف إليهما غرب البحر المتوسط، حيث انقسمت من بعد هذه الإمبراطورية قسمين، الشرق الهلنستى والغرب الرومانى. وقد أدى هذا التقسيم إلى وقوع الإمبراطورية بين شقيها الغربى والشرقى، ثم نظام المسيحية بين الكنائس الشرقية والغربية.

عهد «هيرودس» (ملك اليهود عند ميلاد المسيح) :

ولد «هيرودس» ليحكم، ولما تولى «هيرودس» الملك (٣٧ ـ ٤ ق.م) لم يعجبه المعبد القديم وبخاصة إنه كان من المولعين بتشييد المبانى الجميلة، وقرر بناء معبد جديد فشرع فى بنائه عام ١٩ ق.م. وتم بناؤه أيام (البينوس) فيما بين عامى ٦٣ ـ ٦٤م، ويمتاز هذا المعبد بالقاعة الخاصة بالحريم الإسرائيليات، وذلك لأن «هيرودوس» سمح للإسرائيلية بزيارته، أما فن البناء فكان يونانيا.

ففى عامه الخامس عشر حارب المتمردين اليهود فى الجليل، اذ لم يقبله الشعب كحاكم لصداقته بالرومان. ورغم زواجه من أميرة (مكابية) الا أنه اعتبر (العائلة الحشمونية) من أعدائه، فطردهم ثم

قتل زوجته، بل قتل من بعد ذلك ابنيه من زوجته «مريام».

وقد حمله موقفه من شعبه على الاعتماد على الأجانب، وملأ البلاد ضد شعبه بالعملاء، لاضد أعدائه. وكان يعتمد على علاقاته الخارجية، خاصة بعد أن حازثقة الإمبراطور «أغسطس» الذى سمح له بتوسيع ملكه، فأنشأ مدنا جديدة فى «سباستى» المدينة الملكية التى سماها قيصرية على اسم سيده القيصر «أغسطس». وكان اهتمامه بالمبانى كبيرا، فأنشأ العديد من البنايات إلى جانب رصفه لبعض طرقات إحدى المدن بالحجارة الصغيرة الملونة.

ثم آل حكم البلاد من بعد وفاة «هيرودس» فى العام الرابع قبل الميلاد إلى وال رومانى من غير أبناء «هيرودس» وإن كانوا أمراء يملكون السلطة فى بعض الانحاء. ثم مضت فترة قصيرة قبل أن تدخل البلاد تحت حكم ملك يهودى هو «أجريباس الأول» الذى تولى الحكم من سنة ٤١ إلى ٤٤ م.

كان «هيرودس» يعرف أنه واحد من كبار عملاء روما واثريائها. إذ فرض ضرائب باهظة على الفقراء. واستغل الأغنياء استغلالا حمل وفدا منهم على اللجوء إلى «أغسطس» شاكين ظلمه. فضلا عن أن هيرودس «ارخيلوس» كان يعرف بـ «الأحمق».

وقد أدى افتقاد الروابط بين الشعب والسلطة الحاكمة إلى تطلع الشعب المغلوب على أمره إلى الدين واللجوء إليه، حيث ظهر فيه رجلان هما «شماعى» و «هيلل» كان لهما فى عصرهما أثرهما العميق فى تقدم اليهودية، على حين انتشر تأثيرهما فى مناهج المدارس الفكرية التى عرفت فيما بعد باسم (بت هيلل) و (بت شماعى)، وقد عرف عن «شماعى» أنه كان ذكيامحافظا، على حين

كان رفيقه «هيلل» فقيرا محبوبا للكافة، كما اشتهر عنه قوله: «لاتفعل بغيرك مالا تحب أن يفعل بك».

روما والقدس

ثم كان بعد انقضاء عهد «أرخيلوس» أن ارتدت يهوذا إمارة رومانية تحت حكم مندوب - ودالٍ - إمبراطورى من العسكريين له سلطة دستورية. وقد جعل مقره «قيصرية» وفى سبيل ذلك أبدى «أغسطس» سماحة مع اليهود، فمنحهم من الحقوق ما كان منحهم «يوليوس قيصر» من حرية العبادة وارسال نذور العبادة للقدس والإعفاء من التجنيد الإجبارى.

ولكن هؤلاء الولاة كانوا كما قيل فى «فلورس» حاكم سوريا: «فقير دخل سوريا وهى ثرية - ثرى ترك سوريا فقيرة».

ثم خلف من بعد «أغسطس «كاليجولا» المجنون.. الذى اغتيل بعد ثورة أدت إلى توتر العلاقة بين الرومان واليهود، حيث أخذ اليهود بالشبهات، ثم كان عام ٦٦ أن أدى حكم «فلورس» وما اتسم به من جبروت، إلى تمرد فى «قيصرية» أدى إلى الحرب اليهودية الكبرى.

ولقد كان لجماعة الزيلوت المتحمسين (Z EALOTS) فى هذه الحرب دور كبير، إذ استطاع «العازر» قائد الجماعة إعلان الثورة ضد روما. دونما مساعدة من «أجريباس» أو «فلورس».

الحرب اليهودية الاولى:

واجهت روما الحرب بأحسن عتادها وأقدر قوادها «فسباسيان» وأحدث خططها، على حين دخل اليهود الحرب بأسلحة قليلة وحقد كثير أدى إلى استمرار الحرب سبع سنوات.

وقد بدأت المرحلة الأولى فى الجليل حين كان «يوسف فلافيوس»

قائد دفاع الجليل، حيث استسلمت مدينة بعد أخرى لروما بغير مقاومة غالبا. وهرب بطل هذه المنطقة «يوناتان» بمجموعته من «الزيلوت» حتى وصل إلى القدس. وأشعل بوصولهم نار الحرب الأهلية، فكان بمساعدة بعض «الأدوميين» ان أصبح «يوناتان» سيد (القدس). وقد انتظر «فسباسيان» أملاً فى أن تقضى الحرب الاهلية على اليهود فيما بينهم. ولكنه ما أن أعاد عملياته فى ربيع ٦٨ حتى بلغته الأنباء بانتحار «نيرون» فى روما، فقرر العودة فورا إليها حيث أعلن إمبراطورا، فاستأنف ابنه «تيتوس» عام ٦٩ الحرب على القدس التى تزعمها ثلاثة هم «يوناتان وشيمون بن جيورا» و«العازر بن شيمون» وكانت حربا غير متعادلة إذ حوصرت المدينة وعانى أهلها كثيرا حتى سقطت عام ٧٠م.

وكانت «ماسادا»(١) هى القلعة الأخيرة التى ظلت فى يد اليهود، حتى سقطت بعد انتحار حاميتها المؤلفة من ٩٦٠ جنديا، مؤثرين الموت على ماضرب عليهم من عبودية وإذلال. ولم يبق إلا امرأتان وخمسة أطفال يرددون قصة البطولة التى شهدوها.

وفى روما استقبل «تيتوس» استقبال الأبطال، حيث أقيم له قوس نصر كان رمزا لمقاومة اليهود أكثر منه رمزا لنصر الرومان.

أما فى فلسطين فقد قسم الناس جماعات وفق ولائهم لروما، غير أن هدم المعبد قد كان موضوعا لمصادر عديدة، وأقوال متضاربة، إذ نسب بعض المؤرخين إلى «تيتوس» أوامر أصدرها بألا يمس، وأن بعض جنوده عصوا أوامره، على حين روى بعض آخر إن «تيتوس»

---

(١) اسمها العربى «المصعدة».

أعلن عن عزمه على هدمه بيده، وأنه استولى على اوانى المعبد وأخذها وعرضها فى روما فى مسيرة النصر التى قام بها، وخلفه جموع الأسرى مكبلين فى الأغلال. وقد سجل هذا النصر على قوس النصر، الذى أمر بتشييده فى روما عام ٨٣ م، أما البقية الباقية من الإسرائيليين فقد هاموا على وجوههم فى أنحاء الأرض.

«جوزيف فلافيوس» :

اسمه لدى المؤرخين «يوسيفوس»، وهو مؤرخ يهودى شهير، ولد بالقدس عام ٣٧ لأسرة متدينة، واشتهر بعلمه، كما روى عنه أنه أرسل سنة ٦٤ للدفاع عن السجناء اليهود، حيث استطاع كسب العفو عنهم بعون من زوجة «نيرون»، وكذلك أسهم فى الحرب اليهودية، لولا انه هرب بعد حصاره، ثم استسلم «لفسباسيان». وقد خلف عددا من المؤلفات الهامة، منها كتاب عن الحرب اليهودية.

ثورة باركوخبا :

اشتبك اليهود بعد الحرب اليهودية مرتين مع الرومان، كانت أولاهما فى عهد «تراجان»، حيث اشتعلت ثورتهم فى الاسكندرية وقبرص وقورينة، كما شبت فى بعض قرى فلسطين، وكانت أكثر ضراوة بزعامة باركوشيبا فى عهد «هادريان».

على أن القدس قد عادت، بعد الحرب التى عانت منها كثيرا إلى طبيعتها، وذلك أنها قبل سقوط المعبد لم تكن مركزا روحيا فحسب بل كانت القلب التجارى والاقتصادى للبلاد جميعا، وقد تملك الرومان الأرض كلها ليوزعوها على من دبروا لاستيطانهم هناك من الأجانب، وتركز اليهود من ثم فى قيصرية حيث بنوا مركزا روحيا لهم "JEHOVAH" وإن كان ذلك مرحلة مؤقتة، إذ أبوا الاستسلام لانهيار المعبد متطلعين إلى العودة إلى القدس.

وقد فكر «هدريان» بعد ذلك فى تعمير القدس، وبناء المعبد لتكون مدينة رومانية تسمى «إليا كابيتولينا»، لا مركزا روحيا لليهود، ومع ذلك فقد حاول الحاخام «عقيبا بن يوسف» زعيم البلاد الروحى مفاوضة الإمبراطور الذى صمم على ما رأى وبدأ الإعداد للعمل فى بناء القدس الرومانية، حيث لم يجد اليهود مناصا من الثورة بقيادة «شيمون باركوخبا» سليل «داود» الذى رأوا فيه «المسيح» فتتبعه الناس ومنهم «عقيبا» الذى سماه «باركوخبا» ابن النجم[1]، وقد ذكرت كثير من الروايات شخصية «باركوخبا» فقدرت شجاعته وقوته وشخصيته التى قادت بعد ذلك الجماهير فى حرب العصابات. وقد وجدت من هذا العصر أثار كثيرة، منها مجموعة من أوراق البردى، يعتقد أنها رسائل بالعبرية والآرامية واليونانية موقعة من «باركوخبا» وكذلك عثر على عملات تحمل إشارات عليها «الحرية ليهودية[2] شيمون أمير إسرائيل».

وقد كان أن استطاع اليهود العودة إلى القدس، حيث قدمت الذبائح رغم هدم المعبد، ولكنها مالبثت أن عادت تارة أخرى إلى ايدى الرومان وقتل «باركوشيبا» وكثير من اتباعه، وهزم الاستقلال اليهودى آخر الأمر، ومع ذلك فسوف يظل نضال «باركوشيبا» حيا فى التاريخ مسجلا فى قلوب اليهود، بطولات وذكريات وآمالا عظاما. (رأى المؤرخين اليهود والغربيين)

وكان اليهود حين مولد المسيحية، قد خرجوا إلى ما وراء حدود فلسطين مستوطنين معظم بلاد العالم المتحضر آنذاك، اذ امتدت

---

(١) أى نجمة داوود. (٢) لم يذكر اسم اسرائيل على الاطلاق.

مجتمعاتهم من إيطاليا إلى قرطاجنة فى الغرب، إلى أرض الفراتين فى الشرق، ومن البحر الأسود فى الشمال إلى اثيوبيا فى الجنوب، حيث عاش نحو أربعة ملايين يهودى فى الدولة الرومانية خارج فلسطين[1] وفى بابل.

فضلا عن قرابة نصف المليون من السامريين والإغريق والأنباط "NABATEANS" وكان اسم فلسطين معروفا متداولا من قديم. وقد ورد كذلك فى الكتاب المقدس دلالة على أرض الفلسطينيين فى نطاق ساحلى عند وادى شارون، وإن كان الرومان عند غزوهم البلاد سنة ٦٣ ق.م، قد اتخذوا من اسم منطقة يهوذا علما على البلاد كلها. وكان التلمود يشير اليها باسم «الأرض».

وظلت القدس بعد الشتات، بحكم عقيدتهم، «مركز العالم» ومركزا للحاخام الاكبر، وكان لمعبدها منزلة كبرى، وإن لم يكتمل بناؤه بعد أن هدمه «تيتوس». أما سكانها فلم تجاوز عدتهم ١٢٠,٠٠٠ يذوبون عادة فى أمواج حجاجها الذين قد يفوقون أهلها أحيانا.

ولقد كانت اللغة الغالبة يومئذ هى الآرامية بلهجاتها المختلفة على حين كانت العبرية لغة الكتبة والمثقفين.

وكان الاقتصاد يقوم على الزراعة وما ينتج من مقادير وافرة من القمح والشعير، أغلبها من الجليل على حين كانت التجارة فى أيدى الاغريق.

الحكومة الداخلية (المحلية) :

كانت السلطة المدنية اليهودية فى يد مجلس من سبعين عضوا من الشيوخ، مما يعرف باسم «السانهدرين» ويرجع أصله إلى «موسى»

---

(١) الرقم مبالغ فيه.

الذى طلب الله إليه سبعين رجلا من شيوخ إسرائيل، وكان الحاخامات كذلك أمراء حاكمين بيدهم سلطان وراثى مدى الحياة. غير أن منزلتهم قد ضعفت تحت حكام الرومان الذين كانوا يعينونهم أو يعزلونهم كما يشاءون.

السكان اليهود:

وردت تقديرات كثيرة عن عدد اليهود أيام الحكم الرومانى، وإن كان مشكوكا فيها. إذ كان اليهود فى العصر الهلنستى موزعين فى انحاء العالم الإغريقى بأسرة بحيث ذكر مؤلف النبؤات السبيلية سنة ١٤٠ ق.م أن الإرض كافة والمياه ملأى باليهود. وقال «استرابون» المعاصر «لهيرودس»، من الصعب أن ترى مكانا وحيدا فى العالم ليس فيه يهود، ويضيف «يوجوسيفوس»، ما من شعب فى العالم لاتجد بينه طائفة من إخواننا «ويصف «فيلون» القدس بأنها «مركز الإمة المبعثرة» (الدياسورا).

أما الإغريق والرومان فقد بلغوا فى القرن الأول ق.م، فيما قدر مابين ٦٠ و ٧٠ مليونا منهم ٧٫٥ مليون فى مصر، وقيل إن عدد سكان الإسكندرية ربما جاوز المليون منهم الخمسان من اليهود. (الرأى الشخصى أن هذه الأرقام مفرطة فى المبالغة).

مراكز شتات جديدة:

لامناص من التفريق بين اصطلاحين فى تاريخ اليهود القديم. هما «المنفى "EXILE" والشتات "DIASPORA"، إذ يعنى الأول الهجرة الاجبارية، ويعنى الثانى الهجرة الاختيارية كما يقول الجغرافيون. ذلك أن الشتات قديم قدم الشعب اليهودى نفسه، حيث كانت لهم مواطن استيطان خارج فلسطين أيام الملوك، إذ قصد

تجارهم مصر جلبا للجياد، وذهبوا إلى دمشق لفتح محال تجارية صغيرة. ونشأت تجمعات أخرى لعبودية القبائل العشر ٧٢٢ ق.م، ونفى «يهوذا» إلى مصر وبابل سنة ٥٨٦. ولقد هرب بعض العبيد من اليهود إلى مصر وأقاموا فى مدينة «تفنيس»، وكان من بينهم النبى «أرميا».

لقد كان المنفيون ضحايا الغزو الأجنبى، واعتبرهم الغزاة جزءا من الغنائم. ولكن هناك عددا من اليهود الذين اقتنعوا بالهجرة املا فى التجارة الناجحة. ثم صارت زيادة عدد السكان سببا رئيسيا فى الهجرة. ويقول «فيلون» PHLIO مامن بلد يستطيع رعاية اليهود لعددهم الكبير.

بعد ثورة باركوخبا:

كانت آخر مقاومة مسلحة لليهود ضد الرومان بين سنتى ١٣٢ - ١٣٥ ميلادية، تحت قيادة «باركوخبا». ولئن تهدمت كثير من المدن فقد ظل البعض متمسكا بالأرض مرتبطا بها.

وقد محا الرومان اسم «يهوذا» من الاستعمال الرسمى، مختارين للبلاد اسم فلسطين، وسميت القدس التى كانت مغلقة على اليهود باسم «ايليا كابيتولينا»، وشددت الحراسة حتى لايجرؤ يهودى ان يقترب باكيا من حطام المعبد، حيث لم يبق منه الا حائطه الغربى عند سفح جبل «موريا».

ولقد تبع هذا الإجراء بالنسبة لليهود، إجراء آخر بالنسبة للحياة الثقافية والعقائدية، فقد حرمت بحكم القانون الكثير من العادات والتقاليد اليهودية. ذلك أن الرومان كانوا يؤمنون بأن التمسك بالمبادئ والعقائد ربما يلم الشمل مرة أخرى.

ولقد تمتع اليهود أيام سقوط (بابل الجديدة) باستئناف حياتهم الروحية، رغم فقد انهم الاستقلال السياسى، واستطاعوا بعد ذلك ان يزرعوا بذور مبادئهم مرة أخرى على يد «يوحنا بن زكاى» الذى طلب من «فسباسيان» مبنى مدرسة «يافنه»، ولم يكن الأخير يدرك أنه قد ساعد بذلك على وضع البذرة مرة أخرى لكى تنمو وتؤتى أكلها بعد حين.

ثم كان بعد سقوط «يافنه» أن انتقلت الفكرة إلى الجليل حيث انشئت مدرسة جديدة فى (أوشا) وأنشئ مجلس اعلى لليهود (SAN-HEDRIN) برئاسة الحاخام «شيمون بن جامليل» الذى عرف باسم جديد «نحسى». (NASI)

وتعاون الرومان فى سعيهم نحو السلام مع هذا الحبر الجديد. حيث وضع من ثم حجر أساس الحاخامية الفلسطينية التى قادت الحركة أجيالا طوالا.

ثم أصبحت المدن اليونانية فى الجليل بعد ذلك بقليل مراكز دراسة جذبت العلماء والدارسين من كافة أنحاء البلاد، وقد اعلنت دعوة عامة «للذين أكملوا دراستهم أن يعاونوا فى التدريس، وللذين لم يكملوها أن يأتوا ليتعلموا»، وذلك إلى جانب العديد من المدارس الاخرى مثل مدرسة «تكوا» التى أنشأها الحاخام «شيمون بن يوكاى» والمدرسة التى أنشأها الحاخام «بوناتان بن ناباشا» فى أماكن أخرى. وكان المعلمون غاية فى الفقر يعتمدون فى معاشهم على الصناعات اليدوية أو على نسخ التوارة. وكان الحاخام «مائير» هو الشخصية الحية من بينهم، ويقال إنه كتب مرة (سفر استير) من ذاكرته دونما خطأ واحد. ويعرف عنه كذلك قوله «لاتنظر إلى الإناء بل إلى

مايحتويه.. فكم من أوعية جديدة تحوى نبيذا قديما وكم من أوعية قديمة لاتحوى شيئا».

عمل الحاخامات:

لقد كان فقد المعبد تجربة قاسية للشعب اليهودى، حيث بذلت جهود كبيرة لتخليد ذكراه، فسجل الحاخامات بعامة كافة الأحداث مؤرخة به. وقد بدأت من فلسطين الهجرة التى أزعجت الحاخامات فقرروا أن «على الإنسان أن يعيش فى فلسطين، ولو فى مدينة قليلة السكان، وأن ذلك أفضل من المعيشة خارجها ولو فى مدينة يهودية خالصة، إن العيش فى «يهوذا» يساوى الالتزام بكل تعاليم التوراة، فاذا الذى يد فن فى فلسطين كمن دفن تحت محراب الكنيس..».

الحاخام يهوذا والمشنا:

كان مجلس أوشا "Usha" ذا منزلة عالية. إذ أنشأ معبدا قوميا اعترف بسلطته حتى الزعماء الروحيين المعارضين، ومن ثم نجح الحاخام «شيمون بن جامليل» فى ارساء حاخامية ابنه «يهوذا» "JUDAH"الذى أنشأ وضعا غير متزن مع أى من «الـ NESIIM النسيم »والذى عرف فى التاريخ اليهودى باسم «رابى RABBI" قضى حياته الأولى فى «أوشا»، ثم فى بيت شيريم التى حظيت شهرة به، ثم اضطر أواخر حياته إلى تركها إلى «زيبورى» لأسباب صحية. وكان الكافة حتى خادمته يتحدثون العبرية. ولقد امتد نشاطه زهاء خمسين عاما، وكان عمله العظيم فيها إكمال الشريعة الشفوية «التى سميت «المشناه» وهى الوثيقة الخطيرة فى ذلك الزمان.

وكان مع «التوراة» جنبا إلى جنب قدر هائل تتناقله بالرواية الأجيال من «الشريعة الشفوية» والتى تحكم حياة الفرد بما يجب ومالا

يجب أن يفعله التزاماً بمبادئ «التوراة». وقد تولى الحاخام «عقيبا» ترتيب هذا الفكر الشعبى فى عمل منظم. ثم أعقبه تلميذه الحاخام «مائير» فراجع عمل استاذه دون تسجيله. ومن بعده «يهودا هاناسى» الذى إليه تنسب «المشناه» اذ جمع «يهودا» أحاديث لما يقرب من مائة وخمسين عالما، وقرابة ثلاثة عشر عملا سابقا. قسمت ستة أقسام هى (البذور. الأعياد، النساء، الاضرار، المقدسات، الطهارة) وقسم كل منها بعد ذلك إلى رسائل. وفصول. وفقرات وقد اشتهر هؤلاء العلماء من «هلل» وخلفائه حتى «يهوذا» باسم المعلمين، أو كما هو بالآرامية «تنائيم» (TANNAIM) (يبدو إن هؤلاء هم المعروفون باسم حكماء صهيون).

(التلمود) وتطوره:

كان النص الرئيسى للدراسة هو «المشنا» (المشنا: هو كتاب التعاليم التقليدية عند اليهود). وقد وجد بعض علماء بابل أن الكثير من التفسيرات فى «المشنا» إنما ترجع خاصة إلى مأثورات الفلسطينيين التى لم يطرأ عليها سوى بعض محاولات للتفسير فى بابل. ولذلك فقد شعروا بأن لهم الحق فى اتباع طريقهم الخاص. فظهرت تبعا لذلك مدرستا «سورا وبومبديتا» الشهيرتان.

ثم ظلت كل من مدارس فلسطين وبابل تعمل فى المشناه زمنا حتى اكتشفت فيما بعد أن «المشناه» لم تشمل كافة ما هو متاح من الشريعة كما لم تشمل القوانين الملحقة (هالاخوت). وكان عملهم جمع هذه الملاحق وتصنيفها ووضعها فى صورتها النهائية ومن ثم ظهرت «الجمارا»، ومن «المشنا» والجمارا معا يتألف التلمود.

ثم واصلت كل من المدرستين الفلسطينية والبابلية عملها مستقلة بعضها عن بعض، وذلك من لقاءات الحاخامات وتبادل الآراء، إذ بدأ «يوناثان بار ناباشا، ١٩٩ - ٢٧٩» التلمود الفلسطيني الذى يعرف كذلك باسم (التلمود الأورشليمى)، وانتهى العمل فيه فى أواسط القرن الرابع، إذ تبين بمقارنته بتلمود بابل مافيه من نقص وافتقاد الدقة، ولكنه على كل حال يعد مصدرا مهما عن اليهود الفلسطينيين. ومن ثم منزلته التاريخية. اذ يتجلى فى التلمود البابلى زهاء عشرة قرون من حياة اليهود فى فلسطين وبابل. وهو سجلّ للمثقفين اليهود والأعمال المدينة، كما أنه رغم كلمة التوراة، وهى كلمته الاولى، يطوف بعيدا فى عوالم القصص الشعبية والأساطير والحكايات والشعر.

ويعالج التلمود المشاكل الفقهية بطريقة المقابلة التى تعرض للحقيقة ونقيضها، مستعرضة كافة مايؤيدها أو يعارضها من الرؤى، وفى سبيل سند منطقى لاتباع قانون بذاته، ولكن التلمود لم يكتمل تصنيفه إلا عند نهاية القرن الخامس. وهناك الآن نسخة واحدة للتلمود فى (متحف ميونيخ) وقد كتبت فى منتصف القرن الرابع عشر.

وإذا كانت التوراة هى الكتاب الأبدى. فالتلمود هو الصاحب اليومى.

القسم الثالث

اليهود والعهد الجديد

الفصل الأول:-

اليهود فى العصر المسيحى

الفصل الثانى:-

اليهود فى العصر الإسلامى

الفصل الأول

اليهود فى العصر المسيحى

العهد الجديد

(اليهود) فى العصر (المسيحى)

ظهور المسيحية :

ولد «المسيح الناصرى» عليه السلام فى فترة قلقة، تعاقب فيها الأمراء بالصراع وسفك الدماء. ويذكر الكتّاب اليهود أن «المسيح» كان (يهوديا فريسيا) عاش بين عامة أهل «الجليل» متحدثا باسمهم، ولا يرى انه رسول لغير بنى إسرائيل، وكان يهوديا بالفعل والكلمة. فقد اتبع الشريعة اليهودية حج إلى (القدس)، كما كان يتل الأدعية حين تناول النبيذ. وقد أعلن بنفسه أنه لم يأت لينقض الناموس بل ليضعه موضع التنفيذ. وقد استعمل مصطلح «المسيح ومصطلح «ملك اليهود» بمعناهما الروحى، وإن أثارا فى الجو المعاصر معانى الثورة.

وكان من بعد رفعه ان بدأ رهط صغير من أتباعه ينشرون بين «يهود فلسطين» مبادئه التى أصبحت مبادئ دين جديد. وقد تسمى «شاءوول» الطرسوسى باسم«بولس» فى العهد الجديد، وكان على العكس من «المسيح» متأثرا أشد التأثر بالثقافة اليونانية الرومانية،

فكان أن حولت عبقريته ذلك الدين الجديد إلى دين عالمى، بأن طور مبادئه الأساسية بما جعله المؤسس المثقف للمسيحية[1].

حيث استطاع وبالتدريج أن يكسب عددا كبيرا من اليهود للمسيحية، وظلت العقيدة الجديدة تنتشر بين الرومان من العقيدة الام «اليهودية».

﴿ قال الله تعالى: تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾. صدق الله العظيم. (سورة البقرة ٢٥٣)

ولولا ترجمة الإنجيل إلى اليونانية لما استطاعت المسيحية أن تصبح دينا عالميا فى ثلاثة قرون، وكانت المسيحية الأولى أقرب إلى اليهودية رغم سكوت كل من الطرفين عن الإقرار بذلك. لقد اعطت اليهودية للمسيحية «الإله» الواحد الحى، وأسهمت فيها بكتاب مقدس هو (عهدها الخاص)، من ثم فتح الطريق أمام «العهد الجديد» (رأى أغلب المؤرخين (اليهود) وعلى رأسهم «أبا إيبان»).

وأخذ المسيحيون الأوائل فى رحلتهم لنشر الدين الجديد «العهد القديم» نصا لهم. لقد اعطت إسرائيل للمسيحية أنبياء الحق، كما أعطتهم الأعتقاد فى «المسيح».

إن الملامح الهامة فى التراث اليهودى هى نظرتها للتاريخ. فقد اعتقد الكثيرون فى عصر ذهبى فى الماضى مع فجر التاريخ، ولكن إسرائيل وحدها تعتقد فى عصر ذهبى فى المستقبل (رأى أبا إيبان والصهيونية).

---

(١) أبا إيبان فى كتابه «شعبى».

وقرر الإمبراطور «قسطنطين» بعد اعتناقه المسيحية سنة ٣١٣ إنشاء عاصمة جديدة فى الشرق، هى القسطنطينية، مع رغبته كذلك فى الاحتفاظ بروما. غير أنه بدلا من ذلك نجح فى إنشاء الإمبراطورية البيزنطية، حيث نزل الستار تدريجيا على روما. وإن أتاحت الإمبراطورية المحتضرة مولد «البابوية» التى تولت مسئوليات الدولة. ثم اعلنت المسيحية دينا للدولة فى عهد «ثيودسيوس الكبير» وقد كان لنقل العاصمة من روما إلى القسطنطينية البيزنطية أهمية سياسية كبرى، بما أدى إليه من تمزق الإمبراطورية الرومانية وانقسام الكنيسة إلى قسمين شرقى وغربى.

وكان على المسيحية عندئذ أن تفرض نفسها بالقوة. ويتحدث «توينبى» عن الأسلوب الذى اتسم به أنصار الكنيسة من مجافات للأخلاق، من فرض عقيدة بالقوة السياسية. ويشير «ملر» إلى ان المسيحية هى التى أدخلت ماوصفه «توينبى.. بالعدوان الخلقى.

(اليهود) تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية:

عانى اليهود خلال مدة القرن والنصف التى سبقت ظهور الاسلام. فقد كان عليهم أن يتحملوا الإهانة والتحقير، حتى استعادوا دورهم الهام فى عهد الإمبراطورية الإسلامية العظيم[1]. لقد عانوا فى عهد الفرس والبيزنطيين. إذ توزع اليهود من مكان لمكان فى القرن السادس، فإما أن يجبروا على التعميد أو ينزعوا من أرضهم بالقوة، وأصبحت فلسطين دولة مسيحية بنهاية القرن الرابع مما أدى إلى توافد افواج من الحجاج المسيحيين كان اليهود يؤدون لهم دور المرشد لسياحى. على حين بدأ المسيحيون ينقلون رفات قديسيهم، كما بنوا الكنائس حول مقابرهم.

---

(١) أبا إيبان فى كتابه «شعبى».

أوضاع (اليهود) فى العالم المسيحى

وكان فى القرن العاشر أن أصبحت أوربا وعاء التاريخ اليهودى الأكبر، ولم يكن فى العالم فى بداية هذه السنين الألف سوى مليون ونصف مليون من اليهود. وأن فلسطين وإن هبطت اهميتها عما كانت عليه من قبل، فقد ظل عدد اليهود فيها يتلقى ما يغذيه من تيار المهاجرين المتدينين. ثم كان فى نهاية القرن الخامس عشر أن تشكلت تجمعات كبيرة فى «بولندا» حيث الوطن الجديد «للاشكنازيم» أو اليهود الشماليين، وكذلك فى تركيا حيث عاش «السفارديم» أو يهود اسبانيا. وكان اليهود قد هبطوا شمالى أوربا تجارا وأصحاب صناعات يدوية، إذ لم يسهموا منذ كانوا فى «بابل» وفلسطين فى حياة الزراعة بحكم إزدرائهم الزراعة، وذلك فضلا عما ألهمهم من إزدراء المسلمين الرسمى للفلاحة. كانت القوانين فى أوربا تحرمهم تملك الارض، على حين كانوا ملزمين بقرار الكنيسة تحريم العمل عليهم أيام الآحاد، وهم كانوا لا يعملون كذلك أيام السبت، لذلك كانت زراعتهم تتعرض للضرر لامتناع العمل فيها يومين متعاقبين. كذلك كان اليهود يفقدون أرضهم لطردهم منها، وذلك كله إنما يفسر ترك اليهود الزراعة إلى العمل بالتجارة. غير أن (اليهود) فى أسبانيا المسيحية كانوا يشتركون فى فلاحة البساتين والكروم وفيما يتصل بالزراعة من صناعات، فضلا عن صناعة النسيج وإنتاج الدقيق. فكان أن تطورت تجارة اليهود تطورا سريعا، واكتسبوا خبرة هائلة فى التجارة الخارجية، حيث تولوا فيها دور الوساطة، بين العالم الإسلامى والعالم المسيحى، وذلك بحكم حرص الغرب على اجتلاب المنتجات الشرقية الراقية، فكان ان حل اليهود محل السوريين

أصحاب هذا الدور فى القرنين الخامس السادس الميلاديين . وكانت مهارة اليهود تكمن فى تعاملهم فيما بينهم بلغة واحدة هى العبرية، التى اصبحت ضرورية للأهداف العملية. وفى القرن التاسع كانت هى اللغة التجارية بين باريس وبغداد أو القاهرة. وكانت الوحدة الأساسية للشريعة اليهودية عاملا أساسيا أكسب اليهود ميزة يتفوقون بها على منافسيهم فى تنمية العلاقات التجارية.

ولعل أهم ما اشتغل به اليهود فى العصور الوسطى إقراض المال (بالربا) الذى يحرمه الإسلام كما ترفضه المسيحية.

واتبعت الجاليات اليهودية التى نشأت حديثا فى غرب أوربا قوانين التلمود فى حياتها اليومية وساعد على ذلك اتجاه اليهود منذ العصور الوسطى إلى الحياة فى أحياء خاصة منعزلة عن غيرهم من السكان «جيتو». وكان فى داخل الأحياء اليهودية نظام قانونى خاص يستن التقاليد والأعراف القديمة. وقد شعر اليهود داخل هذه القلاع الروحية مع أقرانهم اليهود فى الأحياء القائمة فى البلدان الأخرى بما هو أقوى فى تجمعهم بما يربطهم من وشائج المسيحيين الذين يعيشون معهم فى البلد نفسه، ولم يشركوا مواطنيهم من غير اليهود إحساسا بالتعاطف أو التفهم لأسلوب حياتهم ومشاكلهم.

وتتوافر الدلائل ابتداء من القرنين العاشر والحادى عشر، على ماكان من جاليات يهودية قوية فى كل مدينة مهمة فى فرنسا والمانيا. وكان استقرار هذه الجاليات على نحو واحد، حيث كان اليهود يدعون أ ويسمح لهم بالإقامة فى المدينة، من منطلق الإحساس بأنهم سوف يسهمون فى التنمية الاقتصادية للمنطقة، ثم

تصدر التشريعات التى تنظم وضعهم القانون بمنحهم حقوقا، وفرض بعض القيود عليهم. وكان عليهم مقابل الحماية أن يقسموا يمين الولاء للسلطة القائمة، ويؤدوا مبالغ من المال منتظمة لها. ومن ثم أصبح الاعتماد التام المباشر لليهود على السلطة القائمة اساسا لوضعهم ونظامهم القانونى. وتطور عدد ووضع اليهود بتطور كل من فرنسا وألمانيا ونموهما. وقد كان هناك باستثناء حالات قليلة من اضطهادهم والعدوان على حقوقهم - قبول عام لهم لمهارتهم فى التجارة وشئون الاقتصاد.

عصر الاضطهاد

وكان يسود علاقتهم بالمسيحيين الود. وازد هرت حياة اليهود الثقافية فى ظل هذا الوضع وظهر من بينهم علماء كبار. ثم ما أن بدأت النزعة القومية تظهر فى المانيا وفرنسا خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر، حتى بدأ وقوع اليهود ضحية الاضطهاد، إذ لم تعد هناك من حاجة ماسة اليهم، وبدأ وضعهم عندئذ يتحدد على يد (كنيسة روما) وممثليها، إذ اتبعت سياسة مزدوجة، قوامها الإصرار على التسامح والاعتدال فى معاملتهم اليهود من ناحية، مع محاولة اقناعهم بالتحول للمسيحية.

وقد تركز تاريخ اليهود فى الجزر البريطانية فيما بين عامى ١٠٦٦، ١٢٩٠ حين صدر قرار طردهم. وكان قد طلب إليهم من قبل القدوم إلى بريطانيا والاستقرار فيها لتطوير سوق المال فتحولوا إلى طبقة من المرابين التابعين للملك، مهمتهم الرئيسية توفير الاموال لتمويل المشروعات الاقتصادية والسياسية. وكان عددهم

صغيرا حيث لم يتعد فى عام ١٢٠٠ حوالى ٢٥٠٠ أسرة، ورغم أنهم كانوا يمثلون عشر الواحد فى المائة من عدد السكان، فقد بلغ ما كانوا يؤدون من ضرائب ثلاثة آلاف جنيه، أو حوالى $\frac{1}{7}$ إيرادات الضرائب. وكان معظمهم قد قدم من فرنسا، مع أقلية قدمت من اسبانيا وايطاليا والمغرب. وكانوا يتحدثون الفرنسية فيما بينهم واعتبروا خدما للملك، وسمح لهم بقدر كبير من الحرية فى تسيير امورهم.

وكانوا بعامة أقل الجاليات اليهودية فى أوربا عددا وثقافة، إذ بلغ عددهم عند صدور مرسوم بطردهم ١٦ ألف نسمة، وآلت أغلب ممتلكاتهم إلى التاج. إلا بعض أملاكهم المنقولة التى سمح لهم بأخذها.

وفى إيطاليا جنوبى روما تركزت الجاليات اليهودية الرئيسية، حتى القرن الثالث عشر، حيث كانوا حلقة وصل مهمة لنقل الثقافة اليهودية من الشرق إلى الغرب، مما بوأهم منزلة ثقافية وما صحب ذلك من نمو، وازدهرت الصناعة والتجارة المحلية وإنشاء المدن والكاتدرائيات، حتى بدأ وقوع اليهود ضحية الاضطهاد.

وكان اليهود فى أوربا المسيحية خلال العصور الوسطى يعدون بصفة عامة طائفة متميزة بدينها وعنصرها، ينبغى أن تخضع لما كان يخضع له المسيحيون من قوانين، وإن تركت لهم الحرية فى تسيير أمورهم إعمالا لمواثيق خاصة كان هدفها الاساسى اجتذابهم للاستقرار والتصدى لشئون الاقتصاد والمال، وذلك فى نطاق خاص مرسوم هو الاقراض، ولذلك وجدت الكنيسة نفسها، تأكيدا لنفوذها،

مضطرة لمواجهة الجنوح عن الدين. فشملت يهود أوريا بعقابها ضمن كل من عد مارقا. ومن ثم حرم عليهم مزاولة أى سلطة على المسيحيين، ولم يسمح للأمراء بتعيينهم فى أى منصب، وعزلوا اجتماعيا وأجبروا على البقاء فى منازلهم مع غلق نوافذهم خلال عيد الفصح، والزموا بدفع ضريبة سنوية خاصة فى هذه المناسبة. كما لم يسمح لهم بالسكن مع المسيحيين فى حى واحد، وكان ذلك تمهيدا لإلزامهم اختياريا باتخاذ شارة خاصة تميزهم لنشوء «الجيتو». وكان إصدار هذه التشريعات نقطة تحول فى التاريخ اليهودى. إذ كان تفسير الإنجيل إحدى نقاط الخلاف الرئيسية بين اليهود والمسيحيين، حيث ادعت الكنيسة ولايتها على تنفيذ كافة الوعود التى وردت فيه، وطبقت ما جاء فيه من اتهام اليهود ولعنهم. واعتبروا اليهود شعبا ملعونا عدوا للجنس البشرى، وقد أدى ذلك إلى ما كانت له آثار مدمرة من استثارة كراهية العامة، كما قوى من روح المقاومة لدى اليهود. وقد تعرض التلمود للهجوم وأحرق فى مناظرات عديدة وحرمت دراسته مما ادى إلى وقف الدراسات الدينية اليهودية.

وقد هوى العالم الغربى بأسره فى القرن الحادى عشر تحت نفوذ كنيسة روما، ووقعت القطيعة النهائية بينها وبين المسيحيين البيزنطيين. ثم تولى البابا «جريجورى» السابع (١٠٧٣ ـ ١٠٨٥) تطهير الكنيسة من الفساد والرذيلة، وتعهد خليفته البابا «أربان الثانى» بتحويل غرب أوريا من الحروب الداخلية إلى تجميع الجهود لضرب كنيسة بيزنطة، بمد سلطة كنيسة روما إلى تركيا وسوريا وفلسطين. وفى تلك الحقبة نشبت الحروب الصليبية لما بلغ الكنيسة من الحجاج

واضطرت جموع كثيرة منهم إلى التحول فى الظاهر وهم مقيمون سرا على دينهم ومصممون على تلقينه لأجيالهم الجديدة. وقد عرفت هؤلاء فى اسبانيا باسم - المارانوس - حيث انفتحت أمامهم أبواب العمل فى المحاماة والحكومة والجيش والجامعات، بل وفى الكنيسة نفسها. وتمت لهم السيطرة على أوجه النشاط فى أسبانيا، وكان لفظ مارانوس هذا اصطلاحا أسبانيا يرجع إلى العصور الوسطى ويعنى الخنزير وفى ذلك مايجلو مقدار ماكان يشعر به الاسبانى العادى من احتقار نحو هؤلاء الصابئين الجدد غير المخلصين الذين كثرعددهم وزاد نفوذهم.

وعلى امتداد القرن الخامس عشر بدأ الناس يمقتون أولئك المنافقين المسيحيين مظهرا، اليهود مخبرا، أولئك الذين احتكروا المراكز المالية الهامة وارتبطوا بالعرش، بحيث أصبحوا يمثلون أحد مظاهر القهر الملكى. وتقرر فى عام ١٤٦٤ النظر فى أمر هؤلاء المسيحيين الجدد، إذ فوضت الكنيسة عام ١٤٧٨ ثلاث شخصيات بالتصرف فى الأمور التى تتعلق بالمرتدين، وكان ذلك إنما يعنى بداية محاكم التفتيش فى أسبانيا، ووصلت الأمور أقصى غاية الحدة عام ١٤٨٠ حين قرر عدد من أغنياء التجار المسيحيين الجدد فى مدينة «سيفيل» مقاومة محاكم التفتيش، غير أن أمرهم انكشف وحوكموا وأعدموا، وفى عام ١٤٨١ أحرق ستة رجال وامرأة أحياء وأعدم رئيس الجماعة. وطرد اليهود من أسبانيا نهائيا عام ١٤٩٢[1]، وانتقل اغلبهم للبرتغال التى طردتهم هى الأخرى عام ١٤٩٧، ورحل معظمهم إلى إفريقيا، واعتنق الباقون المسيحية دون إخلاص، حيث احتفظوا بديانتهم.

---

(١) وتم ذلك فى الوقت نفسه الذى سقطت فيه غرناطة آخر معاقل المسلمين فى الأندلس.

أوربا لعهد جديد من الشك الشديد والتنافس استمر طوال العصور الوسطى، فتحولت من مجتمع مفتوح نسبيا إلى مجتمع مغلق يستعبد اليهود.

وأكدت التشريعات المطبقة على اليهود بوحى من الكنيسة، ماقيل من أنهم أناس رفضهم «الله» ولعنهم. وأقيم من حولهم سياج عزل صحى يقى أرواح المسيحيين من عدواهم. وانكمشت الاتصالات على الصعيد الاجتماعى معهم، وتعددت حوادث اضطهادهم وطوردوا من مكان لمكان، فقد طرد اليهود من فرنسا وأعيدوا أربع مرات فيما بين عام ١١٨٢ وعام ١٣٢١ . وفى عام ١٣٢٢طردوا مرة أخرى حيث لم يبق منهم يهودى واحد فى فرنسا خلال الأربعين عاما التالية. وفى أسبانيا حيث ازدهر اليهود فى ظل الحكم الاسلامى ثم المسيحى - بدأ بوحى من الكنيسة اضطهادهم عام ١١٠٩ واستمر ذلك حتى القرن الخامس عشر حيث تقرر عام ١٤٩٢ طرد اليهود كافة من أسبانيا، وتم ذلك فى ٢ أغسطس من العام نفسه وهو يوم حداد لدى اليهود.

وبذلك استبعد اليهود فى نهاية القرن الخامس عشر بصورة تكاد تامة من غرب أوربا بأسرها، باستثناء أجزاء بسيطة فى ألمانيا وإيطاليا. ومن ثم احتشدوا فى الإمبراطويتين الشرقيتين الباقيتين وهما بولندا حيث تجمع اليهود الإشكنازيم يهود شمال أوربا، وفى الإمبراطورية العثمانية حيث تجمع اليهود السفارديم. من أصل لاتينى أو أسبانى.

وانتشرت بتزايد نفوذ الكنيسة السياسى ظاهرة اليهود الذين يخفون ديانتهم، إذ كانوا بين اختيار الموت أو التحول إلى المسيحية،

واضطرت جموع كثيرة منهم إلى التحول فى الظاهر وهم مقيمون سرا على دينهم ومصممون على تلقينه لأجيالهم الجديدة. وقد عرف هؤلاء فى اسبانيا باسم - المارانوس - حيث انفتحت أمامهم أبواب العمل فى المحاماة والحكومة والجيش والجامعات، بل وفى الكنيسة نفسها. وتمت لهم السيطرة على أوجه النشاط فى أسبانيا، وكان لفظ مارانوس هذا اصطلاحا أسبانيا يرجع إلى العصور الوسطى ويعنى الخنزير وفى ذلك مايجلو مقدار ماكان يشعر به الاسبانى العادى من احتقار نحو هؤلاء الصابئين الجدد غير المخلصين الذين كثرعددهم وزاد نفوذهم.

وعلى امتداد القرن الخامس عشر بدأ الناس يمقتون أولئك المنافقين المسيحيين مظهرا، اليهود مخبرا، أولئك الذين احتكروا المراكز المالية الهامة وارتبطوا بالعرش، بحيث أصبحوا يمثلون أحد مظاهر القهر الملكى. وتقرر فى عام ١٤٦٤ النظر فى أمر هؤلاء المسيحيين الجدد، إذ فوضت الكنيسة عام ١٤٧٨ ثلاث شخصيات بالتصرف فى الأمور التى تتعلق بالمرتدين، وكان ذلك إنما يعنى بداية محاكم التفتيش فى أسبانيا، ووصلت الأمور أقصى غاية الحدة عام ١٤٨٠ حين قرر عدد من أغنياء التجار المسيحيين الجدد فى مدينة «سيفيل» مقاومة محاكم التفتيش، غير أن أمرهم انكشف وحوكموا وأعدموا، وفى عام ١٤٨١ أحرق ستة رجال وامرأة أحياء وأعدم رئيس الجماعة. وطرد اليهود من أسبانيا نهائيا عام ١٤٩٢[١]، وانتقل اغلبهم للبرتغال التى طردتهم هى الأخرى عام ١٤٩٧ ، ورحل معظمهم إلى إفريقيا، واعتنق الباقون المسيحية دون إخلاص، حيث احتفظوا بديانتهم.

---

(١) وتم ذلك فى الوقت نفسه الذى سقطت فيه غرناطة آخر معاقل المسلمين فى الأندلس.

وبدأت محاكم التفتيش فى البرتغال عام ١٥٣٦ حيث عذب وأعدم عدد من المسيحيين الجدد. ونتيجة لهذا القهر والاضطهاد ترك المسيحيون الجدد اسبانيا والبرتغال إلى الشرق الأوسط وإيطاليا وهولندا وانجلترا، وأصبح لبعضهم وضع قوى جدا فى البلاط التركى. وعادوا فى مقرهم الجديد إلى ديانتهم اليهودية علنا. واعترفت بهم فرنسا رسميا عام ١٧٣٠، ومارسوا ديانتهم علنا فى هولندا فى مطلع القرن السابع عشر، وازداد نشاطهم فى البحرية التجارية الهولندية بحيث سيطروا على ربع أسهم شركة الهند الشرقية الهولندية.

وكان عدد «المارانوس» فى انجلترا محدودا، غير أن «أوليفر كرومويل» رحب بهم أملا فى عونهم على جعل لندن مركزا للتجارة الأوربية. وصدر فى عام ١٦٦٤ ميثاق رسمى يحمى الطائفة اليهودية، ومنحوا حرية العبادة عام ١٦٧٣ وعوملوا معاملة مساوية لباقى السكان.

واتجه «المارانوس» فى الوقت نفسه إلى الاهتمام باستكشاف العالم الجديد ومولوا هذه العمليات، وهناك مايدعو للاعتقاد ان «كريستوفر كولمبس» كان ينتمى إلى احدى عائلات المسيحيين الجدد. وانتقلت اعداد منهم إلى البرازيل فى القرن السادس عشر والى سورينام والمكسيك.

أما عدد «المارانوس» فى العالم اليوم فمحدود للغاية. وكان الاعتقاد سائدا بأن محاكم التفتيش قد قضت نهائيا على آثار اليهودية فى أسبانيا والبرتغال، غير أن يهوديا بولنديا يدعى «شوارز»، كان يعيش فى لشبونة جمع معلومات عام ١٩١٧ تدل على تجمعات من

«المارانوس» مازالت تلتزم بالتعاليم اليهودية. وقد بدأت أعداد المارانوس القليلة تضمحل حاليا حيث تزاوجت أجيالها الجديدة مع غير اليهود، وهاجر بعضها إلى إسرائيل. ولا يحتمل أن تبقى فئة المارانوس فى اسبانيا والبرتغال طويلا.

اليهود فى العصر الإسلامى

شهد مطلع القرن السابع (اليهود) يقطنون اغلب مناطق أوربا، وانتشار المسيحية الكاثوليكية وازدياد نفوذ الكنيسة على الحكومات، وبدأت المجتمعات اليهودية تواجه قدرها من النفى أو التعميد الاجبارى.

وكان اليهود يعيشون فى تجمعات صغيرةحيث يقيمون فى حى واحد «جيتو» فى كل من شمال إيطاليا، والنطاق الفرنسى الألمانى، وأسبانيا وفى بلاد هبطت فيها عناصر أخرى كالسوريين والفينيقيين. وقد اشتغل اليهود بكافة الحرف والأعمال، غيرأنهم بحكم بدؤهم الحياة فى الشتات عبيدا، فقد زاولوا الأعمال الوضيعة، ومنها الزراعة التى لم يكن يعمل بها فى إيطاليا غير العبيد.

ونظرا لانتشار المسيحية فى أنحاء أوربا، كانت الحكومات تجبرهم على اتباع تعاليم الكنيسة مما عزل التجمعات اليهودية ونحاها جانبا. وقد أدى هذا من ناحية أخرى إلى قلة عدد اليهود فى الدولة المسيحية.

الفصل الثاني

اليهود فى العصر الإسلامى

ظهور الإسلام:

ملحوظة مهمة: تمثل الصفحات التالية وجهة النظر اليهودية، وبعض الكتاب الأوربيين - وسنفند ما جاء بها فى التعليق، وقد آثرنا تركها عارية كما هى، حتى نعرف مايقوله الخصوم، أو الاعداء حتى نكون على بينة من أمرنا.

سكن الجزيرة العربية - منذ أقدم العصور - وهى مهد (الجنس السامى) - طوائف من البدو، حيث أقاموا حتى القرن السابع دون تغيير يذكر فى تلك الاقاليم، وكانت بطون منهم بين الفينة والفينة تترحل حيث يتوافر الخصب، والتقدم إلى الشمال أو شرقا وغربا.. فى مصر أو ساحل البحر المتوسط أو العراق، وذلك فضلا عن بقاع من أرض زراعية على السهل الساحلى يحيا عليها قلة منهم، إلى جانب اشتغالهم بالتجارة التى كانت قوافلها تذرع أنحاء الجزيرة. وكانت (مكة والمدينة) المدينتين الرئيسيتين فى الجزيرة. فكانت (مكة) فى مطلع القرن السابع يقطنها مابين عشرين وخمسة وعشرين الف نسمة من البدو أساسا. ولكنها - حتى ذلك الوقت - كانت أكثر من مجرد مركز تجارى، إذ كانت مقرا للكعبة ذات الحجر الأسود - النيزكى - قبلة الحجيج.

وكانت المدينة يومئذ أصغر حجما، ويقال ان منشئيها هم اليهود الذين أقبلوا عليها من اليمن، كما ان بعض امرائها كان يعتنق المسيحية حتى سنة ٥٢٥[١].

على أن اليهود فى واقع الأمر قد ألفوا فى الشمال الغربى للجزيرة مجتمعا كبيراً قويا بعد سنة ٥٢٥. وهيمنوا على كثير من المدن والعيون، ويقال إنهم هم الذين ادخلوا زراعة النخيل فى المنطقة، ومن ثم كانت لهم السيطرة على زراعة التمر المربحة وتجارته. وكانوا على علاقة طيبة بجيرانهم ممن وجدا، انفسهم منجذبين إلى اليهودية بحيث صارت عاداتهم وفنهم الشعبى عنصرا مهما فى انحاء المنطقة كافة.

وفى هذا الجو ولد « سيدنا محمد »- صلى الله عليه سلم - فى مكة سنة ٥٧٠ فى ظروف متواضعة إذ نشأ محمد كما يروى - راعيا للغنم ثم قائدا للقافلة ثم قائدا للعرب جميعا. إذ اتصل بكثير من المسيحيين واليهود فى طرق قوافله، فتأثر بعقائدهم، ثم لم يلبث أن شعر بأنه امتلك قوة النبوة، التى أقرتهاو أيدتها زيارات موسمية من السماء. حتى ظن فى نفسه وحده قوتين دينيتين. قوة «النبوة»وقوة«الرسالة» التى كان اساسها بسيطا اذ اعتنق مذهب اليهود فى وحدانية الله التى تتعارض مع مذهب المسيحية فى التثليث. وفى الدعوة إلى مجتمع واحد من المؤمنين. وطفق ينشر عقيدته سرا ويقنع الذين اتصل بهم. فكان من السباقين إلى دعوته العبيد وادنى طبقات الناس، على حين تجنبه الموسرون، ومن فى مستواهم لما وجدوا فيه من تهديد لوضعهم وقوتهم التى تهددتها فى (مكة) الأخطار.

---

(١) رأى اغلب المؤرخين اليهود والغربيين.

على أنه خوفا على حياته هاجر فى نفر قليل من أتباعه عام ٦٢٢ إلى المدينة. وإستأنف بذلك تاريخا كان أول التقويم الهجرى - وفى المدينة أمن محمد فى أتباعه، ولكنه لقى مقاومة لم يتوقعها من اليهود لتشابه دينه الجديد باليهودية، وإن كان يتوقع عطفا منهم، بل يتوقع أكثر من ذلك فيعتنق اليهود الإسلام بلا تردد، غير أن فشله فى ذلك إنما يرجع إلى أمرين، أولهما ماكان عليه يهود الجزيرة العربية من وعى ثقافى وتاريخى، كان علة ما كان منهم من موقف الازدراء نحو هذا الذى نصب نفسه نبيا فى أتباعه الأميين الغلاظ. وثانيهما ما كان عليه اليهود العرب من تقدم اجتماعى وسياسى، فلم تكن بهم حاجة إلى اعتناق أفكار جديدة تؤدئ بهم إلى التقدم الاجتماعى وقد أغضب «محمدا» معارضتهم فأعلن كراهيته لليهود كرها اثر على مجتمعاتهم فيما بعد تأثيرا كبيرا.

وفى سبيل نشر الاسلام الجديد عمد «محمد» إلى اختيار الأسلوب الروائى، إذ كسب أغلب الناس إلى دينه فى ساحة القتال. حيث خير المغلوبين وكانت جلتهم من العاملين فى قوافل التجارة من مكة - بين الإسلام أو فرض ضريبة على من لايؤمنون به. فلم يلبث ان أحرز من القوة بحيث سمح له بالحج إلى مكة التى اصبحت فيما بعد مركزاً إسلاميا وأصبحت الكعبة حرما إسلاميا رئيسيا.

وإذا الإسلام عند وفاة محمد عليه الصلاة والسلام عام ٦٣٢ يشمل الجزيرة العربية، وكان على اليهود والمسيحيين الذين رفضوا االإسلام أن يشتروا حريتهم بضريبة يؤدونها ويكونوا بذلك «ذميين» (أهل الذمة)، ولكنهم كانوا أقلية.

ويتسع الإسلام بعد ذلك فى مناطق كثيرة لاتكاد ترده فى الغرب الا قوة فيما وراء (جبال البرانس) وقوة الدولة (البيزنطية) فى الشرق. ثم يؤسس الدولة الأموية التى تنهار لتعقبها الدولة العباسية، ولايبقى من الدولة الاموية إلا عبد الرحمن بن معاوية الذى يفر إلى المغرب لينشئ دولة أموية فى الغرب لاتخضع للدولة العباسية فى الشرق(١).

عناصر يهودية فى الفكر الاسلامى:

كان (لليهود) فى الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام مجتمعهم النشيط بمدارسه ووسائل اتصاله بيهود فلسطين، و بابل، وكان لهم عند ظهور «محمد» - عليه الصلاة والسلام - أثرهم الكبير فى المجتمع العربى وفى اليمن خاصة. وليس من شك فى أن اليهودية قد القت بظلها الحيوى على العقل العربى، حيث انتقل إلى الإسلام قدر كبير من مبادئهم الأساسية.

ومن أمثلة هذا التأثير «وحدانية الاله»، وقدرة الإنسان على الاقتراب منه. كذلك آمن المسلمون كاليهود بخلود الروح وبالمسئولية الشخصية عما يقترف الإنسان فى الأرض، وفى أسبقية العدل وفى «إيتاء الزكاة» عن حق وعدل لاشفقة ورحمة بالناس. وكذلك يتشابه «الإسلام واليهودية» فى كثير من العادات. منها التولى إلى قبلة الصلاة، وغسل اليدين قبل العبادة، ولسوف يتبين من النظر فى «القرآن» الكثير من التأثير اليهودى الذى يدل على عبقرية العقلية

(١) هذا رأى المؤلفين اليهود المعاصرين فى الاسلام وعلى رأسهم «أبا ايبان» مؤلف اشهر الكتب عن سيرة الشعب اليهودى. وكذلك أغلب المستشرقين.

اليهودية. وكذلك عبقرية العقلية العربية التى أخذت تلك العناصر ووحدت بها شعوبا متفرقة فى أمة واحدة.

اليهود تحت الحكم الاسلامى:

وفى هذه الحقبة دخل العالم اليهودى عهدا جديدا من التوسع المادى والثقافى، إذ كسب اليهود قوة جديدة تحت الحكم الإسلامى، فقد كانت الجالية اليهودية فى بغداد كبيرة، بحيث وجد أحد الرحالة فى أخر القرن الثانى عشر بعد الحرب الصليبية مايقرب من ٤٠ر٠٠٠ يهودى لهم زهاء ٢٨ معبدا وعشر معاهد للتعليم العالى.

وفى فلسطين وقع اليهود على فرصتهم فى العودة وتقوية نفوذهم فى الأرض الأم من حيث يتيسر فى مفاوضات مع الخليفة التصريح لسبعين عائلة بالعودة إلى المدينة المقدسة ـ القدس ـ حيث لقى اليهود هناك الدعم بالتبرعات من كل مكان. وحيث وجدوا فى مولد هذا المجتمع من جديد، وإعادة بناء الحاخامية دليلا ملموساً على عروة وثقى لا انفصام لها بأرض الميعاد.

وقد استمر المجتمع اليهودى قائما حتى عام ١٠٩٩ عندما تحطم بلا شفقة على أيدى الغزاة الصليبيين ولم تكن القدس هى المدينة الوحيدة التى حققت النهضة فى العصر الإسلامى، فهناك طبرية وغزة وعسقلان وحيفا والرملة التى كانت زمنا ما مقرا للوالى والعاصمة الادارية لفلسطين. وكذلك كانت فى سوريا نهضة مشابهة بعد جلاء المسيحيين فقد تدفقت أفواج من اليهود على كل من طرابلس وصور وحلب. وكانت تعد جزءا من الأرض المقدسة. اما فى سوريا نفسها فقد كانت هناك دمشق التى تعد مركزا مهما وحيدا

للحياة اليهودية والعلم، خصوصا بعد احتلال السلاجقة للقدس سنة ١٠٧١.

وأصبحت مصر تحت الحكم الفاطمى منذ سنة ٩٦٩ مركزا للعلوم اليهودية، فقد ضمن الخلفاء الفاطميون حرية العبادات الدينية جميعا سواء فى القاهرة أو فى غيرها من ربوع الدولة الفاطمية الأخرى. وتأتى من بعد القاهرة الاسكندرية التى تفخر بمنزلتها التجارية، وفى الغرب من مصر قامت كذلك تجمعات يهودية برزت قوتها فى العصر الفاطمى فى «القيروان» وقد قادها رهط من علمائها الأفذاذ. وذلك فضلا عن تجمعات فى كل من طرابلس والمغرب، حيث أصبحت مدينة فاس مركزا رئيسيا للثقافة اليهودية. وكان اليهود ضمن مؤسسى مراكش سنة ١٠٦٢.

وكان التشريع الإسلامى منذ عهد «عمر بن الخطاب»، يضع المؤمن المسلم فى مرتبة اعلى من «الذّمى» إلى جانب منع بناء كنائس أو معابد جديدة. كما لم يكن يسمح لكنيسة أو معبد بالارتفاع عن المسجد المجاور. وكان على «الذميين» ركوب البغال والحمير دون الجياد. كما لم يسمح لهم بحمل السلاح، وكان التزاوج بداهة ممنوعا إلا بالإسلام، ومع ذلك فقد كان لليهود الحرية الكاملة فى ممارسة حياتهم العقيدية. فكانت لهم محاكمهم بسلطة قضائية مطلقة عليهم، كما لم يكونوا مجبرين على التقاضى أمام المحاكم العربية، أما الضرائب فكانت عليهم ضريبة الرأس كالمسيحيين،. وعلى الجملة فقد كانت المجتمعات اليهودية تستطيع أن تمارس حياتها الداخلية الخاصة بحرية كاملة، وكذلك أهملت القوانين التى تميز أهل الذمة

من المسلمين أحيانا كثيرة وأن فرضت فى بعض الأحوال أمور بولغ فيها كأن يحملوا على أعناقهم ما يميزهم، أو أن تتخذ النساء الذميات احذية من لونين أحدهما أحمر والآخر أسود مع جرس فى قدمها يعلن عن مقدمها. على أن زعماء اليهود لم يعترضوا على ذلك التميز حرصاً على بقاء الحواجز بينهم وبين غيرهم، ولذلك منع اليهود من بيع منازلهم لأحد كما منعوا من الاختلاط بالمجموعات العربية الأخرى. ومع ذلك تمكن اليهود من كسب احترام بعض الخلفاء والحكام، والدخول فى خدمتهم فى شئون الادارة والطب والشئون المالية والعلم.

وعمد بعض اليهود إلى اتخاذ الأسماء العربية رغم مانهى عنه الخليفة «عمر بن الخطاب» من قبل، عما صدر بلفظ «ابن» أو «أبى» فى الأسماء غير المسلمة.

وعلى جانبى البحر المتوسط كان اليهودى وحده هو القادر على التنقل من الشمال الرومانى أو اليونانى، إلى الجنوب الإسلامى العربى، وذلك بحكم مايعرف من لغات يجرى بها لسانه على كلا الشاطئين.

اليهود فى بلاد النهرين (العراق):

كانت غالبية من اليهود فى صدر الإسلام، لاتزال تعيش فى «بابل»، حيث عانوا نكسات قاسية ممن سبق من «الساسانيين». ومع ذلك فقد كانت أحوالهم خيرا لايقارن به حالهم فى المسيحية فلما أن التأمت جمهرة اليهود تحت راية الدولة الإسلامية عادت بابل فاستردت نفوذها على غيرها من مجتمعات يهودية كانت تنتشر

يومئذ من الهند إلى أسبانيا، وعاد زعيم الشعب المنفى زعيما روحيا لليهود، وكان يعين من أسر تزعم انتسابها إلى «الملك داود». وكان له مقعد فى المجالس الرئيسية فى الدولة. ولما أن انتقلت عاصمة الخلافة إلى بغداد انتقل معها، فقد أتاح الحكام المسلمون لليهود، وهم لايجندون فى الجيش الإسلامى، حرية أكبر فى أمور الدين والإقامة والعمل والحركة، وفتحوا امامهم وظائف الادارة فتولوا عددا كبيرا منها، فدخل اليهود بهذا إلى مراكز كبيرة فى الحكومة وخاصة فى الاقتصاد، وعادت لبابل قيادة العالم اليهودى. ومع ذلك كله ظلت فلسطين محط أنظار اليهود، حيث انعقدت بآمال المستقبل وعظمة الماضى مشاعر الشعب اليهودى نحو أرض الميعاد.

اليهود فى (أسبانيا) الإسلامية:

كانت أسبانيا فيما بين عام ٧١١ وعام ٧٥٦ وبعد أن فتحها «طارق بن زياد» حتى قيام الدولة الأموية فى حرب أهلية. وكانت أولى المدن الكبرى التى هاجمها الغزاة قرطبة فلما سقطت تلك المدينة المسورة كان اليهود وحدهم هم الذين رحبوا بالمسلمين و استقبلوا فيهم المحررين من الحكم المسيحى القاسى. فكان أن عهد اليهم المسلمون الغزاة اعترافا لهم بجميلهم بالحراسة، كما عهدوا اليهم، كلما سقطت مدينة بعد أخرى، حراستها حيثما توافر عددهم، واذا هم منذ البداية قلة موثوق بها فى أسبانيا الإسلامية.

ولم يكن غريبا لذلك أن يرتد حينئذ من اليهود وبعض ممن كان نزح إلى شمال افريقيا ويعودوا إلى الأندلس، حيث استأنفت الحياة اليهودية ازدهارها بقيام الخلافة الأموية المستقلة عن بغداد على عهد

«عبد الرحمن الأول» سنة ٧٥٦ فى عاصمته قرطبة التى تحولت بفضله إلى مركز علمى ثقافى كبير.

وقد انطلق الازدهار الثقافى فى أسبانيا الإسلامية جنبا إلى جنب مع التسامح السياسى، حيث حظى عدد من اليهود بمراكز إدارية كبيرة على عهد «عبد الرحمن الثالث». ومنهم «حسداى بن شابروت» ٩٥١ - ٩٧٠ الذى ترقى من فيزيائى فى البلاط إلى كبير مستشارى الخليفة فى الأمور المالية والدبلوماسية. وقد جمع «حسداى» شأن غيره من اليهود بين ولائه لحكام المسلمين وولائه العميق لشعبه. وكان فى اتصالاته الخارجية يتلقى المعلومات عن اليهود فى أنحاء العالم ولعله كان أول من علم بحملة الخزر اليهودية على ضفاف الفولجا والبحر الاسود. وقد استطاع أن يوجه إلى ملك «الخزر» رسالة تعد وثيقة ذات أهمية كبرى، إذ عبر عن استعداده للاستقالة من عمله المرموق فى اسبانيا لخدمة دولة يهودية مستقلة. غير أن «حسداى» لسوء حظه لم يحقق أمله، اذ لحق مملكة «الخزر» الدمار على يد الروس سنة ٩٦٩ قبل وفاة «حسداى» بعام واحد.

وقد لبث الازدهار الثقافى والاقتصادى الرائع فى قرطبة زهاء قرن كامل، حيث قضت سلسلة من حروب صحبها غزو «قبائل البربر» التى نجحت آخر الأمر فى تدمير المدينة، واجبار الكثير من اليهود إلى طلب الملجأ فى أنحاء أخرى من البلاد.

وكان بعد تحلل الخلافة فى أسبانيا أن تفتتت إلى إمارات صغيرة، ومن ثم عاش اليهود فى بعض هذه الإمارات حيث عانوا فى العهود التالية الكثير.

«الخزر»

جذبت قصة «الخزر» انتباه الكتاب منذ عرفها العالم الغربى، بفضل ترجمة كتاب «يهودا هاليفى» إلى اللاتينية سنة ١٦٦٠. ويتألف «الكوزارى» هذا من حوار فلسفى بين ملك الخزر وأحد الحاخامات، فقد وقع فى اثناء إحدى الحركات الشعبية الكبرى فى القرن الخامس أن استقرت قبيلة تركية تسمى «الخزر» على ساحل بحر قزين، ومنه إلى البحر الأسود، حيث تحولت بطون منها أواخر القرن الثامن إلى اليهودية وإن أقامت الغالبية على المسيحية أو الاسلام. وكان هناك من استوطن من قبل هذه المنطقة من يهود زادهم المهجرون عددا. وكان اليهود، كشأنهم دائما قد تصدروا الكثير من أعمال، كانوا هم الطليعة فيها فعلموا جيرانهم البسطاء وسائل الزراعة المتقدمة، وأساليب التبادل التجارى فيما بينهم، أو مع الأمم الاجنبية. ولعلهم علموا جيرانهم فن الكتابة إذ يقرر أحد الكتاب العرب فى القرن العاشر أن «الخزر» يستخدمون الخط العبرى. ومن ثم فليس الا توقع قدر من التأثير الدينى كذلك بطبيعة الحال.

ويبدو أن حكام «الخزر» قد استمسكوا بالعقيدة اليهودية ولكنهم بحكم عزلتهم عن مراكز العلم الكبرى قد عانوا من جهلهم «بشريعة التلمود». ولكن مأساتهم على كل حال انما بدأت فى القرن العاشر بانحلال الدولة العباسية وعلو الدولة البيزنطية، وسرعان ما اقتنص الروس الفرصة لغزوهم، ومع ذلك ظل الخزر رغم الهزيمة والاحتلال دولة يهودية اسمية حتى غزو المغول فى اواسط القرن الثالث عشر.

الثقافة اليهودية فى العصر الإسلامى:

شهدت أقاليم الدولة العربية نهضة رائعة، بلغت فى عمقها واتساعها، فضلا عن مقدار منجزاتها، ما يعادل إن لم يتفوق على غيرها فى عصر مشابه آخر من تاريخ الإنسان.

وقد برزت مظاهرها فى الفلسفة والعلوم واللاهوت والآداب واللغويات. ولم يكن دور يهود العالم الإسلامى فى تلك النهضة صغيرا، فقد كانوا جسرا ثقافيا دوليا حيث تناثروا بين الناس شرقا وغربا.

وكان هناك تعاون ملحوظ بين العرب واليهود فى الدراسات العلمية والفلسفية، وذلك بترجمة أمهات الكتب العربية إلى العبرية، كما كان اليهود نقلة الثقافة العربية إلى اوربا المسيحية، حيث ترجم يهود آخرون هذه الأعمال من العبرية إلى اللاتينية.

وكما كتب فلاسفة اليهود فى الإسكندرية أعمالهم باليونانية، كذلك كتب العلماء والفلاسفة فى العصر الأسبانى بالعربية، وكتب كبار شعراء العبرية مثل «سلمون بن جابيرول» و «يهودا هاليفى» أعمالهم الفلسفية بالعربية بسهولة تامة.

ولقد شهد هذا العصر كذلك، تجدد الاهتمام بالدراسات اللغوية المقارنة. كما كان هذا العصر كذلك «العصر الذهبى» للأدب العبرى. وكان من أشهر أدباء العبرية وشعرائها «صمويل بن ناجريلا» (٩٩٣ - ١٠٥٦) «وسلمون بن جابيرول» «ومسى بن عزرا» (١٠٥٥ - ١١٣٨) «ويهودا هاليفى» (١٠٧٥ - ١١٤١). الذين اورثوا من خلفهم من الأجيال تراثا له جماله الفنى الغنائى الرائع.

يهودا هاليفى «الشاعر الفيلسوف» :

عاش فى الاندلس حيث بدأ يكتب الشعر فى سن مبكرة. وأخذ عن أهازيج الغزل العربية ماطوعه إلى العبرية. وكان من أهم ماقدم للأدب اليهودى الأعمال الشعرية أغانى المنفى وقصيدة لصهيون التى حفظتها وروتها الاجيال اليهودية من بعد وحتى اليوم. بل لقد ادخلت الكثير من قصائده فى الشعائر الدينية، ومنها قصيدة «لصهيون» التى تنشد فى خدمات المعابد فى التاسع من شهر مايو.

وكان شعره يشمل أعماله الفلسفيه التى كان أعظمها الكزارى الذى كتب أساسا بالعربية، وفيه حرص على بيان سمو الديانة اليهودية على المسيحية والإسلام، وذلك على نمط الحوار «الأفلاطونى» بين عالم يهودى وملك من ملوك «الخزر» اعتنق اليهودية حديثا، حيث بسط فى فكره أن الفلسفة وأن أدت إلى اثبات فهى تؤدى وحدها إلى تأكيد العلاقة الوثيقة بين العبد وربه، تلك العلاقة المستمدة من نورانية النفس التى اختصت بها إسرائيل حيث وقع الاختيار على أهل الوحى والنبوة، فتمتعوا بالموهبة التى غرست أول ماغرست فى آدم، ثم توارثها «يعقوب» وبنوه ومنهم إلى الناس جميعا. وهو يضع إسرائيل من العالم بمنزلة القلب من الجسم. إذ بمده تقوم الروحانيات. ولم يكن له كذلك ان يترك قضية مثل الشتات فى كتابه، حيث قال: «هل لنا فى الشرق أو فى الغرب مكان تستقر فيه آمالنا». وما كان أمله إلا فى أرض اسرائيل.

ولقد دفعه حبه صهيون يوما إلى هجر وطنه وأهله وأصدقائه إلى القدس عن طريق مصر، ولقد وصلت قصة رحلته فى قصائد من شعره ورسائل بينه وبين مضيفيه من المصريين. ومع ذلك فلسنا

على يقين من وصوله إلى القدس، وإن روى فى أسطورة مؤثرة أنه قتل تحت سنابك جواد أحد فرسان العرب وهو قائم يبكى امام «حائط المبكى» الحائط الغربى.

«موسى بن ميمون» :

نصل بشخصية الحاخام «موسى بن ميمون» إلى ذروة الفكر اليهودى فى العصر الاسلامى، على أن شهرته لم تكن لذكائه وألمعيته بل لتأثيره فى الفلسفة الأوربية. وفى الحقيقة فقد وصل الفكر اليهودى بفضله إلى غير اليهود فى العالم.

ولد فى قرطبة سنة ١١٣٥، وتركت عائلته اسبانيا إلى فاس مع عديد من أسر أخرى، ثم رحلت من مصر إلى (فلسطين) ومنها انتقلت إلى الفسطاط حيث توفى «موسى بن ميمون» سنة ١٢٠٤.

كان «موسى بن ميمون»، شأن كثير من يهودى عصره، فيزيائيا، طبيبا لأسرة السلطان «صلاح الدين»، وقد كتب كثيرا من كتب الطب المعروفة والتى تكشف عن دراية كبيرة بالعلوم الطبيعية، وقد انتفعت بها جمهرة من طلاب العلم من بعده. وقد كان، على الرغم من اعتلال صحته، له دور فى شئون اليهود. إذ كان مرجعا ترجع إليه اليهود فى علم البحر المتوسط، وقد كرم بعد موته بالقول: «بين موسى وموسى.. لم يظهر مثل موسى»، ومن أعماله الفلسفية «مرشد الحائرين» وقد ترجم من لغته العربية إلى كثير من اللغات الأوربية، وتأثر به من العلماء المسيحيين «توما الاكوينى»خاصة، ومن (اليهود)«بارخ سبينوزا».

وكان «مرشد الحائرين» سببا فى شهرته عند الأوربيين، على حين اشتهر بين اليهود بكتابه «مشنه توراه» والذى قال عنه:

«سيعرف منه كل من يقرؤه من بعد الشريعة المكتوبة كل الشريعة الشفوية، ولن يضطر إلى دراسة كتاب وسيط آخر».

نهاية التجربة الذهبية:

لن يعيد العالم العربى ملك الوحدة السياسية المثالية والجمعية الدينية التى بذت يوما مراكزة العظمى فى أسبانيا وشمال أفريقيا.

ولقد حاول بعض حكام العرب فيما بعد أن يضعوا مسئولية ماحدث للدولة الإسلامية على أكتاف اليهود.

ولم يشهد اليهود فترة ذهبية فى حياتهم مثل تلك التى شهدوها فى هذه الفترة.

(تعليق)

هذه المؤلفات الصهيونية لها - مع التحفظ الشديد - بعض القيمة التاريخية. ولكنها على كل حال إنما تكشف عن نوع من الفكر اليهودى الجديد، بما يعتمد عليه من تزييف الحقائق التاريخية اذ يتجلى ذلك فيما يلى من أمور جوهرية خطيرة.

١- عدد اليهود فى العالم: ذكرت أرقام خيالية لاسبيل إلى الأخذ بها بالقياس إلى (ديموغرافية) السكان فى العالم واطرادها. من ذلك على سبيل المثال سكان فلسطين من اليهود أيام الحكم الرومانى وزعمهم أنهم كانوا قرابة ٣ ملايين نسمة وهو امر مع تناقضه مع هذه «الديموغرافية» يناقضوه هم بأنفسهم حين يذكرون سكان (مكة) عند مولد الرسول عليه الصلاة والسلام أنهم كانوا بين ٢٥,٢٠ ألف نسمة. وإذا كان كذلك يهود فلسطين وحدهم يومئذ فكم كان عدد سكانها أجمعين؟ كما ذكروا ان اليهود كانوا موزعين فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية. ولو أخذنا بقولهم لكانوا فى ذلك الزمان

زهاء ٢٠ مليونا، فكم يكون عددهم الآن فى جميع أنحاء العالم بعد مايقرب من الفى عام؟.

٢ـ محاولتهم إرجاع أصل المسيحية والإسلام فى فكرة الوحدانية إلى الدين اليهودى فيذكرون أن اليهودية أعطت للمسيحية «الله» و «العهد القديم» واذا كانت الوحدانية من اليهودية فهى ليست بالطبع كذلك فكرة «دنيوية» بمعنى أن اليهودية دين منزل على موسى عليه السلام «وآتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون. واذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذالكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم» .. (سورة البقرة الايتان: ٥٣،٥٢) .

ثم إن فكرة الوحدانية كذلك قديمة قدم «ابراهيم» عليه السلام، قال الله تعالى: «ماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين» .

ويقول الله تعالى أيضا عن ابراهيم: «فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برئ مما تشركون إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين» .

٣ـ لسنا ننكر تأثر بعض المستنيرين من أعراب الجزيرة العربية بالافكار اليهودية. ولكننا إنما ننكر أن تكون هذه الفكرة إنما جاءت إلى كل من النبيين «عيسى ومحمد» من اختلاطهم باليهود وحوارهم معهم ولم تنبع نبوتهم وحيا من عند الله. وإذا كان الأمر بهذا الحال،

فان الكثير من الاعتقادات القبلية الأفريقية كانت تعتقد فى «إله» واحد بمقولة إن النسب يتسلسل منه إلى أسرة الرئاسة الدينية، كما هو الحال فى الرئيس الدينى أو الزعيم الروحى الذى كان يشفى المرضى وينزل المطر ويعلن الحرب إلى جانب الزعيم السياسى للقبيلة. وقد عرف هذا فى كثير من قبائل اوغندا وكينيا ونيجيريا.

٤ـ مامن دليل تاريخى على ان اليهود هم الذين أنشأوا «يثرب». وإنما المعروف انها كانت موطنا لبعض القبائل «اليهودية» كقبائل «بنى قريظة» «وبنى النضير» و «بنى قينقاع». ولم يتفق المؤرخون على اصول هؤلاء «اليهود» أهم من عرب الجزيرة اعتنقوا اليهودية أم أنهم يهود مهاجرون، هبطوا يثرب كما هبطوا غيرها مثل «وادى القرى وخيبر وتيماء وفدك».

٥ـ لم يخرج «الرسول» صلوات الله عليه وسلامه للتجارة فى غير رحلتين إلى الشام، تخالفان الصورة التى أوردها، اذ كانت الأولى فى صحبة عمه «أبى طالب» وهو بعد فى الثانية عشرة من عمره، وعاد به من منتصف الطريق، وكانت الثانية فى تجارة «خديجة» وهو فى الخامسة والعشرين من عمره مع غلامها «ميسره». فلم تتح له تلك الفرصة المزعومة للمناقشات والمحاورات مع اليهود والمسيحيين فى أمور دينهم. بل كان الرسول كذلك يعرف «الحنفاء» الذين كانوا بالمنطقة ويؤمنون باله واحد وينفرون من عادات العرب فى الجاهلية وتقاليدهم، ولم يعتنقوا المسيحية أو اليهودية رغم وجودهما فى الجزيرة فى هذا الوقت.

٦ـ لاصحة لما زعم بأن كل من تبع الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى بداية دعوته السرية كانوا من العبيد والمستضعفين. فلم

يكن «ابو بكر» فقيرا ولامستضعفا. ولا كذلك كان «عثمان»، وغير هذين كثيرون.

٧ـ لم يعرف عما كان بين يهود يثرب ـ وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ـ أنه قام على حقد منه «عليه الصلاة والسلام». بل كان عن خيانة منهم. ولم يقبل أهل يثرب من قبيلتى «الاوس والخزرج» على اليهودية، رغم كثرة نسبية فى يثرب من يهود كانت لهم علاقات مع من جاورهم من العرب، وقد وجد عرب يثرب فى الدين الجديد دعما لهم ضد اليهود وضد موقفهم منهم. بل يذكر المؤرخون ماكان من تعاطف الخزرج مع الرسول عليه الصلاة والسلام منصرفه عن مكة من أجل رسالته، وقد كانت أم جده «عبد المطلب» من «بنى النجار من الخزرج».

ثم ان الرسول عليه الصلاة والسلام، لم يكن غير معروف فى يثرب عندما نزلها، يتلمس رضاء اليهود كما يدعى المؤلفون اليهود. بل كانت دعوته قد وصلت إلى يثرب عن طريق الحجاج الذين لقيهم ـ ﷺ ـ فى مكة عند الكعبة فى موسم الحج قبل الهجرة وفى «بيعتى العقبة الأولى والثانية»، فكان له اتباع وأنصار من «الخزرج» عندما بلغ يثرب، حيث تجلى ذلك رائعا فى ترحيبهم به وفى موقعة بدر الكبرى.

٨ ـ لم يدخل الإسلام أحد مضطرا أو مغلوبا على أمره. هل ننسى صلح الحديبية فى العام السادس للهجرة، أو ننسى شرط الكفار أنه اذا جاءنا أحد منكم مرتدا لانرده إليكم وإن جاءكم كافر يريد أن يسلم فعليكم ان تردوه، ويقبل الرسول والمسلمون بتسامحهم هذا الشرط أفى هذا ضغط أو غلب؟

ثم أى غلب أو قهر، فى فتح مكة - وفى عام الوفود- عندما فتحت أبواب مكة دون قتال فى العام الثامن، وحين أقبلت الوفود أفواجا تعلن إسلامها فى العام التاسع من مختلف أنحاء الجزيرة، وأين قوة السيف فى هذا؟.

٩- يكرر المؤلفون اليهود الحديث فى تأثير اليهودية دينا وفكرا وسلوكا على الإسلام، كما فى (أمور الوحدانية والبعث والحساب والقبلة والوضوء) ولم لايكون مصدر الدينين واحدا هو الله.

١٠- كيف كان موقف الإسلام من يهود المدينة؟ لقد عاهدهم الرسول صلوات الله عليه وسلامه على العيش فى سلام وألا يتعرضوا للإسلام. فأين حقد المسلمين من ذلك والحقائق التاريخية لاتشير ولاتؤيد الا عكس هذا. فقد كان اليهود يشيعون أنهم شعب الله المختار، ثم يفاجأون بأن عدد من التف حول الرسول من المسلمين يتزايد كل يوم، فتثور ثائرتهم، ويدبرون المكائد مع يهود خيبر، وتترامى الأنباء إلى «الرسول» بأن خيبر واليهود يعدون للإغارة على المدينة فتكون الضربة الوقائية بغزو الرسول - ﷺ - خيبر فى العام الثامن من الهجرة.

ومهما يكن من شئ، فإن أفكار المؤلفين اليهود بهذا الصدد ليست من عندهم كما يقولو ن ،فقد سبقهم اليها المستشرق «مرجليوث» .

ثم إن كان الحقد من جانب المسلمين، فماذا يدفع اليهود إلى الانضمام إلى الكفار وتحزبهم جميعا على المسلمين فى المدينة، واجتماعهم لحرب المسلمين فى غزوة الأحزاب فى العام الخامس للهجرة.

إن محاولة تزييف التاريخ مفضوحة، ولايفضح تزييفها إلا حقائق التاريخ نفسه.

القسم الرابع

اليهود وعصر النهضة
فى أوربا

الفصل الأول

المراكز الجديدة للإستيطان اليهودى

المراكز الجديدة للاستيطان اليهودى

ظل اليهود على مدى خمسة عشر قرنا يتجهون غربا ثم اختلف الاتجاه منذ بداية القرن السادس عشر بعد طردهم من اسبانيا والبرتغال، اذ سعى زهاء ٣٠٠ الف يهودى مطرود من الغرب إلى الالتجاء إلى اماكن اخرى. فذهبت الغالبية إلى موطنهم الاصلى شرقا وبدأ الشرق الاسط يمثل أهمية رئيسية فى التاريخ اليهودى حيث كان لوصولهم أثر كبير فى دول المنطقة الراكدة، وكانت كل من مصر وشمال افريقيا وسوريا وفلسطين قد شهدت منذ القرن الثالث عشر انخفاضا عاما فى عدد السكان، ففى مصر ورث المماليك امبراطورية الفاطميين[1] وارهقوا السكان بكثرة مطالبهم لتمويل مشروعاتهم العسكرية، فهبط عدد السكان إلى نصف ما كان عليه أيام الفاطميين.

وطفق اليهود يفدون افواجا على شمال افريقيا حيث اصبحت لهم مراكز هامة كما وفدوا منذ القرن الخامس عشر على تركيا حيث تولوا أمور التجارة. فما لبثوا فى بضع سنين من وصولهم أن سيطروا

---

(١) الحقيقة التاريخية ان المماليك ورثوا سادتهم الايوبيين.

على التجارة الدولية مع الشرق. واصبحت القسطنطينية مقرا هاما لهم بحيث وصل عددهم إلى حوالى ١٠٠ الف يهودى. وحين استولى العثمانيون على فلسطين عام ١٥١٧ . وفيها وجدوا عددا ضئيلا من السكان لايتجاز ١١٧٦ أسرة واقتصادا على حافة الخراب، وبدأ اليهود يتدفقون عليها محتشدين فى مدينة «صفد» فى الجليل خاصة وإنها أصبحت مركزا صناعيا وتجاريا وثقافيا هاما. وكانت «صفد» فى القرن السادس عشر مركزا لعدد مشهور من المتصوفة اليهود ابرزهم الحاخام «يوسف كارد» الذى ألف كتاب «شلهام اروخ» أى «القائمة المعدة» من اربعة مجلدات تضم التبصير بشئون الدين والحياة وقد عاش «يوسف كارد» فى الفترة (١٤٨٨ ـ ١٥٧٥).

وقام اليهود بدور نشط هام فى الحياة فى تركيا وكان ابرزهم أسرة «منديس» التى وصلت إلى درجة كبيرة جدا من الثراء، أصبح احد افرادها «يوسف منديس» مستشارا كبيرا للسلطان سليمان الكبير، ومنحه جزاء اخلاصه اقليم طبرية بفلسطين والذى اصبح ملاذا وحكرا على المهاجرين اليهود. ولما تولى السلطان سليم الثانى الحكم بعد والده سليمان عين «يوسف دوقاً» على «تاكسوس» وعدد من الجزر اليونانية. وقد اهتم يوسف بأحوال اليهود فى اوربا واستقرار المهاجرين فى «طبرية» التى أعاد بناءها بحيث اصبحت مركزا صناعيا وحث يهود اوربا على الهجرة اليها غير ان التجربة لم تنجح لانشغال جوزيف بمشروعاته السياسية ومع ذلك فقد كانت أول تجربة هامة سبقت تجارب القرن التاسع عشر، لاستيطان اليهود فى فلسطين، ويشبه يوسف إلى حد كبير «تيودور هرزل» أعظم الصهاينة

على الاطلاق اذ كان يحلم باستقلال اليهود وتحقيق كيان خاص بهم.

اما يهود شرق اوربا فقد احتشدوا حتى نهاية القرن الثامن عشر فيما يعرف الان بشبه جزيرة القرم. وكذلك فى «اوكرانيا» وروسيا البيضاء وبولندا وليتوانيا. وكانت مدينة «كييف» مركزا لنشاطهم التجارى والثقافى حيث كانت حلقة وصل بين روسيا والامبراطورية البيزنطية. وفى أيام الصليبيين اصبحت «كييف» مركزا للتجارة مع الولايات المتحدة الالمانية ولعب اليهود دورا كبيرا فى ذلك. وترتب على ذلك نشوء روابط اقتصادية وثقافية بين يهود روسيا ويهود المانيا. وفى منتصف القرن الثالث عشر استولى «المغول» على منطقة القرم حتى استعادها الأتراك فى نهاية القرن الخامس عشر. وفى ظل الحكم التركى نشطت الصلات التجارية بين المراكز اليهودية فى القرم والمراكز اليهودية فى الشرق الاوسط.

ولئن كان يهود مناطق البحر الاسود وجنوب روسيا قادمين أصلا من الشرق، فقد قدم يهود بولندا من غرب أوربا وخاصة من المانيا والدول الكاثوليكية اللاتينية، وأصبح فى يد اليهود زمام التجارة والمال فى بولندا وصدرت المواثيق التى تعطيهم كيانا قانونيا خاصا وتحميهم من الاضطهاد وكان اشهرها الميثاق الصادر فى عام ١٢٦٤ . وصدرت مواثيق مماثلة فى «ليتوانيا» بعد اتحادها مع بولندا فى نهاية القرن الرابع عشر. ومع ذلك فلم يخل الامر من بعض حوادث الاضطهاد لليهود كان مبعثها الغيرة من ثروتهم ونشاطهم الاقتصادى، وقد وصل عدد اليهود فى بولندا فى منتصف القرن

السابع عشر قرابة نصف المليون. حيث تأثروا بما حل ببولندا من كوارث فى القرن السابع عشر، وخاصة غزو التتار وغزو المسكوفيين حيث اضطهد اليهود وهلك منهم ١٠٠ ألف وهربت اعداد كبيرة منهم إلى المجر وتركيا وهولندا والمانيا.

وقد كان اليهود فى اوربا فى العصور الوسطى خارج التيار الرئيسى للحياة السياسية والثقافية والاجتماعية. وكانوا يشكلون طبقة منفصلة لاتتمتع بكافة حقوق المواطنة. وادى ذلك إلى انفصال اليهود عن العالم غير اليهودى، وإلى نشء «الجيتو» وهو اصطلاح يرجع إلى عام ١٥١٦ حينما أمرت جمهورية «فينيسيا» بفصل اليهود فى حى خاص سمى رسميا باسم «الجيتو نوفو» أو «المستقر الجديد» ورغم ماعانى الافراد فى هذه المعازل، فقد ازدهرت فى نطاقه وانتشرت أحياء «الجيتو» التى كانت محمية بأبواب ضخمة فى كافة مدن اوربا، وعاش اليهود داخلها فى اوضاع مزدحمة وضعت لها قوانين خاصة تستند إلى تعاليم التلمود. وكان المعبد اليهودى عصب النشاط الثقافى والروحى داخل «الجيتو» وأصبح لهم داخله مدارسهم ومحاكمهم وخدماتهم بل وسجونهم الخاصة ونوابهم المنتخبون لادارته. وقد بقى منها حاليا «جيتو براج» اشهرها واهمها كمركز حضارى لليهود بحيث اطلق عليه اسم «المدينة واسرائيل».

وقد شهدت اوربا كلها بداية عصر النهضة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر وكانت مراكزها الرئيسية فى روما وفلورنسا وميلانو وجنوا وفينيسيا. ولم يتأثر اليهود كثيرا برياح التغيير التى مست الحياة الثقافية فى ذلك الحين واقتصر نشاطهم على تدريس

العبـرية وتعلم اليـونانيـة حـيث بدأت الدراسـات العبـرية تزدهر فى إيطاليا ودرسها كافة الفلاسفة المطالبين بالاصلاح الدينى كسبيل لحسن فهم الانجـيل. واهتـمت اوربا فى عصـر النهـضة بالـدراسات اليـونانيـة وبالفـلاسفـة العـرب الذين اسـتفـادوا من التـقاليـد والتـراث الفلسفى اليونانى من أمثال «ابن رشد وابن سيناء» ولعب اليهود دورا هاما فى ترجمة الاعمال الفلسفية العربية إلى العبرية ثم إلى اللاتينية ومن ثم كانوا حلقة وصل بين الحضارة الإسلاميـة وعصر النهضة فى اوربا. (عن اغلب المؤلفات الاجنبية ومنها اليهودية).

وبدأ عصر الاصلاح الدينى فى أوربا بإعلان «مارتن لوثر» تحديه للكنيسة عام ١٥١٧، ونشأ الصراع داخل الكنيسة الكاثوليكية وضدها. وطالب «لوثر» بمعاملة أفضل لليهـود، ونشر فى عـام ١٥٢٣ كتـيبا بعنوان «لقـد ولد المسيح يهوديا» وكـان يتـصـرف املا فى ان يتـحـول اليهود فى آخر الامر عن ديانتهم إلى اعتناق المذهب الجديد. فلما لم يجد «لوثر» استـجابة من اليهود تحـول ضدهم وعلـى ذلك فانه رغم التـحـرر الذى احدثتـه موجة الاصلاح الدينى فان اليـهـود ظلوا على حالهم.

الصوفية والمسيح المنتظر

تتحكم الجـغرافيا فى حياة الشعوب حسب حسن طبائع الامـور. ذلك ان أهم عامل دائم فى تشكيل التاريخ القومى لشعب من الشعوب انما هو طبيعة الارض التى يعيش عليها. ولم يكن ذلك هو الحال مع اليـهـود. فرغم الشتـات والحرمان من وطن يختـصـون بـه، فقد حـملوا

معهم من تراثهم الثقافى والدينى مامنحهم وحدة الهدف والروح وضمن لهم البقاء والاستمرار. وكان لهم فى ولائهم للفكرة والعقيدة والكتاب واسلوب الحياة غناء عن الولاء لحكام زائلين. ويتزايد الاضطهاد ضدهم فى العصور الوسطى اتجه بعض اليهود إلى العزلة عن العالم الحقيقى والواقع إلى تأمل عجائب الكون ومن ثم نشأت حقبة التصوف الكبرى التى صيغ فيها التلمود وظهر «كتاب الخلق» الذى أعطى بعثا روحيا لكل الساعين للمعرفة الروحية. وأصبح هذا الكتاب من مصادر الفكر اليهودى الصوفى المعروف باسم «القبالة».

ونشأ إلى جانب الاتجاه المتصوف اتجاه جديد من واقع اقتناع اليهود بأن عقيدتهم هى المثلى وأن معاناتهم لن تلبث أن تنتهى وأنهم سوف يعودن إلى وطن اجدادهم القديم. وقد تطور هذا الاتجاه حول نظرية المسيح المنتظر أى المنقذ الذى لا ينقذ شعب الله ليس فى الحياة الاخرة فحسب، بل فى هذه الحياة كذلك. وقد قوى هذا الاتجاه فى ظل محنة طرد اليهود من اسبانيا وظهر عدد من الافراد ادعوا زورا أنهم المسيح المنتظر فى هذه الفترة مثل «دافيد ريوبينى» وتلميذه «شلومو مولشوا» الذى اعلن عام ١٥٤٠ عام الخلاص. غير أن المصائب توالت على اليهود ثم ظهر فى منتصف القرن السابع عشر آخر يدعى «شابتاى» أنه المسيح المنتظر، وأعلن أن عام ١٦٦٦ سيكون عام الخلاص لليهود. وانتظر اليهود ذلك بصبر نافذ. غير أن العام المذكور حل بدون تحقيق النبوءة وعندئذ ادانه أحد اليهود البولنديين واشتكاه لسلطان تركيا الذى اتهمه بأنه مدع أفاق واقنعته الحكومة التركية بالتحول للاسلام، وقد رضخ لذلك فى ١٦ سبتمبر

١٦٦٦ ، واصبح اسمه «محمد افندى» واختفى عن الانظار. واشتد اليأس باليهود الذين انتشرت بينهم دعوة «شابتاى زيفى» واعتبروا ارتداده عن الدين اليهودى من آلام المخاض التى تسبق ميلاد يوم الخلاص. وظهر بعده آخرون منهم «جاكوب فرانك» فى القرن الثامن عشر.

وبدأ اليهود فى اوربا يتأثرون بالافكار الجديدة التى حملها عصر التنوير والعلم فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على حين اتخذ يهود شرق اوربا من الدين ملاذا. وظهرت الحركة «الهاديسية» ثورة للبسطاء غير المتفقهين فى الدين ضد سلطة الحاخامات الصارمة وكان زعيمها الاول «اسرائيل بن اليعازر» المعروف باسم «بال شم توف» (أى سيد الاسم الطيب) الذى ولد عام ١٧٠٠ . وتخصص فى محاولة عمل المعجزات وركز على المشاعر باعتبارها أقوى من الثقافة والطبيعة باعتبارها أقوى من التعاليم الدينية الجامدة. وكانت لهذه المدرسة الجديدة جاذبيتها لدى يهود شرق اوربا الذين سئموا تحكم الطبقة العليا من اليهود الاثرياء المتعلمين وسيطرتهم، وأقام اتباع «بن اليعازر» بعد وفاته فى عام ١٧٦٠ على هذا الاتجاه وقوى نشاطهم فى بولندا بصفة خاصة. ونشأت معارضة ضدهم حيث حرم الحاخامات عام ١٧٧٢ نشاطهم. وكانت «الهاسيدية» تمثل قمة احدى فروع الصوفية اليهودية فى سعيها نحو خلاص الفرد بتركيزها على الاخلاص الداخلى والالتزام بأسلوب معين للحياة بحيث يعد اليهودى نفسه للاتصال بالله.

اما حركة المسيح المنتظر فكانت أوثق رباطا بالفكر اليهودى اذ

تركز على الخلاص للمجموع لا للفرد وتحقيق السلام للكافة والتبشير بالحرية السياسية والخلاص الروحى.

وكان من مآثر اليهود للعالم ايمانهم بالمسيح المنتظر واملهم الواضح فى عودة نعيم الجنة. بل نجد الاغريق وهم اكثر الشعوب القديمة تحضرا واصالة فكرية، لم يصلوا إلى نظرية حقيقية للخلاص، فاليهود وحدهم الذين تملكهم حلم تحقيق عالم من السلام والعدالة ويتحدثون دون كافة الشعوب القديمة عن العصر الذهبى فى المتسقبل لا الماضى(١).

فجر التحرر

كان فى غرب اوربا عند نشوب الثورة الفرنسية قرابة ٤٠٠ الف يهودى من بينهم ٣٠٠ ألف فى المانيا وحدها. غير أن أبواب الحضارة الغربية، رغم ماساهموا به فى دول اوربا من النمو الاقتصادى كانت موصدة دونهم. ورغم تحسن احوالهم الاقتصادية بعامة خلال القرن الثامن عشرة فقد ظلت غالبيتهم فقيرة تعيش فى «الجيتو» وتضطر لدفع ضرائب فرضت عليهم وحدهم بصورة مهينة غير ان الاقلية كانت قد اخذت تشق طريقها فى العالم الخارجى بعيدا عن عزلة «الجيتو» فوفرت بذلك أسس التحرر السياسى والثقافى والاجتماعى لليهود. ويرجع استكمال تحررهم السياسى فى نهاية القرن الثامن عشر إلى ثلاثة عوامل اولها الكفاءة العالية لرجال المال اليهود، وثانيها ما اتضح من تناقض التركيب الاقتصادى القديم مع

---

(١) رأى اغلب المؤرخين اليهود.

موجة العصر، وثالثها نمو الاتجاهات الانسانية المستندة إلى أسس المنطق والعقل.

وقد وجدت اوربا حينما انتقلت إلى عصر الرأسمالية والتجارة، ان اليهود بخبرتهم الطويلة هم اكثر العناصر حنكة فى امورها. فمنح البارعون منهم فى هذا المضمار وضعا خاصا اضفى عليهم لقب «اليهود المحميين» وظهر ماعرف باسم يهود البلاط وهم اليهود الذين عاشوا فى حماية احد الامراء دون قيود. فكان لهم مايشاءون من حق التجارة والسفر والملبس، وعليهم توفير القروض للبلاط والامدادات للجيش. فجمع الكثير من اليهود ثروات طائلة من وراء ذلك وارتفع بعضهم إلى طبقة النبلاء والارستقراطية وتحول بعضهم من مستشار مالى إلى مستشار سياسى للبلاط. مما فتح الكثير من الابواب امام اليهود فى كل مكان حيث حرصوا على تحسين احوال الآخرين من بنى ديانتهم. وبذلك نمت وازدهرت الجماعات اليهودية فى اوربا. ففى المانيا بدأت حركة تحرير اليهود واصبحت «برلين» مهد عصر التنوير اليهودى التى كان رائدها «موسى مندلسون» وراعيتها صديقه «جوتلد افرايم ليسنج» وكان «ليسنج» اول صوت مسيحى قوى ارتفع دفاعا عن اليهود.

وكان «ليسنج» اعظم مفكر واديب انجبته المانيا فى القرن الثامن عشر. وكان «مندلسون» يهوديا مصلحا حرص على تطوير المفاهيم اليهودية فلسفيا بما يتلاءم مع روح العصر. كما حرص على تطوير التعليم اليهودى داخل «الجيتو» بما يخرج اليهود من عقليتهم الجامدة ويحقق انفتاحهم على العالم الخارجى. وكانت اهم اعماله ترجمة

التوراة إلى الالمانية وحث اليهود على تعلم اللغة والثقافة الالمانية مما كانت له آثارة الكبيرة على الحضارة الالمانية والثقافة اليهودية فيما بعد وعلى ذلك فقد مهد الطريق لاندماج اليهود فى موجة التحرر العامة فى اوربا. فلما أقر تحرير اليهود من كافة قيود هم الاقتصادية والثقافية كانوا مستعدين تماما لذلك. وتخطوا فترة الصراع الأولى بين القيم اليهودية وقيم الحضارة الغربية.

وانتقلت موجة التحرر من المانيا إلى فرنسا خاصة مع الشعار الذى اطلقته الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩ وهو «الحرية والاخاء والمساواة» وعمل اليهود بنشاط لتحقيق هذا التحرر. وكان من اوائل من تصدوا لذلك «سبرف بر» (١٧٣٠ - ١٧٩٣) وهو من اوائل من تأثر من يهود فرنسا بروح التحرير الجديدة التى بدأها «مندلسون» واتباعه فى المانيا. وشكلت لجنة قدمت مقترحات للحكومة لتحسين اوضاع اليهود. واقنعوا الكونت «ميرابو» (١٧٤٩ - ١٧٩١) بتولى مطالبهم وكان عدد اليهود فى فرنسا عند نشوب الثورة الفرنسية أقل من خمسين الفا. وفى سبتمبر ١٧٩١ اعطت الجمعية الوطنية حقوق المواطنة لليهود بالمساواة مع سائر المواطنين دون قيود. ورغم ذلك استمرت معاناة اليهود فى فرنسا نتيجة لتحيز غير اليهود ضدهم حتى جاء «نابليون بونابرت» ووافق على منح اليهود كافة حقوق المواطنين الفرنسيين مقابل التزام اليهود واعلانهم عن ولائهم التام لفرنسا كسائر مواطنيها. وتخلى اليهود بمقتضى هذا الالتزام عن مطالبتهم بوجود تشريع خاص بهم ينظمه الحاخامات كما تنازلوا عن التمسك بوضعهم المستقل وتخلوا عن أمل العودة لأرض اسرائيل

واعلن زعيمهم «ابرهام.فيرتادو» قائلا: «لن نكون منذ اليوم دولة داخل الدولة. ان فرنسا معشر اليهود، هى وطننا وبلدنا «وكان ذلك عام ١٨٠٧ وكان ذلك يمثل نقطة تحول هامة فى التاريخ اليهودى حيث سيطر هذا الاتجاه على الحياة اليهودية فى غرب اوربا خلال أكثر من قرن.

ثم عقد مؤتمر «فيينا» عام ١٨١٥ بعد هزيمة «نابليون» فى «واترلو» وتوقيع فرنسا معاهدة صلح فى مايو ١٨١٤ لبحث الاوضاع فى اوربا حيث عرضت المشكلة اليهودية، وكان ذلك اول مؤتمر دولى كبير تبحث فيه هذه المسألة. وقد نشط اليهود فى شرح قضيتهم. على أن المؤتمر لم يتخذ قرارات حاسمة بحكم تغير الظروف وانحسار المد التحررى وعلو الافكار الجديدة لسيادة المسيحية الجرمانية، فكان كل ما استطاعه اليهود هو الاحتفاظ بحقوقهم المالية. ولم يكن ذلك بالمكسب الكبير حيث كان اليهود فى المانيا قد حصلوا على حقوق المواطنة فى ثلاث ولايات فقط. واستمر نضالهم من أجل التحرير على حين بدأت اتجاهات مناهضة لليهود فى النمسا والمانيا، وعاد اليهود إلى عزلة الجيتو. وبدأ اليهود يستخدمون سلاح الضغط الاقتصادى لتحقيق مطالبهم بالنظر إلى قوتهم الاقتصادية والمالية. ورفضت اسرة «روتشيلد» بما كان لها من بنوك فى العواصم الكبرى فى أوربا، منح القروض للحكومات التى تضطهد اليهود. وتمكن اليهود بنفوذهم الاجتماعى والثقافى من المناورة الفعالة لتغيير موقف الرأى العام لصالحهم وظهرت حركة للاهتمام بدراسة التاريخ اليهودى تجسدت فى فرع خاص من العلوم

يختص بدراسة اليهودية تزعمها كل من «جابريل ريزر» (١٨٠٦ - ١٨٦٠) «وليوبولد زنز». وبدأ اليهود بعد ما شهدته فرنسا من تغييرات تحررية فى عام ١٨٤٨ امتدت آثارها إلى المانيا والنمسا وايطاليا، يشاركون فى الاحزاب السياسية فى اوربا فتولى اثنان منهم عضوية الوزارة الفرنسية وانتخب جابريل ريزر نائبا لرئيس البرلمان فى بروسيا.

أما فى شرق أوربا، فقد كان اليهود منذ القرن السادس عشر ممنوعين من الدخول فى أقاليم روسيا القيصرية وكان «ايفان الرهيب» قيصر روسيا فى القرن السادس عشر يعد اليهود أفاقين أعداء للمسيحية. وظل الموقف على هذا الحال حتى وقعت التقسيمات الثلاث لبولندا اعوام ١٧٧٢، ١٧٩٣، ١٧٩٥ اذ ترتب عليها زيادة عدد اليهود فى المناطق التابعة لروسيا إلى ٩٠٠ ألف يهودى. ولم يعد من الممكن حل المشكلة اليهودية بمجرد ابعادهم من روسيا. ومن ثم صدر تشريع خاص بحقوق اليهود فى المناطق التى آلت إلى روسيا من بولندا بعد التقسيم. وقد تضمن هذا التشريع منع التميز عليهم ففرضت ضرائب مزدوجة على التجار اليهود. وازداد الوضع سوءا بعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥. وفى عام ١٨٣٥ صدر تشريع حدد مناطق استقرار اليهود بحيث اقتصرت اقامتهم على ليتوانيا وروسيا البيضاء واقليم كييف وأقاليم البلطيق واربعة اقاليم أخرى.

وتأثرت ثقافة يهود شرق اوربا فى القرن التاسع عشر بعاملين أولهما التنوير أو ماعرف باسم «الهسكالاه» Haskalah، وثانيها حركة «الهاسيدية» وقد سلفت الاشارة اليها. وقد استهدفت حركة التنوير

خلق الشخصية اليهودية الجديدة التى تستطيع تبوأ مكانتها فى المجتمع المعاصر. ومن ثم فقد عمل دعاتها على التطوير الجذرى لأسس الحياة والفكر والتعليم اليهودى. وتأثرت هذه الحركة بنظيرتها التى نمت فى المانيا، كما تأثرت بالانفتاح على العالم الخارجى تجاريا وثقافيا. وكان مؤيدوا هذه الحركة فى روسيا ينتمون للطبقة المتوسطة وكان من بينهم عدد من التجار والمهنيين الأثرياء. ومرت حركة التنوير بثلاث مراحل اتسمت أولاها بالاتجاه إلى احياء اللغة العبرية وتحليل التاريخ والأدب والفلسفة وعرفت هذه المرحلة بمرحلة احياء «علوم اليهودية».

اما المرحلة الثانية فكانت فى العقدين الثانى والثالث من القرن التاسع عشر وقامت على الدعوة النشطة من خلال الكتابات الصحفية وغيرها لنبذ الالتزام الجامد بالتقاليد القديمة ومحاولة الانفتاح على العالم الخارجى بثقافته وعلومه. أما المرحلة الثالثة فكانت فيما بين عام ١٨٤٠ و ١٨٦٠ اذ شهدت الانتقال من انتقاد التقاليد الجامدة الى شرح ثقافة اوربا المعاصرة، وتقدير قيمتها. ونجحت حركة التنوير فى تطوير مفهوم جديد للبعث القومى فولدت بين يهود روسيا السعى للبحث وحب المعرفة وحولت المتدينين من الالتزام الأعمى بالتقاليد إلى السعى للفهم الصحيح للدين. وولدت كذلك حركة بعث للثقافة العبرية كانت لها آثارها الضخمة على التاريخ اليهودى ومهدت الطريق لمولد الأدب اليهودى المعاصر وانتصار الروح العبرية وحب صهيون.

وقد ترتب على حركة التنوير والتحرر آثار انتقلت إلى الاجيال التالية أدت إلى ما عرف بأزمة اليهودى المعاصر فى المجتمعات

الغربية. ذلك أن كثيرا من اليهود استجابوا لدعوة التحرر والتنوير بسرعة شديدة وفهموها بحسن نية على أن تبيح لهم قطع روابطهم الراسخة بالتقاليد القديمة وأبناء عنصرهم. وحدث تغير جذرى فى سيكولوجية الشعب اليهودى. وتمزق درع الوقاية الذى تمسك به اليهود فى مواجهة عالم ينظر اليهم باحتقار. وتنازل اليهود، مقابل الاندماج فى العالم الخارجى، عن التمسك بخاصيتهم الذاتية القائمة على التقاليد اليهودية ومن ثم فقد اليهود وضعهم السياسى المتميز المستقل واصبح اليهودى مجرد مواطن ينتمى إلى دين مختلف. وارتبط التخلى عن الانتماء للماضى اليهودى المتميز بالتخلى عن التطلع إلى مستقبل يهودى منفرد متميز.

وادت روح الخنوع فى مواجهة الثقافة الغربية والخوف من الاتهام بعدم الولاء للوطن، إلى حذف رواد حركة الاصلاح الالمانية لاسم صهيون من كتاب الصلوات والغاء كافة آثار القومية من الاحتفالات والمراسم الدينية اليهودية.

ومع ذلك فما لبثت محاولات دعاة التنوير من اليهود الالمان محو الانتماء القومى لليهود ان تهاوت وفشلت بانتقال الريادة من يهود غرب اوربا إلى يهود اوربا الشرقية. واثبت التاريخ زيف الدعوة التى حملتها حركة التنوير فى اوربا الغربية بما ارتبط بها من تمسح بالحضارة الغربية وتخل عن التقاليد اليهودية. وكان فى نشوء حركة المعاداة للسامية فى أوربا الغربية برهان كاف على ذلك.

الفصل الثانى

المعاداة للساميه والهجرات

المعاداة للسامية والهجرات

اتخذت المعاداة للسامية شكلا جديدا فى القرن التاسع عشر. فقد عززتها النظريات العنصرية؛ واستخدمتها الأحزاب السياسية سلاحا. ولم يكن اضطهاد اليهود بالأمر الجديد، حيث استمر فى ظل الخرافات والتعصب الدينى منذ العصور الوسطى. غير أن الجديد إنما كان فى استمرار موجة التعصب فى القرن التاسع عشر، رغم ما شهده من ثورة التقدم الصناعى، وحركات التحرر الوطنى. ورغم قلة عدد اليهود فلم تبلغ ١ ٪ من مجمل السكان وأكثر من ١ ٪ قليلا فى ألمانيا وامبراطورية الهبسبورج، ومع ذلك فقد كان باقى السكان يحسون تجاههم بالعداء والريبة. وكانت ثورة الصناعة قد أحدثت تغييرات جذرية فى الاقتصاد العالمى. ونشأت طبقة وسطى، بلغت من القوة، بحيث تتحدى الارستقراطية المالكة للأراضى، على اساس اقتصادى. ووجد اليهود بمهارتهم فى شئون التجارة وضعهم المناسب فى ظل هذا التركيب الجديد. فدخلوا ميدان المضاربة من أجل المال. وقد أثار ذلك كراهية الطبقات الدنيا التى ظلت على فقرها، والطبقات العليا التى أخذت «البورجوازية» الناشئة تحل محلها. وأخذ اليهود

يسيطرون على البنوك والأعمال المصرفية، مما أكسبهم قوة اقتصادية وسياسية لما كانوا يقدمونه من معونات مالية للسلطة الحاكمة فى حروبها خلال القرن التاسع عشر، ولذلك فما أن انتهت هذه الحروب حتى انحسرت الحاجة إليهم أو ضرورة الالتزام بحسن معاملتهم.

ثم كان عام ١٨٧٣م أن وقع فى سوق المال فى ألمانيا كساد سريع، القيت تبعته على اليهود لاشتراكهم فى المضاربات التى أدت لهذا الكساد. فوجهت الاتهامات إلى اليهود وخاصة إلى أسرة «روتشيلد»، بدعوى أنهم يعملون على استغلال أوربا المسيحية وإفقارها، وتصاعدت الخشيه من اليهود لانعزالهم الدينى والقومى عن غيرهم، وانصرافهم عن الاهتمام بالمجتمع الاقطاعى والتركيب الدينى المسيحى، الذى كان فى طريقه إلى الزوال وتركيزهم نشاطهم فى تأييد القوى التقدمية والتحررية.

وفى عام ١٨٧١م نجح «بسمارك» فى توحيد شعوب الولايات الألمانية، مستخدما فى ذلك شعار القومية. وكان مفهومه للقومية، مطابقا لما نادى به فلاسفة أمثال «كانت» و «فخته» و «هيجل»، خلال الستين عاما السابقة. وكان ذلك يعنى قيام أمة ألمانية مسيحية تتخذ فيها حاجات الدولة أسبقية مطلقة على حاجات الفرد. ومن ثم عمل «بسمارك» على القضاء على كافة النزعات الانفصالية. وفى عام ١٨٧٣ بدأ حملة ضارية على الكاثوليك اضطهد خلالها وسجن رجال «الكنيسة الكاثوليكية» فى المانيا. وفى عام ١٨٧٩م شن حملة أخرى على الحزب التحررى الوطنى وأصبح اليهود الذين نشطوا، ضمن

الجماعات «الليبرالية» هدفا لهذه الحملة التى سرعان ما اتخذت شكل المعاداة للسامية. ونشط المحافظون بتأثير ماكتب فلاسفة كبار على رأسهم «تريشكة» و «فريدرك نيتشة» بما سمم الجو العام بالاحتقار الشديد لليهود.

وارتبطت معاداة السامية فى إمبراطورية المجر والنمسا بكراهية «الحزب الليبرالى» الذى ضم الطبقة الوسطى التى تعيش فى المدن. وتصاعدت الحملة ضد اليهود فيما بين عام ١٨٨٠ و ١٨٩٠م وتعددت حوادث الاضطهاد. بل لقد حاول الاشتراكيون تحريك العمال ضد اليهود فى المناطق الصناعية.

وقدمت «النظرية العنصرية» التى استندت إليها القومية الألمانية المحافظة على الاساس الفكرى القوى لمعاداة السامية فى العصر الحديث. فقد قدمت هذه النظرية ماسمى «بالدليل البيولوجى» على التفوق العنصرى للألمان، والانحطاط العنصرى لغير الألمان، وعلى رأسهم اليهود. وقد نشأت العنصرية الألمانية من خرافة «الآرية» التى ترد كافة اللغات «اللاتينية والألمانية والسلافية» إلى أصل «آرى» واحد، وترى فى كافة الشعوب المنتمية إلى العنصر الآرى صفات جسمانية مشتركة. ومن ثم ذهب الكونت «جوزيف دى جوبينو»، وكان دبلوماسيا فرنسيا، إلى أن الحضارة، إنما بدأها العنصرالآرى. وانطلاقا من ذلك اعتبر الألمان وهم التجسيد الباقى للنقاء العنصرى الآرى، جديرون بالتفوق.

وكان لفكرة التفوق العنصرى آثارها المدمرة على الشعب الألمانى، حيث نشأ عنها الخوف من خطر تلوث الدم بالتزاوج مع اليهود.

وفى فرنسا قوى جانب الحزب المحافظ الذى اعتقد زعماؤها بأن على فرنسا كى تستعيد قوتها ان تخلص نفسها من «الليبراليين» والاجانب واليهود. وقد قامت حركة العمل الفرنسى على هذه الأسس وترجمت النظرية الحديثة لمعاداة السامية إلى عنف منظم ضد الليبراليين واليهود.

وفى انجلترا ظهرت حركة معاداة السامية أمدا وجيزا حين كان «ديزرائيلى» رئيس الوزراء المحافظ، يستعد للمفاوضات حول مستقبل البلقان، وهى المفاوضات التى انتهت بتوقيع معاهدة برلين عام ١٨٧٨م، ووقف «الليبراليون الإنجليز الذين ساندهم اليهود عامة فى صف روسيا ضد تركيا، وكانت روسيا تضطهد يهود شرق اوربا على حين عاملت تركيا اليهود معاملة طيبة. لذلك تعرض اليهود لبعض الاتهامات بأنهم يضعون مصالحهم الخاصة قبل مصالح إنجلترا وإن انتهى ذلك سريعا.

أما فى روسيا فكان اليهود أكثر عددا منهم فى أى من دول غرب اوربا حيث كان بها ثلثا يهود العالم، وكانت التشريعات تقيد حرية اليهود فى الإقامة والنشاط الاقتصادى والزواج. فعاشوا فى عزلة عن سائر السكان. لايكادون يشاركون إلا قليلا فى الحركات التقدمية، ومع ذلك فقد اتهموا بالتواطؤ فى مقتل «الكسندر الثانى» فى عام ١٨٨١م وبالمسئولية عن انتشار الأفكار «الليبرالية» فى روسيا، خلال العشرين عاما التالية. حيث نمت هذه الافكار فى الأوساط الثقافية فى الجامعات التى كان يدخلها عدد ضئيل من اليهود. ومع ذلك فقد كانت هناك مجموعة صغيرة من شباب اليهود على رأسهم «ليون

تروتسكى، انضموا إلى «الحزب الثورى» واشتركوا فى تولى البلشفيك السلطة ١٩١٧.

وقد خلف القيصر «نيكولاس الثانى» من بعد أبيه «الكسندر الثالث» فى عام ١٨٩٤ وكان من الضعف بحيث اقنعه المحيطون به بأن (اليهود) اعدى اعدائه. وكانت وسيلتهم إلى ذلك «بروتوكولات» حكماء صهيون، وهى وثيقة استخدمت لإقناع القيصر بعداوة اليهود. ويذكر المؤرخون اليهود أن هذه البروتوكولات كتبت فى مكتب الشرطةالروسى فى باريس فيما بين ١٩٠١ و ١٩٠٥ ثم نشرت عام ١٩٠٥م، وسلمت للقيصر. على أن القيصر لم يكن يعتقد فى صحة هذه البروتوكولات، ومن ثم لم يولها اهتماما فى ذلك الوقت. ولم توزع على اوسع نطاق فى غرب أوربا خاصة الا بعد عام ١٩١٩م. وكانت البروتوكولات تستهدف الإعلان عن أن هناك حركة يهودية عالمية، تستهدف تدمير التنظيميات المسيحية القائمة، وفرض السيطرة اليهودية عالميا. والزعم بأنها صادرة عن تقارير لمؤتمر يهودى عالمى. واتخذ البعض من نشوب «الثورة البلشفية» عام ١٩١٧م دليلا على ان هذه المؤامرة اليهودية قد دخلت فى حيز التنفيذ خاصة وان «تروتسكى» و «بلاكون»[1] كانا من اليهود. وكان الهدف من ذلك كله تأكيد ما لابد منه من مقاومة «الليبرالية والاشتراكية» لانقاذ العالم من المؤامرة «اليهودية» الشريرة.

وقد كان لهذه الحملة أثرها، حيث قتلت القوى المعادية «للبلشفيك»

---

(١) من زعماء الشيوعيين هنغارى الاصل يهودى الديانة عضو مؤسس للجنة للحزب البلشفى الذى قام بثورة ١٩١٧.

فى جنوب روسيا الألوف من اليهود. وظهرت ترجمات للبروتوكولات باللغة الروسية واللغات الأوربية، وظهرت بعد ذلك ترجمة لها باليابانية والعربية. وقدمت على أنها تمثل تسجيلا لمداولات «المؤتمر الصهيونى الأول». حيث أثرت «البروتوكولات» فى نفوس الكثيرين. ومازال المعادون للسامية إلى يومنا هذا، يصرون على الاعتقاد بأن البروتوكولات تؤكد خيانة اليهود. واستخدمها النازيون لبث كراهية اليهود. وفى الولايات المتحدة وزعها «هنرى فورد «ونشرها فى جريدته»

كما نشرها الأب «تشارلز كولين» فى جريدته «العدالة الاجتماعية».

وكانت تستخدمها دوائر الحكومة السوفينية، ومختلف الحكومات الغربية ضمن وسائل معاداة السامية .ويؤكد اليهود ان معاداة السامية فى القرن التاسع عشر، كانت خديعة مريرة ليهود اوربا الذين أملوا فى العيش مواطنين داخل مجتمع يتقبلهم ويرحب بهم. فقد هاجمهم فلاسفة من أمثال «تريتشكة»، لأنهم لم يوائموا أنفسهم مع مستوى التطلعات الألمانية. كما هوجموا لأنهم اندمجوا فى المجتمع الألمانى، بصورة هددت بتلوث هذا المجتمع.

وفى ديسمبر ١٨٩٤م أدين «الفريد دريفوس»، وكان ضابطا يهوديا فى الجيش الفرنسى، بتهمة الخيانة، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة فى «جزيرة الشيطان». وقد أثار ذلك جدلا شديدا هز أركان الجمهورية الفرنسية وأثار الضمائر لعدة سنين. وكانت تهمته نقل معلومات عسكرية سرية إلى الألمان عن طريق سفارتهم،

واستخدمت الصحف المعادية للسامية الفرصة لتأكيد إدانته رغم ضعف الأدلة.

ومع ذلك وعلى الرغم من ظهور دلائل بتواطؤ آخرين. فقد اكتفى باعادة محاكمة «دريفوس» وخفض مدة العقوبة إلى عشر سنين حيث اصر الجيش الفرنسى على عدم الاعتراف بخطئه فى محاكمة «دريفوس». وقد اهتم اليهود بهذه القضية ورأوا فى ادانة «دريفوس» مساسا بهم جميعا، وكان «تيدور هرزل» احد المراسلين الاجانب الذين شهدوا إدانة «دريفوس» واعتبرها تزييفا للعدالة وترجمة لحرص غالبية الفرنسيين على إدانة برئ، ومن ثم إدانة اليهود كافة.

الفصل الثالث

هجرة اليهود إلى أمريكا

نظرة تاريخية للهجرة:

اكتُشف العالم الجديد مع ما وقع من طرد اليهود من أسبانيا فى زمن واحد. ولما كان لكل من اسبانيا والبرتغال السيطرة على المناطق المكتشفة، فقد أغلقت على الفور أمام اليهود وظل الحال على ذلك حتى احتل الهولنديون البرازيل ثم بعض الدول المجاورة، حيث أتاحوا لليهود الاستقرار هناك. غير أن الهولنديين ظلوا فترة قصيرة فى أمريكا اللاتينية ومن ثم كان بقاء اليهود قصير الأمد، وكان ذلك فى القرن السابع عشر.

وكانت المجموعة الأولى من اليهود التى هاجرت إلى امريكا الشمالية تضم ٢٣ مهاجرا قدموا من البرازيل فى سبتمبر عام ١٦٤٥م، واستقروا ضمن الجالية الهولندية الصغيرة فى منطقة امستردام الجديدة، وهى مركز تابع لشركة الهند الغربية الهولندية، على نهر «الهدسون»، وسرعان ما طلب «بيتر ستيفسنت» حاكم المنطقة ترحيلهم لما سوف يثيرون من اشمئزاز الناس، ورجال الدين، وكراهيتهم باعتبارهم أعداء للمسيحية، غير أنهم تقدموا بالتماسات

ساندتها شركة الهند الغربية. وسمح لهم بالبقاء بشرط إعالة انفسهم. ولما بسط البريطانيون سيطرتهم على أمريكا الشمالية ارتبط تزايد اليهود بالاستعمار البريطانى. ورفض رجال الدين المسيحيون المتعصبون فى «مساتشوستت» و «كونتكت» دخولهم، غير ان ولايتى «ميلا يلاند» و « رود أيلاند»، المتحررتين سمحتا ببقائهم، وسرعان ما اصبحت مدينة نيويورك مقرا للنشاط التجارى اليهودى وأقاموا معبدا ومدافن لموتاهم. وسمح لليهود بحرية العبادة والنشاط التجارى فى ولايتى «جورجيا وكارولينا» الجنوبية وذلك منذ بداية القرن الثامن عشر. وعند نشوب ثورة الاستقلال فى عام ١٧٧٦م كان اليهود مستقرين بصورة آمنة فى ١٣ ولاية، وسمح لهم فى عام ١٧٤٠م بمقتضى مرسوم من البرلمان، باكتساب الجنسية فى المستعمرات الإنجليزية بعد سبع سنوات من الإقامة وكان ذلك حدثا مهما فى تاريخ تحرر اليهود.

وعند نشوب الثورة وصل عدد اليهود مابين الفين وثلاثة الآف أسرة من بين مجمل السكان البالغين مليونين. أى أن نسبتهم كانت ١ر٠٪، وكانت لهم مصالح قوية فى المدن الساحلية وخاصة نيوبورت، وفيلاد لفيا ونيويورك وتشارلستون وسافانا. وكان ميدان نشاطهم الرئيسى فى التجارة مع إنجلترا ومستعمراتها. وكانوا من اكبر ملاك السفن فى أمريكا. ومن ثم فإن مصالحهم التجارية كانت تربطهم ببريطانيا، وكان أى تأييد منهم للثورة يعنى خرابا اقتصاديا. محققا لهم. ومع ذلك فقد ساندوا جميعا قضية الثورة والانفصال عن بريطانيا وانضموا إلى صفوفها وابدوا شجاعة فائقة فى الحرب.

الهجرة اليهودية إلى امريكا فى القرن التاسع عشر:

شهد القرن التاسع عشر حركة هجرة كبيرة من ألمانيا إلى أمريكا، بدافع من تكدس السكان والمجاعة والبطالة. وقد استقر فيما بين ١٨٢٧ ـ ١٨٢٨م اكثر من عشرة آلاف المانى فى نيويورك. وفى عام ١٨٤٧ هاجر خمسون الف المانى إلى الولايات المتحدة. وفى عام ١٩١٠م كان هناك ستة ملايين المانى فى أمريكا وهاجر معهم الالوف من يهود المانيا هربا من الاضطهاد والتعصب، ووجدوا فى امريكا المساواة والفرصة لتحقيق آمالهم. وكانوا معدمين فبدءوا بتجارة التجزئة المحدودة، واستقروا فى المدن الجديدة حيث اجتذبتهم مناطق استخراج الذهب فى كاليفورنيا فى منتصف القرن التاسع عشر ومن ثم كانت اكبر جالية يهودية فى سان فرانسيسكو حيث نشأت طبقة متوسطة يهودية دعمت مركزها فى السنوات التالية.

وبعد عام ١٨٧٠م كان معظم المهاجرين اليهود إلى امريكا من شرق أوربا حيث وصل عددهم إلى مئات الألوف وكان تأثيرهم قويا حيث تواءموا بسرعة مع الحياة الجديدة. وعلى خلاف اليهود الألمان، فقد تمسك يهود شرق أوربا بتقاليدهم وحياتهم الملتزمة، ومن ثم أتوا معهم بقدر كبير من الطابع اليهودى القديم، واليهم من ثم يرجع الفضل فى الحفاظ على التقاليد (اليهودية) من الضياع. واصبحت الجالية اليهودية الامريكية بفضلهم اقوى التجمعات اليهودية حتى قيام دولة اسرائيل. وقد استقر ٦٥٪ منهم فى المدن

الكبرى. واشتغلوا فى تجارة التجزئة والصناعات الصغيرة وخاصة صناعة الملابس والمهن الفنية. ففى عام ١٩٠٥م كان هناك قرابة خمسة آلاف طبيب يهودى فى مدينة نيويورك وحدها. ووصل بعض اليهود إلى مناصب كبرى مثل «لويس برانديز»و «فيلكس فرانكفورتر» اللذين عينا عضوين بالمحكمة العليا للولايات المتحدة.

يهود امريكا فى القرن العشرين:

استقر اليهود القادمون من ألمانيا فى أمريكا فى نهاية القرن التاسع عشر، وعملوا فى مجال المقاولات وتجارة التجزئة والجملة والبنوك والصناعة. وسرعان ما وفدت أعداد كبيرة من شرق اوربا كانوا فى وضع أسوأ، لافتقاد الخبرات التى تتواءم مع طبيعة الحياة الجديدة واشتغلوا بالاعمال اليدوية الشاقة وبرز منهم قيادات فى الحركة النقابية وتمتعوا بمستوى من المعيشة افضل مما كان فى دولهم الأصلية. ويتحسن مستواهم المعيشى. وبحلول عام ١٩١٤م وكان المهاجرون اليهود يتمتعون بوضع مكناتها الطبقة المتوسطة.

وكانت رغبة المهاجرين فى الاندماج فى الحياة الامريكية المستندة إلى المساواة بين الجميع، والرغبة فى الوقت نفسه فى الحفاظ على قيمهم وتقاليدهم اليهودية، وكانت اللغة الأصلية ليهود أمريكا ممن وفدوا عليها فيما بين ١٨٨١ ـ ١٩٢٤م، هى لغة اليديش وهى اللغة التى استقرت بين اليهود فى روسيا وبولندا خمسة قرون من قبل. وقد احتفظوا بها فى مجتمعهم الجديد. غير أن أطفالهم بدءوا ينتظمون فى المدارس الأمريكية ويتشربون الحضارة الأمريكية وبدأ الارتباط القوى بثقافة «اليديش» يتوقف منذ الجيل الثانى

للمهاجرين، وكان هناك انفصال بين اليهود الالمان وبين يهود شرق اوربا الاكثر عددا، غير أن وحدة الدين ربطت الجميع، وان انقسموا دينيا ثلاث مجموعات، اولاها «المجموعة الاصلاحية» التى جمعت اليهود ذوى الأصل الألمانى خاصة. ثم (المجموعة المحافظة) ثم (المجموعة المتزمتة)، «الارثوذكس»، وانشئت الكليات والمعابد اللاهوتية للتفقه فى الدين اليهودى كان اولها ذلك الذى انشئ فى مدينة «سنسيناتى» على يد «اسحق مايروايز» عام ١٨٧٥م. وبدأ عدد من الجامعات الامريكية ينشئ اقساما للدراسات اليهودية. وبنهاية الحرب العالمية الاولى كان أهم ما انتجه العلماء اليهود فى المجال الثقافى اصدار دائرة المعارف اليهودية باللغة الانجليزية.

وبذلت محاولات لتوحيد صفوف اليهود من مختلف المجموعات فى أمريكا لم تكلل بنجاح كبير، غير أن الجميع اتحدوا فى ضرورة مساندة اليهود فى المناطق الأخرى من العالم فى اوقات المحنة.

القسم الخامس

أوضاع اليهود السياسية والإجتماعية قبل ظهور الصهيونية

الفصل الأول:

أوضاع اليهود عامة قبل ظهور الصهيونية

الفصل الثاني:

الهاسكالا

الفصل الثالث:

أحباء صهيون

الفصل الأول:

أوضاع اليهود عامة قبل ظهور الصهيونيه

أوضاع (اليهود) السياسية والاجتماعية
قبل ظهور الصهيونية

أولا: القومية، الاندماج، الصهيونية:

لعبت الحركات القومية دورا كبيرا فى تاريخ أوربا خلال القرن التاسع عشر. ونتج عنها توحيد ألمانيا وإيطاليا ونمو الحركات الاستقلالية فى البلقان، ومحاولة بولندا الانفصال عن روسيا. وقد أثرت القومية على اليهود حيث هددت الثورتان الفرنسية والأمريكية بأفكارهما حول المساواة بين الجميع استمرار وضع اليهود كيانا عرقيا وثقافيا منفصلا. ففى فرنسا منحت الجمعية الوطنية اليهود مساواة تامة فى الحقوق أفرادا لا طائفة قومية. ونصح اليهود بالتخلى عن وضعهم كدولة داخل الدولة وكذا عن قوانينهم ومؤسساتهم الخاصة، وتقبل الثقافة والحضارة القومية الفرنسية، وإلا أبعدوا. وامتد ذلك من دولة إلى أخرى داخل أوربا. ومن ثم أصبح التحرر مرتبطا بالإندماج. وقد استجاب كثير من اليهود خاصة «الإصلاحيون» لهذه الدعوة، بحيث اعلن بعضهم التخلى عن الرغبة فى أن يكون لهم وجود قومى منفصل. ومع ذلك بقيت جاليات يهودية على تضامنها

وتمسكها بتقاليدها، وهو ماعززه نمو الحركات الحديثة المعادية «للسامية»، ومن ثم نشأت الصهيونية ابتداء من القرن التاسع عشر، وظهر مؤرخون مثل «سيمون دينو»، أبرز من طالبوا بوضع برنامج للتحرر دون الاندماج، وأدى هذا الاتجاه إلى جنوح اليهود إلى التمركز فى مناطق خاصة بهم، وأسس البارون «موريس دى هيرش» «جمعية الاستيطان اليهودى» عام ١٨٩١م، وكان مشروعه يقضى باستيطان ثلاثة ملايين يهودى فى «الأرجنتين» غير انه فشل، وفى عام ١٩٠٣م، عرضت بريطانيا «اوغندا» لاستيطان اليهود، غير أن فلسطين أخذت تجتذب عقول اليهود وأفئدتهم، بحيث اصبحت البديل الواقعى الوحيد، فكانت استجابة اليهود عامة وقوية لنداءات «موسى هيسى»و «ليون بنسكر» التى سبقت دخول الدعوة الصهيونية مرحلتها السياسية على يد «تيدور هرتزل».

كان عدد «يهود» العالم وقت طرد اليهود من اسبانيا زهاء مليون ونصف، ووصل فى منتصف القرن التاسع عشر إلى حوالى أربعة ملايين وسبعمائة وخمسين ألفا منهم قرابة ٧٢٪ يعيشون فى شرق اوربا، و ١٤٫٥٪ تعيش فى غرب أوربا وحوالى ١,٥ تعيش فى أمريكا و ١٢٪ فقط تعيش فى الدول الشرقية وشهد القرن التاسع عشر تحولا كبيرا فى وضع اليهود وخاصة فى غرب أوربا، حيث لعبوا دورا كبيرا فى الاقتصاد والسياسة والمجال الثقافى، وفى أوربا الشرقية وروسيا تزايد نشاطهم وثقافتهم، فولد ذلك رد فعل معادى لهم وضح فى مذابح «اوديسا» ضد اليهود فى عام ١٨٧١م كما وضع فى مؤتمر برلين الذى ضم زعماء القوى الكبرى عام ١٨٧٨ حيث عارض ممثل روسيا مساواة اليهود الروس فى المعاملة مع باقى المواطنين.

وجاء اول رد فعل فى روسيا لسوء معاملة اليهود عام ١٨٨٢م من يهودى من مدينة أوديسا يدعى «ليون بنسكر» فى كتيب نشره بعنوان «التحرير الذاتى» حاول فيه المواءمة بين مفهومى التقليدية والتحرر، فأشار «بنسكر» إلى تعذر العودة إلى «الجيتو» والتخلى عن التحرر فكان ينبغى عندئذ البحث عن وسيلة للتحرر لاتؤدى إلى ضياع اليهود ووضعهم تحت رحمة غيرهم، ووجد الاجابة على ذلك فى فكرة التحرر القومى لليهود، ولما كان اليهود دون القوميات الاخرى، لايملكون وطنا فقد أثار فى الاذهان ماضى اليهود الدينى والسياسى عندما كان لهم وطن، وكان الحاخام «زفى هيرش كالشر»، قد الف كتابا عام ١٨٦٢م اثبت فيه أن الوعد الذى تضمنه الإنجيل لليهود انما يعنى عودتهم إلى ارض اجدادهم، وطالب «موسى هيس «فى كتابه «روما والقدس» باقامة دولة يهودية ترتكز على المبادئ الأخلاقية باعتبارها الحل الأمثل لمعاناة اليهود، غير أن «كالشر» و «هيسى» لم يستطيعا تنظيم حركة لتأييد هذه الأفكار، وأن بلورا اساس مولد الصهيونية، وفى الدعوة التبشيرية والمثالية الاجتماعية.

وأسس «ليون بنسكر» جمعية نشر الثقافة بين اليهود وألف كتيبا بعنوان «لوم من يهودى روسى لاخوانه» أصبح احد المؤلفات الاساسية للحركة الصهيونية، ومهد لكتابه «التحريرالذاتى» الذى فصل فيه العلاج لمحنة اليهود بالحصول على قاعدة اقليمية حددها فيما بعد بأنها فلسطين.

على أن كل هذه الكتابات لم تغير كثيرا من موقف أولئك الزعماء اليهود الذين وجدوا فى الاندماج ضرورة لمستقبل اليهود. ولم يبدأ اليهود يشكون فى نظرية الاندماج إلا بعد أن خابت تطلعاتهم، بسبب تحول القومية الليبرالية وظهور النظريات العنصرية وتطورها إلى

معاداة السامية وقد وقعت حادثتان كان لهما أثر تاريخى فى هذا الصدد، أولهما محاكمة «دريفوس»، والثانية المذابح التى نزلت بالروس فى روسيا القيصرية فى عام ١٨٨١م.

وكانت فلسطين فى عام ١٨٩٧م تحت حكم الامبراطورية العثمانية، منذ عام ١٥١٧م، واستمرت كذلك حتى عام ١٩١٧م، وكان التدهور الاقتصادى والسياسى الذى بدأ يزداد، فضلا عن المجاعات وتدمير المحاصيل، وافتتاح طريق «رأس الرجاء الصالح» للتجارة إلى الهند ان فقدت فلسطين مركزها الحيوى معبرا لهذه التجارة ومركز اقتصادها.

وفى عام ١٨٤٥م كان هناك حوالى ١٢ ألف يهودى فى فلسطين كلها معظمهم مركزين فى مدينة القدس، وصفد، وطبرية، وهبرن، وكانوا جميعا فقراء يعتمدون على الاعانات الخيرية من الخارج، وفى عام ١٨٨٢م، ازداد عددهم إلى ٢٤ ألفا.

وكان عام ١٨٨٢م عاما فاصلا فى تاريخ فلسطين فقد وصلها فى هذا العام من روسيا أول مجموعة من المهاجرين من ١٥ رجلا وامرأة عملوا فى الزراعة فى مستوطنات، وكانوا ينتمون إلى جماعة عرفت باسم «بيلو» وهو اصطلاح عبرى معناه «بيت يعقوب»، وكان هدفهم العودة إلى الأرض لزراعتها ورعايتها، وقد تمكن المهاجرون من هذه الجماعة من إنشاء ١٨ مستوطنة زراعية خلال الخمسة عشر عاما التالية.

تجاوب يهود روسيا واوربا الشرقية مع الأفكار والاتجاهات السياسية والدينية، التى دعت إلى التحرر، وذلك بالهروب والهجرة إلى مايسمى بأرض الميعاد. وكان يهود روسيا وأوربا الشرقية يقدرون حينئذ بحوالى خمسة ملايين، موزعين بين عقلية «الجيتو»

وبين الليبرالية، والقومية التى انتشرت فى بلدان أوربا الغربية، حيث ظهر فيهم مفكرون وكتاب وشعراء أثروا فى توجيه ماكان معروفا لديهم باسم «الشتات»، فقامت حينئذ حركة «الهاسكالا» بقيادة «مندلسون» التى تنادى بـ «النهضة والاستنارة»، ومحاولة التوفيق بين الدين اليهودى وروح العصر.

غير ان يهود روسيا واوربا الشرقية عامة لما لم يجدوا فى الهاسكالا أهدافا معقولة تخلصهم من شتاتهم وعذابهم، تحولوا إلى تأييد حركة جديدة سميت باسم (حركة أحباء صهيون)، تدعو للهجرة إلى فلسطين أرض الميعاد. وقد انتشرت هذه الدعوة فى أنحاء روسيا، ومنها تسربت إلى المهاجرين فى فلسطين، فى القرن التاسع عشر، أيام ظهور كتاب «ليوبنسكر» «التحريرالذاتى» الذى أثر بمبادئه فيمن هاجر من الروس «البيلو» إلى فلسطين، وذلك فى موجات متتابعة بعد اغتيال القيصر «الكسندر الثانى» عام ١٨٨١م. ومن ثم اهتم يهود روسيا بما كان يروى من أخبار عن «موسى منتيفيورى» و «ادموند روتشيلد»، وعن المسيحيين ممن يساندون الحركة(اليهودية) مثل «جورج اليوت».

وقد رأينا أنه من الضرورى أن نعرف القارئ بما قامت عليه حركة «الهاسكالا» وحركة «أحباء صهيون»، اللتان مهدتا للصهيونية السياسية.

«الهاسكالا» "HAskala"

أولاً: (الهاسكالا Haskala) هى: (الحكمة و الفهم)، وفى العبرية الحديثة: التنوير (Enlighten ment)، وقد قامت هذه الحركة مابين ١٧٥٠ و ١٨٨٠م، وموسسها جودا جيليت "Juda Jeilets" عام ١٨٣٢م، ويعد «موسى مندلسون»، الباعث الحقيقى لهذه الحركة، عندما كان اليهود معزولين عن المجتمع الذى يعيشون فيه. وكانت دراسة التلمود أهم شئ فى حياتهم، الحاخام هو المثل الأعلى لشباب اليهود، فى حياة الجالية اليهودية الدينية والدنيوية، ولكن «موسى مندلسون» شذ عن هذا الطريق.

ولد «مندلسون» عام ١٧٢٩م فى مدينة أودسا "Odossa"، وفى عام ١٧٤٣م درس فى برلين الفلسفة والرياضيات واللغة اللاتينية والفرنسية والإنجليزية، علاوة على الألمانية. وفى عام ١٧٦٣م أصبح «يهوديا محميا» (Aprotected Jew). وحصل على جائزة اكاديمية العلوم فى برلين، وكان منافسه لهذه الجائزة هو الفيلسوف الالمانى «كانت»، وقد لقب «مندلسون» «بسقراط المانيا».

وفى عام ١٧٨٣م بدأ اهتمامه بالدين اليهودى، وترجمة التوراة

إلى اللغة الألمانية، وكان يدعو اليهود لتقبل ثقافة البلد الذى يقيمون فيه، وليتأقلموا مع البيئات والمجتمعات التى يعيشون فيها، كى يصبحوا مواطنين لايختلفون عن غيرهم الا بالدين. وكان يرى الأمر ممكنا بواسطة تطوير الدين اليهودى على أساس الحضارة الغربية، مع دراسة اللغة العبرية.

بدأت آراء «مندلسون» بالانتشار فى ألمانيا فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر. ولذا كانت الهاسكالا هى الخطوة الأولى نحو الاندماج، وفى بعض الاحيان نحو التنصر. وفى بروسيا كذلك كانت بالنسبة ليهود النمسا والمقاطعات التى كان فيها تأثير الألمانية كبيرا.

أما فى روسيا فقد اختلفت الاوضاع، فأول من أدخل حركة الهاسكالا إلى روسيا هو «مندل ليفن» (Mendel levin) (١٧٤١ ـ ١٨١٩م) ويمكن اعتبار أحادها عام ١٧٢٧ ـ ١٨٥٦م من أوائل رجال هذه الحركة، ولم يكن لهذه الحركة فى روسيا برنامج معين ولكنها كانت تتبع المثل التى أعطاها «مندلسون». وكان رجال هذه الحركة يدرسون العبرية والروسية والألمانية، وأخذوا ينتقدون «الحاصدية» وهى «حركة دينية يهودية تصوفية» كانت منتشرة بين يهود شرق اوربا، وقد أصدر رجال الحاصدية قرارا مؤداه ان كل من يتبع (الهاسكالا) يعد خارجا على الدين "Heretic".

فبينما كانت الهاسكالا فى المانيا خطوة إلى الاندماج فى الثقافة العصرية للمجتمع، أخذت هذه الحركة طابع الانعزال فى روسيا. اذ كان اتباع هذه الحركة مبعدين ومضطهدين من قبل معظم الجاليات اليهودية، وبالرغم من ذلك فقد زاد عدد أتباع الهاسكالا فى روسيا، وظهرت محاولات عديدة لإيجاد مدارس للأطفال، لتلقينهم مبادئ

الهاسكالا. وفى عام ١٨٢٢م إفتتح «بار هارونز» من أوكرانيا أول مدرسة علمانية فى روسيا، على ان تسير حسب تعاليم «مندلسون».

ولم تكن الهاسكالا حركة شعبية فى روسيا، اذ أن معظم اليهود كانوا ضد هذه الحركة، وعندما حاولت الحكومة الروسية إدخال التعليم المدنى بين اليهود، حاول اتباع الهاسكالا استغلال هذه البادرة، إلا أن طريقة الجبر فى التعليم جعلت رد الفعل مغايرا، ثم كون اليهود الروس التابعون لهذه الحركة جمعية باسم «ترقية الثقافة بين يهود روسيا» وحاول زعماء هذه الجمعية ان يطوعوا آراء «مندلسون» لاحتياجات اليهود فى روسيا، بحيث تواكب ظروف روسيا السياسية والاجتماعية ولكن الصعوبات التى كانت تواجه اليهود فى الحصول على وظائف مدنية بعد التعليم جعلتهم يتجهون إلى الدراسات العبرية على حساب الموضوعات الأخرى. أما الحركة الوحيدة التى أثرت فى يهود روسيا وفى دراسة العبرية فهى الحركة الوطنية، وقد بدأت بكتابات «بطرس سمولنسكن» الذى ثار على البرنامج الذى اتبعته الهاسكالا وعلى «موسى مندلسون».

وبعد اضطهاده عام ١٨٨١م، اتجه معظم رجال الهاسكالا إلى الحركة الصهيونية التى كانت تعبر عن رغباتهم، وأصبحت حركة الهاسكالا بمثابة التمهيد الواقعى فى كثير من جانب الصهيونية مع اختلاف اساسى فى ان الهاسكالا كانت حركة ثقافية بينما الصهيونية حركة منظمة تعبر عن تطور الرأسمالية وايديولوجيتها بين اليهود فى أوربا الشرقية، إلا أن الصهيونية أخذت عن الهاسكالا التأكيد على الناحية العملية والعلمانية فى حياة اليهود، وتنمية اللغة العبرية كلغة

ادبية يومية، بعد أن كانت لغة الصلاة، وتشترك الصهيونية مع الهاسكالا فى احتقار اللغة البديشية لغة الشتات.

فالصهيونية تدعو إلى قومية يهودية منفصلة معتمدة على غير اليهود لمساعدتها فى تحقيق أهدافها، وترى أنه لامكان لليهود فى أى مجتمع، وفى أى نظام اجتماعى، خارج فلسطين.

أما (الهاسكالا) فكانت تتفاءل بالنسبة لمستقبل اليهود فى المجتمعات التقدمية ـ الديمقراطية، وكانت تدعو إلى الاندماج مع غير اليهود فى مجتمعات اوربا الغربية. مع أن اتباع الهاسكالا لم يكونوا يطالبون بالاندماج كلية مع اهمال لغتهم ودينهم، فى حين قامت الصهيونية على فكرة عدم الاندماج، أخفقت الهاسكالا فى استقطاب اليهود، على حين نجحت الصهيونية. وقبل أن يظهر «تيدور هرزل» ليبلور أهدافهم وشعورهم ويوحد جهودهم فى الحركة الصهيونية السياسية، ظهرت هناك حركة صهيونية بين يهود شرقى أوربا هى حركة «احباء صهيون».

الفصل الثالث

أحباء صهيون

أحباء صهيون» "Hibbat Zion"

بعد اضطهاد اليهود فى روسيا عام ١٨٨١ . فشلت الدعوة إلى أنه لا أمل فى الحركات الاندماجية والثقافية، وكان الهدف الرئيسى لهذه الدعوة هو بناء كيان لليهود فى فلسطين، ولذلك كان أتباع هذه الحركة ينادون بالهجرة إلى فلسطين، وقد أصدرت الإمبراطورية العثمانية قانوناً فى ابريل ١٨٨٢م، يمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين والسكن فيها، وبالرغم من ذلك فقد بنيت المستعمرات فى فلسطين، وكانت تعتمد ماليا على البارون «ادموند روتشيلد» ولم تكن مبادئ هذه الحركة فى بادئ أمرها دينية، وإنما كانت تدعو إلى تنظيم جمعيات تشجع الهجرة إلى فلسطين واستعمار أراضيها.

وقد كانت الهجرة من روسيا إلى أمريكا أكثر من الهجرة من روسيا إلى فلسطين. وكان من بين المهاجرين إلى فلسطين مجموعة تعرف «بالبيلو» (Bilu)، وهى تعنى اختصار الكلمات التى وردت فى أشعيا (٢ : ٥ «يابيت يعقوب هلم فنسلك فى نور الرب». ومعظم أفراد «البيلو» من طلاب الجامعات ـ شبانا وشابات ـ تركوا الدراسة وهاجروا إلى فلسطين.

وفى عام ١٨٨٣م أسست جمعية «زوروبابل» فى أودسا، وكانت مركز الحركة والنشاط، يتزعمها «ليوبنسكر» صاحب كتاب «التحرير الذاتى» (Auto Emancipation)، فى عام ١٨٨٢م باللغة الألمانية، والذى طبع فى برلين. وكان هدفه إقناع يهود الغرب الأغنياء بالاهتمام بإحياء أمة (يهودية) فى فلسطين. ولم يتحمس اليهود فى الغرب لكتابه، ولكن اليهود الروس، اعتبروا «بنسكر»، هو القائد الذى كانوا ينتظرونه. لقد توصل «هرتزل» فى كتابه الدولة اليهودية إلى النتائج نفسها التى توصل إليها «بنسكر»، علما بأن هرتزل لم يطلع على هذا الكتاب قبل نشر كتابه.

وفى عام ١٨٨٤م عقد مؤتمر فى مدينة «كاتوفتز»، واتحدت جميع الجمعيات التى تنادى بالهجرة إلى فلسطين تحت اسم «مزكيرت موشى». وفى المؤتمر الثانى فى مدينة «دروسكينيكى» عام ١٨٨٧ اتخذت اسم «احباء صهيون»، حيث ظهرت محاولات للتوفيق بين القادة «العلمانيين» لهذه الحركة والقادة «المتدينين».

وعقد المؤتمر الثالث فى مدينة فلنا (vilna) فى عام ١٨٨٩م، حيث ازداد النفوذ والتمثيل الدينى فى هذه الحركة. وفى العام نفسه أنشئ آحاد هاعام «نظام بنى موسى»، الذى يدعو إلى «الصهيونية» الثقافية والروحية.

وأصدرت السلطات التركية عام ١٨٩٠م أمرا آخر يمنع استيطان اليهود فى فلسطين. وفى العام نفسه صرحت السلطات الروسية بتكوين جمعية «أحباء صهيون»، إذ أنها قبل هذا التاريخ لم تكن حركة رسمية معترفا بها من قبل السلطات، وبعد هذه الموافقة ازداد عدد الأعضاء المنتسبين لهذه الحركة.

وعـقـد المؤتمر الرابع فى «أودسـا» عـام ١٨٩٠م، وشكلت لجنة مركزية برئاسة «ليوبنسكر» وفتح فرع للحركة فى مدينة «يافا» فى فلسطين. واستمر العمل فى بناء المستعمرات، وهاجر يهود روسيون كـثيـرون فى عـامى ١٨٩٠، ١٨٩١م، الأمـر الذى جـعل السلطات العثمانية تتشدد فى منع الهجرة اليهودية. ثم اغلق فرع يافا فى سنة ١٨٩٠م بعد أن اصيب بخسارة مالية فادحة، واقتصر العمل على مساعدة المستعمرات الموجودة سابقا، وتقوية المدارس العبرية.

وبعد عام ١٨٩١م دخلت تيارات فكرية للحركة، أهمـها الاتجاه العملى بزعامة«ليلينبلوم» (Lilienblum)، الذى أعلـن أن أهـم هدف للحـركة، يجب أن يكون إقامة مستعمرات فى فلسطين بأية وسيلة. وكـان الاتجـاه الثانـى، يتـمثل فـى أتبـاع «بنى مـوسى»، وهو الاتجاه الثقافى الذى يؤكد على اولوية العمل الثقافى التعليمى فى فلسطين. وأما الاتجاه الثالث فكان اتجاه «المتدينين».

وعندما عـقد هرتزل المؤتمر الأول «للصـهيونية السياسية» عام ١٨٩٧م حضرته وفود عن كل جمعيات «احباء صهيون»، وقد قسمت هذه الحركة معظم القادة الذين ظهروا فى الحركة الصهيونية مثل وايزمـان وغـيـره. وهذه العناصـر هى التى كـانت تطالب بالاتجاه العملى واستعمار فسطين، وعدم اتبـاع طريقة واحدة فى معالجة الأمور، واستمرت حركة «أحباء صهيون» منفصلة عن «المنظمة الصهيونية العالمية»، وقد تزعم هذه الحركة «يوسيسشكين» من عام ١٩٠٦ إلى عام ١٩١٩م. وبعد أن تبنت (المنظمة الصهيونية) أسس الاتجاه العملى أخذت حركة «احباء صهيون» تضعف تدريجيا.

وفى عـام ١٩٢٠م حلت السلطات الروسـيـة الجـمـعـيـة. ومع أن أهداف الحركة هى نفس أهداف الصهيونية العالمية، فإنها لم تصبح حركـة عالمية، ويرجع ذلك إلى خوف قـادتها من الاسترسـال فى الآمال، فـقد كانوا يخـافون من ذكر العبارة التى تدخل على «دولة يهـودية» أو ربما لأنه كان ينقصـها قـائد، أو قادة مـتحـمسون مـثل هرتزل، ولقد انتشرت الحركة من روسيا إلى رومانيا والنمسا والمانيا وفـرنسـا وانجلتـرا، ثم إلى أمـريكا. إن «اليـهـود» الذين هاجـروا إلى أمريكا، رأوا فيها «أرض الميعاد»، ولكن كـانت هناك مجموعة صغيرة بقيت على مبادئ «أحباء صهيون».

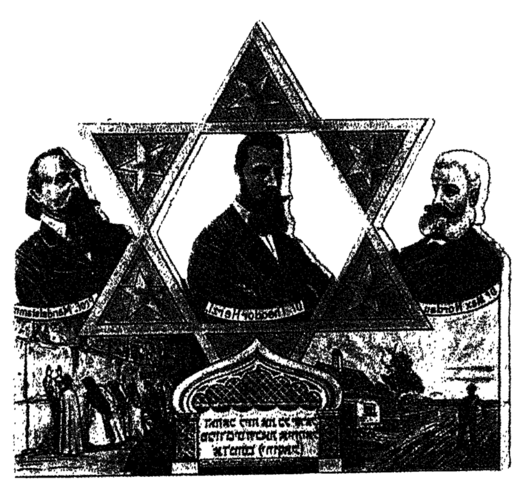
وفى عام ١٨٨٢ تكونت جمعية لأحباء صـهيون فى نيويورك، ثم تبعتـها بوسطن وفيلاد لفيا وبلتيمور. وكان معظم الحاخامين ينتقدون هذه الحـركـة، ويقولون: إن أتباعـهـا يحـاولون ادخـال فكرة «المسـيح المنتظر» مرة أخرى، ومع هذا فقد بقيت الحركة فى أمريكا.

ويمكن اعتبار حركة أحباء صهيون بأنها كانت القاعدة التى هيأت العـقـول لدعـوة «هرتزل»، وكـانت مـجـالا واسـعـا لتـدريب القـادة الصهيونيين.

وفى أواخـر القرن التـاسع عشر عام ١٨٩٦م، صـدر كتاب «تيودور هرتزل» عن الدولة اليهودية، فكان له تأثير مباشر فى وضع الاسس السياسية للصهيونيـة. إذ كان ترجمة صـريحـة لأفكار يهود شرق أوربا واتجاهاتهم وبأسلوبه الذى تفهمه حكومات الغرب وشعوبه.

ثم انعقد المؤتمر الصـهيونى الاول فى «بازل» عام ١٨٩٧م، وكـان أغلب شهوده ومندوبيه يمثلون يهود روسيا وبولندا، وبفضلهم استطـاع «هرتزل» ان يتـزعم اليـهـود دون منـازع، إذ اتجـه إليـه اليـهـود

المتشـدودن، فضلا عن «المتـدينين»، ممن رأوا فيه رسـولا من الله، أرسل لإنقاذ اليـهود من «الشتات». وأصبح «هرتزل» بآرائه ودعوته ونشاطه المثل الأعلى للجيل الجديد، جيل «ويزمان» و«بن جوريون» و«جابوسنكى» و «جولدا مائير»، فألهب مشاعرهم واستحث هممهم للهجرة إلى «أرض الميعاد».



المفكرون اليهود الذين مهدوا للمبادئ الصهيونية

ماكس نوردو - تيودور هرتزل - مانديل.

القسم السادس

الصهيونية السياسية العالمية

«تيدور هرتزل» مؤسس الصهيونية العالمية

١٨٦٠ ـ ١٩٠٤



تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية العالمية.

مولد الصهيونية

من مـفارقـات القـدر أن ولدت الصـهيـونيـة فى مكان لـم يخطر ببال، ولدت فى قاعة محكمة الجيش فى باريس فى ١٩ ديسمبر عام ١٨٩٤ ، إذا ارتفع الستار عن «قضايا القرن العاصفة» وكان «الفريد دريفس» بؤرة العاصفة.

وكان ممن شهد المحاكمة وتأثروا بها يهودى من النمسا اسمه د «تيودور هرتزل» أحس أن العالم كله يتفتت بهذه المحاكمة. وأتضح له فـجأة أن اليـهود لن يتـمتـعوا أبدا بالسلام والأمن والاحتـرام وهم مشتتون بين أمم أخرى، وماكان لهم أن يأملوا فى ذلك حتى يكون لهم وطن هو - فلسطين - ومن ثم أعد كـتابا عن إقامة دولة لليهود بعنوان «دولة اليهود» ترجم إلى عدة لغات وسبب إثارة كبيرة فى دوائر اليهود، حتى قال اليهود إنه المسيح المنتظر الذى سيقود الشعب اليهودى إلى أرض الميعاد.

تيودور هرتزل ١٨٦٠ـ١٩٠٤

فى تصريح له فى فيينا عام ١٨٩٧، قال مؤسس الصهيونية العالمية «تيدور بن جاكوب هرتزل»: فى بازل نشأت الدولة اليهودية، ولعلها فى خلال خمسة أعوام تكون أملا، لكنها فى خلال خمسين عاما سوف تكون يقينا ويشهدها الكافة».

وكان هذا التصريح بمثابة إعلان قيام الدولة اليهودية، وهو ماتحقق بالفعل، إذ شهدت الأمم المتحدة قيام دولة إسرائيل بعد واحد وخمسين عاما.

ولد« تيدور هرتزل» مؤسس الدولة الصهيونية فى ٢ مايو ١٨٦٠ فى العاصمة الثانية لإمبراطورية النمسا والمجر «بودابست» فى عهد الإمبراطور «فرانتز جوزيف»، وكان الابن الثانى بين إخوته.. ونما فى «بودابست» التى كانت لاتزال عاصمة إقليمية.

كان أبوه «جاكوب» تاجرا نشطا حيث تولى منصب مدير البنك المجرى، أما أمه «جانيت» فكانت غاية فى التفانى لخدمة أسرتها، إلى جانب ما كانت تتمتع به من ذكاء. وعلى الرغم من ذلك، فلم يكن لهما أدنى اهتمام بقضايا اليهود وبالتالى لم يتكهن أحدهما بما

سوف ينتهى إليه مصير ابنهما «هرتزل».. الذى صار بعد ذلك الأب الروحى للدولة اليهودية.

وقد تلقى «هرتزل» تعليمه اليهودى الأول فى مرحلة متقدمة، ولم يستمر فيه، لذلك كانت معرفته بالعبرية والتعاليم اليهودية محددة.. ثم اتجه إلى دراسة القانون فى جامعة «فيينا»، وانشغل بالتأليف والكتابة ودراسة المشكلة اليهودية. الأمر الذى ساعده على الحصول على تصريح بمزاولة المحاماة فى فيينا» فى يوليو ١٨٨٤، ثم تركها بعد عام واحد فقط لاستغراقه فى الكتابة والصحافة إذ عمل محررا عام ١٨٨٧ ثم مراسلا فى «باريس» لإحدى صحف النمسا الكبرى عام ١٨٩١ .

وكان «هرتزل» أحد المهتمين بالسياسة الدولية، وبوجه خاص القضية اليهودية، فالجزء الأول من حياته كان ينصب على تسجيل كل مايدور بداخله ومايعبر عن أفكاره.. أما الجزء الثانى فكان أكثر وضوحا فى مرحلة السياسة الدولية والدعائية، ولكن فى إطار غير مألوف، ليبدو فى أوقات أنه غير حقيقى. والقارئ ليس على استعداد لقراءات تاريخ تقليدى يعبر عن ذكاء الملوك المؤسسين، أو صراع الجيوش الجبارة.

وقد نجح «هرتزل» فى تحويل نمط حياته بالتفرغ من أجل جمع تفرق اليهود الذين كانوا فى عصره، فى وقت كان التفكير فيه مستحيلا حينذاك، فلقد فرض نفسه فى عصره، أما الفكرة التى تبناها فقد أصابت حينئذ معظم المراقبين فى البداية، كمخطط جامع غير منسجم يثير السخرية.

وكان عدد اليهود فى «بودابست» قد تزايد بمعدل أسرع من عدد السكان العام بها، إذ كان عددهم فى ذلك الوقت ٤٥ ألف يهودى

بنسبة ١٥٪ من العدد الكلى لعدد سكان «بودابست» البالغ ٢٨٠ ألفا.. وشارك اليهود فى ثورة المجر عام ١٨٤٨، وكان أحد أقارب «هرتزل» ملازما فى الجيش الثورى.

قضية «دريفوس» وتأثيرها على «هرتزل»:

كان «الفريد دريفوس» أحد ضباط الجيش الفرنسى قد اعتقل بتهمة الخيانة العظمى وكان اعتقاله وإدانته فى محاكمة سرية قد بدا قضية ملفقة.

وكانت القضية الشهيرة التى أصابت فرنسا بأضرار بالغة لمدة عشر سنوات تقريبا، إذ كان المقصود بها التمويه على الأوضاع الداخلية المتردية.

وكان «الفريد دريفوس» من عائلة من الطبقة المتوسطة المشهورة، منهم يهود موظفون مدنيون وعلماء ورجال الأعمال، وكان قائدا للمدفعية فى القيادة العامة، كما كان رجلا ذكيا.

وفى سجنه فى جزيرة الشيطان - وحتى قرابة نهاية حياته - لم يدرك هذا الجندى حقيقة هذه القضية، فلم يكن الأمر مجرد خطأ قضائى، بل كان متعمدا لمناهضة السامية، بالبحث عن كبش فداء، فتجسدت كل مأساة اليهود فى قضية «دريفوس». وكان «البرجوازيون» اليهود الفرنسيون متخوفين أو مخدوعين أيضا، للتجمع حول قضيته، فقد اتخذوا قرارهم الطائش بدمغ معاداة السامية إلا أن «برنارد لازار» أكبر المدافعين عن «دريفوس» قد أكد على أن عشرات الفرنسيين من رجال القانون مستعدون للدفاع عنه.

وقد كانت محاكمة «دريفوس» وتجريده من رتبه ومناصبه، قد أثرت وأقنعت «هرتزل» بضرورة ترحيل اليهود من أوربا، وغرست فى نفسه الحاجة إلى إقامة وطن لليهود - خاصة بعد أن لمس مظاهر

معاداة السامية، وسمع من خلال المحاكمة صياح الحاضرين وهتافهم مطالبين بالموت لليهود. يضاف إلى ذلك موقف الجمعية الوطنية الفرنسية، إذ عرض مشروع قرار بتحريم الوظائف العامة على اليهود كافة، إلا أن المشروع رفض بأغلبية ٢٦٨ صوتا مقابل ٢٠٨ أصوات.

وقد ظلت الشرطة الفرنسية السرية تراقب «هرتزل» وتتعقبه حتى اتهمته بالعداء لفرنسا، ومشاركة اليهود فيما يهتمون به من ارتياد أروقة السفسطة ورموه بالشذوذ الجنسى.

ونتيجة لهذه القضية أصبح «هرتزل» متورطا، حاد الطبع، إذ أثر عليه مارآه من معاداة السامية والصراع الطبقى، وكان يفكر فى كيفية كبح جماح الشر بإيجاد أراض مناسبة فى مكان ما، يأوى الضحايا والمذنبين، على أن تكون لليهود السيادة عليها، ويجب ألا تكون الهجرة إلى هذه الأراضى الجديدة تحت أى ظروف خفية أو مستترة، بل منظمة وواضحة وعلى نطاق واسع، بموافقة عامة من الدول المضيفة حاليا، وأن يكون رحيل اليهود من أوربا مخططا له جيدا بعملية علمية.

ومع الوقت سيصل المهاجرون إلى وجهتهم، ويكون كل شئ معدا: الإسكان والعمل وتسهيلات التعليم، ويتم تمويل الترحيل والتوطين بقرض وطنى يهودى على نطاق العالم، وسوف تسعد الحكومات الأوربية أنها حلت مشكلة اليهود لديها، وأن تكتتب بمحض إرادتها أيضا. وبذلك يكون دخول «هرتزل» التاريخ كمنقذ لليهود ومحرر لهم من الذل والعبودية.

ومهما يكن من شيء، فما أن حل صيف عام ١٨٩٥ حتى كانت الفكرة قد هيمنت عليه واستغرقته استغراقا كاملا، فقد كان

يتطلع إلى دولة يهودية مستقلة تقوم فى بقعة من بقاع العالم. إذ ورد فى بعض ما كتب قوله: «أرض الميعاد ما فكر من أحد منا أين تكون. .فلتكن فى المكان الذى نأخذه حيثما نستطيع العيش أحرارا فوق أرض لنا .. شأننا شأن الشعوب المتحضرة».

ولذلك فقد رأى - أول مارأى - تلمس حليف قوى يعينه ويرعى خطاه فى «باريس»، فتوسم فى البارون «موريس هويتسن» أحد أغنياء العالم، الأمل فى تحقيق مايرنوا إليه، فكتب إليه فى إبريل عام ١٨٩٥ يرجو لقاءه لبحث مشكلة اليهود، والنظر فى السياسات اليهودية التى قد تكون ذات تأثير فى المستقبل كما طلب أن يكون تحديد اللقاء فى يوم يتمكن فيه من إفراد ساعة أو ساعتين لذلك، ورجاه أن يحتفظ بسر هذه الرسالة. وكان ذلك فاتحة عمل «هرتزل» السياسى البارز، مقدراً أنه انما يبايع بالزعامة ويمنح التاج «هرتيسن» صاحب الملايين الذى سوف يبارد بالتمويل فى سبيل هذا الخروج الجديد. غير أن «هرتيسن» لم يتحمس لذلك، بل رأى فيما يقول مجرد وهم زائف، ولهذا فقد عاد «هرتزل» إلى مذكرته يعدها من جديد بعنوان «المسألة اليهودية» ويتحول بها إلى «آل روتشيلد»، كما تقدم بها إلى جماعة من الزعماء السياسيين من بينهم بسمارك، فلم يجد منهم استجابة تذكر، بل رفضت الصحيفة التى يعمل بها الأخذ بما يقول.

غير أن لحظة التحول الحقيقية فى حياته، كانت منذ تمكن من إقناع «هاكس نوردو» وكسب تأييده، الأمر الذى شجعه على إعادة صياغة بحثه بعنوان «الدولة اليهودية» .. إذ رأى فيها الحل الوحيد لمشكلة اليهود، ورأى السبيل لحلها بانعقاد مؤتمر عام من ممثلين من

اليهود، يشمل جهازا ماليا يهوديا يتولى توفير ما يحتاج إليه ذلك من مال، مناشدا المهندسين والفنيين فى جعل هذه الدولة مثالا للتقدم الصناعى.

بيد أن هذا البحث لم يلق - حين نشر عام ١٨٩٦ - سوى سخرية الصحافة الألمانية، بل والصحافة اليهودية كذلك، لما ورد به من أحلام وآراء وهمية، وإن اقتنع بها - كما روى عنه - «حاييم وايزمان» وآخرون من شباب اليهود خاصة، فكان أن انهالت على «هرتزل» الدعوات ترشحه لزعامة اليهود، واندفع نحو الحكومة التركية والأرستقراطية الأوربية - فضلا عن البارون «ادموندى روتشيلد» فى فرنسا - آملا فيهم تحقيق حلمه وخطته، فلم يلق من هؤلاء وأولئك إلا فشلا وإعراضا وعبث تلمُّس العون - ماديا كان أو معنويا - من أصحاب النفوذ، ومن ثم ركز نشاطه فى القاعدة الشعبية العريضة، مستندا إلى دعاية ضخمة فيما بينها، أدت إلى مولد النشاط السياسى للصهيونية.

وقد أصر «هرتزل» على أن يعقد لهذا الغرض مؤتمرا صهيونيا أحدث الكثير من الحرج ليهود أوربا خشية تعرضهم للهجوم، إذ يبدون بذلك دولة داخل الدولة. ومع ذلك فقد استمر «هرتزل» فى مخططه، فأسس من ماله الخاص مجلة أسبوعية باسم «دى فيلت» لنشر هذه الفكرة والدفاع عنها وتمكن من عقد المؤتمر الصهيونى فى «بازل» فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧، وكان أول اجتماع رسمى عالمى لليهود منذ أن تفرقوا فى الشتات، وثمرة مجهود رجل واحد، وحضر ١٩٧ مندوبا من شرق أوربا وغربها ومن شمال أفريقيا، وقد زينت

القاعة بعلم إسرائيل الذى أصر «هرتزل» على تصميمه ورفعه، وشرح فى المؤتمر خطته، وحدد الأرض بأنها فلسطين، وأعلن عن إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية، وتم ترشيحه رئيسا لها، كما تمت الموافقة على علم إسرائيل وعلى سلام وطنى لها، وانتخب مجلس للعمل مقره «فيينا»، وبدأت العجلة تدور فى سبيل خلق دولة إسرائيل.

وبعد المؤتمر ركز «هرتزل» نشاطه على تحقيق برنامجه، وكرس جهده مع الحكومة التركية للحصول على ميثاق يضفى الصبغة القانونية على استيطان اليهود فى فلسطين على أساس جماعى، وحاول ذلك من خلال الاتصال الدبلوماسى والمفاوضات، غير أن الوعود المبهمة التى بذلت لم تتحقق وجرت اتصالاته الأولى مع القيصر «فيلهلم الثانى» قيصر ألمانيا حليفة تركيا الوحيدة فى أوربا. ورغم تحيز القيصر الواضح ضد اليهود، فقد حبذ إبعاد بعض عناصر اليهود إلى فلسطين، ومن ثم وعده باللقاء به فى أكتوبر ١٨٩٨ لإثارة موضوع الترخيص «لشركة مفوضة» لليهود فى فلسطين مع سلطان تركيا، وكرر القيصر بعد ذلك «لهرتزل» موافقته على خطته، غير أن ذلك لم يتحقق.

ومن ثم حاول هرتزل من عام ١٨٩٩ حتى عام ١٩٠١ إجراء اتصال مباشر مع السلطان، وأشار فى حديثه معه إلى قدرة أغنياء اليهود من رجال البنوك فى أوربا على مساعدة تركيا فى سداد ديونها الكثيرة مقابل منح تفويض لليهود بالاستيطان فى فلسطين.. واجتذبت الفكرة اهتمام السلطان، إلا أن «هرتزل» لم يكن مفوضا فى الواقع من رجال البنوك اليهود متفرقة لا جماعية. وأودع «هرتزل»

ثلاثة ملايين فرنك فى بنوك تركيا لإظهار حسن النية وإثارة شهية السلطان. غير أن هذه الاتصالات لم تثمر فى النهاية، وأدرك «هرتزل» أن السلطان استغله واستخدم غرضه (تقديم قروض لتركيا)، لحث المقرضين على منحه قروضا بشروط أفضل.

وأصدر «هرتزل» روايته «الأرض الجديدة» عام ١٩٠٢، وضح فيها حلمه ومستقبل فلسطين فى دولة تسودها العدالة والخير، وختم روايته بأنها ولو لم تتحقق على أرض الواقع إلا أنها ستصبح أسطورة تتعلق بها أحلام الجميع، وكان ذلك تفسيرا ليأسه من جهوده.

ورغم فشل هرتزل، فقد تزايد مؤيدوه وارتفع عدد المشاركين فى المؤتمرات الصهيونية، بحيث وصل عددهم فى المؤتمر الثانى إلى ٤٠٠ مندوب، وأنشئ صندوق الاستيطان اليهودى عام ١٩٠١، رغم أنه لم يبع من الأسهم حتى عام ١٩٠٤ سوى ماقيمته مليون دولار، وأنشأ الصندوق الشركة الانجلو فلسطينية التى أصبحت عام ١٩٥٠ بنك «ليومى» الإسرائيلى، وكان لها دور كبير فى تنمية فلسطين وأنشئ الصندوق القومى اليهودى فى اجتماع المؤتمر الصهيونى الخامس.

وقد دفع الفشل المتكرر «هرتزل» إلى اقتراح وطن قومى فى مكان آخر خلاف فلسطين. وقدم اقتراحا باستطيان اليهود فى العريش وشبه جزيرة سيناء القريبة من فلسطين إلى اللورد «ناثان روتشيلد» عضو البرلمان البريطانى وقتها، واهتم «روتشيلد» بذلك ورتب مقابلة بين «هرتزل» و«جوزيف تشمبرلين» وزير المستعمرات البريطانى، وكان ذلك بداية الاتصالات مع المسئولين البريطانيين

حول خلق وطن قومى لليهود. وفشل مشروع العريش بسبب الخلافات بين الحكومتين التركية والمصرية.

وأصبح «هرتزل» يسعى بجهده للحصول على وطن قومى فى أى مكان، لا سيما أن المعلومات بدأت تتسرى حول سوء معاملة اليهود فى روسيا والحالة السيئة القصوى ليهود رومانيا. ولذلك عرض اقتراحاً على المؤتمر الصهيونى السادس بفكرة خلق وطن قومى لليهود فى أوغندا التى عرضتها الحكومة البريطانية، وأكدت فى الوقت ذاته أن أوغندا ليست بديلة لأرض فلسطين، ولكنها تمثل خطوة طارئة لإنقاذ جموع اليهود المعرضة للضياع والدمار.

ولم يدرك - كما قال «وايزمان» - أن يهود روسيا لن يرضوا عن أرض أجدادهم بديلا. وحدث جدل حول هذا الموضوع، وتقرر على إثره إرسال لجنة استقصاء إلى أوغندا بأغلبية ٢٩٨ صوتا مقابل ١٨٧، وعندئذ انسحب المندوبون اليهود الروس من المؤتمر، وظهر خطر انشقاق الحركة الصهيونية أو ربما انهيارها.

وهنا أكد «هرتزل» على ضرورة وحدة صفوف اليهود مهما كان الثمن. وأعلن «هرتزل» أن «هؤلاء الناس حول رقابهم حبل ومع ذلك ما زالوا يرفضون». واستمر الخلاف ورفض يهود روسيا أى خروج عن برنامج «بازل» وقيام وطن قومى فى فلسطين، واتهم «هرتزل» بالخيانة، وطلب إعطاءه فرصة لشرح وجهة نظره. واجتمع زعماء يهود روسيا فى «تشارخوف» وطلبوا من «هرتزل» إلا يعرض على المؤتمر الصهيونى مناطق لاستيطان اليهود سوى فلسطين وسوريا. وجمع «هرتزل» مؤتمرا للجنة العمل الموسعة عام ١٩٠٤ بدافع من

حرصه على رأب الصدع، وأكد ضرورة جمع الشمل والعمل صفا واحدا خلف المؤتمر الصهيوني.

وكانت هذه الخطوة التوفيقية هي آخر منجزات «هرتزل»، إذ غلب عليه المرض، وتوفي.. فحزن عليه اليهود جميعا، فقد كان بمثابة البطل الذى صاغ لهم خطط حياتهم، ورسم خلالها خطوط مستقبلهم.

وقبل وفاة «هرتزل»، بدا له أن حياته ستنتهي بالفشل، ولكن تنبؤه بعد المؤتمر الأول في «بازل» في ٣ سبتمبر ١٨٩٧ بأنه أسس دولة اليهود وخلال خمسين عاما، وقد أنجز بدقة مدهشة في ١٥ مايو ١٩٤٨ - في هذا التاريخ تأسست دولة إسرائيل. واليوم يبجل «هرتزل» كأب للصهيونية العالمية. لقد توفي عن أربعة وأربعين عاما فقط، وكان يتمتع بصحة عادية، ولو كان قد عاش أربعة عشر عاما أخرى لشاهد منح بريطانيا إعلان «بلفور» - الميثاق الرسمي عن فلسطين الذى تملص منه في حياته. ولو كان قد عاش حتى سن السبعين - أي حتى الثلاثينيات - لشاهد النمو المطرد للوطن القومي لليهود.

وانقضت السنوات الأخيرة من حياة «هرتزل» في محاولة فريدة لخلق دولة من الإحساس العميق بالتشاؤم، وأصبح شعبيا محرضا للجماهير، وأخذ المبادأة ببدعة اليهود الكبرى في القرن التاسع عشر. وازدراء من الديمقراطية أنشأ برلمانا يهوديا، وكرجل متشائم من أعماقه، ساعد طلائع يهود شرق أوربا في حركة التفاؤل العضال. وكان تقييمه لمعاداة السامية أكثر دقة وواقعية عن أغلب معاصريه،

وحتى ذلك الحين خدع نفسه عندما ظن إنه «فهم» معاداة السامية، فقد بالغ فى جسامة عنصرها المنطقى على حساب العلاج. فدولة اليهود حسب تخيل «هرتزل» - لم تضع نهاية لمعاداة السامية كما تمنى، بل راجت فى بعض الأماكن مثل العالم العربى الذى بدا تاريخيا منيعا. وكان الدور الأسمى فى حياته أن يعيد إجراء الأمن إلى المضطهدين.

«وهرتزل» رجل سلام، وفى زمانه كانت هناك حاجة قليلة - إن كان - لقومية الفلسطينيين، وهذه القومية جمعت القوة مع كل عام يمر ومع كل نجاح للصهاينة. وأخيرا وجد نوع من الصهيونية العربية، صورة ذهنية قاصرة «للهرتزالية»، دفعت إليها أسطورة الوطن المفقود ومرارة التشتت، ولم يكن هناك تماثل بين شكاوى العرب واليهود. واليهود كانوا دائما مستعدين للتراضى، والعرب لم يمعنوا بعد فى إمكانية التسوية، وتشتيت الفلسطينيين إلى حد كبير. إصابة ذاتية على عكس اليهود، فهم يستطيعون أن يعيشوا حياة عربية كاملة فى أى من عشرات الدول العربية الأخرى.» وجهة نظر صهيونية».

لقد تولدت ثورة الغضب العنيفة بين العرب، وكانت قوية لدرجة أن كذبوا أن الهدف الذى تتمسك به دولة اليهود هو الأمن والسلام، وهذا مالم يرتئيه «هرتزل».. فقد كان واثقا أن اليهود والعرب يمكن أن يعيشوا معاً فى سلام ووئام لمنفعة الطرفين، ولم يكن يأمل أن تتعرض دولة اليهود الجديدة للهجوم عليها من جيرانها منذ يومها الأول، أو تضطر لأن تحارب من أجل بقائها وتعيش عقودا من سنين

كمعسكر مسلح، أو أن تصبح إسرائيل ألعوبة فى الصراع بين القوى العظمى والذى ظهر طبيعيا تماما فى عام ١٨٩٩ و١٩٠٣ اعتبره العرب بعد مضى أربعين عاما خرقا ضد الطبيعة نفسها.

وفى عام ١٩٧٤ كان هناك ثلاثة ملايين يهودى فى إسرائيل، وأكثر من نصفهم ولد محليا الذين لم يذوقوا ابدا معنى يهودى فى الشتات.

ويذكر «أبا إيبان» «واليوم، هذا الماضى هو ظل طويل الذى يتبعثر مع مضى السنين، لكن يستمر ليشكل حقبة من الزمن التى يمكن للقليل من الإسرائيليين، بما فيهم الشباب والمولودون محليا الذين لم يذوقوا أبدا معنى يهودى فى الشتات، أن يتجاهلها».

وفى عام ١٩٤٩ بعد وفاة (هرتزل) بخمسة وأربعين عاما وكانت إسرائيل قد جاءت إلى الوجود قبل خمسة عشر شهرا - نقلت رفات (هرتزل) من (فيينا) إلى إسرائيل ودفن فى مقبرة من الرخام الأسود محفور عليها اسمه - وأمام المقبرة ساحة النصب التذكارى لإقامة مراسم الدولة وتقع المقبرة على تل قرب القدس، أعلى نقطة فى المدينة الجديدة وأطلقت إسرائيل على هذا التل «جبل هرتزل».

أما أسرة «هرتزل» فكان مصير جميع أفرادها مأسويا مقبضاً ومظلماً للغاية، هل أصابتهم لعنة الصهيونية كما ذكر بعض المؤرخين العرب والألمان.

وزوجة «هرتزل» وأولاده الثلاثة لم يدفنوا فى القدس، وتوفيت زوجته عام ١٩٠٧ عن عمر ٣٩ عاما ناقمة ومريضة، وكانت تشعر أن الصهاينة قد سلبوها زوجها فى حياته، وبعد وفاته سلبوها من

أولادها، وكانت نهايتهم جميعا مفجعة. فقد كانت ابنته الكبرى تعانى من اختلال عقلى حاد، وتوفيت عام ١٩٣٠ فى «بوردو»، أما ابنه «هانز» الذى اعتنق المسيحية، فقد انتحر فى «بوردو». وأما ابنته «ترود» فقد قضت معظم حياتها فى مصحة عقلية فى "steinhof" ثم اودعت مستشفى للأمراض العقلية. بالقرب من فيينا، وفى عام ١٩٤٢ أرسلها النازيون مع المرضى الآخرين إلى معسكر. Iheresienstadtحيث ماتت فى ١٥ مارس ١٩٤٣ من الجوع وسوء الرعاية. أما نجلها «ستيفان تيادور» فقد تلقى التعليم فى إنجلترا وخدم كضابط بريطانى فى الحرب العالمية الثانية، وفى عام ١٩٤٦ زار إسرائيل (كانت وقتئذ لا تزال فلسطين) وكان محل ترحيب كحفيد لجده «هرتزل»، ثم غادرها واعداً العودة وبعد شهور قليلة انتحر بالقاء نفسه من فوق كوبرى فى واشنجتن حيث كان يعمل موظفا فى السفارة البريطانية.

ذلكم هو «تيدور هرتزل» والذى لم يكتف بالمناداة بقيام الصهيونية فحسب، بل حقق حلما كان بعيدا، ووهما مستحيلا، وخيالا جانحا.

لقد استطاع بوسائله وأدواته وطموحاته، أن يجعل من الحلم واقعا حيا، وكيانا ماديا ملموسا، وحقيقة قائمة.. وهل كانت السياسة إلا تطورا فى مدارج القوة وتحايلا بالمستطاع. إذ كان خليقا بأن يحظى بلقب (ابو الصهيونية الحديثة) بعد تجسيده للحلم الذى راود اليهود طوال عمره، وتحقق له ما أراد.

التعقيب

هنا يكشف المؤرخون فى معرض سردهم لتطور المجتمعات

اليهودية فى أوربا، عن تصور صهيونى متعصب، يستند أساسا إلى تميز اليهود عن غيرهم وضرورة حفاظهم على كيانهم الاجتماعى والثقافى والدينى، بل والسياسى داخل المجتمعات التى يقيمون وسطها. وهم يوضحون أنه فى فترات المساواة الدينية، كان اليهود يحتفظون بوضعهم المشتعل المنعزل، ومن ثم لم يكن «الجيتو» والاضطهاد وسيلة للانتقام فرضت على اليهود، وإنما كان ترتيبا تمسك به اليهود أنفسهم مقاومة للاندماج والذوبان.

وكان ذلك فى حقيقة الأمر سببا مهما لنمو الإحساس العام بالنفور تجاهم من جانب المسيحية الأوربية الغالبة، حيث كانوا يمثلون داخل «الجيتو» دولة داخل الدولة، لها قوانينها وأسلوب حياتها.

كما يكشف تحليل المؤرخين عن هذه الحقيقة بين السطور وهى التى تكذب مزاعم اليهود عن إنهم اضطروا للانعزال فى مواجهة الاضطهاد الدينى والعنصرى، والتفكير نحو جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود. فالحركة الصهيونية لم تكن تستقطب حينئذ أى تأييد عام فعال فى غرب أوربا، وهو مايؤكده ميل زعيمها تيدور «هرتزل» إلى قبول وطن بديل فى أوغندا مثلا، بمعنى أن الحركة الصهيونية - فى بدايتها - كانت واضحة من حيث الحصول على وطن قومى يجمع اليهود، ولكنها لم تكن مجتمعة على اختيار فلسطين، مما يؤكد أن الحركة الصهيونية فى بدئها كانت محدودة التأثير.

والدليل على ذلك، أن المؤتمر الصهيونى الأول فى «بازل» - والذى انعقد فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ لم يحضره سوى ١٩٧ مندوبا، الأمر الذى يؤكد أن «هرتزل» فشل فى إقناع الزعامات اليهودية بحركته.

ويذكر المؤرخون الغربيون، أن الأساليب التى اتبعها «هرتزل» فى إغراء سلطان تركيا للسماح لليهود بالاستيطان فى فلسطين توضح مدى انتهازية الزعامة الصهيونية، وعدم تورعها عن اللجوء للرشاوى والابتزاز السياسى للوصول لهدفها.

كما أشار المؤرخون الغربيون واليهود إلى جوانب صراع اليهود مع غيرهم، وأن هذا الصراع قد بلغ حدته مع نمو الحركات القومية الأوربية. ففى أثناء نمو الحركة القومية الألمانية ـ التى تزعمها «بسمارك» عام ١٨٧١ ـ شب الصراع مع اليهود. إذ كانوا لايعتبرون أنفسهم فى إطار القومية الألمانية مع حملهم الجنسية الألمانية، وإنما كانوا يتصورون أنهم قومية منفصلة، ومن ثم لم يكن ثمة مناص من الصدام بين الطرفين. وكانت هذه هى نفسها مشكلة اليهود فى البرتغال وأسبانيا، حيث انتهى الأمر إلى طردهم من البلدين خلال النصف الثانى من القرن السادس عشر.

أما عن تركيب اليهود فى أمريكا ـ والذى كان له أثر كبير فى ارتباط اليهود الأمريكيين بإسرائيل فيما بعد ـ فإن غالبية المهاجرين منهم قد قدموا من شرق أوربا، حيث يغلب عليهم الاتجاه الدينى المتزمت، ومن ثم قاوموا الاندماج فى المجتمع الجديد، واحتفظوا بتقاليدهم الدينية والاجتماعية، وانتشروا فى المدن الأمريكية يعملون فيما يتصل بحياة المواطن الأمريكى فى تجارة التجزئة والصناعات الصغيرة والمهن الحرة. وكان أساس تمسكهم بدينهم وتقاليدهم إنما يرجع ـ فى الأساس ـ إلى أن أوضاعهم فى شرق أوربا كانت اتعس حالا، ومن ثم يجد المرء فى هذه الظروف الصعبة ملاذا بالتمسك بما

له من جذور تتمثل فى الدين وتقاليده، فضلا عن التعلق بالنظريات السياسية العنصرية التى ترسم له آمالا يتعلق بها فى المستقبل. الأمر الذى جعل يهود شرق أوربا أشد تمسكا وانسياقا وراء الفكرة الصهيونية وكل تفريعاتها المذهبية المتطرفة.

وبظهور «هرتزل» ورواده الأول - وعلى رأسهم «بن جوريون» - يتبين مدى ماتوفر لدى الزعامة الصهيونية من دأب ومثابرة على تحقيق حلم الصهونية فى السيطرة على فلسطين، والتماسهم كافة الوسائل على ذلك، مع استغلال جميع الفرص المتاحة، والتنسيق المحكم بين قياداتهم البارزة فى مختلف دول غرب أوربا والولايات المتحدة فى زمن فرض فيه القهر العثمانى سياجا من التخلف والعزلة على العالم العربى، بما مكن «تيدور هرتزل» ورواده الأول من غلاة الصهاينة من خلق الشعور لدى زعماء العالم الغربى بأن فلسطين مخلخلة السكان، ومدمرة الاقتصاد، وأن شعبها العربى لاحول له ولا قوة، وأن اليهود وحدهم هم القادرون على إنعاشها وتحويلها إلى مركزإشعاع حضارى ودينى.

القسم السابع

المبادئ الرئيسية فى تأسيس الحركة الصهيونية التى وضعها «تيدور هرتزل»

المبادئ الرئيسية في تأسيس الحركة الصهيونية التي نهج عليها «هرتزل»

اجمعت الشروح الصهيونية على وجود خمسة عوامل أدت إلى نجاح الصهيونية فى إقامة دولتها وهى:

أولا: الفكرة

ثانيا: الزعيم أوالقيادة المؤهلة.

ثالثا: مجموعة أو شعب من البنائين.

رابعا: التنظيم الفعال.

خامسا: البيئة الدولية الملائمة.

وهذه الأسس لاتخرج عن الوظائف الثلاثة العامة الواجب توافرها لنجاح أى تنظيم ونعنى بذلك:

(أ) البناء الأيديولوجى أو الفكرى.

(ب) البناء التنظيمى.

(جـ) الخط السياسى.

وسنقوم بتتبع النهج الذى اختاره شراح الصهيونية وفق العوامل الخمسة المشار إليها أعلاه.

أولا: الفكرة

١ـ الصهيونية كفكرة تستمد مقوماتها من مصادر شتى يهودية وغير يهودية، وتجمع بين العديد من الأفكار ومنها:

(أ) البواعث الدينية والخلاصة التى تتبلور فى انتظار مجىء المسيح المخلص (مسايا).

(ب) واليوتوبية فى تخيل شكل الوطن والدولة اليهودية.

(جـ) والمطامع المادية والتوسعية.

(د) والاتجاهات الصليبية المستترة.

(هـ) وربط المطامع الصهيونية بعجلة الاستعمار مهما كان طابعه بغرض الوصول السريع بأقل جهد وتكلفة وعلى حساب الغير.

(و) كما توصف الصهيونية من أعدائها حتى بين اليهود اللبراليين بأنها حركة رجعية ضد التاريخ تعود بأعضائها إلى الوراء.

ز) وأبرز الأفكار ما أتى به «هرتزل» فى كتيب أطلق عليه «الدولة اليهودية» ووصفه بأنه محاولة لإيجاد حل عصرى للمسألة اليهودية وتحددت عقيدة الصهيونية بعد ذلك وهدفها فى مؤتمر (بازل)عام ١٨٩٧ «بخلق وطن للشعب اليهودى فى فلسطين يضمنه القانون العام».

٢) وقد تبلورت على أيدى عدد كبير من المتطرفين اليهود أبرزهم «تيدور هرتزل» و«ماكس تورد»

و«فلاديمير جابوسكى» و«حاييم وايزمان» و«بن جوريون» و«ناحوم جولدمان» و«جولدا مائير» وغيرهم.

ولم يكن نشاط هؤلاء الرواد ذهنيا فقط بل كان حركيا فى نفس الوقت وانتهى الأمر بأن أفرز تزاوج الفكرة والحركة تيارا من الطلائع الصهيونية المؤمنة بالفكرة والملتزمة بها وأنشئت تنظيمات «جيتية» أخذت تتطور مستفيدة من الخصائص اليهودية ـ الاقتصادية والدينية والنفسية والديمغرافية والاجتماعية ـ ومن مناخ البيئة الدولية الأوسع.

ثانيا: *الزعيم أو القيادة المؤهلة*

١ـ وماكان للفكرة أن تزدهر لولا وجود عامل مهم هو وجود زعامة وقيادة استثنائية بمعنى أنها قيادة غير عادية وقد تعرفنا على كثير من الأسماء من قبل فى فترة ماقبل «هرتزل» وبعده.

٢ـ ومهما كان الرأى فى رجعية وشوفينية وعنصرية وتوسعية الأفكار والقيادات فإنه لايمكن تجاهل اخلاص هذه القيادات للأفكار الصهيونية وتمسكهم بها وتفانيهم فى خدمتها.

٣ـ ونلاحظ أنه برغم نمو الحركة الصهيونية واستثنائية قياداتها فإن الحركة تعرضت لنقد مرير من داخل الشعب والجماعات اليهودية وخاصة فى أوربا ومن ذلك أن الصهيونية (وقياداتها):

(أ) لايمكن تحقيقها.

(ب)ـ وأنها تشكل خطرا على اليهودية.

(جـ) وأن الصهيونية غير ضرورية وستبقى اليهودية بدونها مثلما استمرت قرونا طويلة.

(د) وأنها مجرد صيغة مجددة لعقيدة انتظار المسيح المخلص

جرى نقلها من العقول المتحمسة دينيا إلى عقول الزعماء السياسيين للجماعات اليهودية تحت ضغوط فكرة البعث العظيم وماهى إلا تعبير عن الخط الفاصل بين الواقع والخيال.

(هـ) وأن الزعامات الصهيونية لاتعى الواقع لأنها تتصور إمكانية تسكين ١٥ مليون يهودى فى فلسطين ولا تحدد الأقاليم التى تتصورها مجسدة للدولة اليهودية بمعنى أن الزعماء توسعيون.

ثالثاً: مجموعة أو شعب من البنائين قبل «تيدور هرتزل»

١- لم يكن اليهود على عكس الانطباع السائد عنهم متحمسين للفكرة الصهيونية وللسياسات الصهيونية.

وقد انقسم يهود العالم إلى أربعة فئات من حيث استجابتهم للصهيونية وهى:

(أ) الصهيونيون.

(ب) اللاصهيونيون النشطون.

(جـ) اللاصهيونيون الخاملون.

(د) المناوئون للصهيونية.

هذا مع العلم بأن المعارضين للصهيونية قل عددهم منذ إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ثم اختفى منذ حرب ١٩٦٧.

أما اليهود الصهيونيون فقد كانوا دائما قلة لاتزيد نسبتهم عن ١٨ ٪ من مجموع يهود العالم.

٢- وقد حاول قادة الصهيونية باستمرار زيادة نسبة عدد الصهيونيين بسبب:

(أ) الرغبة فى بناء المصداقية الصهيونية الخاصة بتمثيل الشعب اليهودى.

(ب) ضمان التأييد القوى ماليا وبشريا من اليهود لبناء الوطن القومى.

(جـ) تعزيز فرص الحصول على الاعتراف الدولى بالحركة وبأهدافها وقد لجأ زعماء الصهيونية إلى تحقيق ذلك بكل الوسائل ومنها:

- الدعاية.

- والتنظيم غير الديمقراطى لكسب المزيد من الأعضاء مثل استخدام واجهات من تنظيمات جماهيرية تدعى الاستقلال وهى تقوم بدورة الأداة بيد الصهيونية.

٣- وكان من أبرز البنائين أو القادة المؤمنين بالوطن القومى - فلسطين حتى قبل «هرتزل» ومؤتمر «بازل» هو الكولونيل «كوندر» الذى وضع العديد من المؤلفات عن فلسطين أرض الميعاد، وعرض لآرائه فى هذا الصدد فى عام ١٨٩٢ قبل انعقاد مؤتمر «بازل» بخمس سنوات ومن أفكاره:

(أ) أن يهود أوربا الشرقيين هم عنصر المستقبل بالنسبة للاستعمار المزدهر وذلك لتعرضهم طويلا لمظالم اجتماعية فى بلدانهم.

(ب) لن يكون اليهود أقل عزيمة فى ظل السيطرة العثمانية التى لاتشكل سوى مظهر آخر من مظاهر الاستبداد الشرقى الذى يعانى منه اليهود فى ظل الطغيان الروسى.

(جـ) إن اقتراح توطين العمال الزراعيين جعلهم ملاكا يحرثون أرضهم يتفق مع الاتجاه العام للحكم المستنير فى عصرنا.

(د) أن استغلال كل فلسطين وإلى الشرق من نهر الأردن سوف يكون بمثابة عودة ذلك الرخاء والازدهار القديمين اللذين عرفتهما هذه البلاد أيام الرومان ولا شك أن التسهيلات التى يقدمها العلم الحديث تعنى زيادة فى الرخاء والازدهار.

(هـ) ينصح أحباء صهيون بشراء كل مايمكنهم الحصول عليه من الأراضى بأسعار معتدلة وفى أقرب فرصة.

(و) أن حركة الاستعمار اليهودى ليست مصطنعة ولاهى مجرد محصلة الشعور الدينى أو رغبة فى عمل الخير بل هى حركة طبيعية وصحية فى آن واحد، ومن الواجب تشجيعها بالتبرعات والتأييد المنظم.

(ز) الثقة بأنه لن تمضى سنوات قليلة إلا ويزداد الرخاء فى فلسطين وتمتلئ الأراضى الخاوية «بسكان مجتهدين» ويعود الفضل فى ذلك إلى البارون «روتشيلد» وإلى منظمة «أحباء صهيون».

رابعا: التنظيم الفعال

١ـ بدأ التنظيم الصهيونى، بمنظمات محدودة من «الجيتو» وكان أبرزها «احباء صهيون» وتطورت وتجمعت وانتهت إلى تنظيم صهيونى عالمى معترف به.

٢- وقــد حــدد المؤتمر الصــهــيــونى الأول فـى «بازل» ١٨٩٧ الخطوات اللازمة لاكتمال التنظيم ومنها:

(أ) العمل على استـعـمـار فلسطين بواسطة العمـال الزراعـيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة.

(ب) تنظيم اليهود عالميا عبر منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة فى كل بلد.

(جـ) تغذية وتقوية المشاعر اليهودية والوعى القومى اليهودى.

(د) اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية ويعتبر مؤتمر بازل اللبنة الأولى (تنظيميا) فى سبيل تأسيس الدولة اليهودية.

٣- وكـانـت فكرة الأرض الموعـودة خـيـاليـة فى أول الأمـر وعـرضت كل من «أوغندا» و «الأرجنتين» و «العـريش» وأى أرض خالية يرفع عليها علم الدولة اليهودية.

٤- ثم تعـرف «هرتزل» على «ليـون بنسكر» (١٨٢١ - ١٨٩١) الذى نشـر كـتـيـبـا بعنوان «التحـرر الذاتى» وتزعم حـركـة «أحـبـاء صـهيـون» فى «أوديسه». وباحتكاكـه المباشر بعـدد من السياسـيين والعـسكريين اليـهـود اقـتـنع بأفكار وصلت بـدورها عن طريـقـه إلى «هرتزل» ومنها:

- عدم جدوى اختيار «الأرجنتين» أو «أوغندا» أو حتى «العريش»، بل إن فلسطين هى الأرض مع تفضيل تسمية الشعب بالإسرائيليين بدلا من اليهود، لأن الأولى تشمل كل الجماعات الدينية.

٥- وقد قامت جمعيات «أحباء صهيون» فى «روسيا» أولا فكانت تهـدف إلى الهـجـرة إلى فلسطين، إلا أن السلطات العـثـمـانيـة تنبـهت

للخطر فمنعت الاستيطان اليهودى فى فلسطين فى أبريل ١٨٨٢ ثم عادت السلطات العثمانية عام ١٨٩٠ إلى رفع الحظر وهنا سمحت السلطات الروسية لجمعيات «أحباء صهيون» بمباشرة نشاطها.

٦- وفى بريطانيا سادت الروح العسكرية الحركة الصهيونية تحت زعامة «الكولونيل جولد سميد» وظهر برنامجه عام ١٨٩٣ المتضمن:

(أ) دعم الفكرة القومية.

ب - تشجيع استعمار اليهود لفلسطين والأراضى المجاورة بإقامة مستعمرات جديدة ومساعدة المستعمرات القديمة القائمة.

(ج) نشر معرفة اللغة العبرية.

(د) تحسين الوضع الأدبى والفكرى والمادى لليهود فى فلسطين.

(هـ) تعهد أعضاء المنظمة بإطاعة قوانين البلاد التى يعيشون فى ظلها والعمل كمواطنين صالحين عبر تلك البلاد قدر استطاعتهم.

خامسا: البيئة الدولية الملائمة

١- درج مؤرخو الصهيونية على اعتبار عام ١٨٨٢ بمثابة نقطة تحول فى مسيرة الحركة فى فترة ماقبل «هرتزل» ومؤتمر «بازل»، فقد حفل هذا العام بسلسلة من الأحداث أثرت على تطور الحركة الصهيونية.

فعلى صعيد الحياة فى روسيا حيث يقطن القسم الأكبر من اليهود أخذ الوضع الاقتصادى العام يتحسن بسبب الطابع اللبرالى الذى تميز به حكم القيصر «الكسندر الثانى» ومحاولته تحرير

الفلاحين من ربقة الأستعباد وأدى ذلك إلى تعزيز حركة «التنوير» ودفع حركة «التحرر بين اليهود» كما أدى تحرير الفلاحين إلى تدفق أعداد منهم صوب المدن بسبب ازدياد البطالة فى الريف وغيبة الصناعة فى روسيا، ولم يجد العاطلون إلا المهن التى كانت وقفا على اليهود كالحرف اليدوية وأدى التنافس إلى العداء بين الجانبين واتهام أغنياء اليهود باستعباد الشعب واستغلاله وتم النظر إلى اليهود كجسم غريب فى جسد الدولة السلافية. كما أدى اشتراك اليهود فى الحركات الثورية إلى مزيد من الاضطهاد لهم من قبل العناصر الرجعية. وحينما أغتيل القيصر المحبوب عام ١٨٨١ كان بين الثوار عدد من اليهود مما أدى إلى اندلاع أول موجات الاضطهاد واستمرت حتى عام ١٨٨٣ وفرضت القيود على يهود روسيا بحصر إقامتهم فى قطاع معين من البلاد ومنعهم من شراء الأراضى والعقارات بالإضافة إلى تحديد نسبة من يسمح لهم من اليهود بالالتحاق بالجامعات.

وهكذا وصلت حركة محاربة الاندماج إلى منعطف تاريخى مهم وبدلا من المضى على الاستقرار والأندماج علت دعوة الهجرة وإيجاد حل للمسألة اليهودية كرد فعل لإعلان فشل سياسة الاندماج.

٢) وفى منتصف عام ١٨٨٢ كانت بريطانيا تنزل ضرباتها بالحركة الوطنية المصرية بزعامة عرابى وتحتل مصر لتصبح قاعدة بريطانية لحماية الطريق إلى الهند ولتصبح فيما بعد بمثابة العربة التى تنطلق بها الصهيونية حتى تحصل على وعد «بلفور» ثم المساعدات التى أدت إلى مأساة ١٩٤٨ ومن قبلها هيئة الانتداب البريطانى على فلسطين أرضا لنمو الحركة الصهيونية.

٣) والفكرة الصهيونية كنتاج للحركة الرأسمالية سرعان ماواكبت نشأة واتساع الحركة الاستعمارية الغربية وتعلقت بركبها،

وأصبحت أحد أدوات الاستعمار ثم فى مرحلة تالية أحد أدوات أكبر وأقوى وأغنى دولة فى العالم هى الولايات المتحدة الأمريكية.

القسم الثامن

المرحلة الأولى للصهيونية

الرواد التوسيعيون

١٩٠٤ ـ ١٩٢٠

١ ـ «ماكس نرودو»

٢ ـ «فلاديمير جابوسنكى»

الفصل الأول

مرحلة التفسير العقائدى للصهيونية

«ماكس نوردو»

المرحلة الأولى للنشاط الصهيونى
حتى عام ١٩٢٠

تمهيد:

اتسمت المرحلة الأولى للصهيونية بنوع من الجدل بين الرواد الأول الذين خلفوا «تيدور هرتزل» بعد وفاته عام ١٩٠٤ حول تفسير المبادئ الأيديولوجية وطريقة تنفيذ المخططات الصهيونية لتحقيق الهدف الذى دعا إليه «هرتزل» وهو قيام وطن قومى لليهود المشتتين فى أرجاء بقاع العالم على أرض ما سماه بأرض الميعاد فى فلسطين.

وكانت هذه المرحلة للنشاط الصهيونى عبارة عن اجتهادات للاختيار بين النظرية التوسعيه التى نادى بها كل من «ترودو» و «جابو سنكى» والتى تحبذ تنفيذ المخططات الصهيونية للوصول إلى الأهداف بالاعتماد على القوة العسكرية والمالية لليهود، وبين النظرية التكتيكية المرحلية التى يرفع شعارها كل من «حاييم وايزمان» و «ديفيد بن جوريون» والتى تتخذ من الواقعية أساسا وطريقا للوصول إلى الهدف.

وقد رجحت كفة النظرية الواقعية وتولت قيادة المسيرة الصهيونية حينما انتزع «حاييم وايزمان» من الحكومة البريطانية صك «وعد بلفور» الذى اعتبره اليهود عامة والصهاينة بصفة خاصة الطريق الممهد المؤدى إلى الهدف الأكبر - هو - دولة إسرائيل.

وقد حقق «وايزمان» بهذا النجاح الكبير عام ١٩١٧ مالم يحققه زعيم الصهيونية «تيدور هرتزل» الذى أخفق بالرغم من مساعيه العديدة للحصول على «صك» مماثل من الدولة العثمانية يبيح لليهود كياناً قومياً فى فلسطين.

رأى الرواد التصحيحيين التوسيعيين
ورأي الرواد المنفرين (البرجماتين)
تمهيد: فى الأهداف الصهيونية
تاريخ الصهيونية الفكرى والسياسي السابق على قيام الدولة

قد ظهرت الخلافات لأول مرة فى المرحلة الأخيرة للعصر العثمانى، عندما تصادمت المفاهيم الثورية للحركة العمالية، وهى التيار الذى خرج منه حزب العمل، مع نظرة المزارعين فى المستعمرات الصهيونية الأولى، كان التيار الأول يناضل من أجل ما أسماه «انتصار العمال» والسعى إلى إقامة الصهيونية بإنشاء مجتمع جديد يعتمد على رؤية اشتراكية طوبوية، بينما كان التيار الآخر يركز اهتمامه على حل وطنى سياسى ضمن إطار مخطط دولى واسع.

لكن هذا الاستقطاب لم يصل إلى ذروته إلا فى فترة الانتداب، عندما انسحب «زئيف فلاديمير جابوسنكى» من المنظمة الصهيونية، وأسس حركة التصحيحيين (وهو الفريق الذى خرج منه حزب بيجين). وكان التصحيحيون يستلهمون النزعات الوطنية الأوربية

ذات الطابع الرومانسى والقائمة على الدعوة إلى الوحدة (وكان نموذجها الأساسى هو ايطاليا فى القرن التاسع عشر). وأكدوا أن «الوطنية قيمة مطلقة، وإنها تعبير عن التقدم الثقافى، وعن الحيوية، وعن تحقيق الهوية المتفردة، وتحقيق الذات والمصير المشترك [١]، ولما كان هذا الفريق يدعو الشعب اليهودى إلى موقف انعزالى متمركز على الذات، فقد بنى مبادئه الوطنية على أفكار التضحية، والوحدة العضوية والعظمة والغلبة، وجعلوا من إنشاء الدولة الهدف الأسبق والأوضح بالقياس إلى معظم الاتجاهات الصهيونية الأخرى، ساعين إلى السيادة والهيمنة على إسرائيل التاريخية على ضفتى نهر الأردن، واستهدف التصحيحيون تحقيق ذلك بالقوة العسكرية التى لابد من الإعداد لها، لا كخيار طارئ بل كعمل من أعمال الذات. وأكدوا أن الصهيونية لايمكن واقعيا أن تتحقق عن طريق التعاون مع العرب، أو الوصول معهم إلى حلول وسط، وقد رفض «جابوسنكى» فكرة تقسيم فلسطين، ورأى أنها فكرة خالية تماما من أى معنى [٢].

الرواد الأوائل للصهيونية
(ماكس توردو)- ١٨٤٩-١٩٢٣)
الفكر التوسعى الإسرائيلى

١- يعد «نوردو» من طلائع الحركة الصهيونية، وقد تعرف على «هرتزل» وتزاملا فى أوروبا، وكان كاتبا ومراسلا لأبرز صحف بودابست التى ولد بها ثم أكمل دراسته للطب فى فيينا ثم انطلق إلى «باريس» ليقيم فيها بصفة دائمة.

---

(١) انظر: «موقف حركة التصحيحيين من الحرب الوطنية العربية «بقلم ياكوف شافيت فى «الصهيونية والمسألة العربية باللغة العبرية (القدس: مركز زالمان شازار للتاريخ اليهودى، ١٩٧٩) ص ,٧٩ ويعتبر شافيت فى أوساط الليكود منحازا ضد أيديولوجية التصحيين.

(٢) انظر: الصهيونية والعرب، ١٨٨٢ - ١٩٤٨ : دراسة فى الأيديولوجية، بقلم يوسف جورنى (أكسفود كلاريندون برس، ١٩٨٧) ص ,٢٦٨ .

وقد اعتنق «نوردو» أفكاراً عصرية حول الفلسفة الوضعية والنظر إلى الأمور بمنظار النقد العلمي والتحليل الوضعي. وقد ارتد «نوردو» عن الأفكار الصهيونية إلا أنه عاد إليها بعد صداقته «لهرتزل» وأصبح في طليعة المثقفين اليهود الذين ساهموا في بناء ودفع الحركة الصهيونية.

٢- وتكمن أهمية «نوردو» على صعيد الفكر النظرى الصهيونى فى الصفات الخاصة التى تمتع بها:

فقد كان خطيبا موثرا ويتواجد على الدوام فى المؤتمرات اليهودية من الأول حتى العاشر وجاءت خطبه بمثابة تسجيل وصياغة للفكر الصهيونى خلال ربع القرن الأول من تأسيسها.

٣ - ويعد انضامه للحركة الصهيونية أحدُ العوامل التى أسهمت فى إظهار الحركة بالمظهر التقدمى مما جعلها تجتذب كثيرا من المثقفين اليهود الشباب.

٤- وقد أسهب «نوردو» فى وصف محنة اليهود فى القرن التاسع عشر وقد تعرض هو شخصيا لخبرة مؤلمة عام ١٨٩٣ فقد طلب من خلال حفل حضره من خلال رسالة مكتوبة، أن يغادر الحفل بوصفه غير مطلوب للحضور - أى غير مرغوب فيه - وهو أمرأ شعره بالمهانة وأدى إلى انهيار أفكاره اللبرالية حول التسامح وإعلاء شأن الإنسانية.

٥ - وقد تعرف عام ١٨٩٠ على واضعى خطة استيطانية لتهجير اليهود إلى الأرجنتين بامتلاك ٥ر٢ مليون كم٢، ثم يجرى توطين نصف مليون يهودى روسى فيها، ولما فشل المشروع أدى به الأمر إلى سرعه اعتناقه الصهيونية والتحول إلى الدعوة إلى الهجرة إلى فلسطين، وقال قولته المشهورة «إما أن تكون اليهودية صهيونية أو لاتكون».

٦- وقد حارب «نوردو» دعاة الاندماج مع اليهود الذين عارضوا الصهيونية وقالوا إنها غير ضرورية ورد عليهم بسرد حال اليهود فى الدول الأوربية وبخاصة الشرقية ووضع عدم المساواة الذى يعيشون فى ظله.

٧- ويمكن تلخيص أبرز أفكار (نوردو) فيما يلى:

(أ) أنه قدم صياغة ذكية لغاية الصهيونية بقوله إنها خلق وطن للشعب اليهودى فى فلسطين معترفا به من القانون الدولى وتعدلت الصيغة إلى .. يضمنه القانون الدولى، وذلك حتى يمكن تجنب أية إثارة، وكان «نوردو» يقصد بالوطن إنشاء الدولة اليهودية.

(ب) إن الصهيونية تعمل على إيقاظ اليهود على حياة جديدة وتكون اليقظة معنوية وذلك بإنعاش أمانى الشعب اليهودى ومثله العليا ماديا (جسديا) بتربية النشء تربية بدنية صالحة وصولا إلى يهودية العضلات أو الفترة التى ضاعت خلال ١٨ قرنا من النفى والتشرد وهى فتوة تستوحى الأمجاد والبطولات الماضية.

(جـ) واعترض «نوردو» عن الحديث عن حزب صهيونى داخل اليهودية لأن الصهيونية ليست حزبا بل هى اليهودية بعينها، وقال إن العالم المسيحى لن يعترض على الحركة الصهيونية لأنه يريد التخلص من اليهود والهجرة تقدم له هذه الغاية.

وقد جسد أحد المعارضين للصهيونية أفكاره بقوله إن الصهيونية السياسية هى مجرد صيغة مجردة لعقيدة انتظار المسيح المخلص، جرى نقلها من العقول المتحمسة دينيا إلى عقول الزعماء السياسيين

الذين جذبوا بشدة إلى فكرة البعث العظيم وهو أمر يعبر عن الخط الفاصل بين الواقع والخيال.

(د) أن فلسطين تستطيع استيعاب اليهود كلهم وهى مقولة رد بها «توردو» على المعارضين الذين شككوا فى هذا الأمر، ويقول إن فلسطين والأقاليم المجاورة لها توفر متسعا لاستيعاب من ١٢ ـ ١٥ مليون من السكان دون أن يحدد بالضبط ما هى تلك الأقاليم المجاورة.

(هـ) ويحاول تورد تغطية أهداف الصهيونية بالقول إن اليهود لا يريدون طرد أحد من فلسطين لأن الـ ٦٠٠٠٠٠ عربى المقيمين حاليا فى الأراضى المقدسة سوف يحافظون على علاقات حسن الجوار مع الوافدين اليهود، كما أن الصهيونية لاتضمر عداء للحكومة العثمانية، بل ستكون نافعة لها بدفع الأعمال التى تساهم فى رخاء وازدهار المنطقة.

(و) وكان «توردو» هو الآخر يعتنق مبدأ التعلق بركب دولة كبرى من أجل تحقيق الهدف ويوضح أن الصهيونية ستبذل جهدها للعمل مع الباب العالى، وفى عام ١٩٠٧ قال إن الصهيونية ستعمل فى الشرق الأدنى ما فعله الانجليز فى الهند بزيادة النشاط الثقافى دون السيطرة، وسيكون المهاجرون بمثابة حملة المدنية والتحضر وهدفها ترسيخ وتوسيع المفاهيم الأوربية لتصل حتى نهر الفرات.

الفصل الثانى

الفكر التوسعى الصهيونى

«فلاديمير جابوسنكى»

«التصحيحيون»

الرواد الأوائل للصهيونية السياسية
الفكر التوسعى الصهيونى
(فلاديمير جابوسنكى) (١٨٨٠ـ١٩٤٠)

جابوسنكى : الحركة

١ـ ولد جابوسنكى بمدينة أوديسه وكان له نشاط عريض فى الحركة الصهيونية وآراء متعددة تعرضت لهجوم شديد من داخل الحركة ومن خارجها.

وقد وضحت آراؤه فى الفترة التى قضاها فى عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية (١٩٢١ ـ ١٩٢٣) ثم ظهرت الحركة التصحيحية ووضوح الانشقاق داخل الحركة عام ١٩٢٥ أدى عام ١٩٣١ إلى قيام «حزب الدولة اليهودية» وخروج جماعة «جابوسنكى» من حظيرة المنظمة الصهيونية وألفوا منظمة مستقلة عام ١٩٣٥ تحت اسم «المنظمة الصهيونية الجديدة».

٢ـ وقد ظهرت قدرات «جابوسنكى» فى الفترة التى قضاها فى عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية (١٩٢١ ـ ١٩٢٣).

وقد انعقد المؤتمر الصهيونى الثانى عشر فى «كارلسباد» (تشيكوسلوفاكيا) فى سبتمبر ١٩٢١ وجاء بعد انقطاع ثمانى سنوات من المؤتمر الحادى عشر فى فيينا (١٩١٣) ليستعرض آراءه فى هذا المؤتمر نوجز ماتم انجازه على النحو التالى:

(أ) صدور وعد بلفور (١٩١٧) وموافقة الحلفاء على نصه.

(ب) معاهدة الصلح مع تركيا.

(جـ) القول بانتداب بريطانيا على فلسطين.

وقد عرض المؤتمر أيضا للمخاوف التى انتابت الأعضاء بسبب عدم وضوح حدود الوطن الفلسطينى لأن منطقة شرق الأردن التى ينظر إليها الشعب اليهودى كجزء متمم لأرض إسرائيل سوف تندمج فى منطقة الانتداب البريطانى ويأسف لكون مسألة الحدود الشمالية لأرض اسرائيل لم تجد الحل المرضى، ويجب عدم التخلى عن الوحدة الإدارية والاقتصادية لفلسطين لصالح سياسة مناطق النفوذ حتى لا تتقلص إمكانات الاستيطان والاستعمار فى وجه الجماهير اليهودية الباحثة عن عمل ويأمل المؤتمر أن تستجيب فرنسا لصالح الشعب اليهودى. وقد ظهرت آراء «جابوسنكى» واضحة إبان المؤتمر.

٣- وعندما زاد «جابوسنكى» من نشاطه فى روسيا لإقامة قوة دفاع عن النفس وفقا لأفكاره، خضع لنقد شديد من الحركة الصهيونية لأنه يعرض أرواح اليهود فى روسيا للخطر وقد قام اليسار اليهودى الصهيونى وخاصة من داخل أوكرانيا بالضغط على جابوسنكى وطالبوا باستقالته.

٤ـ وهناك محك آخر أدى إلى خروج «جابوسنكى» من المنظمة وهو شعور حكومة الانتداب البريطانى بالسبب الحقيقى للاضطرابات فى فلسطين إذ أكدت اللجنة التى عينها المندوب السامى البريطانى لتقصى الحقائق أن وجود الحركة اليهودية أدى إلى صعوبة الإدارة وأن كره العرب للبريطانيين نشأ عن مساعدة حكومة الانتداب لهم والمظالم التى تعرض لها العرب وكل ذلك أدى إلى الاضطرابات، وأشارت اللجنة إلى خطورة هجرة اليهود على اقتصاديات البلاد بسبب المزاحمة التى يتعرض لها العرب إضافة إلى الكبرياء والغطرسة التى أظهرها المهاجرون اليهود إزاء العرب.

وقد هاجم «جابوسنكى» تقرير اللجنة ووصفه بالتحيز للعرب وضار باليهود.

وقد ترتب على كل ذلك أن أصدرت الحكومة البريطانية/ الانتداب كتاباً أبيض فى يوليو ١٩٢٢ بغية تهدئة العرب بإلهائهم بتفسير مقيد «لوعد بلفور»، وعندما عرضت مسودة الكتاب على اللجنة التنفيذية فى يونيو ١٩٢٢ لم يرفض «جابوسنكى» التوقيع ثم هاجم ماحدث تحت زعم الانهزاميين وقدم جابوسنكى مقترحات جديدة فى هذا الشأن إلى اللجنة التنفيذية منها:

(أ) إبلاغ الحكومة البريطانية وإدارة فلسطين أن الاستمرار فى السياسة الحالية يهدد الحركة الصهيونية بالخراب المالى ويوصل المشاريع الصهيونية إلى الإفلاس.

(ب) الإعلان بأن وجود المعادين للصهيونية أو المعادين للسامية فى صفوف المسئولين البريطانيين فى حكومة

فلسطين يتنافى مع صك الانتداب وأن تصر اللجنة التنفيذية على سحبهم.

(جـ) التصريح العلنى بأن الحركة لا تزال تلتزم بغايتها التاريخية.

غير أن اللجنة لم توافق على آراء «جابوسنكى» المتطرفة وطالبت معظم الأعضاء بالاستقالة أو التقيد بقرار الأغلبية لأن اللجنة التنفيذية هى بمثابة الحكومة الصهيونية، وهكذا استقال «جابوسنكى» من اللجنة التنفيذية فى يناير ١٩٢٣ وانتصر إتجاه «وايزمان» داخل اللجنة.

ولم يبتعد «جابوسنكى» عن السياسة بل تابع اتصالاته بالشباب المتطرف فى المنظمات الصهيونية وعمل على ترويج فلسفته الخاصة بـ «النشاط الفعال» وأدت تحركاته إلى انشقاق الحركة الصهيونية.

٥- وفى إطار الحركة الصهيونية لا ينكر له أبرز أدواره فى تجسيد «صندوق الضريبة» وهى الفكرة القائمة على التراث اليهودى بدفع عشر مايكسبه الفرد لتمويل الحركة، وهذه الفكرة هى مدخل اقتصادى للسيطرة.

ومع نشأة الصندوق بدأ الحديث عن المشاكل المطلوب حلها وكان من بينها مشكلة «المياه» فقد رأى الصندوق أن مياه الليطانى وهى أغنى خزانات فلسطين قد اقتطعت كلية وبقى اليرموك خارج الوطن القومى اليهودى ولا يكفى استغلال مياهه إلا بموافقة حكومة أجنبية، وتعانى منابع الأردن العليا من الوضع نفسه وكذلك استبعد جزء مهم من النهر المقدس من الدخول فى نطاق الأراضى المقدسة بسبب ترتيبات إمارة شرق الأردن.

ثانيا: «جابوسنكى»: الفكرة:

١ـ فكر «جابوسنكى» لا يقف عند حد بل يستهدف التغيير وفق المصلحة الصهيونية فقط ومثال على ذلك عند معارضته للنظام الخاص الذى أقيم فى شرق الأردن فقد أكد بأنه لاتوجد عوائق قانونية تعترض سبيل تصفية هذا النظام إذ يعتبر من الوجهة القانونية الدولية باطلاً لأنه نتيجة عمل من طرف واحد (الحكومة البريطانية).

وأن الوضع السياسى فى فلسطين يعتمد كلية على شخصية «المندوب السامى» الذى إن أخلص لروح «وعد بلفور» فإن إمكانات فلسطين (دولة اليهود) داخل الحدود الراهنة لاحدود لها من الناحية العملية. ويلاحظ أنه بدأ يتحدث عن الوضع القانونى وانتهى به الأمر إلى استخدام لغة الواقع العملى.

٢ـ وعرفت عن «جابوسنكى» دعوة «الصهيونية الكبرى» عندما طالب بفرقة يهودية جديدة وتأليف وزارة صهيونية كبرى تضم «الأقطاب والجبابرة» فى الحركة بغية تنسيق الجهود وتوحيدها فى سبيل الهدف الواحد.

٣ـ وكان يعلن أنه يتحالف مع الشيطان لتحقيق الهدف وإقامة الدولة اليهودية على ضفتى الأردن وضمن الحدود التورانية القديمة لمملكة إسرائيل ويهوذا.

٤ـ ووضحت شخصيته بشكل عام بالتذبذب والنصب وكان يتخذ من «جاريبالدى» الإيطالى ـ موحد إيطاليا ـ نموذجا يحتذى به.

٥ـ وقد صنف «جابوسنكى» المهاجر اليهودى إلى صنفين: الأول المهاجر العادى الذى يتوجه إلى فلسطين لكسب عيشه، والثانى:

الرائد وهو أنفع لهدف الغزو الثقافى - الاقتصادى، وأكد أن يلزم الحركة أعداد من السكان لديهم القدرة فى المستقبل على القتال فى سبيل الاستقلال السياسى.

٦- رفض شعار «الصمت والعمل» وقال إن المهاجرين لن يتوجهوا إلى فلسطين لحراثة الأرض لأن النشاط السياسى فى الحركة لاينفصل عن النشاط العملى.

٧- إن التحرر لايكون إلا بحد السيف.

٨ - كان يتصور الأسلوب السياسى بحديه:

الأول: بدك الحصون بمهاجمتها من الخارج.

والثانى: بالاستيلاء عليها من الداخل، وهو يفضل الأسلوب الثانى لأنه الأسلوب العملى والملائم.

٩- وعندما عرضت فى عام ١٩٢١ فكرة تأليف قوة يهودية - عربية مشتركة للحفاظ على الأمن والنظام سارع «جابوسنكى» إلى مهاجمة الفكرة وأخذ على «وايزمان» تردده فى معارضتها وقال: إن اليهود سيكونون أقلية فى القوة المقترحة وأيد بدلا من ذلك فكرة إنشاء قوة يهودية خالصة، وضغط على اللجنة التنفيذية لإقناع الحكومة البريطانية بالمقترحات التالية:

(أ) الإبقاء على الفرقة اليهودية التى تألفت عام ١٩١٧ داخل القوات البريطانية فى فلسطين.

(ب) إعادة فتح باب التطوع أمام اليهود حتى يصبح عددهم نصف مجموع القوة المقررة على الأقل.

(جـ) مناشدة الروح الوطنية للأفراد اليهود للانضمام مع قيام «صندوق الضريبة» بالمساهمة فى تعويضهم.

كما عارض «جابوسنكى» استمرار تسليح «الهاجاناه» كمنظمة عسكرية سرية للدفاع ولم يوافق زعماء «الهاجناه» واستمروا فى عملهم التسليحى والسرى.

القسم التاسع

المرحلة الأولى للصهيونية

١٩٠٤ ـ ١٩٢٠

الرواد الواقعيون

الفصل الأول

« حاييم وايزمان »

١٨٦٤ـ ١٩٥٢



وايزمان ـ خليفة هرتزل الرائد الأول للصهيونية.

«حاييم وايزمان»

١ـ صفاته العامة:

عندما مات «هرتزل» لم يظهر اسم و«ايزمان» ضمن الأسماء القائدة للحركة الصهيونية برغم إنه وحد صفوف الصهيونيين الروس فى مؤتمر «منسك عام ١٩٠٢» أى قبل وفاة «هرتزل» بعامين.

وكان «هرتزل» يصنف فى أحزاب الوسط إلى داخل الجناح الديمقراطى. وشهد المؤتمر محاولة للتوفيق بين المتدينين والراديكاليين حول المسائل الثقافية وابعاد الاستعمار اليهودى فى فلسطين.

وقد ظهرت قيادة «وايزمان» منذ عام ١٩٢٠، وكان هذا العام نفسه هو بداية خلاف بين و«ايزمان» و «بن جوريون» برغم تعاونهما الوثيق فيما بعد ـ مع وجود الخلاف ـ لصالح دولة إسرائيل.

وقد وصف «وايزمان» بأنه مهندس دولة اليهود. . .

وكان «وايزمان» الروسى أنشأ أرستقراطيا وسيما على ثقافة عالية وقدرة واضحة وفائقة على الإقناع، ويمكنه منذ ذلك ثرائه

وقدرته على الدخول إلى المجتمعات الراقية وخاصة فى بريطانيا وهو أمر أدى به إلى التأثير على «لورد بلفور» الذى أصدر الوعد المشهور١٩١٧ .

٢ـ أفكاره:

(أ) ويمكن تبين أفكار «وايزمان» العلمانية والليبرالية من خلال مخاطبته لاجتماع صهيونى فى فلسطين عام ١٩٣٦ عندما حث المجتمعين على التريث واتباع سياسة تدريجية تحقق الممكن. بمعنى أن «وايزمان» كان يفضل البدء بدولة صغيرة حسنة التنظيم وتعيش فى سلام مع جيرانها حتى يمكن أن تضمن الحركة الصهيونية قيام دولة يهودية لها حدود واضحة المعالم ومضمونة دوليا.

(ب) ولا يعنى ماسبق أن «وايزمان» بإيمانه بالتدرج قد تخلى عن الهدف الأخير للحركة الصهيونية، بل التدريجية والتعقل يعنيان الأمن فى تصوره.

(جـ) وكان تصوره لحدود الدولة اليهودية عام ١٩١٩ هو امتدادها من متصرفية جبل لبنان المستقل إلى الحدود المصرية ومن البحر إلى الخط الحديدى للحجاز.

(د) وقد ظهرت مرونة «وايزمان» إبان الاجتماع الاستثنائى الصهيونى فى نيويورك ١٩٤٢ عندما وافق على طلبات وتحركات لاتتسم بالتدريجية، ومن ذلك حق اليهود ـ أثناء الحرب ـ فى الدفاع عن وطنهم ضد قوى العدوان وفتح باب الهجرة لقيام كومنولث يهودى فى فلسطين يحقق الاندماج الكلى مع قطاع العالم الديمقراطى الجديد.

(هـ) وفى مايو ١٩٤٥ وقع وايزمان بيانا تقدمت به المنظمة الصهيونية إلى الدول العظمى تضمن:

- أن تعلن الدول الكبرى عزمها بأن تكون فلسطين كومنولثاً يهودياً ديمقراطياً.

- تلغى قيود الهجرة وبيع الأراضى.

- وتتولى الوكالة اليهودية سلطات الإشراف على الهجرة والبناء والتطوير.

- ضمان مساعدات مالية وفنية للوكالة.

- وللوكالة حق الاستشارة والتمثيل فى المحافل والهيئات الدولية التى تتناول شئون فلسطين.

٣- «وايزمان» - الحركة:

(أ) بعد وفاة مؤسس الحركة الصهيونية (هرتزل) عام ١٩٠٤ قرر «وايزمان» ترك الإقامة فى جنيف والانتقال إلى بريطانيا التى ظهرت له مواتية لتعضيد الحركة الصهيونية، وهناك تعرف على أبرز شخصيات المجتمع ومنهم لورد «بلفور» الذى أعجب «بوايزمان» وأستمع إلى آرائه.

(ب) وعقب دخول تركيا الحرب عام ١٩١٤ ضد الحلفاء أعلنت بريطانيا عزمها على تجزئة الإمبراطورية العثمانية وهنا سنحت الفرصة «لوايزمان» للتحرك بمساندة أصدقائه البريطانيين وتحرك دون إذن من قيادة الحركة الصهيونية ولم يعبأ بالنقد الذى وجه إليه لأنه تنبأ بوصول الحرب إلى الشرق الأوسط وبأن مقاليد المنطقة ستكون لبريطانيا وستقوم

علاقة مصلحة يراها وايزمان بتهجير حوالى مليون يهودى على مراحل يشكلون جدارا لحماية المصالح البريطانية.

(جـ)وفى عام ١٩١٦ أقدم «وايزمان» على تحرك مهم استهدف من ورائه التأثير على مراكز القيادة البريطانية وتنوير الفرد العادى ومواجهة تحديات اليهود المناوئة للصهيونية، وجاء ذلك بإصداره كتاباً فى ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط بعنوان «الصهيونية والمستقبل اليهودى» وهكذا حققت المجموعة التى تزعمها و«ايزمان» صدور وعد «بلفور» بأسلوب الاتصالات الذكية وبالإعلام الملح وبأسلوب ناجح فى العلاقات العامة.

(د) وإثر صدور وعد «بلفور» أعلن بيان للمنظمة الصهيونية وقعة ثلاثة منهم و«ايزمان» أن أهداف برنامج «بازل» قد دفعت الآن على أرضية صلبة.

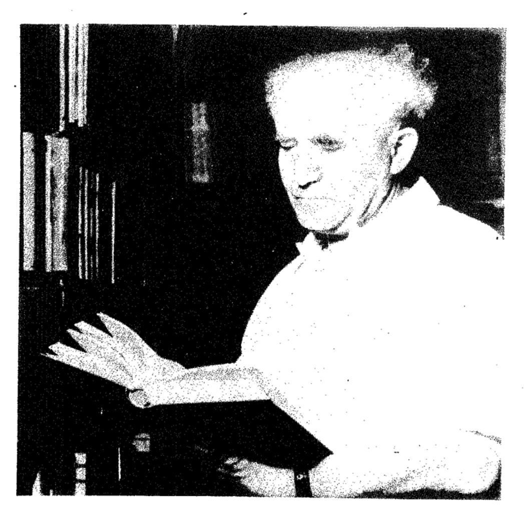
ه ـ ثم قام و«ايزمان» على رأس بعثة بزيارة المنطقة من الشام حتى مصر بهدف دراسة تنفيذ وعد «بلفور»، وعند زيارته القدس حاول إزالة المخاوف العربية.

(و) وقد تزعم و«ايزمان» الحركة الصهيونية منذ عام ١٩٢٠ وإبان المؤتمر الثانى عشر (١٩٢١) انتخب مرة أخرى رئيسا للمنظمة برغم أن أعضاء المؤتمر وجهوا النقد إليه بسبب التعثر فى الحصول على مزيد من الأرض للوطن ـ الدولة ـ اليهودية، لأن الانتداب البريطانى كان قد ضيق المساحة المتروكة لإقامة الدولة اليهودية باستبعاد شرق الأردن وغيرها من المناطق.

الفصل الثانى

« دافيد بن جوريون »

١٨٨٦ ـ ١٩٧٣



بن جـوريون ـ أخطر رواد الصـهـيـونيـة لقب بالنبى
المسلح ويعود إليه قيام دولة اسرائيل.

ديفيد بن جوريون

- أخطر وأعتى وأنشط وأصلب رواد الصهيونية الأول على الإطلاق.

- مبدؤه «الغاية تبرر الوسيلة».

- عقيدته: أن دولة «يهوذا» قضى عليها بالنار والحديد والدم، فلابد أن تعود إلى الحياة بالنار والحديد والدم.

- أقام دولة إسرائيل ولم اليهود من الشتات داخلها.

- لقبه الكُتاب اليهود «بالنبى المسلح».

- إن إسرائيل بالرغم من وفاته وتغيير الأوضاع الدولية تسير على النهج الذى وضعه ولا يجرؤ أحد من زعمائها الحاليين على الخروج على هذا المنهج.

مقدمة

لم أجد فيما وقع تحت يدى من مراجع عربية وأجنبية، وما تيسر من وثائق ومذكرات تناولت حياة «بن جوريون» إلا كل الصعوبة فى تقديمى للقارئ مفتاح تلك الشخصية التى لعبت دورا حاسما بلا ريب فى صياغة التاريخ المعاصر للشرق الأوسط.

فقد رأى بعض الكتاب فيه « جالوت» القرن العشرين ووصفه آخرون « بالنبى المسلح» مثله مثل اليهودى الاخر «تروتسكى» ، فى حين رفعه آخرون إلى مصاف الوريث الشرعى للنبى داود. ولا يخامرنى الشك أنه سيأتى اليوم الذى سيتاح فيه للباحثين الاطلاع على مخزون هائل من الوثائق السرية فى اسرائيل، وعندئذ تحل الأسطورة مكانها للتعتيم الموضوعى لنجاح « بن جوريون» فى السيطرة على الجماهير الغفيرة، وفى خلقه أقوى آلتين سياسية وعسكرية عرفتهما المنطقة، وصولا نحو تحقيق الحلم الصهيونى الكبير .

فحياة «دافيد بن جوريون» هى فى واقع الأمر عرض للقضية الصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا. قضى حياته كلها فى خدمة الحركة الصهيونية، مشاركا فى صنع خططها ومنفذا

لها بالنار والإرهاب والدهاء، مسترجعا بضمير مستقر - أساليب الإبادة التى مارسها آباء بنى اسرائيل ضد الفلسطينيين أصحاب الارض منذ آلاف السنين. ولأنه حمل « الحلم» بيديه القويتين كما لو كان « تابوت العهد»، فلم يستوقفه جوهر كتابه المقدس الذى قرأه بعمق، ولا مبادئ الإخاء والمساواة فى تقدمه الجدى، بل ولم تستوقفه العبرة وراء موت اليهود على محرقة أقيمت باسم شعب مختار آخر .

لم يكن « بن جوريون» تلك الشخصية الموضوعية فى الوثائق الرسمية ولا الذى برز من التقارير الواقعية، أو من انقلاب فجائى أو ثورة عارمة فى التاريخ، كان حاد الطبع، كثير الانفعال شديد التحمس عنيدا، يجهد نفسه دائما من أجل دوره، قادرا على المستحيل، وقد اجمعت الفئة التالية من الكتاب على أنه كان الرجل الذى تستهوى سيرته الكثير من الكتاب .

تلك سطور لعلها تأخرت عما ينبغى من ظهورها بيننا زمنا وذلك من منطق ما كنا نعلن ان « اعرف عدوك »وان لم نعرف ما كان يجب أن نعرف وان نستعد له كما استعد هو بالاتحاد والتنظيم والتخطيط فضلا عن حسبان الممكن وغير الممكن واستغلال العلاقات ولباقة السياسة.

كان «بن جوريون» - وإن عددناه نحن من الطغاة - كان شعبه يعتبره من الرسل مؤمنا بعقيدته التى عمل لها حياته كلها فلتكن فى تلك الصحف عبرة لنا نعرف بها أبناءنا ومن يعقبنا من أجيالنا.

أوضاع اليهود الاجتماعية والسياسية

عند مولد «ديفيد بن جوريون»

كان يتجاذب اليهود فى روسيا وأوربا الشرقية اتجاهات دينية

تدعو إلى التحرر بالهروب والهجرة إلى أرض الميعاد فلسطين والاستيطان فيها. وكان عدد اليهود فى روسيا وأوربا الشرقية زهاء خمسة ملايين يعيشون غالبا بين عقلية «الجيتو» وبين الأفكار الليبرالية والقومية التى انتشرت فى بلدان أوربا الغربية. وقد ظهر من بينهم مفكرون وكتاب وشعراء أثروا فى توجيه ماكان فى اليهودية معروفا باسم «الشتات» إذ ظهرت آنئذ حركة «الهاسكالا» بقيادة «مندلسون» وكانت تنادى بالنهضة والاستنارة. ومحاولة التوفيق بين الدين اليهودى وبين روح العصر.

غير أن اليهود فى روسيا وبولندا وفى غيرهما من بلدان أوربا الشرقية لم يجدوا فى «الهاسكالا» أهدافا معقولة تخلصهم من عذابهم، فتحولوا إلى تأييد حركة جديدة أطلقت على نفسها «حركة أحباء صهيون» تدعو إلى الهجرة إلى «فلسطين» أرض الميعاد. وقد انتشرت هذه الدعوة فى أنحاء روسيا ومنها تسربت إلى المهاجرين فى فلسطين فى أول القرن الثامن عشر. أيام ظهور كتاب «ليوبنسكر» (التحرير الذاتى) الذى أثر بمبادئه فيمن هاجر من الروس «البيلو» إلى فلسطين وذلك فى موجات تتابعت بعد اغتيال الإمبراطور «الكسندر الثانى» عام ١٨٨١

ومن ثم كان يهود روسيا يهتمون بما كان يروى من أخبار عن «موسى مونيفيورى» و «ادموند روتشيلد»، ومن أخبار عن المسيحيين ممن يساندون الحركة اليهودية مثل «جورج اليوت» غير أن رواد الحركة الصهيونية كانوا يعتقدون بأن عليهم وحدهم يقع واجب الاستيلاء على فلسطين.

وفى أواخر القرن التاسع عشر، عام ١٨٩٦، صدر كتاب «تيدور هرتزل» (الدولية اليهودية) فكان له التأثير المباشر فى وضع الأسس

السياسية للصهيونية. ذلك أن الكتاب ترجمة صريحة صادقة لأفكار يهود شرق أوربا واتجاهاتهم، إذ وضعت فى قالب وبأسلوب تفهمه حكومات الغرب وشعوبه، فلما انعقد المؤتمر الصهيونى الأول فى «بازل» عام ١٨٩٧ ، كان أغلب المندوبين من شهود المؤتمر إنما كانوا يمثلون يهود روسيا وبولندا. واستطاع «هرتزل» أن يتزعم اليهود دون منازع، حيث اتجه إليه الصهيونيون المتشددون، وذلك فضلا عن المتدينين ممن رأوا فيه رسولا من قبل الله أرسل لإنقاذ اليهود من «الشتات» والعذاب. وأصبح «هرتزل» بآرائه ودعوته ونشاطه المثل الأعلى للجيل الجديد - جيل «وايزمان» و «بن جوريون» و «جولد مائير» ، فألهب مشاعرهم وأثارهم إلى الهجرة إلى أرض الميعاد.

وكان من بين قادة حركة أ«حباء صهيون» «افجدور جرين «والد» بن جوريون» حيث كان فى مدينة «بلونسك» البولندية - التى كانت يومئذ خاضعة لروسيا - يعمل بالمحاماة - دون حصوله على إجازة الحقوق - وكانت داره ملتقى أعضاء حركة «أحباء صهيون» حيث يدار الحوار والجدل بين أنصار الحركة ومعارضيها من رجال الدين اليهود والاشتراكيين المتشككين فى هذه الحركة الصهيونية ويخشون تطويرها إلى حركة تدعو إلى «مسيح دجال» شأن ماسبقها من حركات.

مولد «بن جوريون»

وفى هذا المناخ المشحون بالدعوة إلى التحرر الذاتى، والتخلص من معاناة «الجيتو» واضطهاد الروس بالهجرة إلى أرض الميعاد، ولد «ديفيد بن جوريون» فى ١٦/ ١٠/ ١٨٨٦ ، وقد أصر أبوه منذ الصغر على تعليمه وإخوته اللغة العبرية، بحكم نشأته فى بيت صهيونى فرضع فيه العبرية وحب «صهيون».

وكان ديفيد أفجدور جرين منذ صغره متحمسا للعلم وذا قدرة كبيرة على التركيز، وكان أول ماقرأ بالعبرية كتابى «حب صهيونى» و «كوخ العم توم»، كما كان على خلاف أترابه من الأطفال أميل إلى العزلة، كما كان أمل أمه «سيندال» (slmdal) التى توقعت له مستقبلا باهرا، كأن يصبح حبرا عظيما لليهود.

وكان حين بلغ الحادية عشرة من عمره عام ١٨٩٧ أن توفيت أمه وهى تضع مولودها الحادى عشر فأصبح أبوه كل شىء فى حياته، وكان اليهود يومئذ يتتبعون أخبار «هرتزل» ونشاطه السياسى وهدفه فى الحصول على عهد يسمح لليهود باستعمار فلسطين.

وتأثر ديفيد مع غيره من شباب اليهود فى بولندا بآراء «هرتزل» الذى أصبح المثل الأعلى لهم، فألف المكافحون من زملائه ممن غلب عليهم الجد والعزم جمعية واختاروا لها اسم «عيزرا» [١] مؤسس الهيكل الثانى بما له من دلالة كبرى عند الصهيونيين المتعصبين، تدرس فيها العبرية الحديثة، وتناقش آراء «هرتزل».

ثم اضطلع بالدعاية والخطابة فى جمعية «عزرا» ولكنه اختلف مع الاشتراكيين من اليهود لرفضه مفهومهم السياسى منذ البداية، وأحتج بأن «هرتزل» الذى عاش فى بلد ديمقراطى إنما رأى الحل الأمثل لتحرير اليهود فى منحهم وطنا خاصا بهم، وكان على جمعية «عزرا» أن تناضل على جبهتين .

---

(١) عيزرا: وهو الذى غضب بعد عودته إلى القدس من بابل على اليهود لاختلاطهم بغيرهم من سكان القدس ومنعهم وحرم عليهم هذا المسلك، واستطاع أن يجمع يهود «السبى» من أتباع تعاليمه العنصرية. ففصل بينهم وبين من لم يتبع تعاليمه منهم، ومن ثم وضع فيهم «أسس العنصرية والانفصالية» (سفر عزرا الاصحاح التاسع)

ـ الأولى: لإقناع الصهيونيين بالهجرة إلى فلسطين، والثانية: لإقناع الاشتراكيين بالعقيدة الصهيونية، وكان ديفيد بما جبل عليه منذ الصغر من بلاغة وقوة حجة، نموذجا متميزا شهد له أحد الأحبار بقوله: لو أن عندنا عشرة مثل «بن جوريون» لحررنا شعب بنى إسرائيل».

على أن الصهيونيين قد أصيبوا بعد المؤتمر الصهيونى عام ١٩٠٢ بعد فشل «هرتزل» فى مفاوضاته بخيبة الأمل. وظهر يومئذ «وايزمان» مع جماعة صغيرة طفقت تطالب بضرورة الديمقراطية فى القيادة الصهيونية. وفى هذا المناخ المشحون بالإحباط، قرر «بن جوريون» الإنضمام إلى حركة «عمال صهيون» الداعية إلى الهجرة إلى فلسطين والعمل فيها وإلى العدل الاجتماعى بين اليهود.

ثم سافر «ديفيد بن جوريون» إلى «وارسو» لإتمام دراسته الثانوية فاختار الدراسة باللغة الروسية، كما كان يعطى دروسا فى العبرية لكفاية نفقات دراسته، وواصل نشاطه مع جمعية «عمال صهيون» إذ قبض عليه بتهمة الشغب وإن تمكن أبوه بفضل صلاته برجال الشرطة ـ من إخراجه من السجن والعودة به إلى «بلونسك» ولكنه انقطع عن الدراسة المنتظمة برغم ماكان يتطلع إليه من دراسة الهندسة لإيمانه بأن استعمار فلسطين فى حاجة إلى المهندسين، ولاسيما بعد أن قرر الهجرة إليها والاشتراك فى استعمارها مع زملائه.

هجرة «بن جوريون» إلى فلسطين:

وفى عام ١٩٠٦ وصل إلى فلسطين حيث انضم إلى حركة «عمال صهيون» وتوجه إلى مستعمرة «بتاح تكفا» ملبس» وقد ذكر

فيما بعد فى كتابه «بعث إسرائيل ومصيرها» أنه لم يستطع النوم فى أول ليلة وصل فيها إلى فلسطين إذ تغلبت عليه مشاعره، وإحساسه بالفرح والنجاح وأرض إسرائيل من حوله أينما تولى.

ويذكر «بن جوريون» أن يهود فلسطين، حين وصل إليها «كانوا ينقسمون إلى فئتين، الفئة الأولى هم اليهود الوطنيون الذين ولدوا فى فلسطين وعددهم زهاء ٥٠ ألفا حيث يقطن أغلبهم القدس وطبرية والخليل، وكانوا يتعاملون مع العرب والأتراك ويعيشون على مايتلقون من مساعدات ومعونات تأتيهم من الجاليات اليهودية الفتية فى البلدان الأخرى، والفئة الثانية: هم اليهود المهاجرون من أوربا الشرقية ويبلغ عددهم ٣٠ ألفا تقريبا، وكانوا ملاكا لا يعملون بأنفسهم بل يعتمدون على العمال العرب.

نشاط «بن جوريون» السياسى فى فلسطين:

وفى العام الذى وصل فيه «بن جوريون» إلى فلسطين عقد أول مؤتمر «لعمال صهيون» فى فلسطين وانتخب رئيسا له، وتقرر فيه بناء على طلب «بن جوريون» تأليف «اتحاد العمال اليهود» وفوضه العمال فى تمثيلهم أمام أصحاب العمل فى معاصر «روتشيلد»، وكان أول عمل نقابى ينظم إضرابا مهد له السبيل ليصبح رئيسا للجنة مع عشرة من أعضاء الاتحاد أوكل اليهم إنشاء جريدة تنطق بلسان الاتحاد، وتبحث عن وسيلة للحصول على ضمانات للعمال اليهود فى القرى اليهودية ونجح ديفيد بن جوريون فى فرض آرائه على اللجنة المشكلة لوضع برنامج لاتحاد العمال اليهود تدعو فيه إلى الاستقلال السياسى ليهود فلسطين وأيده فى هذا الاتجاه «اسحاق بن زفى» المناضل الصهيونى الذى هاجر من روسيا والتقى بـ «بن جوريون» فى مستعمرة «بتاح تكفا» عام ١٩٠٧

ثم انتقل إلى «الجليل» فألف نواةلقوة مقاتلة بأسلحة تركية، واختار لنفسه لقب «مقاتل» وكان يؤكد دائما وجوب خلق «أمة» يهودية فى فلسطين تحكم نفسها وتحقق إرادتها بالقوة ولاتعتمد إلا على اليهود، وكانت مستعمرة «سيجيرا» أول مستعمرة يهودية يحرسها سكانها اليهود ثم تبعتها بعد ذلك مستعمرات عديدة. وهكذا كون «ديفيد بن جوريون» و «بن زفى» واتباعهما فرقة الحراس «هاشومير» على نمط جماعات الدفاع الذاتى فى روسيا، وكان شعارهم «بالدم والنار سقطت اليهودية وبالدم والنار ستقوم مرة أخرى، وهذه العقلية إن دلت على شيء فإنها تدل على مبادئ المخطط الصهيونى، إذ أصبحت كافة المستعمرات اليهودية فى فلسطين عام ١٩١٤ فى حراسة بأفراد من ساكنيها. واستمرت رسالة «الهاشومير» أو الحراسة الذاتية حتى عام ١٩٢٠، حين انتهت رسالتها بمجيء الحلم البريطانى الانتداب «صديق اليهود» فانضم أعضاء «الهاشومير» إلى «الهاجاناه» التى أصبحت التطور الطبيعى للحراس.

وقد غادر «ديفيد بن جوريون» الجليل إلى القدس حيث عين عضوا رئيسا لحزب «عمال صهيون» وأسند إليه تحرير صحيفة الحزب «الوحدة» حيث كان يوقع على مقالاته فيها باسم «بن جوريون» وقد اتخذ هذا الاسم الذى يعنى أبن الجرو أو الشبل لصلته بالتوراة، مؤكدا أنه أصبح يهوديا فلسطينيا وذلك لأن صاحب الاسم القديم، قد كان قائد الثورة اليهودية ضد الرومان وفى ذلك رمز لتاريخ عودة اليهود إلى فلسطين، واستمرار لتاريخ اليهود القديم، فلا يعنى شيئا أن خروجهم كان منذ ألفى عام.

وقد استطاع «بن جوريون» فى بدء حياته فى فلسطين أن يحول المستعمرات المسالمة إلى قلاع دفاعية، تبلورت فيها نواة العدوان، ثم تحول بعد ذلك إلى الاشتغال بالصحافة ومهاجمة الملاك اليهود لاستخدامهم العمال العرب. ويذكر «بن جوريون» فى مذكراته عن هذه المرحلة من حياته إنه كان دائم الحيرة بين البقاء عاملا وبين استغلال موهبته لمصلحة اليهود، ولكنه قرر بعد التفكير الاهتمام بالمشكلات التعليمية والسياسية فجاء قراره مناسبا، وكانت الآراء التى عبرت عنها مقالاته إذ ذاك تتركز فى تنظيم العمال وتوحيد السكان اليهود والحصول على حكم ذاتى من الحكومة التركية.

ولما كانت فلسطين إحدى الولايات التركية، وكانت حكومة الآستانة فى ذلك الوقت، حكومه جديدة معادية للعرب، فقد أراد «بن جوريون» ومعه «بن زفى» توثيق علاقتهما بالأوساط الحاكمة الجديدة فى تركيا، على أساس أن من حق اليهود من رعايا الباب العالى الحصول على حقوق الأقليات واقتنع الحزب بالفكرة، وأوفد «بن جوريون» و«وبن زفى» لدراسة القانون لإيمانهما بأن القانون هو الباب المؤدى إلى البرلمان العثمانى بصفتهما ممثلين لليهود، لتصبح الهجرة إلى فلسطين أمرا مشروعا، وفى الآستانة تعرف «بن جوريون» - وكان اسمه قد أصبح معروفا من مقالاته بجريدة الوحدة «بجوزيف ترمبلدرو» و «جابوتنسكى»، لكن بسبب دخول تركيا الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ عاد «بن جوريون» و «بن زفى» إلى فلسطين حيث اعتقلهما الاتراك مع آخرين من حزب عمال صهيون بتهمة تأليف جمعية لإقامة دولة يهودية ونفوهما خارج فلسطين. وفى الاسكندرية قبضت عليهما السلطات البريطانية بتهمة

موالاة الأعداء، ثم غادرا مصر إلى الولايات المتحدة التى وصلا إليها عام ١٩١٥. وعلى الرغم من الحرية التى يتمتع بها اليهود فى الولايات المتحدة فقد كان «بن جوريون» يؤكد أن اليهود لن تكون لهم حرية حقيقية إلا فى فلسطين، وتفرغ هو و «بن زفى» لإقناع الشباب اليهودى الأمريكى لتعلم العبرية، وفنون الزراعة تمهيدا للهجرة إلى فلسطين، وكانا يبشران بأن الصهيونية الحقيقية هى الذهاب إلى فلسطين، ويأخذان على اليهود الأمريكيين نظرتهم إلى الصهيونية عند حد التبرع بالصدقة.

وكان «بن جوريون» يطالب بمتطوعين من الشباب الأمريكى ويؤكد لهم «أن الوطن لا يشترى بالسياسة والمال ولكن بالنضال والكفاح»، كان قد آمن بنظرية العنف وطبق هذه النظرية طوال حياته إذ بدأها بتجميع اليهود فى فلسطين، ثم تأليف مجموعات عسكرية تساعد المستعمرين المستوطنين.

ولما أصدرت بريطانيا وعد «بلفور» وكان «بن جوريون» يومئذ فى الحادية والثلاثين من عمره لم يظهر اهتماما به، فقد كتب فى ١٤ نوفمبر ١٩١٧ «أن بريطانيا لم ترجع لنا فلسطين، وفلسطين لن تصبح لنا على يد بريطانيا، لقد تقدمت بريطانيا بخطوة عظيمة إذ اعترفت بكياننا أمة واعترفت بحقنا فى البلاد، ولكن الشعب العبرى وحده يستطيع تحويل هذا الحق إلى حقيقة ملموسة، الشعب العبرى فقط بالجسد والروح، بالقوة ورأس المال يجب أن يبنى اليهودى وطنه القومى ويحرر أمته.

وسيظل وعد «بلفور» وهدف عصبة الأمم من الانتداب قصاصات من ورق إن لم نستطع جلب اليهود إلى فلسطين وتجهيز

الأرض للتوطين على نطاق واسع. فالهجرة والتوطين دعامتا الاستقلال حيث يجب تقرير مصير الصهيونية فى «بلد صهيون» حيث يعتمد نجاح الصهيونية على اليهود بالدرجة الأولى.

ويعزز «بن جوريون» رأيه بقوله: «أيهما أكثر واقعية واقناعا أن نقول إن الأرض منحت لليهود الذين سوف يقررون الهجرة إلى فلسطين بفضل وعد «بلفور»، أم لليهود المقيمين فيها».

وفى عام ١٩١٨ تزوج «بن جوريون» من «بولا منوايس» ابنة أحد المهاجرين من مدينة «منسك» وسافر مع كثيرين من المتطوعين الأمريكيين إلى بريطانيا وانضموا للجيش البريطانى. وقد وصفهم الجنرال «اللنبى» بأنهم لم يكونوا يهتمون بالأوامر وكل همهم الوصول إلى فلسطين.

وكان من ضمن الشباب الأمريكى الذى اعتنق الصهيونية وآمن بمبادئها على أيدى «بن جوريون» «بن زفى» و «جولدا مائير» التى أصبحت خامس الرواد الأول للصهيونية، والتى تزعمت اليهود وقادت إسرائيل بعد الاعتكاف السياسى الأختيارى لـ «بن جوريون» فى مستعمرة «سيدى بوكر» بصحراء النقب عندما خذله حزب الماباى - الحزب الذى أنشأه. وناصر تلميذته «جولدا مائير» عليه.

الفصل الثالث

«جولدا مائير»

١٨٩٨ - ١٩٧٨



جولدا مائير المرأة الصلبة التى لا تعرف الخوف ولا تهاب المعارك.

جولدا مائير[1]

١ـ بدايتها :

(أ) ولدت جولدا مائير فى كييف ـ روسيا ـ عام ١٨٩٨ وهاجرت مع أسرتها إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٦ وحصلت على الشهادة الثانوية هناك وتزوجت عام ١٩١٧ وهاجرت مع زوجها إلى فلسطين عام ١٩٢١.

٢ـ جولدا مائير (الفكر:

(أ) ترى ضرورة إنشاء دولة يهودية ـ عام ١٩٤٦ ـ لأن الدولة ستمكن الشعب اليهودى من إدارة مقدراته والتحكم فى الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

(ب) وتؤكد أن ٦٠٠٠٠ يهودى فى فلسطين وقفوا عاجزين عن إنقاذ آلاف بل ملايين اليهود وكان العائق أمام الحركة الصهيونية هى القيود التى فرضتها بريطانيا على الهجرة.

---

(١) سنعرض بالتفصيل فى الجزء الثانى ـ نشاطها ـ فلسفتها ـ فكرها السياسى.

(جـ) وضحت مبادئها التوسعية بعد حرب ١٩٦٧ إذ اعتبرت كل ماحصلت عليه إسرائيل من أراض من حقها.

٣ـ جولدا مائير ـ الحركة :

(أ) تمكنت جولدا مائير من زعامة حركة العمل فى فلسطين ثم أصبحت زعيمة حزب «الهستدروت» عام ١٩٤٠ .

(ب) ثم انتخبت رئيسة بالنيابة للقسم السياسى من الوكالة اليهودية فى القدس وأصبحت ضمن أعضاء المفاوضات مع بريطانيا حتى إعلان قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين.

(جـ) وبإعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ عينت وزيرة مفوضة فى موسكو ثم وزيرا للعمل عام ١٩٤٩ وفى عام ١٩٥٦ عينت وزيرا للخارجية وفى عام ١٩٦٩ بعد وفاة ليفى أشكول عينت رئيسا لوزراء إسرائيل.

القسم العاشر

المرحلة الأولى للصهيونية

١٩٠٤ ـ ١٩٢٠

الفصل الأول

أوضاع اليهود فى أوربا فى الحرب العالمية الأولى

الفصل الثانى

يهود أمريكا والصهيونية فى فترة الحرب العالمية الأولى

الفصل الثالث

الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط إبان الحرب العالمية الأولى

الفصل الرابع

الصهيونية والمؤسسات الاجتماعية والسياسية فى الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى

الفصل الأول

أوضاع اليهود فى أوربا فى الحرب العالمية الأولى

اليهود والصهيونية فى الحرب العالمية الأولى

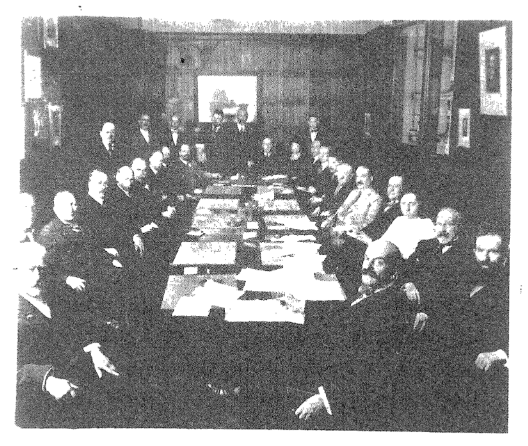
نظرة عامة:

شهدت الجماعات اليهودية فى شرق أوربا تفككا كبيرا مع بداية الحرب العالمية الأولى حيث صاحب انهيار نفوذهم السياسى تدهور فى أوضاعهم الاقتصادية أدى بمليونين وربع مليون يهودى إلى الهجرة فيما بين عامى ١٨٨١- ١٩١٤ . واتجه معظمهم إلى أمريكا. على أنه عند اندلاع الحرب كان ثمانية ممن كانوا فى أوربا من الملايين العشرة من اليهود مايزالون يعيشون فى روسيا وفى أقاليم الإمبراطورية النمساوية الهنغارية. واعتبرت السلطات الروسية اليهود خونة واتخذت ضدهم إجراءات قمع مختلفة، وكان الوضع خطيرا سارع اليهود إلى مواجهته فشكلت مجالس يهودية فى أمريكا والدانمرك وسويسرا وهولندا عملت بالتعاون التام مع المؤتمر اليهودى الأمريكى على حماية مصالح اليهود فى أوربا.

ثم تحسنت الأحوال بانطلاق الثورة البلشفية فى روسيا حيث وعدت الحكومة الشيوعية الجديدة بتوفير الحريات للجميع دون تمييز

فى الدين أو القومية. وبدأ اليهود الروس يطالبون بوضع ثقافى وقومى مستقل. وعقد عام ١٩١٧ مؤتمر ضم مختلف الجماعات اليهودية كان برنامجه المقترح الحث على الحكم الذاتى لليهود فى روسيا والحصول على ضمانات قانونية للأقلية اليهودية. وأشاد مكتب كوبنهاجن الفرعى للمؤتمر اليهودى الدولى بالثورة البلشفية وبتحرير اليهود الروس شريطة ألا يرتبط ذلك بفقدان الذاتية القومية اليهودية.

على أنه بنهاية الحرب العالمية الأولى تفكك التجمع الكبير ليهود شرق أوربا وعزل يهود روسيا وهم ثلاثة ملايين أى زهاء ثلث يهود أوربا عن إخوانهم عزلا استمر حتى انهيار الشيوعية عام ١٩٩١ وعاش الباقون فى الدولة التى تكونت فى الأقاليم الواقعة مابين روسيا وأوروبا الغربية وقاست الكثير من الحرب.



اجتماع صهيونى بعد الحصول على وعد بلفور ١٩١٧ .

وايزمان ووعد بلفور

وبينما كان «بن جوريون» و «بن زيفى» بعد نفيهما من فلسطين وترحيلهما من مصر إلى الولايات المتحدة حينما كانا يقومان بنشر مبادئ الصهيونية، وحث الشباب الأمريكى على الهجرة إلى فلسطين. لتعميرها والتوطن بها وإعادة مجد اليهود المسلوب وإقامة الدولة الصهيونية، كان «وايزمان» الرائد الأول وخليفة «هرتزل» «دون منازع»، وهو سليل الأورستقراطية والأسرة واسعة الثراء إذ كان يقوم نشاطه على الجانب السياسى والدبلوماسى والاتصالات الرفيعة المستوى للدعوة للصهيونية لدى الحلفاء ونجح بفضل مجهوداته من حمل بريطانيا على إعلان «وعد بلفور» الذى يعترف بكيان يهودى فى فلسطين. وبذلك حقق أهم مطلب للصهيونية ولليهود - إذ أن «وعد «بلفور» فى واقع الأمر يعتبر بمثابة فتح الباب على مصراعية لدخول الصهيونية إلى الطريق المؤدى إلى قيام دولتهم إسرائيل فى فلسطين.

وبحصول «وايزمان» من بريطانيا على وعد «بلفور» يكون قد حقق مالم يوفق «هرتزل» فى الحصول عليه من الدولة العثمانية، وسجل اسمه فى تاريخ الشعب اليهودى.

وعد بلفور:

أصبحت أحلام الصهاينة فى إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين حقيقة سياسية واقعة عام ١٩١٤ . وذلك عندما دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا. إذ بدأت بالتصفية المنتظرة للإمبراطورية العثمانية أو رجل أوربا المريض، المطالبة بالسيطرة على فلسطين من أطراف عديدة على رأسها فرنسا التى تعللت أن معظم المقاتلين فى الحروب الصليبية فى العصور الوسطى إنما خرجوا منها كما إنها ظلت قرونا تتولى دور حامى المسيحيين فى الأمبراطورية العثمانية وهو الدور الذى اعترف به الباب العالى عام ١٥٥٣ وذلك على الرغم من أن الغالبية من مسيحيى الإمبراطورية إنما كانوا يتبعون الكنيسة الأرثوذكسية الروسية. وفى عام ١٨٨٢ اضطرت فرنسا إلى التسليم بمصالح بريطانيا فى مصر مقابل الاحتفاظ بنفوذها فى سوريا التى كان إقليمها يشمل فلسطين. ووافقت بريطانيا على ذلك نظرا لأن أكثر ماكان يهمها هو السيطرة على قناة السويس. على أن بريطانيا مالبثت أن أحست بخطر سيطرة قوة عظمى أخرى على منطقة قريبة من قناة السويس بما قد يعرض القناة، طريقها الحيوى إلى الهند، للتهديد. ومن ثم أوضحت لفرنسا أنها لاتقبل ضم فلسطين إلى منطقة النفوذ الفرنسى فى سوريا.

ولم تكن الحركة الصهيونية عند نشوب الحرب العالمية الأولى فى ظاهرها شديدة القوة حيث كان أعضاؤها عام ١٩١٣ لا يتعدى ١٣٠ ألفاً من بين يهود العالم. ويعدونهم من الحالمين. وكانوا ضعفاء سياسيا حيث انتهى ماكان بين ١٩٠٢ـ ١٩٠٥ من صداقتهم مع بريطانيا التى كانت قد عرضت عليهم أوغندا وطنا قوميا. وكانت

فرنسا مقتنعة أن الصهاينة يعملون لحساب الألمان فى حين ناصبهم الأتراك العداء، وجدد «وايزمان» اتصالاته بالحكومة البريطانية أواخر عام ١٩١٤ عن طريق صديقه «ص.ب سكوت» محرر جريدة المانشستر جارديان. وفى يناير ١٩١٥ التقى «وايزمان» بـ «لويد جورج» وكان يرأس لجنة الذخائر ويواجه مصاعب فى إنتاج «الإسيتون» فلجأ إلى «وايزمان»، الذى عاون على إيجاد وسيلة لإنتاج الاسيتون كان لها فضل كبير فى المجهود الحربى بما اكسبه صداقة بـ «لويد جورج» الذى أصبح فيما بعد رئيسا للوزراء.

على أن نقطة التحول الحقيقية فى العلاقة البريطانية ـ الصهيونية إنما ترجع إلى لقاء «حاييم وايزمان» مع «أرثر جيمس بلفور» عام ١٩٠٦ . وذلك أن «بلفور» سعى للقائه لإقناعه بأن اليهود كانوا مخطئين برفضهم عرض بريطانيا بتوطين اليهود فى أوغندا. ولكن «وايزمان» نجح بالعكس فى إقناع «بلفور» أن أرض «صهيون» أى فلسطين هى الوطن القومى المناسب لليهود وكان أن أصبح «بلفور» فيما بعد صهيونيا متحمسا. فما كان بغير عونه ليصدر تصريح بلفور. وقد قال «بلفور» لـ «وايزمان» وهو وزير للخارجية فى وزارة لويد جورج بعد ذلك «إننى كنت أفكر فى محادثتنا عام ١٩٠٦، واعتقد أن المدافع حيث تتوقف فسوف تحصل على أورشليم».

وسعى وايزمان حثيثاً لتحقيق هذا الهدف عن طريق الشخصيات البريطانية البارزة مثل «هيربرت صامويل» أول يهودى يدخل عضوا فى الوزارة الإنجليزية و«والتر روتشيلد»، و«هارى ساشر». وواجهت الحركة الصهيونية معارضة من الزعامات اليهودية

فى دول كثيرة حرصا منها حتى لاتفقد حقوقها المتساوية فى هذه الدولة، وتقدم «وايزمان» ولجنته الصهيونية رغم المعارضة، بمذكرة للخارجية البريطانية فى نهاية يناير ١٩١٧ تتضمن برنامج التوطين اليهودى فى فلسطين بما يشمل من الاعتراف باليهود كقومية ومنحهم كافة الحريات المدنية والقومية والسياسية والدينية وحق شراء الأراضى والهجرة إلى فلسطين. وقد شن اليهود المعارضون للصهيونية على هذا البرنامج حملة شديدة أدت إلى تأخير صدور وعد «بلفور» كما أدت إلى مراجعة صياغته فلم يعد غير مشروط ومحدد كما كان فى صياغته قبل هذه الحملة.

وذلك أن الموضوع حين عرض على وزارة الحربية البريطانية، ألقى «ادوين مونتاج» وزير شئون الهند وهو من اليهود المعارضين للصهيونية، كلمة عنيفة ضد التصريح المزمع إصداره. وفى ١٦ أكتوبر ١٩١٧ أبرق الرئيس ويلسون إلى الحكومة البريطانية مؤيدا مضمون التصريح. وقد أدى ذلك إلى إفشال جهود اليهود المعارضين للصهيونية. وفى ٢ نوفمبر ١٩١٧ أصدرت الخارجية البريطانية التصريح فى صورة خطاب موجه إلى لورد «روتشيلد».

«عزيزى اللورد «روتشيلد».

يسرنى كثيرا أن أنقل إليك، نيابة عن حكومة صاحب الجلالة، التصريح التالى بالتعاطف مع الآمال الصهيونية اليهودية الذى عرض على مجلس الوزراء وحاز موافقته:

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين الرضا إلى إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستستخدم كل مافى وسعها

لتسهيل تحقيق هذا الهدف على أن يكون مفهوما بوضوح أن شيئا لن يتخذ يضر بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية المقيمة فى فلسطين، أو الأوضاع السياسية لليهود فى آية دولة أخرى».

وإننى أغدو ممتنا لو أحطت الاتحاد الصهيونى بهذا التصريح.

المخلص

«أرثر جيمس بلفور»

وجاء وعد «بلفور» فى بداية الحملة البريطانية للسيطرة على فلسطين حيث تم تحريرها من الأتراك بعد شهر ودخل اللورد «اللينبى» القدس وكان بين قواته ثلاثة فيالق يهودية من الجيش اليهودى ضمت متطوعين من يهود أمريكا واليهود المقيمين فى فلسطين. وحسم موضوع فلسطين فى مؤتمر الحلفاء فى سان ريمو عام ١٩٢٠ . وقال «لويد جورج» عند وداعه لـ «وايزمان»: «الآن حصلت على دولتك ويتوقف الأمر عليك فى كسب السباق». ووضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى من قبل عصبة الأمم عام ١٩٢٢.

وكان تصريح «بلفور» نصرا دبلوماسيا حاسما لليهود فى التاريخ الحديث وكان نقطة التحول الحقيقية إذ جاء فى وقت لم يكن احد يعترف فيه بالشعب اليهودى كوحدة متميزة، كما لم تكن ثمة دولة تدعى فلسطين حيث كانت يشار إليها بالإقليم الجنوبى من سوريا. ويرجع الكثير إلى شخصية «وايزمان» الفذة وحماسه ودبلوماسيته.

أصبح «وايزمان» نتيجة لهذا الانتصار فى صدور تصريح «بلفور» زعيم اليهود بلا منازع آنئذ وقد أدرك وحاول إقناع اليهود

بأن ماتحقق من صدور تصريح «بلفور» وفرض الانتداب البريطانى على فلسطين إنما كان نجاحا للدبلوماسية وفتحا لفرصة كبيرة لن تكون لها نتيجة ما لم تستغل بواقعية وبغرض وجود فعلى فى فلسطين. فلم يصادف نجاحا كبيرا. وكرس جهوده فيما بين الحربين العالميتين لهذا الهدف حيث تيقظت القومية العربية وأصبح لها ثقلها الجغرافى والسكانى كان فى سباق مع الزمن. وقد ساعده احترام رؤساء الدول إياه ومعاملته كأنه رئيس دولة مستقلة واحترام يهود العالم وتقديرهم لشخصه.

وتطلبت العودة لأرض صهيون تطوير ثقافة قومية تتمشى مع القيم الروحية للصهيونية وكانت اللغة العبرية هى وسيلة هذا البعث الثقافى فطورها الصهاينة بحيث أصبحت لغة الأدب والتخاطب اليومى.

وكان معظم اليهود يتكلمون لغة «اليديش» ولم تكن العبرية معروفة أو مستخدمة إلا فى المعابد والمدارس، وتقرر جعلها اللغة القومية وبذلت محاولات لتطويرها فى المستوطنات الزراعية الجديدة فى فلسطين.

الفصل الثانى

يهود أمريكا والصهيونية
فى فترة الحرب العالمية الأولى

يهود أمريكا والصهيونية ١٨٩٧-١٩١٩:

لم تلعب الصهيونية فى أمريكا دورا كبيرا خلال السنوات العشرين التالية للمؤتمر الصهيونى الأول فى «بازل». ومع ذلك فقد كانت الحركة الصهيونية مثار خلاف بين يهود أمريكا، إذ عارضها اليهود ذوو الأصل الألمانى الذين اكتسبوا ثراء واسعا، ووضعا اجتماعيا بارزا، وقدروا أن إنشاء دولة يهودية سوف يؤثر على وضع اليهود فى الدول التى يعيشون فيها. كذلك عارضتها المجموعات اليهودية اليسارية، إذ وجدت فى الصهيونية عقبة أمام التقدم الدولى، ووصفوها بأنها حركة بورجوازية ضيقة الأفق. وبرغم بعض الاستثناء من أقصى اليمين وأقصى اليسار، فإن معظم التأييد للحركة إنما جاء فى مجموعات الوسط. وشكلت جمعيات صهيونية خاصة فى نيويورك، وعند عقد مؤتمر بازل الأول فى عام ١٨٩٧ كان هناك عضو واحد عن يهود الولايات المتحدة. وفى المؤتمر الصهيونى الحادى عشر فى «فيينا» فى عام ١٩١٣ حضره أربعون عضواً من الولايات المتحدة من بين مجمل أعضائه البالغين ٥٠٠ عضو، فضلا عن ١٢ عضوا من كندا.

وقد بلغ عدد اليهود فى أمريكا فى عام ١٩٢٤ ثلاثة ملايين. وكانوا أول من قدم الدعم المالى ليهود فلسطين عند نشوب الحرب العالمية الأولى، حيث بلغ عدد يهود فلسطين ٨٥ ألفا فقط.

كما لعبت قيادات الحركة الصهيونية فى أمريكا دورا مهما فى المفاوضات التى سبقت صدور تصريح بلفور فى ٢ نوفمبر١٩١٧، فقد كان تأييد الرئيس «ويلسون» لصدور التصريح بمثابة الأثر الحاسم فى حث رئيس الوزراء فى إصداره، برغم المعارضة القوية داخل بريطانيا.

يهود أمريكا فيما بين الحربين العالميتين:

دخل الاقتصاد الأمريكى فى بداية العشرينات مرحلة جديدة من التقدم والازدهار، وتبوأ اليهود مراتب عالية من الثراء والمكانة الاقتصادية، خاصة فى الصناعة والمصارف. ومن ثم كان تأثير الكساد العالمي الذى بدأ عام ١٩٢٩شديدا عليهم. وظهرت بعض اتجاهات معادية للسامية، واتهم اليهود بأنهم مسئولون عن تفكك الاقتصاد الأمريكى. وكانت هذه النزعات قوية فى الجنوب الأمريكى، لا سيما فى المناطق الزراعية التى احتوتها وسيطرت عليها المدن الكبرى وخاصة نيويورك حيث التجمعات اليهودية القوية، وذلك فضلا عن تزايد النزعات العنصرية فى الجنوب ضد الزنوج وشملت اليهود كذلك.

ودخلت أمريكا مرحلة من العزلة، ونشأت حركات قومية متطرفة مثل «الكوكلكس كلان» التى بلغ عدد أفرادها عام ١٩٢٥ أربعة ملايين كانوا يشعرون بالكراهية الشديدة ضد الزنوج والكاثوليك واليهود.

وقد حد من تدهور الوضع تطبيق «روزفلت» لسياسته الاقتصادية الجديدة الحازمة فى الثلاثينيات فأنقذت الاقتصاد الأمريكى من الانهيار.

الهروب والعودة:

كان يهود أمريكا - فى العقود الأولى من الهجرة - جيبا صغيرا، يحتفظ بأفكار ومؤسسات منفصلة عن الحياة الأمريكية. أما الآن فآمنون سياسيا، متقدمون اقتصاديا، متحدون ثقافيا. وتأثيرهم على الحياة العامة أكبر مما توضحه قوتهم العددية التى لاتتعدى ٣٪ من مجمل السكان.

وبقيام النازية فى ألمانيا بدأت المنظمات اليهودية الأمريكية تنبه الرأى العام للخطر المحدق ونظمت مظاهرات وقوطعت السلع الألمانية، وانتقل مركز الحركة الصهيونية إلى أمريكا خلال الحرب العالمية الثانية. وأزداد التزام يهود أمريكا نحو يهود فلسطين. وبفضلهم أخذت الحكومة الأمريكية تبدى اهتماما متزايدا بالأوضاع السياسية فى الشرق الأوسط. ورغم مصالحها البترولية الضخمة فى المنطقة والاعتبارات السياسية، فقد اتخذت جانب تأييد إسرائيل والصهيونية. ولم تكن أصوات اليهود فى الإنتخابات هى العامل المؤثر، بل كانت هناك العوامل الإنسانية والرغبة فى المساهمة لإنقاذ اليهود والعدالة، وهو الاتجاه الذى ازداد نتيجة لما عاناه اليهود من جحيم النازية.

مستقبل يهود أمريكا.

يمثل تزايد قوة يهود أمريكا وإنشاء دولة إسرائيل العنصرية عاملين رئيسيين فى التاريخ اليهودى فى القرن العشرين، فلم يحدث

من قبل أن اكتسبت الأقلية اليهودية فى أى دولة مثل هذه القوة. وقد احترم المجتمع الأمريكى ترابط اليهود ومساندتهم لقضايا اليهود داخليا وخارجيا. ومع ذلك يبقى سؤال هو هل تحتفظ الأجيال الجديد من يهود أمريكا بشخصيتها اليهودية المتميزة، وتقاوم الذوبان فى خضم الحياة الأمريكية المتسامحة؟ وتحدد الإجابة على هذا السؤال أمورا كثيرة، من شأنها أن تؤثر على مصير اليهود وإسرائيل. فما من دليل على أن يهود أمريكا سيدخلون فى محيطهم الجديد ومتغيراته وبتأثير إنعدام خطر يتهدد بقاؤهم صحيح أن هناك بعض الخطر فى أطراف المجتمع اليهودى نتيجة للتزاوج والبعد عن الدين، غير أن الغالبية العظمى تتجه نحو التوفيق بين خاصيتهم القومية الأمريكية وذاتيتهم اليهودية المتميزة. وقد كان الخطر واليأس يدفعان اليهود فى الماضى للحفاظ على تضامنهم، أما الآن فإن الشعور بالثقة والفخر قد يؤدى إلى النتيجة نفسها. وواضح أن التأثير اليهود القوى فى أمريكا التى تمتلك قوة اقتصادية واستراتيجية، تفوق ماتوفر لأية إمبراطورية عبر التاريخ.

العالم اليهودى فى الوقت الحالى: إسرائيل ١٩٦٨:

هناك مناطق أخرى من العالم الحر لا يختلف فيها وضع اليهود كثيرا إلا من حيث العدد عن الولايات المتحدة. ففى بريطانيا يوجد حوالى نصف مليون يهودى أكثر ترابطا وتجانسا من يهود أمريكا. وفى فرنسا بدأ يهودها البالغ عددهم ٦٠٠ ألف يتخلون عن طابعهم التقليدى المحافظ، وقد حثهم موقف الرئيس الراحل «شارل ديجول» منهم على التضامن. وكان الرئيس ديجول فى خطاب ألقاه فى نوفمبر ١٩٦٧ قد ذكر أن اليهود مسئولون عما عانوه من اضطهاد

بحكم تصرفاتهم التى أثارت الآخرين عليهم. وقد أثار هذا الخطاب جدلا حادا فى فرنسا، واتهم اليهود بمعاداة السامية، وهناك كذلك مجتمعات يهودية مزدهرة فى كندا أو جنوب أفريقيا وأمريكا اللاتينية.

وتعد إسرائيل محورا لتضامن يهود العالم، ومازال هناك ثلاثة ملايين يهودى فى الاتحاد السوفيتى وقد تزايد اهتمام العالم الحر فى الفترة الأخيرة بأوضاعهم. وأدى الوفاق الدولى، وتزايد حجم العلاقات بين شرق أوربا وغربها إلى قدر أكبر من التحرر بعد استقلال دول شرق أوربا عن الاتحاد السوفيتى. وقد وصل عدد اليهود فى العالم بنهايات الثمانينيات إلى حوالى ٢١٫٥ مليون نسمة، منهم ١١ مليونا فى أمريكا الشمالية، ومن هؤلاء ٩ ملايين فى الولايات المتحدة، و٨٥٠ ألف فى كندا، و١٠٠ ألف فى المكسيك وجمهوريات أمريكا الوسطى.

هذا فضلا عن ٦ ملايين فى أوربا، بما فيها الاتحاد السوفيتى، حيث يعيش حوالى ٣ ملايين و فى أمريكا اللاتينية ٧١٢٧٠٠ يهودى، منهم ٤٥٠ ألف فى الأرجنتين، ١٤٠ ألفا فى البرازيل. ويبلغ عدد اليهود فى أفريقيا ٢٠٠ ألف، منهم ١١٤ ألف فى اتحاد جنوب أفريقيا. أما إسرائيل ففيها ما يقرب من ٣٫٥ مليون يهودى.

الفصل الثالث

الولايات المتحدة الأمريكية
والشرق الأوسط
أبان الحرب العالمية الأولى

أولا: الولايات المتحدة والشرق الأوسط والحرب العالمية الأولى

الدارس لتاريخ الصلات بين أمريكا والشرق الأوسط يدرك بسهولة أنه إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لا يكاد يوجد أى دور أساسى للولايات المتحدة فى سياسة الشرق الأوسط. ولعل السبب فى ذلك يعود:

أولا: إلى مبدأ «منرو» الذى كان يدعو أمريكا إلى العزلة عن المشاكل العالمية.

ثانيا: إلى أن أمريكا فى ذلك الوقت كانت تريد أن تتغلب على مشاكل الأمريكتين وخاصة تخليصهما من النفوذ البرتغالى والإسبانى. ومع ذلك فلم يمنع هذا من أن يكون لها صوت مسموع فى بعض الأمور الاقتصادية الهامة فى ذلك الوقت، فمثلا نراها عضوا فى المعاهدات الدولية كما هو الحال فى معاهدة القسطنطينية بخصوص تقرير حرية الملاحة فى قناة السويس.

ثم بدأت سياسة أمريكا التوسعية فى أواخر القرن التاسع عشر. ولعل أوضح دليل على ذلك هو خطاب أحد أعضاء مجلس الشيوخ

فى ذلك الوقت «البرت بيفردج» حيث قال سنة ١٨٩٨ :

«إن المصانع الأمريكية تنتج اليوم أكثر مما يمكن أن يستهلكه الشعب الأمريكى. والتربة الأمريكية تنتج كذلك أكثر مما نستطيع أن نستهلك. ومن هنا نرى أن القدر قد رسم لنا سياستنا... إن تجارة العالم يجب أن تكن بيدنا. وليس من شك فى أننا سنستولى عليها كما علمتنا أمنا «انجلترا» أن نفعل... ولسوف ننشئ قواعد تجارية فى أرجاء العالم كله لتوزيع المنتجات الأمريكية... وسنملأ ماء المحيطات بأسطولنا التجارى، وستنهض حول مراكز تجارتنا مستعمرات كبرى تحكم نفسها بنفسها، ولكنها ترفع علمنا وتتاجر معنا.»

ومن هنا بدأ الدور الخطير الذى قامت به الولايات المتحدة وهو دور المنافسة بينها وبين دول أوربا التى كانت إلى ذلك الوقت المحتكرة الوحيدة لبلاد الشرق الأوسط سياسيا واقتصاديا.

ثانيا: الولايات المتحدة والشرق الأوسط بين الحربين العالميتين الأولى والثانية

وقد بدأ التسلل الحقيقى لأمريكا إلى منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الأولى، تحت ستار شركات البترول. إذ أنه فى ذلك الوقت تبينت الولايات المتحدة أن الشرق الأوسط به ثروة بترولية ضخمة تفوق بكثيرا الآبار الأمريكية التى كانت الأحاديث تتواتر عن قرب نضوبها.

ويكفى للتدليل على ذلك أن نقرأ الفقرة التى جاءت فى كتاب «المشاكل الرئيسية للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الصادر عن

هيئة الدراسات الدولية لمؤسسة «بروكنج» سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ فقد جاء فى تلك الفقرة.

«فى سنة ١٩٢٠ أثار اكتشاف مستودعات البترول الغنية فى العراق اهتماما كبيرا فى الدوائر التجارية الأمريكية بهذه المنطقة... وقد أيدت حكومة الولايات المتحدة هذه الدوائر التجارية بإصرارها على ضرورة اتباع سياسة الباب المفتوح وتطبيقها فيما يتعلق باستقلال موارد المنطقة. وأن يكون لها الحق فى الاشتراك فى أية مباحثات تدور حول امتياز البترول».

كان ذلك بمثابة نقطة البدء للمصالح الكبيرة التى تتمتع بها الولايات المتحدة الآن فى مستودعات البترول فى الشرق الأوسط.

وفى مارس سنة ١٩٢٠ طلب مجلس الشيوخ الأمريكى من رئيس الجمهورية بيانا عن القيود المفروضة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على الرعايا الأمريكيين الذين يريدون استثمار أموالهم فى البحث عن البترول.

وفى مايو سنة ١٩٢٠ قدم «جون ديفيز» السفير الأمريكى احتجاج الرئيس «ولسون» إلى «اللورد كيرزون» فى مذكرة يشير فيها إلى الأثر السىء الذى أحدثته المحاولات التى تقوم بها إنجلترا فى البلاد الواقعة تحت إنتدابها لتخص شركات النفط البريطانية بامتيازات لا تتمتع بمثلها الشركات الأجنبية الآخرى. وأن الحكومة البريطانية تحاول احتكار موارد النفط فى تلك المنطقة كجزء من سياستها البترولية العامة طالبت بتطبيق مبدأ الباب المفتوح.

وانتهى الصراع بسماح بريطانيا باستغلال شركة «ستاندرد» الأمريكية لبترول الموصل وبعض المناطق الأخرى. وسحبت

الولايات المتحدة إثر الاتفاق تأييدها لتركيا فى التمسك بامتيازها القديم فى الموصل وأيدت مطالب الدول الغربية فى تنازل تركيا عن حقوقها فى ولاية الموصل وضمها إلى العراق تحت الانتداب البريطانى بمقتضى خط «بروكس» الذى وصف فى بعض المحافل السياسية بأنه كان ضغطا استعماريا على حكومة «أتاتورك».

ثم اضطرت شركة البترول الأنجلو إيرانية إلى أن تبيع نصف حصتها من الأسهم فى شركة البترول التركية (وهو ما يبلغ ٢٥٪ من مجموع الأسهم) إلى إتحاد الشرق الأدنى الذى يمثل مجموعة الشركات الأمريكية: (بان أميريكان - ستاندرد أوف نيويورك، استاندرد اوف نيوجرسى، تكرير الأطلنطى، البترول والنقل، اتحاد بترول الخليج)

وفى سنة ١٩٢١ منحت حكومة إيران امتياز التنقيب عن البترول فى شمال إيران لشركة (استاندرد). لكن الحكومة البريطانية احتجت بسبق شراء حق الامتياز من رجل روسى حصل عليه قبل الثورة الروسية.

وهنا بدأت المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط ترتطم مع مصالح دول الاستعمار القديم فى المنطقة وخاصة بريطانيا. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة تظاهرت أولا بمساندتها لشعوب الشرق الأوسط فى تقرير مصيرها وتخفيف الضغط الاستعمارى عنها عندما أعلن الرئيس «ويلسون» مبادئه الأربعة عشر، فإن حرص أمريكا على مصالحها دعاها أخيرا إلى تجاهل حقوق هذه الشعوب. وقد بدا ذلك واضحا حينما وافقت أمريكا على الوصاية والانتداب والاحتلال البريطانى الفرنسى الإيطالى لبلاد الشرق الأوسط.

وهكذا بدأ نفوذ الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط فى أوائل القرن العشرين تحت المظاهر الاقتصادية سواء بالقيام مقام النفوذ الاستعمارى القديم أو بالمشاركة معه ثم ما لبث أن تعمق وتغلغل وبدأ - بحكم التطور - ينفذ إلى النواحى السياسية وخاصة بعد أن انهكت الحرب العالمية الأولى الامبراطوريات الأوربية ودخلت الولايات المتحدة مشاركة دول الاتحاد بزعامة الحكومة البريطانية وثبتت أقدامها فى منطقة الشرق الأوسط الحيوية. اقتصاديا وسياسيا.

الفصل الرابع

الصهيونية والمؤسسات الاجتماعية والسياسية اليهودية فى الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى

نظرة تاريخية: الصهيونية والمؤسسات اليهودية في أمريكا

يرجع تاريخ قدوم اليهود إلى الولايات المتحدة إلى تاريخ اكتشاف القارة نفسها، وكان معظم هؤلاء اليهود من الأسبان والبرتغاليين من طائفة (MARRANOS) وكانوا دائمى التجوال سعيا وراء فرص الكسب والإثراء حتى بدءوا فى الاستقرار فى مناطق معينة فى أوائل القرن السابع عشر. وقد أمكن الاستدلال على أن اليهود أقاموا فى ولاية ميريلاند فى عام ١٦٣٢ وفى ولاية (ماساشوستس) فى عام ١٦٤٩، وفى نيوامستردام التى أصبحت (نيويورك) فيما بعد - فى عام ١٦٥٤، ثم أخذوا بعد ذلك، فى الانتشار فى باقى الولايات المتحدة الأمريكية مثل (رود أيلند وكونكتيكت ونيوجرسى وبنسلفانيا) وباقى الولايات الأخرى.

وما أن استقر لهم المقام فى الولايات المتحدة حتى أخذوا فى مزاولة التجارة ولم يفت من عضدهم تحريم اشتغالهم فى تجارة التجزئة فقد استطاعوا تحقيق ارباح طائلة وسريعة عن طريق تجارة الجملة، وعملوا بمختلف الوسائل على إلغاء الحظر وسمح لهم بالقيام بتجارة التجزئة بعد أن كبر نفوذهم لدى مختلف الأوساط والمجالات التجارية والمالية والدعائية التى استغلوها فى التأثير على الشخصيات

الأمريكية الكبيرة لتحقيق مآربهم. وقد تنبه إلى هذا التغلغل بعض الأمريكيين المتحررين مثل:

(أ) (بنيامين فرانكلين) أحد أبطال حرب الاستقلال الأمريكية، إذ قال فى خطاب له فى عام ١٧٨٩: «هناك خطر جسيم تتعرض له الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الخطر. أن اليهود خطر على هذه البلاد، فإذا دخلوها حاق الخطر بدستورها، فيجب إذن أقصاؤهم عنها».

(ب) كما كتب جيمس فورستال الذى كان وزيرا للدفاع فى عدة مذكرات له ما ينم عن خوفه على مستقبل أمريكا لنمو الصهيونية فيها.

٢ - وقد استطاع اليهود منذ أول قدومهم إلى الولايات المتحدة نظراً لخبرتهم فى ميدان التجارة والمال أن يكونوا لأنفسهم جالية يهودية وصل عددها عام ١٩٦٧ إلى٥٫٧١٠٫٠٠٠ منهم ٢٫٣٨١٫٠٠٠ يعيشون فى مدينة (نيويورك) وضواحيها وبالرغم من ضآلة عددهم بالنسبة إلى مجموع السكان فى الولايات المتحدة إذ تبلغ نسبتهم حوالى ٣٪ من مجموع السكان إلا أن نفوذهم يرجع إلى تمركزهم فى الأماكن الحساسة فهم يمثلون ٢٠ ٪ من رجال المال، ١٠ ٪ من المحامين، ١٠ ٪ من الطلبه.

وتبلغ كثافة اليهود فى الولايات الشرقية والشمالية أكثر منها فى الولايات الجنوبية والغربية ففى عام ١٩٦٣ مثلا بلغ تعداد اليهود فى الولايات الشمالية والشرقية حوالى ٣٫٧ مليون وفى الولايات الشمالية حولى ٧٦٠ ألفاً وفى الولايات الجنوبية ٦٤٠ ألفاً وفى الولايات الغربية حوالى ٥٠٠ ألف. ومن أشهر الولايات التى يوجد بها اليهود بأعداد تزيد عن ١٠٠ ألف ما يلى:

- (نيويورك) : يبلغ تعداد اليهود فيها - فى عام ١٩٦٣ - مايزيد على ٢٫٥ مليون يهودى كان منهم فى مدينة نيويورك وحدها مايزيد عن ١٫٨ مليون.
- (كاليفورنيا) : بلغ تعداد اليهود فيها فى نفس العام حوالى ٥٧٠ ألف يهودى.
- (بنسلفانيا) : بلغ تعداد اليهود فيها حوالى ٤٤٠ ألف يهودى.
- (نيوجرسى) : بلغ تعداد اليهود فيها حوالى ٣٥٠ ألف يهودى.
- (ماساشوستس) : بلغ تعدا اليهود فيها حوالى ٢٣٠ ألف يهودى.
- (أوهايو) : وتعداد اليهود فيها حوالى ١٦٠ ألف يهودى.
- (فلوريدا) : وتعداد اليهود فيها حوالى ١٢٥ ألف يهودى.

(ميريلاند) : وتعداد اليهود فيها حوالى ١٢٠ ألف يهودى.

- (كونكتيكت) : وتعداد اليهود فيها حوالى ١٠٠ ألف يهودى.

الأساليب التى أتبعها اليهود فى تقوية نفوذهم كجماعة ضغط فعاله:

٣ - اتبع اليهود فى الولايات المتحدة عدة أساليب تستهدف أولا التغلغل فى مراكز السلطة والنفوذ استفادة بما لديهم من إمكانيات مادية لها وزنها فى المجتمع الرأسمالى الأمريكى وما توافر لهم من كفاءات بشرية فى مجال العلوم الإنسانية والتكنولوجيا فضلا عن خبراتهم الواسعة فى مجالات الدعاية التى اتخذت فى حقيقتها شكلا آخر من أشكال المهارة فى فن التسويق والبيع وإن كان قد انتقل إلى حيز الأشخاص والآراء والمواقف.

ويمكننا أن نذكر على سبيل المثال أسلوبين أساسيين اتبعتهما العناصر اليهودية الصهيونية فى الولايات المتحدة للتغلغل وتقوية ركائزها فى الداخل كأساس لمد العون والمساندة لإسرائيل:

(أ) استغلال فكرة الاضطهاد الذى عانى منه اليهود وفى أوربا بوجه خاص بشكل استجدائى فى أول الأمر ثم أخذ هذا الأسلوب يتطور بمرور الوقت كلما قويت شوكة اليهود فى الولايات المتحدة حتى اصطبغ فى الوقت الحالى بصبغة التهديد لمن يعارضهم بالانحرافات النازية وبالمعاداة للسامية.

(ب) إيجاد تنظيم قوى ينظم حوالى ٣٠٠ جمعية فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة يتخذ مظهرا خيريا وهو فى حقيقته يستهدف التمكين لليهود والقضاء على أية ميول أو اتجاهات معارضة لهم ثم تنسيق جمع وتدفق الأموال فى صورة معونات وقروض لإسرائيل.

٤ ـ وقد تمثلت أبرز الجمعيات الصهيونية فى الولايات المتحدة فيما يلى:

أ ـ جمعية (بناى بريث B,NAI BIRTH): تأسست عام ١٨٤٣ برئاسة «هنرى جونز» ومقرها نيويورك وكانت أغراضها فى أول الأمر ثقافية واجتماعية وخيرية ليهود الولايات المتحدة ولها فى أمريكا وكندا ما يزيد على ٤٠٠ فرع وكان اسمها فى أول الأمر BUNDES BRUEDERوهو أسم المانى معناه (الأخوه المتحدين) وهو يدل على أن مؤسسيها كانوا فى أول الأمر من الألمان الذين

هاجروا من ألمانيا عقب حملات الاضطهاد التى تعرضوا لها. على أن النفوذ الألمانى الأول فى الجمعية أخذ يضمحل حتى تلاشى فى الوقت الحاضر. وقد أصبح المقر الرئيسى لها حاليا فى مدينة (واشنجتون) العاصمة وهى تعقد اجتماعات دورية يدعى رؤساء الجمهورية فى العادة لإلقاء كلمات سياسية فيها.

(ب) (المجلس القومى لرفاهية اليهود

NATIONAL JEWIS WELFARE BOARD

أسس عام ١٩١٧ بهدف خدمة المراكز الاجتماعية للجالية اليهودية ويمتد نشاطه إلى اليهود فى القوات المسلحة الأمريكية فيقدم لهم الخدمات الدينية والمساعدات والهدايا فى المستشفيات، ويشرف المجلس على مجلس الكتاب اليهودى والمجلس القومى اليهودى للموسيقى والمكتب الأوربى اليهودى.

(جـ) منظمة الجباية اليهودية الموحدة

UNITED JEWISH APPEAL

أسست عام ١٩٣٩ وغرضها جمع الأموال «للجنة الأمريكية اليهودية المتحدة» لتوزيع الخدمة لليهود الأمريكيين وهى تعمل بالتعاون مع «جمعية النداء الإسرائيلى الموحد .U.J.A»و«جمعية نيويورك للأمريكيين الجدد.N.Y.A.N.A» ومركزها الرئيسى فى مدينة نيويورك.

(د) المؤتمر اليهودى العالمى

WORLD JEWISHCON GRESS

أسس عام ١٩٣٦ وكان يرأسه «ناحوم جولد مان»، أغراضه

المطالبة بحقوق اليهود فى جميع دول العالم والحصول عليها ولرعاية أحوال اليهود فى هذه الدول - ومجتمعاتهم عن طريق القيام بمجهود عالمى فى إطار حقوق الإنسان. ويقوم المؤتمر اليهودى العالمى بتمثيل بعض المنظمات اليهودية الأخرى أمام الأمم المتحدة ومنظمة الدول الأمريكية والمجلس الأوربى واليونسكو وبعض الهيئات الهامة فى المسائل التى تهم الشعب اليهودى بصفة عامة. ومركزه فى الولايات المتحدة فى مدينة نيويورك.

(هـ) جمعية محاربة التشهير باليهود

ANTI - DEFAMATTON LEAGUE

أسست عام ١٩١٣ وهى فرع من جمعية بناى بريث. أغراضها محاربة معاداة السامية وتحقيق العدالة للأفراد وتعتمد الجمعية فى عملها على الدعاية المثيرة لاستدرار العطف على اليهود لما لا قوه من اضطهاد في الماضى كما تعمل أيضا على كبت وإخماد جميع المعارضات الأمريكية ضد اليهود وفى سبيل ذلك أعدت الجمعية جهازا سريا يتولى فرض رقابة على الخطب العامة وقاعات المحاضرات - والناشرين ومنتجى الأفلام والأحزاب السياسية والأندية. مقرها نيويورك.

(و) المنظمة الصهيونية العالمية

WORLD ZIONIST ORGANIZTION

أسست عام ١٨٩٧ وكان يرأسها «ناحوم جولد مان». وتعتبر هذه المنظمة تجسيدا للحركة الصهيونية العالمية ولها فروع فى معظم الدول، كما تساندها الجاليات اليهودية فى العالم وتقوم هذه المنظمة بنشاط خطير فى الولايات المتحدة لدرجة أنها تتلاعب بالقوانين

الأمريكية، كما جاء فى تقرير أعدته لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى إذ أشار إلى «أن هذه المنظمة تتلاعب بالقانون الأمريكى وهى مسجلة كمنظمة تابعة لدولة أجنبية وعلى ذلك فيتعين عليها تقديم بيان بنشاط المنظمات التى تخضع لها ومجالات توزيع أموالها وأسماء الأشخاص الذين يتعاملون معها إلى وزارة العدل الأمريكية من أجل حماية الدولة وسلامتها».

إلا أن المنظمة وجدت حلا للتهرب من تطبيق القانون بأن أنشأت منظمات صهيونية محلية أمريكية يشرف عليها المجلس الصهيونى الأمريكى كحلقة اتصال بينها وبين هذه المنظمات.

ز ـ عديد من المنظمات الفرعية مثل «الهاداساه» أى منظمة النساء الصهيونية الأمريكية
Hadaass, Woman,S ZionIst OrganizatIon Of America ومقرها مدينة نيويورك. وجمعية الشباب الصهيونى الأمريكى (American Zionist Youth ومقرها نيويورك)، (ومؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى) Conference Of Presidents Of major Jewish Or-Ganiza Tions ومقره فى مدينة نيويورك، (والصندوق القومى اليهودى Jewish Nattonal Fund (ومنظمة الطلبة الصهيونية Stu-Dent Zionist Orgaaization ومقرها نيويورك.

التعليق

على المرحلة الأولى

للصهيونية

١٩٠٤ ـ ١٩٢٠

التعليق

يكشف المؤرخون فى معرض سردهم لتطور المجتمعات اليهودية فى أوربا، عن تصور صهيونى متعصب، يستند أساسا إلى تميز اليهود عن غيرهم وضرورة حفاظهم على كيانهم الاجتماعى والثقافى والدينى، بل والسياسى داخل المجتمعات التى يقيمون وسطها. وهم يوضحون أنه فى فترات المساواة الدينية، كان اليهود يحتفظون بوضعهم المستقل المنعزل، ومن ثم لم يكن الجيتو والاضطهاد وسيلة للانتقام فرضت على اليهود، وإنما كان ترتيبا تمسك به اليهود أنفسهم مقاومة للاندماج والذوبان.

وكان ذلك فى حقيقة الأمر سببا مهما لنمو الإحساس العام بالنفور تجاههم من جانب المسيحية الأوربية الغالبة، حيث كانوا يمثلون داخل الجيتو دولة داخل الدولة، لها قوانينها وأسلوب حياتها.

كما يكشف تحليل المؤرخين عن هذه الحقيقة بين السطور وهى التى تكذب مزاعم اليهود عن أنهم اضطروا للانعزال فى مواجهة الاضطهاد الدينى والعنصرى، والتفكير نحو جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود. فالحركة الصهيونية لم تكن تستقطب حينئذ أى تأييد

عام فعال فى غرب أوربا، وهو مايؤكده ميل زعيمها «تيدور هرتزل» إلى قبول وطن بديل فى أوغندا مثلا، بمعنى أن الحركة الصهيونية ـ فى بدايتها ـ كانت واضحة من حيث الحصول على وطن قومى يجمع اليهود، ولكنها لم تكن مجمعة على اختيار فلسطين، مما يؤكد أن الحركة الصهيونية فى بدئها كانت محدودة التأثير.

والدليل على ذلك، أن المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل ـ والذى انعقد فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ ـ لم يحضره سوى ١٩٧ مندوبا، الأمر الذى يؤكد أن «هرتزل» فشل فى إقناع الزعامات اليهودية بحركته.

ويذكر المؤرخون الغربيون، أن الأساليب التى اتبعها «هرتزل» فى إغراء سلطان تركيا للسماح لليهود بالاستيطان فى فلسطين توضح مدى انتهازية الزعامة الصهيونية، وعدم تورعها عن اللجوء للرشاوى والابتزاز السياسى للوصول لهدفها.

كما أشار المؤرخون الغربيون واليهود إلى جوانب صراع اليهود مع غيرهم، وأن هذا الصراع قد بلغ حدته مع نمو الحركات القومية الأوربية. ففى أثناء نمو الحركة القومية الألمانية التى تزعمها «بسمارك »عام ١٨٧١ ـ شب الصراع مع اليهود. إذ كانوا لايعتبرون أنفسهم فى إطار القومية الألمانية مع حملهم الجنسية الألمانية، وإنما كانوا يتصورون أنهم قومية منفصلة، ومن ثم لم يكن ثمة مناص من الصدام بين الطرفين.

وكانت هذه هى نفسها مشكلة اليهود فى البرتغال وأسبانيا، حيث انتهى الأمر إلى طردهم من البلدين خلال النصف الثانى من القرن السادس عشر.

أما عن تركيب اليهود فى أمريكا - والذى كان له أثر كبير فى ارتباط اليهود الأمريكيين بإسرائيل فيما بعد - فإن غالبية المهاجرين اليهود منهم قد قدموا من شرق أوربا، حيث يغلب عليهم الاتجاه الدينى المتزمت، ومن ثم قاوموا الاندماج فى المجتمع الجديد، واحتفظوا بتقاليدهم الدينية والاجتماعية، وانتشروا فى المدن الأمريكية يعملون فيما يتصل بحياة المواطن الأمريكى فى تجارة التجزئة والصناعات الصغيرة والمهن الحرة.

وكان أساس تمسكهم بدينهم وتقاليدهم إنما يرجع - فى الأساس - إلى أن أوضاعهم فى شرق أوربا كانت أتعس حالا، ومن ثم يجد المرء فى هذه الظروف الصعبة ملاذا بالتمسك بما له من جذور تتمثل فى الدين وتقاليده، فضلا عن التعلق بالنظريات السياسية العنصرية التى ترسم له آمالا يتعلق بها فى المستقبل. الأمر الذى جعل يهود شرق أوربا أشد تمسكا وانسياقا وراء الفكرة الصهيونية وكل تفريعاتها المذهبية المتطرفة.

وبظهور «هرتزل» ورواده الأول - وعلى رأسهم «بن جوريون» - يتبين مدى ما توفر لدى الزعامة الصهيونية من دأب ومثابرة على تحقيق حلم الصهيونية فى السيطرة على فلسطين، والتماسهم كافة الوسائل التى تساعدهم على ذلك، مع استغلال جميع الفرص المتاحة، والتنسيق المحكم بين قياداتهم البارزة فى مختلف دول غرب أوربا والولايات المتحدة فى زمن فرض فيه القهر العثمانى سياجا من التخلف والعزلة على العالم العربى، بما مكن تيدور هرتزل ورواده الأول من غلاة الصهاينة من خلق الشعور لدى زعماء العالم الغربى بأن فلسطين مخلخلة السكان، ومدمرة الاقتصاد، وأن شعبها العربى لا حول له ولا قوة، وأن اليهود وحدهم هم القادرون على إنعاشها وتحويلها إلى مركز إشعاع حضارى ودينى.

المرحلة الثانية
للصهيونية العالمية
١٩٢٠ ـ ١٩٤٠

القسم الحادى عشر

أولا:

عقد الإنجازات

(١٩٢٠ - ١٩٣٠)

ثانيا:

عقد الخلافات

(١٩٣٠ - ١٩٤٠)

الفصل الأول:

مؤتمر السلام فى باريس

الفصل الثانى:

أوضاع العرب واليهود فى فلسطين
بعد مؤتمر السلام عام ١٩٢٠

الفصل الثالث:

النشاط الصهيونى داخل فلسطين
وخارجها بقيادة «بن جوريون»

مقدمة

المرحلة الثانية للنشاط الصهيونى في ظل الأنتداب البريطانى .

١ ـ عقد الوفاق والإنجازات (١٩٢٠ ـ ١٩٣٠)

٢ ـ عقد الخلافات (١٩٣٠ ـ ١٩٤٠)

المرحلة الثانية

تميزت المرحلة الثانية للنشاط الصهيونى التى بدأت فى ظل الأنتداب البريطانى عام ١٩٢٠ ، بعقد كامل من «الوفاق» ، حققت فيه الصهيونية أهم إنجازاتها الأساسية التى بواسطتها مهدت الطريق لقيام الدولة الصهيونية. ففى غضون عشر سنوات وتحت الحماية البريطانية ، تمكن «بن جوريون» من إرساء دعائم الدولة الصهيونية - فكون «الهستدروت» و «الهاجاناه» وحزب «الماباى» - الركيزة المثلثة - قاعدة دولة إسرائيل حتى يومنا هذا.

وقد اعترى العقد الثانى من الأنتداب البريطانى فى فلسطين العديد من الخلافات التى نشبت بين الصهيونية بقيادة «بن جوريون» ، وحكومة المحافظين البريطانية ، وكان أهم أسباب هذه الخلافات تعدد لجان الاستقصاء (لجنة بيل) والخلاف الحاد الذى أثار حفيظة الزعماء الصهيونيين عندما أصدرت بريطانيا «الكتاب الأبيض» الذى قيد هجرة اليهود ، وخلافه من قيود تحد من النشاط الصهيونى فى فلسطين.

الفصل الأول

مؤتمر السلام فى باريس

الفصل الأول

مؤتمر السلام فى باريس

حدد مؤتمر السلام الشكل الجديد لأوربا وسيطر عليه كل من «كليمنصو» عن فرنسا، و «لويد جورج» عن إنجلترا، و «ودرو ويلسون» عن الولايات المتحدة. وأعلن الرئيس الأمريكى «ويلسون» مبادئه الأربعة عشر التى تضمنت نظرية حق تقرير المصير للشعوب، ونادى بإنشاء عصبة الأمم. واستقلت تسع دول جديدة فى أوربا هى: «فنلندا، ولتفيا، واستونيا، وليتوانيا، وبولندا، وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا، والنمسا، والمجر». وصاحب ذلك ضم قوميات ألمانية ونمساوية إلى الدول الجديدة وهو ما أدى إلى الأزمة التى فجرت الحرب العالمية الثانية.

وقد زادت الحاجة مع نشأة الدول الجديدة إلى ضمانات للأقليات التى كان أكثرها إصرارا وسعيا هى الأقلية اليهودية عن طريق وفدهم إلى (مؤتمر الصلح فى باريس). وكان من تسعة أفراد يرأسهم كل من القاضى «جوليان ماك»، والحاخام «ستيفن وايز»، و «لويس مارشال» عن المؤتمر اليهودى الأمريكى وأعضاء آخرون عن يهود

فرنسا وإنجلترا، وكذلك بعث يهود أكرانيا وبولندا والمجر بمطالبهم إلى المؤتمر. وطالب يهود أوكرانيا المؤتمر بالأعتراف بأمة يهودية محددة تنضم لعصبة الأمم كما طالبوا بجعل فلسطين مركزا لليهود.

وكانت قد نشأت خلافات حادة فيما بين يهود شرق أوربا من المطالبين بقومية منفصلة وبين من يعارضهم من يهود غرب أوربا اكتفاء بضمان حقوق اليهود وحصولهم على نصيب يعادل قوتهم العددية فى الأجهزة التشريعية والتنفيذية فى دولهم. ومن ثم قدم كل من الطرفين مطالب منفصلة لمؤتمر السلام على أن الطرفين توصلا إلى تفاهم بعدم اتخاذ موقف العداء الصريح من المقترحات التى يتقدم بها أيهما للمؤتمر.

ولم يقتنع الوفد اليهودى بما اقترحه الرئيس «ويلسون» فى مطلع عام ١٩١٩ من الأعتراف بالأقليات وتوفير ضمانات لهم بالمساواة فى المعاملة للجماعات الدينية والقومية. وباشروا اتصالاتهم مع الشخصيات البارزة فى أمريكا وقدموا مذكرة للرئيس «ويلسون» فى مارس ١٩١٩ . وقد سجل الرئيس «ويلسون» فى رده على المذكرة موافقته على مطالب اليهود فيما يتعلق بفلسطين، غير أن رده كان غامضا فيما يتعلق بحقوقهم القومية فى شرق أوربا مكتفيا بتأكيد تعاطفه مع مبدأ حق الشعب اليهودى فى وضع متساو فى أى مكان.

ونجح الوفد اليهودى فى تضمين الاتفاقيات الخاصة بإنشاء الدول الجديدة تأكيدا للحقوق المدنية والسياسية والدينية المتساوية لليهود. على أن يهود شرق أوربا لم يتمكنوا من تحقيق أمانيهم فى إقامة قومية منفصلة لليهود لمعارضة يهود غرب أوربا.

ضياع حقوق الأقليات:

على أن حقوق الأقليات بضمان عصبة الأمم التى أقرتها اتفاقيات إنشاء الدول الجديدة، مالبثت أن تقلصت. إذ اتفقت الأحزاب السياسية على أنه لامكان للملايين الثلاثة من اليهود، ففى بولندا ورومانيا والمجر حيث عمت هذه الدول نزعات قومية متطرفة تحت سيطرة الأغلبية السائدة، ولذلك فقد ساد الفقر والمرارة والحقد وضعف النظم الديمقراطية وسوء وضعها الأقتصادى بعد الحرب، وحملوا اليهود مسئولية كل هذه النتائج.

تعليق:

حقيقة النشاط الصهيونى فى بريطانيا بصفة خاصة قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها حين كانت بريطانيا العظمى إمبراطورية لاتغيب عنها الشمس. ومن ثم فقد ركز زعماء الحركة الصهيونية على اكتساب تأييدها. ومن خلال الاتصالات الشخصية والضغوط الدبلوماسية حققوا أول نصر للصهيونية التى لم يكن يسايرها من اليهود أنفسهم سوى ١٣٠ ألفا. وكان وعد «بلفور» نصرا للدبلوماسية الصهيونية، وقد أغفلت بريطانيا بالطبع الدور الذى قام به العرب إلى جانبها فى الحرب العالمية الأولى والثورة العربية الكبرى التى تزعمها «الشريف حسين» شريف مكة واشترك فيها مناضلون من الشام والحجاز بقيادة ابنه «الأمير فيصل» والتعهدات التى قطعتها بريطانيا على نفسها فى مراسلات الشريف «حسين - مكماهون» إذ أكد خلالها «الشريف حسين» أن هدف الثورة هو استقلال كافة الأراضى العربية ووحدتها مع إعطاء الحريات الدينية للأقليات

وخاصة المسيحيين فى لبنان واليهود فى فلسطين. إلا أن سير الأحداث التى سبقت وعد «بلفور» بالأسلوب الذى اتبعه «وايزمان» وغلاة الصهاينة فى بريطانيا وأمريكا، وخاصة مع الرئيس الأمريكى «ويلسون» الذى أيد أطماع الصهاينة برغم تناقضها الصريح مع «مبادئه الأربعة عشر» حول حق الشعوب فى تقرير مصيرها وتحررها من السيطرة الأجنبية، وربما رجع ذلك أساسا إلى نجاح الزعماء الصهاينة فى إقناع المسئولين الأمريكيين بأن «فلسطين أرض بلا شعب واليهود شعب بلا وطن» .

الفصل الثانى

أوضاع العرب واليهود فى فلسطين بعد مؤتمر السلام عام ١٩٢٠

الفصل الثاني

أوضاع العرب واليهود فى فلسطين بعد مؤتمر السلام ١٩٢٠.

رحب يهود العالم «بتصريح بلفور» واعتبروه «الماجناكارتا» "Mgna Carta" ، وقال «وايزمان» مخاطبا اليهود بأنه لاسبيل إلى إنشاء دولة بتصريح أو قرار، وأن على اليهود أن يهاجروا إلى فلسطين ويخلقوا واقع الدولة اليهودية بأنفسهم، وبرغم ضعف الإمكانيات المادية اللازمة فقد زاد عدد اليهود فى فلسطين من ٥٥ ألفا فى نهاية الحرب العالمية الأولى إلى ٤٥٠ ألفا فى عام ١٩٣٩.

وتصدرت فترة بناء الوطن اليهودى جماعات من الرواد الصهيونيين تميزوا بإنكار الذات، والتقشف، والزهد. فعملوا بجد على تمهيد الأرض لاستقبال الوافدين الجدد. وتعاقبت موجات الهجرة، وكان أهمها الموجة الرابعة عام ١٩٢٥ حيث وفد من بولندا فجأة ٣٠ ألف مهاجر نصفهم أو كلهم تقريبا من الطبقة المتوسطة الهاربة من

الأضطهاد. واجهوا مصاعب اقتصادية كثيرة وهبطت همم الكثيرين منهم، حيث كان عبء التطور يومئذ يقع على كاهل الفلاح والعامل. على أن هذه المشكلة مالبثت أن قضى عليها عام ١٩٢٨ حيث أنشئت مصانع جديدة استوعبت عددا كبيرا من العمال وتطور المجتمع ثقافيا وسياسيا على أسس ديمقراطية. وكان «وايزمان» يحلم منذ البداية بإنشاء جامعة عبرية وضع حجر الأساس لها بالفعل فى يوليو عام ١٩١٨ بحضور «الجنرال اللينبى» وممثلين عن القوات المتحالفة، والزعامات الإسلامية والمسيحية واليهودية فى القدس. وافتتحت الجامعة رسميا فى عام ١٩٢٥ . وألقى «اللورد بلفور» خطاب افتتاحها، وعدت رمزا للبعث القومى لليهود.

وعلى شواطئ البحر المتوسط نمت «تل أبيب» التى أنشئت عام ١٩٠٩ ضاحية لمدينة «يافا». وأصبحت عصب الأمة الجديدة. وبدأت عام ١٩٣٢ الموجة الخامسة للهجرة التى ضمت عشرات الآلاف من يهود ألمانيا الذين دفعهم الأضطهاد إلى تغيير موقفهم الثابت المعارض للصهيونية وكانوا من نوع واحد تعود على مستوى متطور من الحياة ومن ثم كانت مشكلتهم أكبر فى التوائم مع الظروف الجديدة الصعبة فى فلسطين.

والخلاصة : أن المجتمع اليهودى فى فلسطين خلال الأعوام العشرين من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى صدور الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ قد تطور على أسس مستقلة وأصبحت له مدارسه وخدماته الصحية ومنظماته العمالية ونظامه الدفاعى ولم يكن أمام بريطانيا «دولة الأنتداب» إلا أن تعترف بهذا الواقع داخل الدولة التى

لم يكن ينقصها سوى الاستقلال السياسى. ولم يكن الصهاينة فى عجلة من أمرهم مادامت الهجرة مستمرة ولاتوضع أمامها عقبات، ومادام التوسع مستمرا فى ظل الأنتداب. على أن زعماء اليهود بدأوا ينظرون بقلق إلى تزايد قوة حركة القومية العربية.

بدايات تطور القومية العربية:

قامت إسرائيل فى منطقة سجلت فيها فكرة القومية نجاحا قياسيا خلال هذا القرن، فمنذ ٥٠ سنة كان كل عربى وكل المسلمين تقريبا يخضعون؛ إمّا لحكم الإمبراطورية العثمانية أو الدول الاستعمارية الأخرى، وقد حدث الآن تحول كبير حيث تقوم جميع الدول العربية المستقلة التى تغطى مساحة ضخمة تصل إلى أربعة ملايين ميل مربع وتضم المراكز التقليدية للحضارة الإسلامية وأصبحت كل من القاهرة وبغداد ودمشق المراكز السابقة للخلافة الإسلامية ومكة والمدينة مقر الرحاب الإسلامية المقدسة، عواصم لدول مستقلة ذات سيادة. ولم يتحقق ذلك للعرب نتيجة تضحيات وجهود بذلوها بقدر ماتحقق نتيجة للآثار الدولية المترتبة على حربين عالميتين وتزايد العطف الدولى على قضايا التحرير القومى.

وقد حققت الشعوب العربية، الشئ الكثير بسرعة كبيرة. إذ ظلت المنطقة التى كانت مهدا للحضارة معزولة تماما عن أفكار الثورة الفرنسية والثورة الصناعية حيث تحمل المسئولية فى ذلك الدول

الإستعمارية فى الغرب وهو مايسوغ ما أحس به العرب تجاه الغرب فى العصر الحديث من مرارة.

وقد بدأت الجماعات القومية العربية خلال السنوات العشر السابقة على الحرب العالمية الأولى، حين وصلت الإمبراطورية العثمانية إلى حالة من التفكك التام، تطالب ببعث أمتها. ووجدوا – شأنهم شأن غيرهم – أن لبريطانيا دور السيطرة المقبلة على المنطقة، فسعوا إلى الحصول على وعود بالتحرير تتحقق بعد الحرب، وفى عام ١٩٢١ نصب «فيصل» ملكا عربيا للعراق كما نصب «أخوه» أميرا لشرق الأردن وأصبحت أراضى الحجاز مركزا للمملكة العربية السعودية، وكانت هناك اتصالات بين بريطانيا والعرب قبل الحرب العالمية الأولى على نطاق محدود، وكانت بريطانيا حريصة على اشتراك العرب ضد الأتراك، وكان «الشريف حسين» مترددا غير أن مفاوضات جرت بين بريطانيا وبينه عن طريق السير «هنرى مكماهون» المندوب السامى البريطانى فى القاهرة، وكانت فلسطين مستثناه منها كما أكد السير «مكما هون»، وذلك رغم تكرار ادعاء العرب بعد ذلك من استنكار تخلى بريطانيا عن وعودها لهم بشأن فلسطين.

وعندما جاء الصليبيون إلى بر الشام ومصر كانت الدوافع دينية مسيحية وسياسية أوربية واقتصادية، والأتفاق مع «الشريف حسين» أمير مكة كان استقلال البلاد العربية حتى جبال طوروس، ولكن ذلك الوعد أو الاتفاق لم يحترم، وحل محله اتفاق «سايكس بيكو» وتقسيم المنطقة إلى مناطق احتلال.

مغالطات صهيونية:

ويذكر المؤرخون اليهود أنه تم اتصال بين «حاييم وايزمان» فى عام ١٩١٨ «والأمير فيصل ملك سوريا «للتوصل إلى تفاهم معه، وتم بينهما لقاء فى العقبة وهو اللقاء الذى أدى إلى أول تفاهم مسجل حتى الآن بين زعيم عربى وزعيم صهيونى، وقد هنأت المنظمة الصهيونية العالمية الأمير «فيصل» على تتويجه ملكا لسوريا فى نوفمبر، وأصدر «فيصل» بيانا نشرته جريدة التايمز البريطانية فى ١٢ ديسمبر ١٩١٨ أكد فيه تفاهم طرفى الأسرة السامية العرب واليهود وتعاونهما لتحقيق أهدافهما القومية.

ولم يتحقق للعرب استقلال بلادهم، وسيطرت بريطانيا على العراق وطردت فرنسا «فيصل» من دمشق، وجاء شعار الوحدة العربية من الخليج إلى المحيط، ومن بغداد إلى تطوان فى المغرب، واتخذت القومية العربية موقف المطالبة بالتحرير الكامل لسوريا بما فيها فلسطين، وبالمقاومة الشاملة لفكرة إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، وسيطرت على فلسطين مجموعات من الأسر القومية على رأسها «الحاج أمين الحسينى» مفتى القدس ورئيس المجلس الإسلامى الأعلى، واتفقت جميعا على المطالبة بالتخلى عن فكرة الوطن القومى لليهود؛ وإلغاء «تصريح بلفور» وعارضوا بيع الأراضى لليهود، وعند ذلك التاريخ تجدد خط الصراع بين القومية العربية والصهيونية.

العلاقات البريطانية اليهودية (١٩٢٠ ـ ١٩٣٩):

بدأ تدهور العلاقات بين بريطانيا والصهاينة داخل فلسطين فى

فترة مابعد الحرب العالمية الأولى، لما كانت السلطات البريطانية فى فلسطين كانت تتجاهل فى بعض الأحيان «تصريح بلفور» ونصوص الأنتداب ومع ذلك عول زعماء الصهيونية على استمرار روابطهم مع بريطانيا باعتبار ذلك أفضل ضمان لتطور الوطن القومى اليهودى، الا أن العلاقات الصهيونية البريطانية استمرت فى التدهور فى العقد الثالث حتى وصلت إلى مايقرب من القطيعة فى عام ١٩٣٩ بصدور الكتاب الأبيض الذى وضع قيودا شديدة على الهجرة والاستيطان اليهودي فى فلسطين، وهو الأمر الذى كان يستهدف وقف نمو الوطن القومى اليهودى ثم وضعه بعد عشر سنوات تحت رحمة حكومة يسيطر عليها العرب، ومع ذلك قبلت المنظمة الصهيونية الكتاب الأبيض وتفهمت الدوافع وراء إصداره فى سعى بريطانيا لتهدئة العرب، وقدر «وايزمان» ورفاقه أن ذلك أهون الشرور مادام فى طوع اليهود شراء الأراضى واستثمار رءوس أموالهم واستقبال المهاجرين، وكانت الاستراتيجية الصهيونية تقوم على خلق واقع قوى على الأرض وإرجاء المواجهة مع بريطانيا إلى وقت لاحق. وكانت الهجرة قد تزايدت فى العشرينيات والثلاثينيات، فوصل فلسطين عام ١٩٢٥ وحدها زهاء ٣٤ ألف يهودى، وبدأت الجامعة العبرية نشاطها فى السنة نفسها. وفى عام ١٩٣٥ مع تزايد اضطهاد اليهود فى ألمانيا الهتلرية وقدم إلى فلسطين ٦٢ ألفا من اليهود وكان ذلك أكبر عدد من المهاجرين فى عام واحد. وقام العرب باضطرابات ضد اليهود عام ١٩٢٩ حيث قتل ١٣٣ يهودى وجرح بضع مئات ودمرت ممتلكات يهودية كثيرة، واتهم اليهود الإدارة البريطانية بالإهمال وعدم المبالاة والعداء للصهيونية، وكان

أخطر هذه الاضطرابات تلك التى بدأت فى أبريل ١٩٣٦ حـيث وصلت إلى نطاق واسع وثورة عربية شاملة فى فلسطين، وشكلت لجنة عربية عليا نظمت اضرابا عاما وطالبت بالوقف الفورى للهجرة اليهودية إلى فلسطين. ووقف بيع أراضى العرب لليهود وإقامة حكومة فى فلسطين، واتبعت بريطانيا أسلوب التهدئة فى البداية ثم اتخذت إجراءات قمع شديدة واستعانت بتعزيزات عسكرية وسلمت السلاح لليهود للدفاع عن أنفسهم وتعاون ضابط بريطانى مع المستوطنات الزراعية اليهودية فى تنظيم فرق ليلية لمهاجمة الفرق العربية وساءت الأحوال بدرجة دفعت بريطانيا إلى توجيه انذار إلى اللجنة العربية العليا باتخاذ إجراءات عسكرية عنيفة مالم تتوقف الاضطرابات، وفعلا أنهت اللجنة الإضراب فى أكتوبر ١٩٣٦.

موقف الأنتداب البريطانى من العرب واليهود فى العقد الثالث «لجنة بيل»:

دخلت المشكلة طورا جديدا حاسما فشكلت لجنة ملكية برئاسة اللورد «بيل»، بحثت الأوضاع على الطبيعة وصدر تقريرها فى ٧ يوليو ١٩٣٧، وأوصى التقرير بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية، ودولة يهودية فى مساحة أقل لاتزيد على خمس مجمل مساحة فلسطين، وقد انتقد «وايزمان» تقرير اللجنة ولكنه نبه إلى الأهمية التاريخية لتوصيتها إنشاء دولة يهودية فى فلسطين، وفوضت الوكالة اليهودية فى التفاوض مع بريطانيا لتحسين شروط التقسيم، بينما اتخذ العرب موقف المعارضة الشديدة لتقرير اللجنة والتقسيم، وتكمن

أهمية التقرير فى بقاء فكرة التقسيم مسيطرة على جهود التسوية للأعوام الحاسمة التالية، وقد تفهمت اللجنة الحقيقة الأساسية للمشكلة وهى أن اليهود والعرب فى فلسطين تتعارض أهدافهم، وكان الاختيار هو إما كفالة سيطرة طرف على الآخر، أو خلق إطار للسيادة المنفصلة لكل منهما.

وتجددت الاضطرابات العنيفة خلال عامى ١٩٣٧، ١٩٣٨، ومع تدهور الوضع الدولى وخطر نشوب الحرب العالمية الثانية، تزايد حرص بريطانيا على تهدئة العرب، ومن ثم صدر فى مايو ١٩٣٩ (الكتاب الأبيض) الذى كاد يعنى حكم الإعدام على الوطن القومى اليهودى، إذ قصرت الهجرة خلال الأعوام الخمس التالية على ٧٥ ألفا من اليهود، حدا أقصى، وإنشاء حكومة مستقلة بعد هذه الفترة تحل محل الإدارة البريطانية تكون فيها أغلبية عربية. وهاجمت الوكالة اليهودية (الكتاب الأبيض) بشدة واعتبرته نكوصا عن تعهدات بريطانيا ورضوخا للإرهاب العربى واحتجت لدى لجنة الأنتداب بعصبة الأمم وحصلت على قرار لصالحها، غير أن القرار كان أجوفاً، وكان على اليهود السعى للإسهام فى الحرب العالمية فى وقت تتعرض فيه كل آمالهم للخطر.

تطوير قوات الدفاع الصهيونى:

طور اليهود فى فلسطين فى فترة مابين الحربين العالميتين عدة تنظيمات دفاعية وشكلت الهاجاناه عام ١٩٢٠ واتسع نطاقها وقامت بدور رئيسى فى حماية عمليات الاستيطان والهجرة والدفاع. (التفاصيل فى باب بن جوريون)

فلسطين عشية الحرب العالمية فى عام ١٩٣٩ :

وصل عـدد اليـهـود فى فلسطين فى عـام ١٩٣٩ إلى ٤٥٠ ألفـا ووصل الكيان القومى اليـهودى إلى درجـة عـالية جدا من التطور الأقتـصادى والتكنولوجى بمعـايير المنطقة، وكـرس الطابع العبرى بمؤسساته الثقافية والاجتماعية المتمركزة حول الكيبوتز، أى القرى الجمـاعيـة والموشـاف، أو القرى التـعـاونيـة، والعمـاليـة فى شكل الهستدروت أو الاتحاد العام لليهود.

(التفاصيل فى باب بن جوريون).

التعليق :

خرج المؤلفون اليهود والدعاية الصهيونية على الدعاية المجردة عن الموضوعية، إذ هونت من نمو حركة القومية العربية وتطورها منذ بدأ تاريخـهـا الحـديث أواخـر القـرن التـاسـع عـشـر وأوائل القـرن العشرين، واتخذت أول تعبير فعلى لها فى الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ ضـد الأتراك وفى صف بـريطانيـا وحلفـائهـا، ويسـتـخـدم الصـهانية حـجـجا ظـالمة وهى أن العرب حققوا من الحرب الكثير باسـتـقلال العـراق وإقـامـة دولة شـرق الأردن، وفى الحـقـيـقـة كـان اسـتـقلال العراق شكليا تحت السيطرة البريطانية وفى ظل مـعاهدة حماية ووجود عسكرى بريطانى فعال. كما كانت شرق الأردن تحت الحماية البريطانية، ووضعت سوريا ولبنان تحت الحماية والسيطرة الفرنسية فى شكل الأنتداب، وفى المحصلة فان وضع الدول العربية فى المشرق العربى في ظل الأنتداب واتفاقيات الحماية كان أسوأ من

وضعهم قبل الحرب، ولم يذكر الصهاينة الانتفاضات الشعبية العربية في سوريا ولبنان وفلسطين والعراق في العشرينات والتي عبرت عن السخط الشعبي لنكوص بريطانيا عن تعهداتها بمساندة العرب في تحقيق أملهم في الاستقلال والوحدة وعملها على تمزيق الوطن العربي، أما عما ذكر من أن العرب لايستندون في مطالبتهم بفلسطين إلى أية سوابق أو أسس تشير إلى دولة عربية مستقلة فيها فهو ادعاء باطل إذ كانت فلسطين إقليما متميزا من أقاليم الشام تحت الحكم العربي والعثماني ولم يكن هناك داع لإقامة دولة منفصلة فيها مادام أن المنطقة كلها تحت الحكم العربي الإسلامي الذي ظلت في نطاقة قرونا عديدة منذ الفتح الإسلامي، كذلك فإن القول بأن مراسلات «الشريف «حسين - مكماهون» استثنت فلسطين لتصبح لليهود وطنا قوميا باطلة كما تثبته الوثائق البريطانية ذاتها واللجنة التي شكلها «مؤتمر المائدة المستديرة» الذي عقد في لندن عام ١٩٣٩، لبحث مشكلة فلسطين بحضور ممثلين عن العرب واليهود ووزارة المستعمرات البريطانية، أما عن اتفاق «حاييم وايزمان - فيصل»، فقد نص على قبول العرب السماح للأقلية اليهودية المقيمة فعلا في فلسطين بحرياتها الدينية المدنية بشرط أن يضمن العرب استقلالهم في المشرق العربي وحريتهم في الوحدة، أي أن فيصل لم يسلم بسيطرة اليهود على كل فلسطين وتحويلها وطنا قوميا لهم وطرد سكانها العرب، ويكشف اليهود في مؤلفاتهم عن تطوير قوات الدفاع اليهودية وتدفق الهجرة وعن الأسلوب الذي اتبعه الصهاينة لفرض وجودهم وطرد العرب من ديارهم تحت سمع السلطات البريطانية وحمايتها.

الفصل الثالث

النشاط الصهيونى داخل فلسطين وخارجها بقيادة «بن جوريون»

الفصل الثالث

النشاط الصهيونى داخل فلسطين وخارجها بقيادة بن جوريون من بدء الأنتداب البريطانى إلى قيام دولة إسرائيل ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨.

كان عقد العشرينيات وقتا حافلا بالنشاط لـ «بن جوريون» وانطلاقه السريع فى عمله، عصيباً لشعب فلسطين اليهودى، فقد كانت سنوات من الحيرة والشك، والتوتر، وفترات من الإحباط.

وفى أبريل عام ١٩٢٠، التقى زعماء قوات الحلفاء على شاطئ المصيف الإيطالى فى مدينة «سان ريمو» لتوزيع المكاسب والغنائم، ولكن وحتى ذلك الوقت لم يتخذ أى إجراء رسمى أو شكلى بالنسبة لفسطين.

وكان فى نظرهم إعلان بلفور الذى لم يكن إلا قصاصة من الورق، يعطى بريطانيا حق الأنتداب على فلسطين، تعنى أن أولئك الذين قسموا الهيمنة تواء يقولون للعالم إنه فى حالة هذا الأنتداب فإن الشعب الفلسطينى مستعد تقريبا لنظام حكم ذاتى، وأن مدة الأنتداب تبعا لذلك ستكون قصيرة.

وقد عم الغضب يهود فلسطين فيما عدا القليلين منهم. إلا أن «بن جوريون» كان يتوجس خيفة بعد أن درس مضمون كلمات الانتداب ومراميها الخفية.

فالمادة الرابعة تقول: «يجب أن تعترف دولة الانتداب «بوكالة يهودية» لتمثل الشعب اليهودى عندما يعمل لإقامة وطنه القومى». وراودت «بن جوريون» تساؤلات، كيف سيتم الاختيار؟ من سيكون الرئيس؟ وماهى السلطات التى تمارس الحكم؟.

أما المادة السادسة فتقول: «سيسمح بهجرة اليهود (أى إلى فلسطين) وسيشجع اليهود على الاستقرار فى البلاد». والتساؤل المهم هو.. كيف.. وعلى من.. ومتى.. وأين؟.

ورأى «بن جوريون» المهاجرين يتجمعون فى تل أبيب، حتى تستعد المدن الصغيرة الجديدة لهم، وقد جاء الكثير منهم بمال قليل، يريدون فتح محلات أو البدء فى أعمال صغيرة ويستخدمون عمالة رخيصة.

وبعد قليل من «سان ريمو» دعى إلى عقد مؤتمر مهم للصهاينة فى لندن، وقرر اتحاد العمال إيفاد «بن جوريون» متحدثا باسمه. وكان هذا أول تجمع عالمى حضره فى قاعة «البرت هول».

وعلى المنصة كان هناك متحدثون من الشخصيات البارزة من نيويورك وبوسطن وباريس ووارسو، ومن جميع أنحاء العالم، وكان «بن جوريون» وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره رئيس حزب سياسى من ألفى عضو.

«بن جوريون» والانتداب البريطانى وأسلوب نشاطه

وقد عمل «بن جوريون» على فرض سياسة الأمر الواقع التى جرى عليها، ومازالت يتشبث بها الصهيونية منذ بداية عهد الأنتداب، وليس ذلك بمستغرب على «بن جوريون» الذى يعتبر من أساطين الصهيونية التى تنتهج المرحلية والواقعية فى تطبيق سياستها. فقد حقق أهم أهدافه عندما تألف حزب «احدوت هاعفودا» - أى وحدة العمل - فى شهر فبراير ١٩١٩، وهو يمثل الأتحاد بين عمال الزراعة والعمال فى المصالح الأخرى، وكان «بن جوريون» من أبرز قيادته.

وفى ديسمبر عام ١٩٢٠ تأسس «الهستدروت» - أى الأتحاد العام للعمال اليهود - ذلك الذى لعب دورا كبيرا فى حياة اليهود فى فلسطين أثناء الأنتداب، وانتخب «بن جوريون» أمينا عاما له، ومثل عمال فلسطين فى الموتمر الصهيونى فى لندن عام ١٩٢٠، وقد ذكر «بن جوريون» فى مناسبات عديدة أن من الصعب بدون هذا الأتحاد - الهستدروت - قيام دولة يهودية فى فلسطين، وألقى باللائمة على «وايزمان» وزملائه لتقاعسهم عن مطالبة بريطانيا بعودة الفرقة اليهودية التى اشتركت فى الحرب العالمية الأولى إلى فلسطين لرفع الروح المعنوية لليهود ومنع الأعتداء عليهم. كان «بن جوريون» يؤمن بأن العنف هو الوسيلة المضمونة لذلك وكان يبغى من عودة الفرقة اليهودية إلى فلسطين أن تكون نواة للجيش الصهيونى.

على أنه لم ييأس ونجح فى استصدار قرار بإنشاء قوة دفاع عام ١٩٢٠، وبذلك تطور نظام الحرس «هاشومير» إلى «الهاجاناه» التى

تأسست فى عام ١٩٢١ وكانت فى أول عهدها جزءا من تنظيم «الهستدروت». وفى عام ١٩٣٠ توسعت «الهاجاناه» لتشمل اليهود غير الممثلين فى «الهستدروت»، وفى عام ١٩٣٣ تألفت هيئة أركان دائمة لها، تمكنت من الحصول على السلاح من بعض بلدان أوربا والولايات المتحدة الأمريكية.

وحضر «بن جوريون» فى عام ١٩٢٥ «المؤتمر الصهيونى»، وفى خطابه انتقد الأنتداب، وحمل حملة شعواء على «هربرت صموئيل» المندوب السامى البريطانى، وذلك لأنه عين الحاج «أمين الحسينى» فى مركز مهم، وطالب فى خطابه إقامة دولة يهودية فى فلسطين، وهاجم فى هذا المؤتمر كذلك «وايزمان» لتقبله بعض القيود على اليهود.

وقد تأسست الوكالة اليهودية طبقا لما نصت عليه الفقرة الرابعة من صك الأنتداب عام ١٩٢١، لتكون ممثلة لليهود فى فلسطين وتساعد المندوب السامى فى إدارة البلاد. وكانت فى بداية نشأتها تتألف من أعضاء الهيئة التنفيذية للمؤتمر الصهيونى العالمى، وتمكن «وايزمان» من أن يوسع تمثيلها لتشمل اليهود غير الصهيونيين ممن يرغبون فى المساعدة على إقامة الوطن القومى عام ١٩٢٩، ولم يعارض «بن جوريون» هذه الخطوة إذ جلبت للصهيونيين مصادر جديدة للمال. وتضمن دستور الوكالة اليهودية الموسعة لفلسطين تحديدا مفصلا للأهداف التى تسعى إلى تحقيقها كتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ورعاية اللغة العبرية والثقافة اليهودية، وشراء الأملاك لصالح الصندوق القومى اليهودى حتى تصبح ملكا ثابتا للشعب اليهودى.

وبعد تقرير لجنة «شو» عن حوادث عام ١٩٢٩ ومحاولة بريطانيا الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، اقترح «بن جوريون» التعجيل بضم حزب «عمال صهيون» وحزب «العامل الفتى» في حزب عمالي واحد وكان هدفه تقوية الوطن القومي بالطبقة العاملة، وتألف في عام ١٩٣٠ حزب «الماباي» حيث اتجه «بن جوريون» بعد قيامه إلى مرحلة جديدة هدفها توحيد الجبهة الخارجية بعد أن توحدت الداخلية في فلسطين.

وافتتح في شهر سبتمبر عام ١٩٣٠ في برلين «المؤتمر العالمي للعمال في جميع أنحاء العالم» وكان هدف «بن جوريون» أن يظهر للعالم وللصهيونيين بأنه وراء العمال اليهود في فلسطين يقف عمال العالم اليهود ـ وكان أن تألفت نتيجة لهذا المؤتمر «العصبة العالمية لعمال فلسطين».

(World League for Palestine workers)

وقال «بن جوريون»: إن هذه العصبة لتدل على فكرة القومية بين الطبقات العمالية اليهودية وعلى هذه العصبة تحويل هذه الأفكار إلى حقائق.

معارضة بن جوريون للكتاب الابيض

اعتبر «بن جوريون» مانص عليه الكتاب الأبيض حكما بالإعدام على الخطط الصهيونية، ورأى أن «وايزمان» يفتقر إلى الشجاعة لمعارضة الإنجليز الذين تخلوا عنه، وهاجم أغلب اليهود مسلك «وايزمان» الذى لم يجاهر ـ بالرغم من تأثره من صدور هذا الكتاب ـ بمعارضته لبريطانيا، بل برر مسلكه على الحملة التى اتهمته بالخيانة بقوله: «إن الدولة اليهودية لم تكن غاية فى ذاتها بل مجرد وسيلة إلى الغاية حيث لاذكر للدولة اليهودية فى «برنامج بازل» ولا فى «وعد بلفور». وماجوهر الصهونية إلا إيجاد عدد من الأسس المادية يقوم عليها بناء مجتمع ذاتى متماسك منتج».

وفى الموتمر السابع عشر فى «بازل» طالب المجتمعون باستقالة «وايزمان» من رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية وخلفه «ناحوم سوكولوف» لمدة أربع سنوات، وكانت القوة المحركة فى المنظمة فى عهد «سوكولوف» مستمدة من الأحزاب العمالية فى فلسطين وغالبا من «الماباى» حزب «بن جوريون».

وكان «بن جوريون» يهدف أساسا منذ ألف «الهستدروت» إلى جعل المنظمة الصهيونية فى خدمة مصالح اليهود فى فلسطين، لذلك كان على اليهود فى فلسطين أن يسيطروا على مقاليد الحركة وقد حصل مؤيدو «بن جوريون» على نصف المقاعد واضطر «جابوتنسكى» أقوى معارضى «بن جوريون» إلى ترك المؤتمر اليهودى الصهيونى العام ليؤلف مؤتمرا خاصا "New Ziouist Organization" فشل فى استقطاب اليهود من الأحزاب الأخرى.

الصهيونية ومشروع «بيل» لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود عام ١٩٣٧

حين هب العرب بالثورة والإضراب العام فى فلسطين، اقترحت بريطانيا إقامة دولة يهودية وأخرى عربية فى فلسطين. وبحث هذا المشروع فى المؤتمر الصهيونى العشرين فى «زيورخ» حيث عارض الصهيونيون المشروع فى بادئ الأمر، ولكن زعماءهم بزعامة «وايزمان» اقتنعوا بفكرة قيام دولة يهودية، ورأوا أن فى استطاعتهم توسيع رقعتها، ووافق «بن جوريون» على ذلك، وقال فى مذكراته: «لما كان الأنتداب غير عملى فلم لانقبل الاستقلال الممنوح لنا منذ البداية»، وكتب لـ «موسى شرتوك» «شاريت» عن مشروع التقسيم مايلى: «سوف نحطم تلك القيود المفروضة، وليس بالضرورة بطريق الحرب. وأعتقد أن فى الإمكان الوصول إلى اتفاق مع الدولة العربية المزمع إقامتها بموجب التقسيم، وفى وقت قريب. فإذا تمكنا من تهجير مئات الآلاف من اليهود إلى دولتنا وقوينا مركزنا الأقتصادى والعسكرى فلسوف نستطيع التوصل إلى اتفاق لإلغاء الحدود بيننا وبين الدولة العربية».

القسم الثاني عشر
الإنجازات
المرحلة الثانية
للنشاط الصهيونى
١٩٢٠ ـ ١٩٤٠

الفصل الأول:

« الهستدروت »

الفصل الثانى:

القوة العسكرية « الهاجاناه »

الفصل الثالث:

حزب « الماباى »

الفصل الأول

«الهستدروت»

إتحاد نقابات العمال الصهيونية

تمهيد

«الهستدروت»

١ـ يمثل الهستدروت "Histadrut" أكبر المنظمات الجماهيرية وتعنى التسمية «الأتحاد العام للعمال» وتمثل المؤسسة الرئيسية لنقابات العمال.

٢ـ أنشئت عام ١٩٢٠ بوصفها إدارة قومية للصهيونية أى (جهاز قومى) وتضم أعمال نقابات العمال بالإضافة إلى وظيفة الاستيطان والاستعمار.

٣ـ المبادئ العامة «للهستدروت» هى:

(أ) التعاون بين العمال وأصحاب الأعمال.

(ب) منظمة غير سياسية.

٤ـ وضمت «الهستدروت» فى السبعينيات حوالى مليون نسمة مجموع العمال وعائلاتهم.

٥ ـ أهم المراكز «بالهستدروت» يشغلها حزب (ماباى MAPAI) الذى يدير سياسة المنظمة االجماهيرية.

ــ وقد تعاونت «الهستدروت» فى عدوان ١٩٥٦ و ١٩٦٧ لمؤازرة حزب (الماباى).

ــ يعد «الهستدروت» أداة رئيسية فى يد الحكومة الإسرائيلية.

الهستدروت

مقدمة :

أولا : الهستدروت ـ النشأة.

ثانيا : البناء التنظيمى.

ثالثا : الأهداف.

رابعا : العضوية وسياسة الأجور.

خامسا : أنشطة الهستدروت.

سادسا : أبرز مشكلات الهستدروت.

سابعا : عمال الداخل العرب.

ثامنا : ما هية الإشتراكية فى إسرائيل.

تمهيد :

١- الحركة العمالية اليهودية تعد أشمل من «الهستدروت» وهو الأتحاد العام للعمال اليهود فى اسرائيل.

وتشتمل الحركة العمالية فى إسرائيل على مجموعة من الحركات العمالية ذات الطابع السياسى وتعد فى هذا المفهوم أجزاء من الأحزاب السياسية التى تتبعها، أما المجموعة الأخرى فتشمل حركة عمالية فدرالية هى «الهستدروت».

٢- ونجد بالنسبة للمجموعة الأولى «حركة العمال الوطنيين» وهى تتبع حزب «حيروت» وهى تجمع بين العمال وأصحاب الأعمال وتمثل حوالى ١٠ ٪ من مجموع عمال إسرائيل ونشاطها الرئيسى فى تل أبيب وهى تعد أقوى حركة عمالية بعد «الهستدروت».

٣- كذلك نجد «حركة العمال المتدينين» (هابوعيل ها مزراحى)، وهى تماثل فى القوة سابقتها بمعنى تمثيل حوالى ١٠ ٪ من العمال.

٤- ونجد أيضا حركة «بوعيل أجودات إسرائيل» ويعنى تكتل عمال

إسرائيل وتضم المتشددين المتدينين من عمال إسرائيل وهى أضعف الحركات العمالية.

أولا: «الهستدروت» - النشأة:

١- «الهستدروت» وهو «هاهستدروت هاكلابت شيل هاعوفاديم ها أفريم بييرتز إسرائيل».

" Hohistadrut Haklalit shel Haordim Hoiuzim""zeezetz Iszail"

أى الأتحاد العام للعمال اليهود فى إسرائيل"Beeletz Iszail " وقد تأسس فى فلسطين فى ديسمبر ١٩٢٠ ليضم العمال اليهود فقط ويشمل ذلك العاملين فى المزارع الجماعية والتعاونيات وبدأت العضوية بعدد ٤٤٣٣ عضوا.

وحرص منذ نشأته على ألايصطدم بمصالح الصهيونية العالمية، وبعد قيام دولة إسرائيل ازداد دوره فى التنسيق مع الحركة الصهيونية واتسعت فعاليته ونشاطاته.

وعند تأسيس «الهستدروت» لم يكن للنقابات أو الأتحادات المحلية وجود فعال فيما عدا اتحاد الموظفين الذى أسس عام ١٩١٩ وبعض النقابات المحلية المحدودة.

٢- ومن أبرز خصائص «الهستدروت»:

(أ) أنه تنظيم فدرالى قام قبل نشأة النقابات الأساسية، والمفروض أن يتكون على أساسها، بمعنى أن الحركة جاءت معكوسة.

(ب)أن طابعه السياسى واضح.

٣ـ ويتعاون «الهستدروت» مع عدد من الأحزاب أبرزها:

(أ) «الماباى» أى حزب عمال إسرائيل.

(ب) حزب «أحدوت ها عفودا» ـ حزب العمال الموحد.

(جـ) «مابام» ـ حزب العمال المتحدين.

(د) «بيريت زيونيم كلايم» ـ حزب عموم الصهيونية.

(هـ) الحزب التقدمى.

(و) الحزب الشيوعى.

(ز) «هاعونيد هاداتى» حركة العمال المتدينين.

وتشكل كتلة التحالف بين «الماباى» و«أحدوت هاعفودا» أغلبية الهستدروت.

٤ـ وتتعدد نشاطات «الهستدروت» ومثال ذلك:

(أ) الأعمال النقابية المعتادة.

(ب)إدارة نظام شامل للضمان الاجتماعى.

(جـ) له دور ثقافى وتعليمى بارز.

(د) كما يقوم بأنشطة اقتصادية متنوعة.

ثانيا: البناء التنظيمى:

١ـ **السلطة المركزية:** تضم ثلاثة أجهزة هى:

(أ) المؤتمر القومى: ويعتبر السلطة التشريعية الأولى فى «الهستدروت»، ويجتمع مرة كل أربع سنوات، ويتشكل بالأنتخاب وينتخب المجلس العام من بين أعضائه.

(ب) المجلس العام: يقوم بمهمة السلطة العليا وينعقد مرتين فى العام.

(جـ) اللجنة التنفيذية: تتكون من مائة عضو وتجتمع مرة كل أسبوعين، وهى أعلى سلطة تنفيذية، ويتم انتخابها من قبل اللجنة التنفيذية.

(د) المكتب التنفيذى: وتعين اللجنة التنفيذية ١٣ عضوا من بينها لتشكيل المكتب التنفيذى "Vaada Merakezet" ويقوم بانتخاب أمينه العام.

وجميع الهيئات السابقة تحتوى تمثيل الأحزاب بحسب قوة كل حزب الانتخابية.

٢ـ **السلطات الفرعية والمحلية:** نجدها على النحو التالى:

(أ) المجالس العمالية: (Moetzot Hapoalim). وتوجد فى كل بلدة وفى مراكز الاستيطان الرئيسية ويعد (المجلس العمالى) أقوى سلطة على الصعيد المحلى ومصدر قوته أنه يجئ بالأنتخاب من مجموع الأعضاء فى مركز أو منطقة معينة بما فى ذلك الزوجات

غير العاملات، ويتم الأنتخاب مرة كل أربع سنوات على أساس التمثيل النسبى لجميع الأحزاب.

(ب) لجنة تنفيذية: وهى أعلى سلطة تنفيذية محلية، يتم انتخابها من قبل المجلس العمالى.

(ج) السكرتارية.

(د) الأمين العام للمجلس العمالى.

ويلاحظ أن الأحزاب ممثلة على مختلف المستويات السابقة كل بحسب قوته الانتخابية.

(هـ) لجان متعددة: متصلة بالتربية والثقافة والإسكان والتعاونيات والتأمينات الإجتماعية والصحية وغيرها.

ثالثا: الأهداف: يمكن تلخيصها على النحو التالى:

١- خلق نوع جديد من العمال اليهود.

٢- رعاية حركة الاستيطان.

٣- رعاية كل العاملين الذين لايستغلون الآخرين.

٤- رعاية الشئون النقابية.

٥- التعليم من أجل بناء مجتمع عمالى يهودى.

٦- فى البداية أعلن عن تأسيس كومونولث يهودى فى أرض إسرائيل، أى أن هدفه سياسى فى المحل الأول.

٧ـ تنشيط الهجرة.

٨ ـ تحقيق الفكرة الصهيونية.

٩ـ السيطرة على فلسيطن واستعمارها.

١٠ـ دعم أسس اقتصاد سليم مزدهر قادر على استيعاب المهاجرين.

١١ـ دعم المهاجرين والمجتمع ليتحول إلى هيكل قومى موحد.

١٢ـ أوضح «بن جوريون» أول أمين عام «للهستدروت» ورئيس وزراء إسرائيل بعد ذلك إن غاية «الهستدروت» هو «الهجرة والاستيطان ويؤلفان «لوحا العهد».

رابعا: العضوية وسياسة الأجور:

١ـ بلغ أعضاء «الهستدروت» عام ١٩٦٤ حوالى ٩٠٠٠٠٠ (تسعمائة ألف عضو).

٢ـ وتنقسم العضوية إلى أربعة فئات رئيسية:

(أ) اعضاء التعاونيات وخاصة «الكيبوتزات» (المزارع الجماعية) و«الموشافيم» وهى: مستعمرة جماعية تقوم على أساس العائلة (حوالى ٢٥٠٠٠٠ عضو).

(ب) أعضاء يعتمدون على الرواتب والأجور (حوالى ٢٥٠٠٠٠).

(جـ) الحرفيين الذين يعملون لحسابهم الخاص، والمهنيين بما فى ذلك الفنانين (١٠٠٠٠ عضو).

(د) أعضاء تابعين لمنظمة الشباب العاملين والطلاب مادون ١٨ سنة (١٠٠٠٠٠ عضو).

(هـ) الزوجات المتفرغات للشئون المنزلية والعائلية (٢٦٠٠٠٠ عضو).

٣- ويدفع أعضاء «الهستدروت» رسوما للعضوية تتراوح مابين ٣٪- ٥ر٤٪.

٤- تميل سياسات الأجور إلى تحقيق العدالة بحيث تقل بشكل عام الفوارق بين الأجور المدفوعة.

ويتم تحديد الأجر المناسب وفق امتحانات خاصة محايدة.

ولاتزال الأجور فى إسرائيل متخلفة عن معدل تكاليف المعيشة المتزايد.

خامسا: أنشطة «الهستدروت»:

لايعد «الهستدروت» اتحادا عماليا بالمعنى المتعارف عليه، ولكنه أوسع من ذلك بكثير وخاصة نظرا لخلفيته ولنشاطاته المتعددة التى تتخطى كونه اتحادا عماليا أونقابيا.

فمنذ نشأته - قبل قيام دولة إسرائيل - فى عام ١٩٢٠ لعب دور الحكومة الفعلية بمعنى الإدارة بين مختلف المؤسسات اليهودية فى فلسطين، وقد مهد لذلك أن «الهستدروت» كان معنيا فى الأساس بالهجرة والاستيطان وهما أمر أدى إلى انخراطه فى مختلف الأعمال

السياسية والاقتصادية والثقافية بل والدبلوماسية، لدرجة أنه أصبح أكبر مستخدم للعمالة والموظفين فى فلسطين تحت الأنتداب، أى شكل مايمكن أن نطلق عليه «دولة داخل الدولة».

وقد استغلت الحركة الصهيونية نجاح وتحرك وفعالية «الهستدروت» فقامت بدعمه بالموارد المالية اللازمة.

وفيما يلى نعرض باختصار لأبرز أنشطة الهستدروت التى أعطته المكانة الرفيعة والمهمة التى أشرنا إليها آنفا.

١ـ الأنشطة النقابية:

(أ) هناك شرط لأى عامل من أجل الأنضمام لأى أتحاد أن يكون أولا عضوا فى «الهستدروت»، ويوجد عمال فى «الهستدروت» لاينتمون إلى أى أتحاد.

(ب) قد أنشئ العديد من الاتحادات بمبادرة من «الهستدروت» وليس بمبادرة من عمال الأتحاد.

(جـ) ويقوم «الهستدروت» بتقديم الأموال اللازمة للاتحادات العمالية.

د) ويتم تعيين أمناء سر الاتحادات العمالية الوطنية بعد موافقة اللجنة التنفيذية «للهستدروت».

(هـ) وتجب موافقة (هيئات الهستدروت) على جميع القرارات المهمة بما فى ذلك الإضرابات التى تقوم بها الاتحادات العمالية.

(و) وينقسم التنظيم فى الاتحاد العمالى إلى ثلاثة أقسام رئيسية هى:

* لجان العمال: وتشكل الخلية الأساسية فى تنظيم «الهستدروت» العمالى وتتركز قوته فى القطاع الصناعى. والوظيفة الرئيسية للجان هى التفاوض مع الشركات للحصول على أفضل العقود الجماعية، والنظر فى الخلافات التى تنشب بين العمال أنفسهم، وتقوم اللجان بمهام ثقافية أيضا، تنظم المحاضرات والندوات والحلقات الدراسية ودورات التدريب المهنى، كما أن اللجان لها صلاحيات إدارية من خلال «لجان الإنتاج المشترك» وهى تماثل شكل تمثيل العمال فى مجلس الإدارة فى مصر، كما تشرف اللجان على الصناديق المالية مثل: صندوق الضمان الصحى، كما تشارك فى الشئون المتعلقة بالترقية والنقل وتحديد المرتبات.

* الاتحاد العمالى المحلى: تعمل الاتحادات العمالية الصغيرة على المستوى المحلى فقط وتخضع لإشراف المجلس العمالى.

* وهناك (الاتحاد العمالى الوطنى) الذى يغطى نشاطه كل إسرائيل.

٢ـ التنمية الأقتصادية:

(أ) الفرع المتخصص فى الإنتاج فى «الهستدروت» يعرف باسم «الجمعية التعاونية العامة للعمل فى إسرائيل» ويعتبر كل أعضاء «الهستدروت» أعضاء فى هذه الجمعية وتضم الجمعية أربعة أفرع من المشاريع هى:

- المشاريع التعاونية التى يملك أعضاؤها رأسمالها.

- شركات تعود ملكيتها - كليا أو جزئيا - للمشاريع التعاونية.

- شركات تجتمع على ملكيتها عدة هيئات منها «الهستدروت» والحكومة والوكالة اليهودية.

- شركات تمتلكها «الهستدروت» بالكامل وتعمل تحت إشراف لجنة الهستدروت التنفيذية.

٣- الخدمات الصحية والضمان الاجتماعى:

ويشتمل ذلك على أربعة أنماط خاصة وهى:

(أ) الضمان الأجتماعى على الصعيد الوطنى العام.

(ب) الضمان الاجتماعى ضمن وحدة مهنية أو صناعية.

(جـ) صندوق العجز على مستوى البلاد كلها، يتضمن مؤسسات صحية خاصة بالعاجزين جسديا وعقليا والمصابين بأمراض نفسية.

(د) نظام للمساعدات المالية على أساس التسليف والهبات مثل: صندوق المسنين، وصندوق الأحوال الطارئة.

٤- الشئون الثقافية:

(أ) فى أيام الأنتداب قام «الهستدروت» ببناء شبكة واسعة من المدارس ضمت ٤٥ ٪ من مجموع التلاميذ اليهود فى فلسطين.

(ب) كما أدار «الهستدروت» عددا من المؤسسات لتأهيل المهاجرين وإعدادهم للحياة الجديدة من أجل الأندماج الكامل.

(جـ) ويصدر صحيفة يومية باللغة العبرية «دافار» هى أوسع الصحف الصباحية انتشارا.

(د) كما أنشأ مؤسسة مسئولة عن التثقيف العمالى وعدد من المدارس الثانوية الصناعية.

(هـ) كما احتضن وأنشأ «منظمة الشباب العامل».

(و) بالإضافة إلى إقامة منظمة رياضية على المستوى الوطنى.

(ز) واحتضن وأنشأ مجلس النساء العاملات واتحاد الأمهات العاملات.

٥) الهجرة:

(أ) لم يقم عمال «الهستدروت» بما يقوم به العمال فى مثل هذه الأحوال من معاداة الهجرة الوافدة حتى لاتقوم المنافسة لأن الهدف من الهجرة اليهودية كان دعم المجتمع اليهودى فى إتجاه إقامة دولة إسرائيل، أى أن الهدف كان سياسيا، ولذا قام «الهستدروت» بتشجيع ورعاية الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومن ثم بعد ذلك إلى إسرائيل بعد انشائها.

(ب) وفى أول الأمر عمل «الهستدروت» إبان الكيان الفلسطينى على أن يقوم أصحاب الأعمال اليهود باستخدام العمال اليهود فقط.

(جـ) وقام «الهستدروت» بمهمة تعليم المهاجرين اللغة العبرية وتدريبهم مهنيا وتأمين العمل والسكن والخدمات الصحية والاجتماعية لهم.

٦ـ الدبلوماسية الشعبية:

(أ) وقد مارس «الهستدروت» أعمالا تدخل فى المهام الدبلوماسية قبل وبعد قيام دولة إسرائيل لصالح القضية الصهيونية، ومن ذلك نشاطه داخل الاتحادات الدولية للنقابات الحرة.

(ب) وكذلك من خلال برنامج لتقديم المساعدات الفنية للدول النامية.

(جـ) وفى عام ١٩٦٠ أنشأ «المعهد الأفرو ـ آسيوى للدراسات العمالية والتعاونية» بهدف نقل خبرات العمال الإسرائيليين وتجاربهم إلى العاملين فى الدول الأفريقية والآسيوية.

سادسا: أبرز مشكلات «الهستدروت»:

وجهاز بهذه الضخامة وهذه المركزية وماله من تأثير سياسى واقتصادى ونقابى وثقافى عريض، كان لابد أن تظهر على سطحه الكثير من السلبيات أبرزها:

١) تعارض الإجراءات الديمقراطية مع البنية التنظيمية:

ـ وقد جاء هذا التعارض بسبب سيطرة الهيئات الإدارية المركزية فى

الهستدروت على أسلوب وضع وتنفيذ السياسة، وهو أمر أدى إلى فشل التنظيم فى السيطرة على الوحدات النائية أو المتمردة وخاصة نتيجة تفشى البيروقراطية.

٢- توحد وتناقض صاحب العمل مع العامل:

وهو تناقض قام بسبب أن «الهستدروت» يمتلك مشاريع وشركات اقتصادية، أى يمثل صاحب العمل من ناحية ويمثل العمال باعتباره اتحادا نقابيا من ناحية أخرى.

٣- خطر التجزئة والتفتت:

ويتعرض «الهستدروت» لخطر التجزئة والتفتت بسبب خصائص التنظيم القائم على المركزية الشديدة والبيروقراطية وحيرته بين الاتجاه السياسى والعمل النقابى، ومثال ذلك تواجد أعداد كبيرة من العمال اليهود الشرقيين غير المهرة ومطالبتهم بالمساواة فى الأجور مع غيرهم لأسباب سياسية وليست نتيجة الإنتاج بشكل عام، وهو أمر يلقى معارضة من العمال المهرة ومن مستويات الإدارة المختلفة.

٤- العلاقة بين «الهستدروت» والحكومة:

وتؤدى الطبيعة الشائكة للعلاقة بين «الهستدروت» والحكومة إلى صعوبات كثيرة أهمها عدم إمكانية التوفيق بين كونه تحالفاً مع حزب أو أكثر وبين كونه أتحادا عماليا ونقابيا.

٥- تضارب المصالح:

- ومن ذلك مصلحة المزارعين من ناحية والمستهلكين فى المدن من ناحية أخرى.
- ومصالح شركات النقل ضد مصلحة الجمهور المستخدم لوسائل المواصلات.
- ومصلحة العمال العاديين ضد مصالح العمال المهرة.

٦- الاعتبارات السياسية:

وضح أن الاعتبارات السياسية لها اليد الطولى فى تسيير «الهستدروت» وأن أية محاولات لإعادة «الهستدروت» إلى شكله النقابى ستفشل بسبب ضغوط الاعتبارات السياسية وأفضل مثال على ذلك (قضية أو فضيحة لافون) عام ١٩٦٠/١٩٦١ وكان «لافون» سكرتيرا عاما «للهستدروت» وأراد تحويله إلى أتحاد عمالى ونقابى فعلا، وواكب هذه الخطة ظهور الأزمة بين رئيس الوزراء - «بن جوريون» - وبين «لافون» الذى كان مسئولا سابقا فى الحكومة، وحمّله رئيس الوزراء نتائج فضيحة التجسس بالقاهرة فى وسط الخمسينيات.

وهنا تمكن «لافون» من تحويل صراعه الشخصى مع «بن جوريون» إلى صراع بين «الهستدروت» وبين الدولة ورغم أن «بن جوريون» نجح فى أول الأمر فى التغلب على «لافون» إلا أن أنصار الاخير تمكنوا بعد ذلك من شق حزب (الماباى) ودفع رئيس الوزراء إلى الإستقالة.

سابعا: عمال الداخل العرب:

١- سياسة التفرقة العنصرية قبل نشأة إسرائيل:

- قامت سياسة «الهستدروت» منذ إنشائه فى إقليم الأنتداب - فلسطين - على أساس التفرقة العنصرية بين العامل اليهودى والعامل العربى وحرموا استخدام العمال العرب فى مزارع ومشروعات مملوكه لليهود.

- وقد عارض أعضاء «الهستدروت» من الشيوعيين هذا الموقف وأدى الأمر إلى فصلهم منه عام ١٩٢٣.

٢- تعدل الموقف شكلا:

- ولم تتغير هذه النظرة العنصرية حتى بعد قيام دولة إسرائيل.

- إلا أن «الهستدروت» اضطر تحت ضغط الرأى العام فى الخارج وبسبب التقارب الذى سعت إليه إسرائيل مع الدول الآفرو آسيوية، إلى تعديل سياسته وقبول عضوية العمال العرب.

- ومع ذلك استمرت التفرقة العنصرية فى أمرين:

الأول: الأجور المنخفضة للعامل العربى وتصل إلى النصف.

الثانى: الاستغناء يتم عن العمال العرب أولا.

- وقد بلغ عدد العمال العرب الأعضاء فى «الهستدروت» عام ١٩٦٦ إلى حوالى ٤١٠٠٠ عضو (واحدا وأربعين ألفا).

- والمشكلة الرئيسية التى يعانى منها العمال العرب هى نسبة البطالة

المرتفعة بينهم، بالإضافة إلى ضعف التنظيم النقابى العربى فى المشروعات العربية فى إسرائيل بسبب عدم تضامن العامل وصاحب العمل العربى فى مواجهة إسرائيل.

- وكانت قضية العمال العرب فى الهستدروت دائما مصدر شقاق داخله وأضرت بوحدته السياسية والاجتماعية والاقتصادية وخاصة لمؤازرة العناصر اليسارية باستمرار لحق العامل العربى فى المساواة.

ثامنا: ماهية الاشتراكية فى إسرائيل:

١- بذور الفكر والتنظيم الاشتراكى:

(أ) ترجع هذه البذور إلى عناصر المهاجرين الأول الذين وفدوا على فلسطين من شرق أوربا، وروسيا قبل الحرب العالمية الأولى، وكان هناك أربعة أحزاب يهودية اشتراكية هى:

- العصبة (The Bund) وهو الحزب الاشتراكى المناوئ للصهيونية، وكان أقربها إلى الفكر الماركسى.
- الحزب الصهيونى الاشتراكى (The Zionist socialist Party) ويعتنق فكراً مخففاً عن سابقه.
- حزب عمال صهيون (Poaleizion).
- والحزب اليهودى الاشتراكى للعمال (Jewish Socialist Party)، وهو حزب لانجد فى برامجه الا لمسات خفيفة للاشتراكية.

(ب) وجاءت الحركة الاشتراكية لليهود فى فلسطين نسخة من الوضع الذى كان سائدا بين يهود روسيا فنجد:

- حزبا شيوعيا مناوئا للصهيونية.
- والمابام وهو أقرب الأحزاب غير الشيوعية للاشتراكية.
- وأيضا حزب «أحدوت هاعفودا».
- والماباى الذى لايحمل إلا أدنى ملامح الاشتراكية الماركسية.

(جـ) هذا وقد تولدت الحركتان الأساسيتان لليهود فى عام واحد:

وقد احتدم الصراع بين هاتين الحركتين حتى انتصرت الفكرة الصهيونية

- (الصهيونية) فى مدينة (بازل) فى سبتمبر ١٨٩٧ .
- (والحركة الاشتراكية اليهودية) فى (فيينا) فى أكتوبر ١٨٩٧ .

٢ـ اشتراكية يهود إسرائيل:

وبسبب انتصار اتجاه الصهيونية إلى الاتجاه الإشتراكى، والضرورات القومية لليهود ومنها ضرورة الأعتماد على التحالف مع الأستعمار والأعتماد فى معيشة يهود فلسطين على معوناته فاقت الفكر والممارسة الاشتراكية اليهودية فى فلسطين. من ثم فى إسرائيل وفى داخل الحركة العمالية تحولت إلى اتجاه البرجوازية الصغيرة والأتجاه الليبرالى وقبول الواقع البراجماتى على الالتزام النظرى.

ولذلك لم تصر الاشتراكية فى إسرائيل على التأميم للمشروعات

الكبرى أو ملكية الدولة لأدوات الإنتاج، كما لم تتحول إلى دكتاتورية بروليتاريا أو تقوم على أساس الصراع الطبقى.

وبدلا من ذلك تم المزج بين الإشتراكية اليهودية والصهيونية.

٣ـ «ماركس» والمسألة اليهودية:

ومن المفارقات أن «كارل ماركس» تحدث عن المسألة اليهودية عام ١٨٤٤ حيث:

(أ) هاجم اليهود الأوربيين والمثالية التى كانت تنطوى عليها دعوتهم لهجرة اليهود إلى فلسطين.

(ب) أكد أن العوامل الأقتصادية للدعوة الأقتصادية معدومة.

(جـ) وبين خطأ ترك البلاد الأوربية الغنية صناعيا فى سبيل أرض متخلفة وحياة صعبة.

٤ـ صعوبات التطبيق الاشتراكى اليهودى:

وقد حاول الاشتراكيون اليهود تطبيق أفكارهم فى فلسطين ولكن واجهتهم عدة صعوبات منها:

(أ) الموقف السلبى من العامل العربى وهو أمر جرف الاشتراكية بين اليهود ناحية التعصب.

(ب) تحول «الهستدروت» إلى صاحب عمل بدخوله الى المشاريع الاقتصادية.

(جـ) فشل فكرة الكيبوتز التى كانت تدور حول محورين أساسيين هما:

- استثمار الأراضى الزراعية التى يشغلونها.
- وضع فكرة الحياة الجماعية موضع التجربة.

(د) الأعتماد المستمر والكامل للأشتراكية على المعونات الاقتصادية الخارجية وخاصة المعونات الرأسمالية ومن أبرزها الأمريكية.

(هـ) التأثير السلبى للهجرة الكبرى لليهود الشرقيين على الاشتراكية وتطبيقها فى إسرائيل مما حول انضمام العمال اليهود الشرقيين إلى «الهستدروت» إلى رغبة فى الإنصاف وتحقيق المساواة مع غيرهم من العمال الأوربيين المهرة وهو ماوصف بأنه «اشتراكية الإحسان».

٥- خلاصة :

والخلاصة أن إسرائيل لم تعتمد فى كيانها على الأشتراكية بل على الصهيونية التى التحمت بالدول الاستعمارية طلبا للمساعدات والحماية.

وجاء السقوط السوفييتى وسقوط نماذج التطبيق الاشتراكى مؤكدا لواقع الحال.

تعليق

باستقراء تاريخ الحركة الصهيونية ونشأة دولة إسرائيل نجد أن هناك محاور ثلاثة رئيسية أقيمت عليها دعائم دولة إسرائيل ونمو مجتمعها فى مختلف أبعاده السياسية والاقتصادية والعسكرية.

ويمكن إبراز الدعائم الثلاث التالية وهى:

١- الهستدروت:

وهى قوة نقابات العمال واتحاداته والتى كانت تقوم بوظائف اقتصادية وسياسية وثقافية فى المجتمع الإسرائيلى لتنمية الفرد اليهودى، وقد كانت بصمات «بن جوريون» داخل «الهستدروت» واضحة قبل وبعد إنشاء دولة إسرائيل.

٢- جيش الدفاع الإسرائيلى:

والدعامة الثانية كانت جيش الدفاع الإسرائيلى الذى بدأت قواته قبل عام ١٩٤٨ بقيام «الهاجاناه» التى قامت بتنظيم وتدريب الأفراد المسلحين ومواجهة التحركات الفلسطينية والبريطانية.

ثم قام «بن جوريون» بعد عام ١٩٤٨ بتطوير «الهاجاناه» إلى جيش الدفاع الإسرائيلى وأوصله إلى درجة حيازة السلاح الذرى.

٣- حزب الماباى:

وهو الحزب الذى كان له دور فعال فى تقدم ونمو «الهستدروت» وفى تكوين «الهاجاناه» وجيش الدفاع الإسرائيلى.

وأدت حركة الأحزاب الإسرائيلية - حتى أدت صراعاتها - إلى تدعيم أسس الديمقراطية فى إسرائيل.

الفصل الثانى

القوة العسكرية لإسرائيل

« الهاجاناه »

الفصل الثانى

القوى العسكرية لإسرائيل

أولا: الخلفية والتنظيم:

١ـ الهاجاناه (زحال)

٢ـ منظمة الشباب الطلائعى (نحال).

٣ـ تنظيم الجيش عام ١٩٤٨.

٤ـ وزارة الدفاع.

٥ـ أهمية وزارة الدفاع.

ثانيا: ترسانة إسرائيل النووية.

ثالثا: أهمية الأمن فى الفكر والسلوك الحزبي والحكومى:

١ـ أيديولوجية الأحزاب الإسرائيلية (والدفاع).

٢ـ انعكاس الأيديولوجية على العمل السياسى.

جيش الدفاع الإسرائيلي

أولا: الخلفية والتنظيم:

١ـ الهاجاناه (جيش الدفاع):

(أ) كان حزب الماباى هو الذى عمل على إقامة وتنظيم وتسليح وتدريب منظمة الهاجاناه التى لعبت دورا فعالا فى حرب ١٩٤٨.

(ب) كما تولى الحزب بعد عام ١٩٤٨، تحويل هذه المنظمة إلى جيش نظامى لإسرائيل ويسمى (زحال).

ولذلك تمتع حزب الماباى وزعيمه ـ حتى عام ١٩٦٥ ـ «بن جوريون»، برصيد كبير بين صفوف ضباط الجيش الإسرائيلى.

٢ـ منظمة الشباب الطلائعيين (نحال):

(أ) كما أوجد حزب الماباى منظمة الشباب الطلائعيين (نحال)، الذين يعيشون فى مناطق خطرة على الحدود فى مزارع دفاعية، هدفها تأخير تقدم القوات العربية، ومقاومة تغلغل الفدائيين الفلسطينيين إلى الأرض المحتلة.

٣- تنظيم الجيش بعد عام ١٩٤٨ :

(أ) كانت المشكلة التى واجهت دولة إسرائيل، هى قلة العنصر البشرى بالنسبة لمستلزمات بناء الدولة، وخاصة أن إسرائيل كانت فى حاجة إلى القوى العاملة لبناء، مساكن المهاجرين الجدد، ولشق شبكة واسعة من الطرق وبناء المستشفيات والمدارس والموانى، وتعمير صحراء النقب، وإدارة باقى المؤسسات التجارية والصناعية.

(ب) وبالإضافة إلى ذلك، كان أمام إسرائيل أن تحول الهاجاناه إلى جيش نظامى، وتم وضع الخطة - من قبل حزب الماباى - آخذة فى الاعتبار قلة العنصر البشرى.

(جـ) تم تشكيل الجيش من أربعة عناصر رئيسية:

الأول: جيش نظامى صغير يضم عناصر من الضباط أساسا يتولون قيادة فرق التجنيد العام والأحتياطى، ويشرفون على كليات التدريب العسكرى.

الثانى: قسم التجنيد الإجبارى العام للذكور والإناث، من سن ١٨ - ٤٩ للذكور، و ٣٥ للإناث ويتلقى هؤلاء تدريبهم لمدة ٣٠ شهرا للذكور و٢٠ شهرا للإناث، ثم ينتقلون إلى المعامل والمزارع ويصبحون أحد منابع الاحتياط.

الثالث: (الأحتياط) ويمتاز جندى الأحتياط فى إسرائيل بسرعة استجابته لنداء الخدمة، لأن كل جندى احتياطى له رقم خاص، ويحدد له مكان التجمع عند النداء، ويلتحق جنود الأحتياط بوحداتهم العسكرية فى فترات مختلفة من السنة،

حتى يكونوا على صلة مستمرة بمستجدات التدريب والتسليح.

والرابع: (ناحال) وهى قوة عسكرية - مدنية، مدربة سبق الإشارة إليها.

٤- وزارة الدفاع:

(أ) لايمكن الحديث عن جيش الدفاع الإسرائيلى دون الإشارة إلى الوزارة المختصة بإدارة هذا الجيش على المستويين السياسى والعسكرى وهى وزارة الدفاع.

(ب) ووزارة الدفاع، هى الذراع المدنى والسياسى للجيش، وتحددت واجباتها بمعاونة جيش الدفاع الإسرائيلى بكل أعماله، وتوفير حاجاته المتعلقة بالدفاع عن الدولة، ولاتدخل ضمن المهام القتالية.

(جـ) وتعتبر هذه الوزارة من أهم وزارات الدولة فى إسرائيل، ولها أجهزة خاصة تشرف على منظمات خاصة للشباب، ولها مستعمرات زراعية خاصة على الحدود، وهى على اتصال وثيق بمعامل الجامعة العبرية و «معهد وايزمان» للأبحاث و «معهد تكنيون» لتنسيق الدراسات وتبادل المعلومات، بهدف تحسين كفاءة الجيش.

(د) كما تشرف الوزارة على لجنة الطاقة النووية والمؤسسات المتفرعة عنها فى ناحال سوريك وديمونه.

(هـ) وتشرف على إدارة الجليل والقرى العربية.

(و) وتبلغ مخصصات الوزارة (المعلنة) حدا كبيرا:

- ففى ميزانية ١٩٦٥/ ١٩٦٦ بلغت ٢٧١ مليون دولار من أصل ميزانية ٨٨٨ مليون دولار، أى أكثر من ٣٠٪ من مجموع الميزانية، وماخفى كان أعظم.

٥- أهمية وزارة الدفاع:

(أ) وليست أرقام الميزانية وحدها هى التى تحدد أهمية وزارة الدفاع، بل إن نشاط الوزارة يتسع لنشاطات سياسية وعلمية واجتماعية وثقافية.

(ب) وكانت وزارة الدفاع تدس أنفها دائما فى كل شىء، وهناك مثال واضح فى «قضية أو فضيحة لافون»، الذى كان وزيرا للدفاع عام ١٩٥٤، فقد قامت الوزارة بمحاولة تخريبية، بإلقاء متفجرات على المؤسسات الأمريكية والبريطانية فى القاهرة والإسكندرية، وقد هدفت المخابرات الإسرائيلية، ووزارة الدفاع تصوير الموقف على أنه عمل من أعمال الوطنيين المصريين، وذلك لتخريب العلاقات بين مصر والغرب وخاصة بريطانيا، وحثها على عدم الانسحاب من مصر، وكان ليقظة الأمن المصرى دور فعال فى إحباط هذه المحاولة.

وقد ترتب على هذه الفضيحة استقالة «لافون» مؤقتا ثم أدى الأمر إلى تحرك أنصار «لافون» ضد «بن جوريون» الأمر الذى أدى إلى استقالته من اللجنة المركزية ثم من الحزب.

ثانيا: ترسانة إسرائيل النووية:

- كشف التقرير الصحفى للصنداى تايمز البريطانية فى

٥/١٠/١٩٨٦، عن أسـرار مـصنع قـائم تحت الأرض لإنتـاج الأسلحة النووية فى إسرائيل.

- ويوجـد هذا المصنـع تحت الأرض فى صـحـراء النقب ويقـوم منذ حوالى عام ١٩٦٦، بإنتاج الرءوس الحربية النووية، بطاقة تكفى لتدمير مدن بأكملها.
- وقد كشف كل ذلك الشهادة التى أدلى بها «مرد خاى فانونو»، وهو إسرائيلى يبلغ من العمر ٣١ سنة (عام ١٩٨٦)، وكـان يعمل فى مجال التقنين النووية لمدة عشر سنوات فى «ماخون ٢»، وهو بناء محصن قائم تحت الأرض وبالغ السرية فى مفاعل ديمونة - وهى مؤسسة الأبحاث النووية الإسرائيلية.
- وتثبت الخبراء عندئذ - بعد شهادة «فانونو» - بأن إسرائيل لاتمتلك القنبلة فحسب، بل أنها أصبحت قوة نووية رئيسية.
- وتأتى إسرائيل فى المرتبـة السادسة للقوة النووية فى العـالم بعـد الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين.
- وهى تمتلك ترسانة أكبـر مما تمتلكه دول مـثل، الهند وباكسـتـان وجنوب أفريقيا.
- وقد قامت إسرائيل ببناء قوتها النووية مستعينة بفرنسا.

ثالثا: أهمية الأمن فى الفكر والسلوك الحزبى والحكومى:

١- أيديولوجية الأحزاب الإسرائيلية:

(أ) ويتـصل بموضـوعنا هذا الأهمـيـة التى يحظى بها الجـيش - والأمن الإسرائيلى - فى التصور الفكرى للأحزاب الإسرائيلية على اختلافها.

(ب) فهذه الأحزاب آمنت:
- بأهمية الأمن الإسرائيلى قبل كل شئ.
- وبأهمية بقاء دولة إسرائيل.
- ودعم قوتها لتصبح أقوى من الدول العربية مجتمعة، بل وتمكنت من إقناع حلفائها الغربيين بهذه الاستراتيجية.
- وبتحقيق المكاسب الاستراتيجية على حساب العرب.
- وبدعم مكاسبها الاقتصادية على حسابهم أيضا.
- وبأن المزيد من الأرض (أى التوسع) هو الوسيلة المضمونة لتحقيق الأمن.
- وأيضا بأن امتلاك السلاح النووى كفيل بردع العرب.

(جـ) كما قامت إسرائيل بانتهاز الفرصة التاريخية الناتجة عن التهديد السوفييتى من ناحية، وعداء الأنظمة العربية التحررية للأستعمار والإمبريالية من ناحية أخرى، وعقدت تحالفا مع العالم الغربى، ثم الولايات المتحدة الأمريكية استنادا إلى هذا المفهوم، وحققت مكاسب كبيرة أبرزها مكاسبها الإقليمية إثر حرب عام ١٩٦٧.

٢- انعكاس أيديولوجية الأحزاب على العمل السياسى:

- ونقصد بذلك أن المكانة العالية للأمن والدفاع فى أيديولوجية الأحزاب وبرامجها، قد ظهرت واضحة فى سلوك الحكومات الإسرائيلية على المستويين الخارجى والداخلى.

(أ) السياسة الخارجية:

- ونأخذ مثالاً لذلك من سياسة حزب المابای أكبر الأحزاب السياسية فى إسرائيل بالنسبة للعلاقات الخارجية.

- وتهتم وتركز السياسة الخارجية على احتياجات الدفاع، والبحث عن مصادر السلاح، بشكل متنوع، حتى لاتبقى فرص التسلح محدودة أمام إسرائيل، ولذلك كان عليها أن تنوع من صداقتها وارتباطاتها حتى عندما التحمت بشكل كبير مع الولايات المتحدة الأمريكية.

(ب) وتهتم السياسة الداخلية للدولة، بتدعيم القدرات العسكرية، عن طريق دعم برامج الهجرة، وزيادة الإنتاج الزراعى والصناعى، ودعم الأبحاث العلمية، وجذب رءوس الأموال من الخارج، وهو أمر أدى فى النهاية إلى تدعيم القدرات العسكرية والمؤسسين لإسرائيل بما فى ذلك امتلاك السلاح النووى.

الفصل الثالث

حزب «الماباى»

الفصل الثالث

«حزب الماباى»

أولا: أرضية العمل السياسى العام فى إسرائيل ونشاط الحزب:

١ ـ من اليهودية إلى الصهيونية.

٢ ـ الاتجاه الصهيونى العلمانى الاشتراكى.

٣ ـ عوامل قوة الحركةالعمالية.

٤ ـ نشأة «حزب الماباى».

٥ ـ طبيعة الأحزاب الإسرائيلية.

ثانيا: البناء التنظيمى «للماباى»:

١ـ البناء التنظيمى العام.

٢ـ النشاط الاقتصادى للحزب.

٣ـ البيروقراطية.

٤ ـ القيادة.
٥ ـ العضوية.

ثالثا: البناء الفكرى:

١ـ الخلفية.
٢ـ حزب أقرب إلى التجمع.

رابعا: العمل السياسى:

١ـ نظرة عامة.
٢ـ الحزب والتنظيم الداخلى للكنيست.
٣ـ الحزب والدستور.
٤ـ النظام الانتخابى.
٥ـ الحزب والحكومة.
٦ـ الحزب والسياسة الخارجية.
٧ـ الحزب والسياسة الداخلية
٨ ـ تنظيم القوات المسلحة.

خامسا: انشقاق الماباى:

١ـ المظهر الرئيسى للانشقاق.
٢ـ أسباب الانشقاق.

«حزب الماباى»

أولا: أرضية العمل السياسى العام فى إسرائيل ونشأة «حزب الماباى»:

١- من اليهودية إلى الصهيونية:

(أ) بدأت الحركة اليهودية مسيرتها فى شكل نهضة إصلاحية تستهدف إحياء الفكر الدينى اليهودى وبعث التقاليد والعادات القديمة.

(ب) وظهرت حركات وتصورات رجال الدين والمتعصبين من اليهود تبشر بمجئ «المسيح» ليعيد بنى إسرائيل إلى فلسطين، وكانت هذه الأفكار بمثابة نواة الأحزاب الدينية التى ظهرت بعد قيام المؤتمر الصهيونى والتى لاتزال لها قوة كبيرة فى إسرائيل.

(جـ) وبينما كان التيار الدينى يشتد وينتظم فى جمعيات، ظهر اتجاه آخر يقول: بأن الدين والعادات اليهودية حفظت الخصائص

الرئيسية للشعب اليهودى، إلا أن تطور الظروف والأفكار يتطلب فصل الدين عن الحياة المدنية، وكان هذا التيار علمانيا وعرف باسم «التيار الصهيوني»، فكانت «جماعة محبى صهيون» التى نشأت فى شرق أوربا، من أبرز ممثلى هذا التيار الذى وجه انتقادات إلى التيار الدينى، لأنه لايصلح أساسا لبناء الكيان السياسى.

٢- الاتجاه الصهيونى العلمانى الاشتراكى:

(أ) وقد ظهر فى التيار الصهيونى خطان رئيسيان هما: الأول اشتراكى عمالى، والثانى يمينى محافظ.

(ب) ويعود التيار العلمانى الأشتراكى إلى مفكر يهودى صهيونى يدعى «هس» تولدت نظريته فى القرن التاسع عشر، ويعد أحد رواد الفكر الصهيونى الحديث، حيث نشر عام ١٨٦٢ كتابا باسم «روما والقدس» طالب فيه اليهود بإقامة دولة خاصة لهم فى فلسطين، كما كان «هس» - بالإضافة إلى دعوته القومية - من أبرز رواد الاشتراكية الصهيونية.

(جـ) وقد نشأت عدة تجمعات عمالية فى فلسطين من اليهود منها:

- (عمال صهيون): وقد كانت نشأتهم فى أوربا الشرقية، ويعتنقون الماركسية ويرفضون الأنضمام فى نفس الوقت إلى التنظيمات الشيوعية الأم فى أوربا.
- (العامل الفنى): وتتفق مع المجموعة الأولى فى نظام المستعمرات والاتجاه السياسى، واعتبار العبرية لغة قومية ولكنها لم تقبل الماركسية فكرا.

● (العمل الموحد): ومثلوا فى السنين السابقة على الأنتداب، اتجاها عماليا متطرفا يدعون به لاشتراكية دولية، ولكنهم فى النهاية اندمجوا مع خصومهم ليشكلوا «حزب الماباى».

● (الحارس الفنى): ظهرت المجموعة فى بولندا بعد الحرب العالمية الأولى، واتسمت بتطرفها الأشتراكى، وكان للمجموعة نواة مسلحة منظمة تشكلت منها فى الحرب العالمية الثانية منظمة البالماخ، وفى عام ١٩٤٨ أصبحت تمثل حزب الماباى.

(د) وفى عام ١٩٢٠ اتفقت جميع الفئات العمالية على تنظيم شئونها المهنية، وفصلها عن مجالات الاختلاف الفكرى والسياسى، ومن هنا تأسست الهستدروت.

٣ـ عوامل قوة الحركة العمالية:

كان للحركة العمالية والتيار العلمانى قوة فاعلة فى المجتمع «اليهودى ـ الصهيونى» تعود إلى عدة أسباب أبرزها:

(أ) تزاوج اتجاهين رئيسيين، هما الاندفاع العاطفى والذى خلقته الفكرة الصهيونية من جهة، وتأثر اليهود بانتشار الفكر الأشتراكى من ناحية أخرى.

(ب) التجارب الناجحة الخاصة بالمزارع الأشتراكية، وماتحمله من إمكانية القضاء على الاستغلال.

(جـ) وفرة أموال الدعم الخارجى، لتأمين نجاح الأستعمار الزراعى.

(د) أمتلاك أحزاب العمال لكل المستعمرات التعاونية والأشتراكية، والمصانع والشركات التابعة لها وهو أمر أعلى من قوتها الأقتصادية ومن ثم من قدراتها السياسية.

٤- نشأة (حزب الماباى) :

(أ) نشأ (حزب الماباى) باندماج حزبين:

- (العامل الفنى) الذى لايؤمن (بالماركسية).
- وحزب(العمل الموحد) الذى اعتبر نفسه (ماركسيا).

- وبهذا حمل الحزب منذ بدايته أكثر من اتجاه.

- وبذلك أصبح (الماباى) أقرب إلى الجبهة منه إلى الحزب الذى يمثل طبقة خاصة.

(ب) وأدى هذا التناقض فى عام ١٩٤٨، إلى انسحاب الجناح اليسارى الذى شكل حزب العمل الموحد «احدوت هاعفودا» والذى اندمج فيما بعد مع (حزب الحارس الفنى) ليشكل حزب الماباى الاشتراكى.

(جـ) ثم انشق حزب العمل الموحد مرة أخرى عن الماباى وعمل كحزب مستقل حتى عام ١٩٦٥، حيث اندمج فى تحالف انتخابى مع حزب الماباى.

(د) وقد ترتب على التحالف السابق حدوث انشقاق كبير فى (الماباى) الذى تزعمه «بن جوريون» عام ١٩٦٥، ونتج عن هذا الأنشقاق قيام حزب منشق جديد باسم «رافى».

(هـ) ويعتبر (حزب الماباى) أقوى أحزاب إسرائيل قبل وبعد عام

١٩٦٥، وقد تمكن منذ عام ١٩٣٣ من السيطرة على الدائرة السياسية فى «الوكالة اليهودية» وتمثيل دور القائد لليهود فى فلسطين.

- وقد أدت حركة الماباى النشطة وخاصة من خلال سيطرته على (الوكالة اليهودية) التى اعترف بها الأنتداب البريطانى، ممثلة رسمية لليهود فى فلسطين، أدت إلى أن يصبح (الماباى) القيادة الفعلية لليهود فى فلسطين.
- وتولى الماباى مقاليد الدبلوماسية الصهيونية منذ عام ١٩٣٩، وأصبح معظم قادة المنظمة الصهيونية إما أعضاء فى الماباى أو مناصرين له من أمثال: «حاييم وايزمان» و«اسحق بن زفى» و «زلمان شازار» «وموسى شاريت» و «بن جوريون».
- كما سيطر الماباى على الهستدروت، وهى المنظمة العمالية التى تشرف على جميع الخدمات فى إسرائيل وفى الخارج.
- كما كان الماباى هو الذى أقام ونظم وسلح «منظمة الهاجاناه» (جيش الدفاع) التى لعبت دورا بارزا فى حرب ١٩٤٨.
- ثم تولى الماباى تحويل الهاجاناه بعد عام ١٩٤٥ إلى جيش إسرائيل النظامى الذى سمى (زحال).

٥- الطبيعة الخاصة للأحزاب الإسرائيلية:

(أ) الأحزاب الإسرائيلية، لها صفات خاصة تختلف عن المفهوم العام للأحزاب فى العالم.

- فهى تحتوى على كل مظاهر الحياة بالنسبة لأعضائها، ومثال ذلك: كانت الأحزاب قبل نشأة الدولة هى السبيل إلى الهجرة واستيعاب وتوطين المهاجرين، ولهذا أصبحت الأحزاب اليهودية مجتمعات قائمة بذاتها.

(ب) وبعد قيام الدولة، أصبح لكل حزب مؤسساته الخاصة لتنظيم أوجه النشاط الخاصة بالأعضاء من أوجه سياسية واقتصادية وثقافية بما يعنى تحول الحزب إلى دولة داخل الدولة، من أجل رعاية أعضائه، ولهذا يفضل أغلبية اليهود فى إسرائيل الأنتظام فى الأحزاب السياسية.

(جـ) ولهذا فإن عضوية حزب الماباى وطبيعة تشكيله، هى امتداد لهذا الوضع العام ومواجهة متطلباته.

ثانيا: البناء التنظيمى للماباى:

١- البناء التنظيمى العام:

(أ) ينقسم (الماباى) إلى ١٥ منطقة تنقسم بدورها إلى ٢٠٠ فرع ويوزع مجموع أعضاء الفرع على عدد من الخلايا.

- ويبدأ العمل الحزبى فى الماباى من القواعد إلى الفروع، فتكون «اللجنة المحلية» مسئولة عن نشاط الفرع.

- وينتخب أعضاء الفرع ممثليهم فى مؤتمر الحزب الذى يتكون من أكثر من ألف عضو.

- وينتخب مؤتمر الحزب من بين أعضائه ٣٠٠ عضو يشكلون المجلس الوطنى للحزب.

- والذى ينتخب بدوره «اللجنة المركزية» من ٧٠ عضوا.

- ومنها تنبثق اللجنة السياسية من ٢٣ عضوا.
- ينتخبون بدورهم خمسة أعضاء، ليشكلوا (سكرتارية الحزب) إلى الأمانة العامة.
- وتعتبر اللجنة المركزية أهم مستوى فى الحزب، لأنها تحوز فعالية الإشراف والموافقة.

(ب) وبناء على ماسبق، نجد أن السلطة فى الحزب من الناحية التنظيمية تنبثق من القاعدة، وتفوض وتنقل تدريجيا إلى مستويات القيادة العليا، إلا أن المجال التطبيقى، يظهر أن السلطة الفعلية تنبثق من الأمانة العامة للحزب، وتنطلق منها إلى مختلف مستوياته، وهو أمر أدى إلى تدهور شعبية الماباى فى مرحلة ظهرت نتيجتها فى انتخابات الكنيست عام ١٩٥٥، ولذا اضطر الحزب إلى إجراء إصلاحات عام ١٩٥٦ أعادت الأمور إلى نصابها تدعيما للديمقراطية واستنادا إلى الانتخابات الحرة من القاعدة إلى القمة، وإلى تدعيم دور الفروع فى أعمال الحزب، ومنها تحديد مرشحى الحزب فى انتخابات «الكنيست».

٢ـ الجانب الأقتصادى فى نشاط الحزب:

(أ) يحظى هذا الجانب بأهمية كبرى، ونجده ينقسم قسمين:

- القسم الزراعى التابع للحزب مباشرة من الناحيتين الإدارية والمالية وهو بدوره ينقسم إلى نوعين الأول: الكيبوتز، والثانى (الكفوتسوت)
- ثم القسم الخاص بالشركات التعاونية الكبيرة.

(ب) وأهمية الكيبوتز بالإضافة إلى دوره كوحدة اقتصادية هو قيامه بدور مركز تجمع الشباب من الناحيتين العسكرية والسياسية، فقد كانت كل التشكيلات العسكرية (لمنظمة الهاجناه) قبل عام ١٩٤٥، تستند إلى الكيبوتز.

- أما من الناحية السياسية فإن الكيبوتز هو مصدر مهم للقادة السياسيين للأحزاب الإسرائيلية.

٣- البيروقراطية:

- الماباى حزب بيروقراطى يشبه فى هذا الصدد أحزاب أوربا الغربية، فهناك سلم من المناصب يمتد عبر مستويات الحزب، وصعوده يعد أمرا بالغ الصعوبة وبطيئاً ويتم تدريجيا.
- ويعتمد الأرتقاء على الأقدمية ودرجة الولاء للحزب، والخدمات التى يقدمها العضو للحزب.
- ونظرا لبطء التصعيد، نجد هناك فجوة كبيرة بين الرعيل الأول والعناصر الشابة
- وهذا هو حال باقى الأحزاب الإسرائيلية.

٤) القيادة:

(أ) يعد الماباى هو حزب موجة الهجرة الثانية إلى فلسطين، ومع مرور الزمن يتلاشى هذا الوصف، ولم يبق إلاّ «بن جوريون» من زعماء الموجة الثانية، الذى تولى قيادة الحزب والدولة باستمرار حتى انشقاقه عن الحزب عام ١٩٦٥ .

(ب) ولهذا نجد القادة الفعليين للحزب ينتمون إلى الموجة الثالثة من الهجرة، وإن أخذت أسماؤهم تختفى بمرور الزمن، الواحد تلو الآخر.

(جـ) وقد مثل «بن جوريون» أبرز القيادات الحزبية والإسرائيلية بشكل عام حتى عام ١٩٦٥، فقد لعب دورا بارزا فى إنشاء الهستدروت، وكان له دور بارز فى الحركة الصهيونية العالمية، وتولى منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع منذ قيام إسرائيل وحتى عام ١٩٦٥.

(د) وتمثل القيادة فى الحزب عدداً من المصالح والاتجاهات أكثر من تمثيل الحزب نفسه، مما يعطى القيادة أهمية فردية كبيرة، لأن القائد الموهوب فى حزب متعدد المصالح يمثل ضرورة بالغة الأهمية، ويعتمد القائد الفرد عادة فى مثل هذه الحالة - وقد حدث فى الماباى - على سرعة الحركة والمرونة وتعيين الأنصار، وحزب الزملاء القدامى والسيطرة بيد من حديد على مقاليد الحزب وهو أمر حدث فى حالة قيادة «بن جوريون».

٥ - العضوية:

(أ) وفق إحصائيات عام ١٩٦٦، بلغ عدد أعضاء الحزب حوالى ٢٠٠ ألف عضو، وحاز على حوالى ٣٥٪ من مجموع أصوات الناخبين فى إسرائيل، ويعود هذا التأييد إلى:

- سيطرة الماباى على الهستدروت.
- والسيطرة على الهاجناه وبالتالى الجيش.

● والسيطرة على الوكالة اليهودية وعلى الدولة بعد عام ١٩٤٨.
● وفى ذلك الوقت لشخصية «بن جوريون» التاريخية.

(ب) ويستمد الحزب عضويته من الطبقة العاملة فى الريف، والمستعمرات التعاونية، ومن عمال المدن، ومن البورجوازية الصغيرة.

(جـ) وقد حدث شقاق بالحزب ترتب عليه انسحاب الجناح اليسارى الذى شكل حزبا مستقلا بالإضافة إلى ضعف الاتجاه الاشتراكى داخل الحزب.

ثالثا: البناء الفكرى (الأيديولوجية):

١- الخلفية:

(أ) تأثرت الأحزاب السياسية اليهودية بالتركيبات الخاصة لليهود، خاصة القادمين من أوربا الشرقية، واستمدت معتقداتها من الحركة الصهيونية، ولذا اتفقت كل الأحزاب بما فيها الحزب الشيوعى على المسألة القومية، وضرورة بقاء إسرائيل، وزيادة قوتها العسكرية، وتحقيق المكاسب الاستراتيجية والاقتصادية على حساب العرب.

(ب) ومع ذلك أصبح لكل حزب طابعه الخاص، مع تأثرها جميعا بالتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية فى القرن التاسع عشر، مثل الاتجاهات العلمانية والاشتراكية والليبرالية والقومية.

(جـ) وقد اندمجت كل هذه التيارات فى الحركة الصهيونية التى أفرزت عددا من الأحزاب التى أخذت بعض السمات المشار إليها.

٢ـ حزب أقرب إلى التجمع:

(أ) الأحزاب هنا تمثل مجموعات متعددة ومتنوعة، أو تمثل فئة أو طبقة واحدة، وأخيرا الأحزاب السائلة التى لاتمثل مجموعة بالتحديد، والماباى يندرج تحت القسم الأول، وذلك للأسباب التالية:

- مثل الماباى القيم الأساسية للحركة الصهيونية وعبر عن مطامحها وقاد دولة إسرائيل، وكان لابد له للقيام بهذا الدور القيادى، أن يحتوى اتجاهات متعددة.
- وهو حزب واقعي وليس حزبا مثالياً.
- تحول الحزب إلى أداة لنفع الأعضاء وتقديم الخدمات لهم.
- ويعتمد الحزب دائما إلى التكيف مع الظروف الجديدة، ويحاول استيعابها من أجل توسيع قاعدة الحزب.

رابعا: العمل السياسى:

١ـ نظرة عامة:

(أ) ـ بدأ حزب الماباى نشاطه السياسى ضمن الحركة الصهيونية العالمية منذ قيامها.

ـ ومن خلال سيطرته على الهستدروت والوكالة اليهودية فى فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، أصبح يمثل الأداة الرئيسية فى يد المنظمة الصهيونية العالمية.

ب) كما قام بتأسيس (الهاجاناه) وقيادتها، وهى القوات التى شكلت الأداة العسكرية الفعالة للحركة الصهيونية فى مقاومة انتفاضات

الثورة الفلسطينية، وحماية المستعمرات اليهودية والإعداد والمساهمة فى حرب عام ١٩٤٨ . وبعد قيام الدولة تحولت «الهاجناه» إلى نواة جيش الدفاع الإسرائيلى.

(جـ) وساهم بنشاط كبير فى حركة الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

٢- الحزب والتنظيم الداخلى فى الكنيست:

(أ) يتألف الكنيست من مجلس واحد يضم ١٢٠ عضواً، وينقسم أعضاؤه إلى تسع لجان تسير أعمال المجلس، ونتيجة لتعدد الأحزاب والأجنحة لانجد حزبا يحوز اكثر من $\frac{١}{٣}$ أعضاء الكنيست وهو مايتطلب دائما قيام حكومة ائتلافية.

(ب) وقد مر موضوع تحديد اللجان بعدة مناورات أهمها وجهة نظر تقول بضرورة وجود لجنة برلمانية فى مواجهة كل وزارة من أجل مراقبة عملها التنفيذى ومساءلتها، وهى وجهة نظر تؤدى إلى إحكام سيطرة السلطة التشريعية، ووجهة نظر تقول بوجود لجان تتصل بطبيعة عمل الكنيست بغض النظر عن الوزارات ونوعيتها، وقد تبنى الماباى النظرة الثانية من أجل تحجيم دور السلطة التشريعية ودعم سلطات السلطة التنفيذية.

٣) الحزب والدستور:

(أ) عند عملية وضع الدستور فى (الكنيست)، نادت أحزاب المعارضة - اليسارية وعدد من الأحزاب اليمينية المشتركة فى الحكم - بضرورة وضع دستور مكتوب لأن ذلك يزيد من استقرار

الدولة، ويحول دون اغتصاب السلطة، ويؤمن الحريات الأساسية وحقوق الأقليات.

(ب) أما وجهة النظر الثانية والتى تمثل اليهود الأرثوذكس فتقول، بأن الدستور الوحيد هو الدستور المبنى على التعاليم الدينية الواردة فى التوراة، وقد أيد الماباى والحزبان المؤتلفان معه فى الحكومة وجهة النظر الثانية.

٤- (الماباى) والنظام الانتخابى:

(أ) تتم الانتخابات فى إسرائيل على أساس دائرة واحدة تمثل كل إسرائيل، وتطرح فى الانتخابات قوائم مستقلة لكل حزب، تحتوى كل قائمة على ١٢٠ عضوا (عدد أعضاء الكنيست) وترتب كل قائمة بحسب الأفضلية، والمطلوب من كل ناخب أن يختار من بين هذا العدد الكبير ١٢٠ اسما.

ب) وبذلك تطبق فى الانتخابات قاعدة النسبية التى تحدد عدد ممثلى الحزب فى الكنيست بعملية حسابية معقدة، على ضوء نسبة الأصوات التى نالها الحزب من مجموع أصوات الناخبين.

(جـ) وهذا النظام يفسح المجال أمام أصغر الأحزاب عددا ونفوذا لتمثيله فى (الكنيست) كوحدة مستقلة، وهو أمر يلعب دورا كبيرا ومؤثرا فى النشاط الحكومى والبرلمانى.

(د) وقد كان الماباى يعارض هذه الصيغة الانتخابية، لأنها تؤيد وجود دوائر متعددة نظرا لاتساع نفوذها جغرافيا على أرض إسرائيل.

٥ ـ (المابای) والحكومة:

(أ) نظرا لتعدد الأحزاب وكثرتها، وعدم تمكن أى حزب من إحراز أغلبية مطلقة، فإن هذا يؤدى إلى قيام السلطة التنفيذية عبر حكومة ائتلافية، وقد انطبق هذا الوضع على (المابای) الذى كانت قوته الانتخابية تدور حول ٣٠٪ من مجموع أصوات الناخبين.

(ب) ويتم تشكيل الوزارات فى إسرائيل بموافقة اللجنة المركزية للحزب الأكبر، ويتم اختيار الممثلين فى الحكومة بالتشاور مع سكرتير عام الهستدروت، ومن ذلك تحديد الأحزاب الصغيرة التى يتم اشتراكها فى الحكومة.

(جـ) وقد عمل المابای على المستوى الحكومى ـ التنفيذى ـ الائتلافى وفق التصورات التالية:

ـ المسئولية الجماعية للحكومة.

ـ أسلوب المساويات والضغوط والتراجعات (التنازلات)، حتى يمكن للحكومة الائتلافية أن تستمر.

٦ـ (المابای) والسياسة الخارجية:

(أ) سياسة (المابای) الخارجية هى سياسة إسرائيل الخارجية نظرا لسيطرة(المابای) لمدة طويلة على مقاليد السلطة التنفيذية ولطبيعة حزب (المابای) كحزب وسط أو تجمع اتجاهات متعددة.

(ب) وأهم عامل يحدد السياسة الخارجية، هو احتياجات إسرائيل الدفاعية، والبحث عن السلاح الضرورى لتحقيق سياسة إسرائيل التوسعية.

(جـ) تستند سياسة إسرائيل الخارجية إلى الانحياز لمصلحتها، وكان ذلك يؤدى إلى الانحياز إلى الغرب وخاصة ـ فيما بعد ـ الارتباط الاستراتيجى بالولايات المتحدة الأمريكية.

(د) وقد حققت هذه الرؤية المنحازة معونات ضخمة، على المستويات العسكرية والاقتصادية والسياسية والفنية.

٧ـ (المباى) والسياسة الداخلية:

(أ) يقول برنامج الحزب أنه يسعى لتفوق الدولة عسكريا، وتدعيم نفوذها السياسى، ورفع مستواها الاقتصادى، وصهر سكانها وتوحيدهم، وإذابة الفوارق بينهم.

(ب) وقد ترجم الحزب هذه الأهداف على النحو التالى:

- قام بتدعيم الهجرة إلى إسرائيل، ودعم برامج الإسكان.
- وعمل على زيادة الإنتاج الزراعى والصناعى.
- وجذب رءوس الأموال الأجنبية.
- واهتم بالتحصينات العسكرية على الحدود.
- ودعم مطالب وحقوق اليهود أينما وجدوا، وعمل على إدماج الطوائف فى المجتمع الإسرائيلى.
- دعم الصلات مع الجاليات اليهودية فى العالم.
- تنمية «مدينة القدس» تنمية كاملة تمهيدا لجعلها عاصمة لإسرائيل.
- مصادرة الممتلكات العربية فى إسرائيل، ووضع العرب تحت الحكم العسكرى الصارم.
- عمل الحزب على إيصال إسرائيل لإنتاج القنبلة الذرية.

٨ ـ الماباى وتنظيم القوات المسلحة:

ـ عمل حزب الماباى لكونه رائدا فى العمل السياسى والاقتصادى، على بناء بنية عسكرية قبل عام ١٩٤٨ ـ «الهاجاناه» ـ التى شكلت نواة جيش الدفاع الإسرائيلى فيما بعد.

ـ وقد جعل الحزب للجيش وظيفة إنتاجية، إلى جانب وظيفته العسكرية.

ـ وقد تمكن الحزب من بناء جيش قوى مزود بأحدث الأسلحة نظرا لارتباط إسرائيل بالاستعمار العالمى، والاستراتيجية الكونية الأمريكية، فى فترة كانت فيها الولايات المتحدة تركز نشاطها فى احتواء النفوذ السوفيتى.

خامسا: انشقاق الماباى

١ـ المظهر الرئيسى للانشقاق:

(أ) فى نوفمبر ١٩٦٤ كان «بن جوريون» زعيم الحزب، قد وصل إلى مستوى قيادى انفرادى، عزز فيه من سلطاته الدكتاتورية فى حزب بنى أساسا على قواعد ديمقراطية.

ـ وكانت البادرة الأولى للانشقاق، هى انسحاب المجموعة المؤيدة «للافون» السكرتير العام السابق للهستدروت وبين الماباى وقررت تشكيل حركة سياسية مستقلة تحت اسم ردود من «هايسود».

(ب) ثم ازداد الأمر تأزما بتقديم زعيم إسرائيل والحاكم بأمره «ديفيد بن جوريون» استقالته من اللجنة المركزية للحزب فى نوفمبر ١٩٦٤.

(جـ) وفى ديسمبر ١٩٦٤ قدم رئيس الوزارء «ليفى أشكول» استقالة حكومته، بسبب استقالة «موشى ديان» أحد أبرز مؤيدى «بن جوريون».

وفى نفس الشهر منحت اللجنة المركزية للماباى ثقتها «لأشكول» لإعادة تشكيل الوزارة، متحدية أنصار «بن جوريون».

وفى فبراير ١٩٦٥ شهد المؤتمر العاشر للحزب انقسامات خطيرة إلا أن قراراته جاءت مؤيدة لوجهات نظر «أشكول».

(هـ) وعندما أعلن «بن جوريون» فى يونيو ١٩٦٥ عن رغبته فى تشكيل حزب جديد مستقل عن الماباى أصدرت اللجنة المركزية للحزب قرارا بفصل «بن جوريون» ومؤيديه.

وفى انتخابات نوفمبر ١٩٦٥ خاض (الماباى) المعركة متحالفا مع حزب أحدوت هاعفودا، وخاضها «بن جوريون» وأنصاره فى قائمة مستقلة ومناوئة.

وفى مايو ١٩٦٦ عقد الحزب الجديد الذى شكله «بن جوريون» وسمى حزب رافى مؤتمره التأسيسى الأول.

(و) وقد اظهرت عملية الشقاق دروساً مستفادة أبرزها:

- إعلاء شأن الديمقراطية.
- تراجع الاتجاه إلى النظام الأبوى الدكتاتورى الذى كان يعمقه «بن جوريون».
- زوال خرافة سيطرة الحرس القديم والرعيل الأول على الحياة السياسية.

٢ـ أسباب الشقاق :

ويمكن إجمال أسباب الشقاق فيما يلى:

(أ) ماأفرزته قضية أو فضيحة «لافون» من آثار، وهى قضية تعود إلى عام ١٩٥٤ ، عندما كان «موسى شاريت» رئيسا للوزراء، و «بنحاس لافون» وزيراً للدفاع، وقد اكتشفت حينئذ محاولة إسرائيلية تخريبية لإلقاء المتفجرات على المؤسسات الأمريكية والبريطانية فى القاهرة والإسكندرية، وذلك بهدف من مخابرات إسرائيل، لتبدو هذه الأعمال من قبل الوطنيين، المصريين، ولدفع بريطانيا إلى البقاء فى مصر، واتخاذ سياسة معادية لها.

وقد ساهمت يقظة رجال الأمن فى مصر، فى اكتشاف وإحباط هذه المحاولة، وتم القبض على مرتكبيها، وأعدم اثنان، وانتحر ضابط ثالث من مخابرات إسرائيل، وحكم على عشرة بالسجن مدداً مختلفة.

وقد أدت الفضيحة إلى التضحية فى أول الأمر «بلافون»، وعكست صراعا داخل السلطة السياسية والعسكرية.

(ب) ما أفرزه الصراع بين «بن جوريون» و قادة المنظمة الصهيونية العالمية وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية، نتيجة اختلاف الظروف بقيام دولة إسرائيل، وإصرار «بن جوريون» على تحجيم دور المنظمة.

(جـ) وكان السبب الثالث هو خلاف «بن جوريون» مع «ليفى أشكول» حول الأتفاق مع حزب (أحدوت هاعفودا) اليسارى، الذى كان فى السابق ضمن الماباى، وكان «بن جوريون» يرفض

الاتفاق مع الحزب، إلا أن اللجنة المركزية للحزب ثم المؤتمر العاشر أقرا وجهة نظر «أشكول»، وهو أمر يعد بمثابة ضربة شديدة لكرامة ونفوذ «بن جوريون».

(د) كذلك ثارت خلافات حول تصور كل من «بن جوريون» و«أشكول»، بالنسبة للنظام الانتخابى، وساند الحزب «أشكول» فى مواجهة «بن جوريون»، الذى كان يريد توسيع الدوائر الانتخابية بدلا من قصر الانتخابات على دائرة واحدة تشمل كل إسرائيل.

(هـ) كذلك ثار خلاف حول السياسة الخارجية، فكان هناك تيار يتزعمه «بن جوريون، وديان، وموسى» يدعو إلى الاستقلال الجزئى عن السياسة الأمريكية، والالتصاق أكثر بأوربا. أما التيار الثانى - الذى انتصر - فيتزعمه «أشكول، وجولدا مائير، وأبا إيبان» ويدعو إلى علاقات أوثق بالولايات المتحدة الأمريكية.

(و) وكان من أسباب الشقاق أن الحزب هو أقرب إلى تجمع المصالح، وأخذت أيديولوجيته تضمر وتفسح المجال للقيادات الدكتاتورية، ولتصارع المصالح والاتجاهات، وهى أمور تؤدى إلى الإسراع بالشقاق.

المرحلة الثانية

للنشاط الصهيوني

١٩٢٠ـ١٩٤٠

القسم الثالث عشر

عقد الخلافات

١٩٣٠ ـ ١٩٤٠

الفصل الأول

بداية الخلافات لجنه «بيل» لتقسيم فلسطين

الفصل الثاني

رأى «بن جوريون» فى العرب

الفصل الثالث:

الخلاف بين الصهيونية وبريطانيا على الكتاب

الأبيض عام ١٩٣٩

الفصل الأول

بداية الخلافات لجنه «بيل» لتقسيم فلسطين

الصهيونية والسلام عن طريق القوة مع العرب

فى اكتوبر ١٩٣٦، أنهت اللجنة العربية العليا الإضراب العام، استجابة لنداء ملوك: المملكة العربية السعودية والعراق، وأمير الأردن وإمام اليمن آنئذ، وكان الإضراب فى مراحله الأخيرة لأن العرب أنفسهم بدأوا يتضررون من آثاره الاقتصادية (إذ كانت الموانئ المغلقة تعطل الأعمال والصناعات) وكان نداء الحكام العرب قد أتاح لقيادات عرب فلسطين مخرجا مشرفا من المأزق الحرج.

وقد أدرك «بن جوريون» أن العرب فى واقع الأمر كانوا أقرب إلى الأتحاد لمعارضة مطامح اليهود من تقبلها. ومن ثم عارض «بن جوريون» التدخل الذى رآه ينطوى على خطوة.: إن إنهاء الجماعات المصحوب بالعنف بمساعدة الملوك العرب، يجعل البريطانيين مدينين لهم أدبيا إن لم يكن سياسيا، وإن هذا الدين يرتبط رده بحركة هجرة اليهود، وعلى ذلك لم تواجه الصهيونية جبهة عرب فلسطين فقط، بل واجهت جبهة نشطة من كافة العرب، وكان رأى «بن جوريون» أن هذا هو أخطر ما واجهته الصهيونية فى الثمانية عشر عاما من الكفاح ضد العرب، والولاء للرسميين البريطانيين

وكانت بريطانيا قد عادت تبحث عن مخرج من الأنتداب، وتعددت زيارات لجان تقصى الحقائق إلى فلسطين، ولم يكن أى من تقاريرها ايجابياً، حتى جاءت لجنة جديدة برئاسة اللورد «وليم روبرت بيل» فأفزعت الصهيونية كثيراً إذ كان موقنا بأن هذه اللجنة سوف توصى لليهود فى فلسطين بحقوق لاتجاوز الزخرف حيث لاتكون لهم الأغلبية، إذ كان المقصود تهيئة الرأى العام لقبول سياسة مقررة من قبل، والدليل على ذلك التخفيض المفاجئ فى عدد تصاريح الهجرة لاسترضاء الرأى العام العربى أو مكافأة للعرب على وقف إضرابهم، وكانت المفاجأة التى تنتظر الصهيونيين مضاعفة فى توصيات لجنة «بيل» خاصة لما أخذت اللجنة به بعين الأعتبار من اقتراح بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية مع منطقة تظل تحت الأنتداب البريطانى، وفى التقرير النهائى الذى نشر فى يوليو ١٩٣٧ أوصت اللجنة بالتقسيم حلا للقضية الفلسطينية.

وحين عرف «وايزمان» بأن اللجنة الملكية إنما تتجه نحو التقسيم، قبل نصف عام من إعلان التقرير، قال: «اليوم وضعنا الأساس لدولة اليهود».

غير أن الصهيونية، على الجانب الآخر قد تمكّن كذلك من ادعاء النجاح، بحكم ماكان متأصلا فى مفهومه الأولى للصهيونية من فكرة التقسيم، إذ كاد مشروعه عام ١٩٢٠ للحكم الذاتى يضفى على اقتراحه بالأتحاد الفيدرالى عام ١٩٢٩ اسم التقسيم. وكانت أفكار «بن جوريون» وأعماله قد وضعت أسس دولة لليهود فى جزء من فلسطين، حتى بدت خطط «بن جوريون» وتوصيات لجنة «بيل» كأنها من عمل يد واحدة.

ولم يكن مستغربا ما أظهره «بن جوريون» من تحمس فورى لخطة التقسيم حين سمع بها لأول مرة من «وايزمان»، فبحث على الفور بتأييد الصهانية الأمريكيين للاقتراح، ثم فى إعداد خطته التى تكون أساسا للتفاوض. وكان «وايزمان» مترددا أول الأمر فى تقرير الخطة، كما علم «بن جوريون» حتى قبل إعلان التقرير أنه تضمن شرطا قانونيا لنقل السكان العرب داخل أراضى الدولة اليهودية إلى أراضى الدولة العربية، وكانت لجنة «بيل» قد اقترحت نقل هؤلاء العرب بمساعدة بريطانية إلى الدولة العربية، وفى أودية الجليلى حيث قدر «بن جوريون» عددهم بمائة ألف، وكذلك أوصت اللجنة فى ملاذ أخير إذا فشلت المحاولة - بالتبادل الإجبارى، على أن التبادل فى الواقع لم يكن إلا اسماً، حيث لم يكن فى الأراضى المخصصة للدولة العربية المقترحة سوى ١٢٥٠ يهودى، فلا يكون النقل الإجبارى إلا للعرب من الأودية، من الدولة اليهودية المقترحة - ومن الجليلى شبه الخالية من اليهود - حيث يتيح تهويد الجليلى كلها، فائدة أخرى هى حد شمالى مع لبنان، فضلا عن القيمة السياسية بما للمسيحيين الموارنة فى لبنان من مصلحة فى جوار اليهود، وما لليهود من مصلحة فى التحالف معهم، وعاود «بن جوريون» الشك، هل تجرؤ بريطانيا على فعل ذلك فى مواجهة معارضة العرب والمسلمين وتضع الأخلاقيات جانبا. وأجاب «بن جوريون» على نفسه بأن بريطانيا لن تفعل ذلك بالتأكيد إن لم نصر نحن عليه.

وفى المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى «زيورخ» فى يوليو ١٩٣٧ لم يعترض على خطة الحكومة البريطانية بالتقسيم، إذ بدت الدولة اليهودية الآن فى جزء من فلسطين أمراً محتوما.

وكان البريطانيون مصممين على قمع ثورة العرب خاصة بعد اغتيال «لويس اندروز» ممثل المفوض فى الجليلى والشرطى المرافق له، فاعتقل قادة الفلسطينيين وأرسلوا إلى المنفى، وهرب آخرون ومنهم المفتى إلى الدول العربية المجاورة. غير أن ذلك لم يقمع المتمردين حيث تحولت البلاد بالتدريج إلى معسكر مسلح تحت قانون الطوارئ، ووضعت قوة غاشمة من زهاء عشرين ألف جندى بريطانى فى فلسطين نهاية لثورة العرب أوائل ١٩٣٩، وفى الوقت نفسه سحبت بريطانيا تأييدها لخطة التقسيم إذ كانت الصعوبات السياسية والمالية التى يفرضها التقسيم أكبر كثيرا مما عساه أن يكون حلا للمشكلة، فتجمدت خطة التقسيم كذلك عند «بن جوريون»، فقد أسس رغبته مرة أخرى على تنازلات معينة كانت محدودة جدا من أجل السلام، وحين جددت بريطانيا عزمها على أن تنفض يديها من الأنتداب على فلسطين، كان «بن جوريون» مستعدا للتضحية بالأرض طالماكان محققا قيام دولة اليهود ذات السيادة على القليل الباقى، وكان التقسيم هو الإجابة الوحيدة لأزمة الصهيونية، إذ يعنى أن تأوى فلسطين اليهود اللاجئين من ألمانيا وبولندا وكان التقسيم وهجرة اليهود الآن وعلى نطاق واسع هما برنامج الصهيونية، وفى عام ١٩٣٣ حين نقلت إلى هتلر السلطة، تكهن «بن جوريون» بحرب عالمية لاتهدد يهود أوربا فحسب، بل تهددهم كذلك فى فلسطين، وبدأ «بن جوريون» يعلن ماكان يحتفظ به لنفسه فى الماضى، عن قسوة العرب وغضبهم ضد اليهود، ومعارضة كل عربى للصهيونية لأنه عربى، ولأنه مسلم، ولأنه لايحب الأجانب ولأننا ـ كما قال ـ

مكروهون فى كل مكان، وقد اتصل الصراع أو تلك الحرب ثلاثين عاما، وكانت خليقة أن تمتد مئات من السنين، وهى حرب حقيقية أو حرب حياة أو موت.

الفصل الثانى

رأى «بن جوريون» فى العرب

رأى «بن جوريون» فى العرب

ظل «بن جوريون» على رأيه من أنه: على العرب سواء من أيدوا الإرهاب أو عارضوه متحدين سياسيا فى تمسكهم بمبدأين: نهاية هجرة اليهود، واستقلال كامل لفلسطين العربية. وأبعد من ذلك، فالعربى مخلوق سياسى لايقدر على مقاومة ضغوط البيئة والوسط المحيط به، أو المسار العاطفى والجماعى لشعبه، ولم يعرف «بن جوريون» فى فلسطين كلها فردا عربيا له اهتمامات سياسية يوافق على استمرار الهجرة، أو على وجود فلسطين وبها أقلية من اليهود. وكانت أى تسوية سياسية مستحيلة، وكل مايمكن التفكير فيه بعض ضوابط التعاون الاقتصادى، ولكن هذا التعاون - كما كتب «لبرانديز» لم يكن «ليؤدى إلى اتفاق سياسى».

وكان ادعاء «بن جوريون» أنه مما عرفه من المعارضة العربية للصهيونية منذ عام ١٩١٥، وكتب صراحة عام ١٩١٦ عن كراهية العرب لليهود فى فلسطين، ولكنه فيما بين ١٩١٧ و ١٩٣٦، عمل على تجنب الإشارة إلى الصراع بل أنكره.

ولئن كان هذا موقفه المعلن، فقد كشف عن نفسه فى مذكراته

تؤدى المقارنة الدقيقة بين مايعلن وبين مايعتقد إلى الخلاصة التى فكر فيها عشرين عاما، وهى أن الصراع كان تكتيكا محسوبا، كانت فكرة التوفيق بين اختلافات العرب واليهود، وإمكان تحقيقها عن طريق تضامن طبقى مفهوم فكرة عامة دافع عنها مابين ١٩١٩، ١٩٢٩ وكانت تأجيلا تكتيكيا، وحين يكسب يهود فلسطين القوة يتخلى عنها، ولم يكن الإيمان بحل وسط صرح به سبع سنين مابين ١٩٢٩، ١٩٣٦ إلا تكتيكا قصد منه إلى استمرار التأييد البريطانى للصهيونية، وكان اقتناعه الوحيد أن محاولة التقارب مع المشكلة العربية إنما تكمن فى أمرين هما: أن تأييد القوة التى تحكم فلسطين أكثر أهمية للصهيونية من أى اتفاق مع العرب، والثانى: أن العرب لن يروضوا أنفسهم على مقام اليهود إلا بعد تسليمهم بعجزهم عن تدمير تلك القوة، على أن نشر «الكتاب الأبيض» فى مايو عام ١٩٣٩ قد جعل الأعتماد على القوة التى تحكم فلسطين أمرا غير عملى، إذ تقف بريطانيا معارضة للصهيونية، ولكنه كان يرى حتى ذلك الحين حاجة الصهيونية إلى سياسة تقوم على القوة لمجابهة القوة والتهديد بها.

وطوال سنوات الحرب لم يلتق اليهود وعرب فلسطين أو يتباحثوا، وقد حافظ المكتب العربى للوكالة اليهودية على العدالة دون تحيز إلى حد بعيد، وعلى شبكة اتصالات غير رسمية مع العرب من الدول العربية المجاورة أكثر منها مع الفلسطينيين، ولكن شخصيات المكتب علموا أن «بن جوريون» يوقن بأنه لافرصة للسلام، وظلت أنشطتهم قاصرة على جمع المعلومات إلى جانب مؤامراتهم لشق الصف العربى.

وكان «بن جوريون» قد شغل نفسه بالإعداد للحرب، عن طريق حملته لتجنيد يهود فلسطين تأييدا لمجهود الحرب البريطاني، وبذل قصارى جهده لإنشاء نواة «جيش عبرى»، وكان نجاحه فى مسعاه هذا محققا فيما بعد لنجاح الصهيونية فى نضالها لتأسيس دولة لليهود. وفى الوقت نفسه، حول «بن جوريون» بصره ثانية إلى قوة عالمية هى قوة الولايات المتحدة كدعامة تحل محل بريطانيا العظمى، مقدرا أن تنمية العلاقات مع الرأى العام الرسمى والشعبى سيثمر، وكان من المشكوك فيه بدون تعاطف الولايات المتحدة مع الصهيونية أن تصوت الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ مع تقسيم فلسطين إلى دولة يهودية وأخرى عربية.

وقد عارض عرب فلسطين - بتأييد الدول العربية - خطة التقسيم التى صدرت عن الأمم المتحدة ولم يقيموا دولتهم. وعمل اليهود خلاف ذلك، إذ أعلن «بن جوريون» فى ١٥ مايوم ١٩٤٨ قيام دولة إسرائيل، كما أعلن العرب الحرب كما توقع، وثار عرب فلسطين على إسرائيل، وأغارت جيوش مصر والأردن والعراق وسوريا على أراضيها، حيث ريق طوال هذا العام الكثير من الدماء وانتهى بقيام دولة إسرائيل كما تنبأ «بن جوريون» قبل ذلك فى عام ١٩٣٧.

أما مصير عرب فلسطين فقد أغلق الآن، فبعضهم أصبحوا مواطنين لإسرائيل، وبعضهم صاروا مواطنين للأردن الذى ضم الضفة الغربية، والبعض الآخر أصبحوا مواطنين لاجئين فى مصر التى احتلت قطاع غزة، ومازال آخرون لاجئين فى دول عربية أخرى. وهكذا خرجت قضية العرب من سجل الصهاينة، لتحل

محلها قضية أمن إسرائيل، وارتبط من بعد عام ١٩٤٨ موضوع عرب فلسطين بالحروب مع إسرائيل وجاراتها من الدول العربية بالحروب مع إسرائيل، فبدأ بذلك فصل جديد متميز فى تاريخ الشعبين.

الفصل الثالث

الخلاف بين الصهيونية وبريطانيا على الكتاب الأبيض ١٩٣٩

الخلاف بين الصهيونية وبريطانيا على الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩

قسمت الصهيونية العمل فى سبيل تحقيق «الهدف التاريخى لدولة اليهود إلى مرحلتين: الأولى: تستغرق عشرة أعوام أو خمسة عشر، للبناء ووضع المؤسسات، وتجهز المرحلة الأولى للمرحلة الثانية هى مدة التوسع، وتهدف المرحلتان إلى جمع اليهود فى المنفى فى فلسطين كلها، وكان تصور الصهيونية للسلام بفرضه بالقوة قد أضاف مبدأين جديدين على خلاف الصهيونية فى الماضى حين فكرت فى تقسيم البلاد على أسس قوية، لتكون فلسطين يهودية، وقد تغيرت اللهجة إلى الحديث عن الهزيمة والأراضى غير المستغلة وضرورة العمل الجاد وتخصيص دور القوات المسلحة، إذ إن الدولة فى مرحلة الإنشاء يجب أن تكون يهودية وتوسعية.

وكان العالم قد وصل إلى أوقات عصيبة، كانت أشد وأقسى على اليهود فى أوربا وفى فلسطين. ففى مارس عام ١٩٣٨ اجتاحت قوات «هتلر» النمسا التى تم ضمها بعد ذلك لألمانيا، وثبت أن التحالف الغربى والوعود لاقيمة لها، ذلك أن تفجر الموقف فى أوربا خليق بأن يكون ذا تأثير عميق على العالم العربى، فإذا الحرب نشبت

تعرض العالمان العربى والإسلامى لثورة قد تشب فيهما، كما تتعرض الإمبراطورية البريطانية للخطر، ومن ثم فقد تحاول أكثر مما حاولت من قبل أن تسترضى العرب، وتكسب تعاطفهم.

وفى سبتمبر عام ١٩٣٨ وقع «تشمبرلن» و «هتلر» اتفاقية «ميونيخ»، كما اعتمد «تشمبرلن» فى أكتوبر خطة التقسيم والدولة اليهودية المقترحة.

وقد رأى زعماء الصهيونية عالما تنتصر فيه القوة لا العدالة، فتغيرت رؤيتهم للعدالة والأخلاقيات التى كانوا يؤمنون بحتميتها، إذ يعتقدون أن هناك شئ واحد يقبله الجميع، هو أن العرب وغير العرب على حد سواء.

والآن أصبح مطلب الصهاينة للدولة اليهودية وتلبيته - بعد أن ازدرتها بريطانيا - الإصرار على استمرار الأنتداب البريطانى على فلسطين، غير أن «ماكد ونالد» وزير المستعمرات البريطانى أبلغ «وايزمان» باستحالة العودة إلى الأنتداب، ولكن بريطانيا بدلا من ذلك ستتخذ دورا فعالا يؤدى إلى اتفاقية بين اليهود والعرب، فإذا لم يتحقق ذلك، فرض الحل، وقد أفزع كلا الاحتمالين الصهيونية، إذ أدركت أن بريطانيا قد اتخذت قرارها واتضح الموقف بأن قررت الحكومة البريطانية ترك اليهود للعرب، بما يعنى أن لا دولة ولا هجرة، وعمدت بريطانيا لتنفيذ ذلك، إلى دعوة الأطراف المتنازعة إلى اجتماع مائدة مستديرة لإيجاد حل سريع طويل الأمد لمشكلة فلسطين، فإذا ما فشل اليهود والعرب فى التوصل إلى تسوية، عرضت بريطانيا حلها، ولم يكن الصهيونية ترى فائدة لهذه

المفاوضات، إذ يصبح الأنتداب لاغيا، ويكون معنى ذلك استقلال فلسطين الآن كدولة عربية لأن العرب أكثر من الثلثين (الأغلبية).

وقد عقد المؤتمر فى قصر «سان جيمس» فى فبراير ومارس عام ١٩٣٩، ولما رفض العرب الجلوس إلى مائدة المفاوضات جرت عن طريق وساطة بريطانية، وأعرب اليهود عن وجهة نظرهم بأن المحادثات سوف تفشل، كما كرر العرب مطالبهم التى لاتتغير وهى: إقامة دولة عربية مستقلة فى فلسطين مع ضمان أغلبية عربية، وانسحب الصهانية من المحادثات وأنهار المؤتمر.

وكان «بن جوريون» قد التقى بشكل غير رسمى مع قيادات وشخصيات عربية قبل المفاوضات وأثناءها فى محادثات مصغرة مع زعماء الدول المجاورة، إذ تجنب الفلسطينيون ممن شاركوا فى المؤتمر كافة أشكال الأتصال، ولم تثمر محادثاته، وكان «بن جوريون» ممثل الصهيونية فى المؤتمر من قبل مقتنعا بأن عرب فلسطين لن يتوصلوا إلى اتفاقية إلا بعد يأسهم من هزيمة اليهود، وتوقع الحرب.

وجاء الاستعداد للحرب بتبادل الرأى مع وزير المستعمرات «ماكدونالد» الذى سأل «بن جوريون»: إلى متى تظن أن حرابنا باقية تحت أمر هجرة اليهود؟ وأجاب «بن جوريون»: أن اسحب حرابكم فالهجرة ليست فى حاجة اليها بل لعلها على العكس تماما قد تمنع هجرة اليهود، وكل مانطلبه منكم عدم استخدام حرابكم ضد الهجرة، وتساءل «ماكدونالد»: والدفاع؟ من يدافع عنكم؟ ألا تحتاجون إلى حرابنا من أجل أمنكم؟، فأجاب «بن جوريون»: يمكننا أن نحمى

أنفسنا، لاتقفوا فى طريقنا، وسأل «ماكدونالد»: كيف يمكن هذا؟ هم أضعاف عددكم، فرد «بن جوريون»: هذه مشكلتنا، واستطرد ماكدونالد: إنهم ليسوا ضعفكم فقط بل سيأتون بتعزيزات من العراق وأى جيش عربى آخر؟، ورد «بن جوريون»: إنه لايهم فنحن أيضا سنأتى بتعزيزات، من الأسهل عبور البحر عن عبور الصحراء.

الكتاب الأبيض:

فى مايو عام ١٩٣٩ أصدرت حكومة «تشمبرلن» «الكتاب الأبيض» بتفاصيل الحل الذى تنوى بريطانيا العظمى فرضه إذ تصبح فلسطين فى مدى عشر سنوات دولة مستقلة تسبقها مابين سنتين وخمس سنوات فترة انتقالية، وخلال هذه الفترات يعمل ممثلوا مختلف الطوائف على صياغة دستور يضمن - إلى جانب بنود أخرى الوضع الاجتماعى للأقلية اليهودية، وفى الوقت نفسه يسمح بدخول خمسة وسبعين ألف يهودى إلى فلسطين، حتى يشكل اليهود ثلث سكان البلاد بالضبط، وتخضع كل هجرة لاحقة لليهود لموافقة العرب، ويجب أن يكون شراء اليهود للأراضى على أضيق نطاق وقاصرا على الأجزاء التى تقطنها غالبية يهودية.

وكان الكتاب الأبيض يعنى بالنسبة للصهيونية فصلا إضافيا فى استسلام بريطانيا العظمى لـ «قوى العنف» وأنها ليست إلا طبعة جديدة من «ميونيخ» التى استسلم فيها شعب «التشيك» الصغيرلـ «هتلر»، ولكن اليهود فى الكتاب الأبيض شعب لاسند له ولا أمل، تحولوا إلى شطيرة للمفتى والعرب.

المرحلة الثالثة للصهيونية العالمية

١٩٤٠ ـ ١٩٤٨

القسم الرابع عشر

الفصل الأول :

«بن جوريون» فى الولايات المتحدة

وقرارات مؤتمر «بلتيمور»

الفصل الثانى :

العلاقات الصهيونية البريطانية

أثناء الحرب العالمية الثانية بقيادة

«وايزمان»

المرحلة الثالثة للنشاط الصهيونى ١٩٤٠ / ١٩٤٨

تمهيد:

بدأت مع قيام الحرب العالمية الثانية عندما تمكن الزعماء الصهيونيون من إقناع الحكومة البريطانية بالسماح للفيلق اليهودى بالاشتراك مع قوات الحلفاء للقتال ضد ألمانيا النازية، وكان الهدف الصهيونى اكتساب الخبرة القتالية وفنون القيادة العسكرية علاوة على التعمق فى فهم التقنية الحديثه التى طبقوها ضد العرب ومكنتهم وأكسبتهم - بعد انتهاء الحرب - من التفوق على العرب ودحر جيوشهم.

وقد كانت «الهاجاناه» وهى عماد الفيلق اليهودى مع المنظمات الإرهابية الأخرى التى اكتسبت الخبرة القتالية أثناء الحرب هى التى قادت الإرهاب المسلح ضد العرب بمساندة ومؤازرة الدول الاستعمارية التى كانت تمدها بالسلاح والمتطوعين والمعلومات.

وقد وضح جلياً دور الدول الاستعمارية والغرب المؤيد والمؤازر لليهود عندما تسابقت كل من الولايات المتحدة والأتحاد السوفيتى

بالأعتراف بالدولة الصهيونية فور إعلان قيامها فى قلب العالم العربى وتقديم شتى المساعدات التى وطدت ودعمت كيان الدولة الوليدة.

وجدير بالذكر أن الرئيس «هارى ترومان» قد ساهم شخصيا فى تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين ومارس الضغوط فى الأمم المتحدة بالأعتراف بإسرائيل فور إعلان «بن جوريون» بقيامها وذلك رغم معارضة الخارجية الأمريكية التى كانت ترى آنئذ عدم تقسيم فلسطين ووضعها تحت وصاية الأمم المتحدة ورفضها.

وقد أكد صراحة وزير الخارجية الأمريكية «دين اتشيسون»هذا الموقف فى كتابة (عاصرت الأحداث).

الفصل الأول

« بن جوريون » فى الولايات المتحدة وقرارات مؤتمر « بلتيمور »

توجه بن جوريون إلى الولايات المتحدة

وقرارات مؤتمر بلتيمور

بظهور الكتاب الأبيض وصل الخلاف بين «وايزمان» و«بن جوريون»إلى أشده ، واستمر هذا الخلاف حتى صدر قرار الأمم المتحدة بالتقسيم .

وكان رد فعل الصهيونية للكتاب الأبيض سريعاً - إذ جمع «بن جوريون» رجال «الهاجاناه» وقال لهم : «إن الصهيونية تدخل حقبة جديدة ، الحقبة الأولى حب صهيون والتسلل غير القانونى حتى عام ١٩١٧ ، والحقبة الثانية هى الصهيونية السياسية بعد وعد «بلفور» وقد انتهت بإعلان الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ ، أما الحقبة الثالثة وهى الحقبة العسكرية فتبدأ الأن بالكفاح المسلح .

وبذلك تكون الصهيونية قد كشفت عن حقيقتها باستغلال أية وسيلة لتحقيق مآربها . وكانت «الهاجاناه» قد زادت من قوتها واستعدادها العسكرى فى فترة الثورة العربية بعد أن تبين لها إصرار العرب على الدفاع عن حقوقهم .

وفى عام ١٩٤٠ بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ، سافر «بن جوريون» إلى لندن مستأذناً فى إنشاء لواء يهودى لمساعدة بريطانيا حربياً لقاء تغيير ما ورد من سياسة بريطانيا التى وضحت فى الكتاب الأبيض ، ولوقف حملات التفتيش الشكلية على الأسلحة فى فلسطين، ولكن «لويد جورج» رفض مطالبه ، وصمم على أن يحارب اليهود تحت قيادة الإنجليز . ولم يتورع «بن جوريون» عن سؤال «لويد جورج» عن سماحهم للفرنسيين والبولنديين بأن تكون لهم فرق خاصة تحت قيادة فرنسية وبولندية خاصة ، على حين ينكر هذا المطلب على اليهود . وكان «بن جوريون» بهذا المنطق يردد ما آمن به من تعاليم «هرتزل»، أبى الصهيونية السياسية ، وهى أن اليهود أينما حلوا فإنهم يقيمون أمة واحدة.

ولمس «بن جوريون» من إقامته واتصالاته فى بريطانيا بأن مركز الثقل السياسى للصهونية سوف يكون فى الولايات المتحدة لا فى أوروبا ، التى وقعت تحت نير الاحتلال النازى ، وستظل وإن انتصرت آخر الأمر نهيضة الجناح ضعيفة لسنوات ، ومعتمدة على الولايات المتحدة اقتصادياً وسياسياً ، فضلا عن أن الولايات المتحدة تضم عدد كبيراً من المهاجرين اليهود ممن فر من الاضطهاد النازى. وقرر «بن جوريون» عام ١٩٤١ التوجه إلى الولايات المتحدة، حتى تمكن بفضل بعض الصهاينة الأمريكيين المقربين من الرئيس «روزفلت» وعلى رأسهم يهودى من مستشارى الرئيس الأمريكى، هو «بن كوهين» من تقديم مذكرة ادعى فيها أن التاريخ والقانون الدوليين يؤكدان أن فلسطين هى الوطن القومى للشعب اليهودى، وهى الملجأ الأمين والقادر على استيعاب الهجرات الجماعية للشعب اليهودى المضطهد . وأن القدرة الخلاقة

للصهيونيين وحبهم لأرض الميعاد ستتطور بالبلاد وتنهض بالصناعة والأقتصاد والثقافة العبرية ، وتخلق مؤسسات تهيئ للحكم الذاتى.

ولم يكن خافيا على «بن جوريون» عندما فكر فى تقديم المذكرة إلى الرئيس «روزفلت» أن الصهيونية تحت المناخ الصالح الخصيب لانتشار مبادئها فى موجات الاضطهاد التى تحمل اليهود المضطهدين دون شك على الهجرة إلى فلسطين . وقد استفادت الصهونية من الاضطهاد النازى مثلما استفاد «هرتزل» من قضية الضابط الفرنسى اليهودى «دريفوس» وأكدت أن الصهيونية دعوة لبناء الدولة اليهودية وإقامة الشعب اليهودى فى أرض فلسطين . فقد رأى «هرتزل» أن فرنسا التى نادت بالحرية والمساواة ، وألمانيا التى تحمل شعلة الحضارة والتقدم فى العالم الغربى لم يتورعا عن اضطهاد اليهود ، فأى ملجأ آمن يمكن لليهود المضطهدين أن يلجأ إليه ، سوى الوطن القومى فى أرض الميعاد بفلسطين ، إن تجمع اليهود المنفيين وتهجيرهم إلى فلسطين أمر حيوى يجسد أحلام أئمة الصهيونية أمثال «موسى هس»و«هرتزل» و«جابوتنسكى» . لقد استغل اليهود شعور العالم المسيحى بالذنب لاضطهاد اليهود ، ونظمت اللجنة الأمريكية لشئون الصهيونية مؤتمرا طارئا عقد فى مدينة «بلتيمور» فى ٦ مايو ١٩٤٢ حضرة ٦٠٠ عضوا، بالرغم من انقسام الصهيونية الأمريكية بصدد عقد هذا المؤتمر ، إذا كان قسم منهم لا يجب السير فى سياسة تثير العرب وتعادى بريطانيا، ويرى القسم الآخر أن من الأفضل فى الآونة الراهنة قيام دولة ثنائية ، على حين كان اليساريون ضد عقد المؤتمر أصلا.

وقد استطاع «بن جوريون» التغلب على كافة الصعوبات ونجح فى حمل المؤتمر على إصدار القرارات بالمطالب التى تضمنتها مذكرته التى كان قد رفعها إلى الرئيس «روزوفلت» وكانت أهم قرارات المؤتمر كما يلى:

قرارات مؤتمر بلتيمور

١- معارضة الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ .

٢ - تأليف لواء عسكرى يهودى.

٣ - هجرة غير محدودة إلى فلسطين تحت سيطرة الوكالة اليهودية وإشرافها.

٤ - تطوير فلسطين بعد الحرب إلى كومنولث ضمن ديموقراطيات العالم.

ويعتبر تبنى المؤتمر لطلبات «بن جوريون» حول دخول فلسطين فى كومنولث يهودى ، أول تصريح صهيونى رسمى يدل على أهداف الصهيونية من إقامة دولتهم فى فلسطين وقد فقد «وايزمان» بموافقته على قرارات مؤتمر «بلتيمور» مكانته عند الإنجليز ، إذ وصف وضعه بعد هذا المؤتمر بأنه أصبح كبش الفداء لأخطاء الإنجليز بالنسبة لليهود ، وأخطاء اليهود بالنسبة للإنجليز . وعاد «بن جوريون» . فى شهر أكتوبر ١٩٤٢ إلى فلسطين حيث عرض برنامج بلتيمور على مؤتمر عقده «حزب الماباى» ، فوقع الخلاف حول ذلك البرنامج فى صفوفه فانفصل عنه حزب «أحدوت هاعقوداً» الذى كان يؤيد «وايزمان».

وقد استطاع «بن جوريون» على الرغم من المعارضة القوية سواء من حزب «أحدوت هاعقودا» أو من قادة حزب «البالماخ» أن يكسب الأغلبية فى «الماباى» تأييداً لرأيه . وهكذا تبنى اليهود برنامج «بلتيمور» فى مطالبهم.

وفى شهر فبراير عام ١٩٤٣ ألقى «بن جوريون» خطابا أمام مجلس «اليوشيف» (الجالية اليهودية فى فلسطين) ذكر فيه أن مصائب اليهود ثلاث: الكتاب الأبيض ، الحرب ، اضطهادهم فى أوربا. وحذر يهود فلسطين من نوايا بريطانيا التى ترمى إلى جعل فلسطين دولة تعيش فيها أمتان مختلفتان هما : العرب والانجليز ، وإلى حصر اليهود فى «جيتو» خاص بهم . وقال أنه لا خلاص ولا حرية لليهود فى العالم إلا بالرجوع إلى فلسطين وسوف يرجعون سواء حصلوا على شهادة هجرة رسمية أم لم يحصلوا، وأضاف أن الساسة الذين يدعون أنفسهم واقعيين لا يفهمون شيئاً (يقصد وايزمان) وعلى آثر هذا الخطاب ألقت السلطات البريطانية القبض عليه وحاكمته بتهمة إثارة الشغب ، كما أدانته بتهريب الأسلحة إلى يهود فلسطين من الخارج.

ويقول «بن جوريون» بصدد تهريبه الأسلحة من الخارج إلى يهود فلسطين ، أنه عمل منذ نهاية الحرب على البحث عن أسلحة ثقيلة ، وقد استجاب الأمريكيون لى واشترينا أسلحة بما يقرب قيمته من مليون دولار من الأسلحة التى تريد الولايات المتحدة التخلص منها بعد الحرب وكانت تبيعها بأسعار زهيدة ، وقد جمعت الأموال اللازمة من اليهود الأمريكيين ، وتكونت جمعية سرية لشراء الأسلحة

وكنا نفكك الأسلحة ونرسلها إلى فلسطين على أساس أنها آلات صناعية، فتدخل فلسطين رغم مراقبة حكومة الأنتداب . لقد كان «بن جوريون» يفكر دائماً فى الحرب ، بدليل طلبه فى بداية الحرب العالمية الثانية من قادة «الهاجاناه» أن يكون التدريب على أساس دفاعى متحرك وهجومى . ويعنى هذا إنشاء تأسيس لصناعة أسلحة، وحيازة أسلحة ثقيلة. وكان من مقررات المؤتمر الصهيونى عام ١٩٤٦ إنشاء إدارة للدفاع عن المنظمة الصهيونية أسندت رئاستها إلى «بن جوريون» الذى عمل على الإشراف على «الهاجاناه» وإعدادها للقتال ومدها بالأسلحة والذخيرة . وفى هذا ما يفسر إصرار «بن جوريون» على تولى وزارة الدفاع طيلة حكمه فيما بعد.

ثم سافر بعد أن تولى الإشراف على «الهاجاناه» إلى الولايات المتحدة محاولاً إلغاء الكتاب الأبيض، ولكنه جمع قوائم بأسماء المتطوعين الذين سيقاتلون مع «الهاجاناه» فى حالة وقوع حرب ضد العرب . فقد كانت الحرب فى نظره حتمية، ومن ثم كان سعيه المتواصل لإيجاد قوة تساند مطالبه السياسية، وتؤمن بأن اليهود فى أنحاء العالم يشاركونه الرأى فى ضرورة حسم المشكلات مع العرب عسكرياً.

الفصل الثانى

العلاقات الصهيونية البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانيه بقيادة « وايزمان »

العلاقات الصهيونية البريطانية أثناء

الحرب العالمية الثانية بقيادة «وايزمان»

آثار الحرب على فلسطين:

كان الحلفاء على وعى كبير بالأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط وفلسطين خلال الحرب العالمية الثانية . وكان موقف العرب تجاه الحلفاء خلال الفترة الأولى منها، وحتى رجحت كفتهم فى القتال ضد الألمان، يتردد ما بين العداء الصريح إلى الحياد على مضض . وكان اليهودفى فلسطين ، على العكس، حريصين منذ البداية على القتال مع الحلفاء ضد النازية . وكانت طلبات اليهود للتطوع فى صفوف الجيش البريطانى فى فلسطين كثيرة إلى الحد الذى سبب الحرج للسلطات البريطانية التى حاولت قبول عدد محدود يتمشى مع العدد المقبول من المتطوعين العرب. وقامت الوحدات اليهودية فى فلسطين بإسهام فى النصر الذى حققه الحلفاء فى الشرق الأوسط دعم

منه إسهام الصناعة واليد الماهرة فى المجهود الحربى للحلفاء ، وقد اعترف البريطانيون بذلك ولكنه لم يغير من موقفهم السياسى تجاه الوطن القومى اليهودى . وكانت السلطات البريطانية فى فلسطين تخشى إعطاء اليهود دورا كبيراً وفق رغبتهم فى الحرب حتى لا يعتقد العرب أن الحرب تجرى لصالح اليهود بما قد يدفعهم إلى صفوف الألمان ، ورغم ذلك اشتدت مطالبة الوكالة اليهودية بتشكيل وحدات عسكرية يهودية خاصة للدفاع عن فلسطين ضد تهديد دول المحور . وخشيت الإدارة المدنية البريطانية من الموافقة على هذا الطلب الذى من شأنه أن يقوى من مركز اليهود ويستوجب العداء من العرب.

وفى ديسمبر ١٩٣٩ اقترح «وايزمان» رسمياً تدريب بريطانيا للضباط اليهود الشبان على أن يضموا فى مرحلة لاحقه لوحدة يهودية عسكرية . وقبلت السلطات البريطانية العسكرية فى لندن هذا الأقتراح ، وإن تعطل تنفيذه . فلما دخلت إيطاليا الحرب فى يونيه ١٩٤٠ عاد «وايزمان» يلح بدون جدوى فى المطالبة بإنشاء وحدة عسكرية يهودية فى أسرع وقت . وفى أغسطس ١٩٤٠ وجه «وايزمان» خطاباً «لونستون تشرشل» حث فيه بريطانيا على السماح ليهود فلسطين بالأشتراك فى الحرب ضد العدو المشترك، وذكر أن يهود فلسطين يمكنهم توفير خمسين ألف مقاتل وهى قوة لها شأنها لو أحسن تدريبها وتسليحها . وحذر من أنه لو تعرضت فلسطين لهجوم نازى وتم القضاء على اليهود بها لعدم توافر إمكانيات الدفاع لديهم ، فإن المسئولية الخطيرة عن ذلك ستقع على الحكومة البريطانية.

وكان لخطاب «وايزمان» أثره السريع، ففى أكتوبر ١٩٤٠ وافقت الحكومة البريطانية على برنامج محدود لتجنيد اليهود فى وحدات منفصلة فى الجيش البريطانى . ورغم أن تكوين فرقة يهودية خاصة لم يتحقق إلا فى خريف عام ١٩٤٤ ، إلا أن الوحدات اليهودية التى تولى قيادتها ضباط يهود تشكلت فى فلسطين وقامت بدور فى الحرب، ووصل عدد اليهود فى الجيش البريطانى فى أغسطس ١٩٤٣ إلى ٢٢ ألف مقاتل فى صورة وحدات خاصة ، فضلاً عن قوة الشرطة المساعدة وأفراد الدفاع المدنى.

وعندما شكل الفيلق اليهودى أخيراً فى سبتمبر عام ١٩٤٤ بعد محادثات مطولة أجراها «موش شاريت» ، كان عدد أفراده ٣٥ ألف جندى يهودى، وأعلنت وزارة الحرب البريطانية عن الموافقة على تشكيل الفيلق اليهودى استجابة لطلب الوكالة اليهودية . كما أعلنت الوكالة فى ٣١ أكتوبر ١٩٤٤ أنه قد تمت الموافقة كذلك على أن يكون للفيلق علمه وشعاره المنقوش بنجمة داود فى وسطه . وقد حارب الفيلق فى صفوف الحلفاء فى إيطاليا ثم فى النمسا وألمانيا وبلچيكا وهولندا . وكان كل ضابط وجندى يهودى فى الفيلق عضواً فى الوقت نفسه فى تنظيم الدفاع اليهودى المسمى بالهاجاناه.

العلاقة اليهودية البريطانية أثناء الحرب العالميه الثانية:

وقد كان إعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا بعد ثلاثة شهور ونصف فقط من صدور الكتاب الأبيض ، لذلك قوى أمل اليهود فى

أن تتخلى بريطانيا عما بسطت فيه من سياسة التهدئة التى اتبعتها حكومة «تشمبرلين» . وكان الكتاب الأبيض قد لقى معارضة ونقداً شديداً داخل البرلمان البريطانى، واعتبرت لجنة الأنتداب لعصبة الأمم المتحدة شروطه مجافية لنصوص الأنتداب على فلسطين . على أن هذه الآمال لم تتحقق فقد طبقت سياسة الكتاب الأبيض فى فلسطين فى بداية الحرب بما فيها الحد من الهجرة اليهودية، على أن تتوقف بعد خمس سنوات أى وقت وقوع الإبادة الشاملة لليهود فى أوروبا . وتزايد عدد الوافدين هرباً من الحصة المقررة للهجرة، وهى ٧٥ ألفا كل عام . وبتزايد اضطهاد اليهود فى أوربا على يد النازى حاول اليهود الهجرة لفلسطين بكل الوسائل الممكنة . وجاء بعضهم بالبحر فاتخذت السلطات البريطانية إجراءات صارمة معهم بأن أرسلت المهاجرين إلى بعض الجزر التابعة لها.

وقد سبب ذلك توتراً شديداً فى العلاقات بين اليهود وبريطانيا وقامت مظاهرات من اليهود فى فلسطين ضد السلطات البريطانية التى واجهتها بالعنف وفرض حظر التجول . واشتدت مقاومة يهود فلسطين لتطبيق سياسة الكتاب الأبيض، فى الوقت الذى كان فيه اليهود يحاربون إلى جانب بريطانيا ضد النازى ، وأعلن «دافيد بن جوريون» أن اليهود سيقاتلون فى الحرب كما لو لم يكن هناك كتاب أبيض ، كما سيقاومون تطبيق الكتاب الأبيض حتى ولو لم تكن هناك حرب دائرة . على أن يهود فلسطين أحسوا فى هذه لفترة الحرجة أن بريطانيا قد خانتهم .

المشكلة اليهودية فى مجال السياسة الدولية بعد الحرب:

أصبح انتصار الحلفاء مرجحا من الجزء الأول من عام ١٩٤٣، وأصبحت فلسطين فى مأمن من غزو نازى، ومن ثم برزت الحاجة إلى خلق مناخ مناسب لتسوية ما بعد الحرب . ووضح أن الولايات المتحدة ستلعب دورا حاسماً . غير أن ما كانت تلقاه قضية اليهود من تأييد الكونجرس ولدى الرأى العام الأمريكى لم يكن يناظره تأييد من جانب الخارجية الأمريكية . ومن ثم بذل «وايزمان» جهوده لتوضيح القضية لوزير الخارجية والمسئولين فى وزارته . وأكد «تشرشل» التزامه بما وعد به بلفور. غير أن وزارة الخارجية (على حد قول أبا إيبان) كانت ملتزمة بالكتاب الأبيض رضاء وروحاً.

وضع اليهود فى العالم بعد الحرب بصفة عامة:

كان وضع اليهود، داخل فلسطين وخارجها ، بعد نهاية الحرب وضعا يائسا. وقد وضع «وايزمان» أملا كبيراً فى كل من «تشرشل» و«روزفلت» ودعم اتصالاته وصداقته معهما خلال الحرب . وبحلول صيف عام ١٩٤٥ كان «روزفلت» قد توفى وأزيح «تشرشل» من رئاسة الوزراء بسقوط حزبه فى الانتخابات العامة . وكانت حكومة العمال الجديدة فى بريطانيا ملتزمة سلفا باتباع سياسة مؤيدة للصهيونية تسمح بتعزيز الوطن القومى فى فلسطين عن طريق عملية نقل كبيرة للسكان، تعنى إخراج العرب من فلسطين لإفساح المجال للمهاجرين اليهود الجدد. وادعى اليهود أن «أرنست بيفن» وزير الخارجية الجديد يكن العداء لبقاء الوطن القومى اليهودى . فقد

رفض السماح بدخول ١٠٠ ألف مهاجر جديد . كما أصدر بيانا رفض فيه إلغاء الكتاب الأبيض وأعلن أن بريطانيا لا يمكن أن تقبل إخراج اليهود من أوربا وأعلن تشكيل لجنة استقصاء أنجلو أمريكية لبحث أوضاع اليهود فى أوربا.

وقد وضعت اللجنة تقريراً أوصت فيه بإلغاء الكتاب الأبيض والسماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودى لفلسطين فورا وإلغاء القيود على تملك اليهود للأراضى والتمهيد لوضع فلسطين تحت الوصايا مع عدم إنشاء دولة فيها سواء لليهود أو للعرب . ورغم أن التقرير لم يحقق الأمل البعيد لليهودفى إنشاء دولة مستقلة لهم فى فلسطين ، فإن سماحه بدخول مزيد من المهاجرين وتملكهم أراضى جديدة كان من شأنه أن يدعم من فرصة قيام مثل هذه الدولة . غير أن «بيفن» رفض التقرير على أساس أنه سيستلزم لتنفيذه وجوداً أمريكياً عسكرياً وأصر على تجريد يهود فلسطين من السلاح.

ودخلت الحركة الصهيونية مرحلة صراع شديد مع بريطانيا . ووضحت مرارة اليهود فى اجتماع المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى (بازل) فى ديسمبر ١٩٤٦ وهو آخر اجتماع يحضره «وايزمان»، وقد أحس بأن بريطانيا قد خدعته . وتحدث فى المؤتمر عن معاناة اليهود، وذكر أن العرب حصلوا على سبع دول مستقلة، فكيف يستكثرون على اليهود الذين عانوا أكثر منهم بمراحل الحصول على دولة واحدة مستقلة . وفى بداية العام التالى استقال «وايزمان» استقالة البائس من رئاسة المؤتمر الصهيونى. واستؤنفت المفاوضات مع «بيفين» ودارت حول التقسيم الذى ذكر «بيفين» أنه لا يستطيع

فرضه . وطرحت فكرة التقسيم مع كيان اتحادى على أساس مشروع وضعه «موريسون» . وأكد «بيفين» أنه من الخطأ وضع ٣٠٠ ألف عربى فى القسم المخصص عام ١٩٤٦، وتوحدت جهود كافة المنظمات اليهودية وتمكنت من نقل كافة من كان فى معكسرات الإيواء فى أوربا إلى فلسطين.

وبدأ الصراع مع السلطات البريطانية فى فلسطين بعمليات قامت بها (الهاجاناه) فى يونيه ١٩٤٦ إذ دمرت فيها ثمانية جسور شملت المواصلات مع المناطق المجاورة. وتكونت وحدات إرهابية صهيونية فى فلسطين.

المرحلة الثالثة

للنشاط الصهيوني

١٩٤٠ ـ ١٩٤٨

القسم الخامس عشر

إضطهاد النازية لليهود واستغلال الصهيونية لمعاناة اليهود فى أوروبا

اضطهاد النازية لليهود:

تمتع اليهود فى أوربا بحرية ثقافية وأقتصادية حتى ظهر «هتلر» على مسرح الحياة السياسية فى ٣٠ يناير عام ١٩٣٣ حين عين مستشاراً للرايخ الألمانى، ومر تطور العنف النازى بثلاث مراحل: الأولى من ١٩٣٣ حتى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، والثانية من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤١ حين لجأ النازى إلى «الحل الأخير» للوجود اليهودى . والثالثة من عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٤٥ وخلالها شملت إبادة اليهود فى كل المناطق التى سيطر عليها الألمان. وكانت الفلسفة النازية تستند إلى غلبة العنصر الآرى بصفاته المميزة وأن من لا ينتمى إلى هذا العنصر هو أقرب إلى الحيوان منه إلى الجنس البشرى ويصبح من الواجب القومى قهره وإبادته . وبدأت ممارسة الأضطهاد ضد اليهود فى ظل هذه الفلسفة منذ عام ١٩٣٣ ، وبنهاية عام ١٩٣٥ كان ثمانية آلاف يهودى ألمانى قد أقدموا على الأنتحار، وخمسة وسبعون ألفاً هاجروا إلى خارج ألمانيا، بينما كان كثيرون آخرون يلحون على القنصليات الأجنبية فى الحصول على إذن بالخروج إلى أى مكان آخر فى العالم.

وبدأ اليهود ينظمون صفوفهم فى مواجهة هذه الكارثة، وتزايد اهتمامهم بتاريخهم وباللغة العبرية ولم يجد اليهود الألمان من جانب الرأى العام العالمى اهتماماً كبيراً بوضعهم ، وأحس زعماء العالم الحر أن أية احتجاجات من جانبهم ستدفع النازى إلى زيادة اضطهاد اليهود فى ألمانيا واستخفوا بتحذيرات اليهود الألمان من أن ما يحدث إنما هو البداية لحملة نازية شاملة ضد الحريات . واحتلت ألمانيا النمسا وضمتها إلى الرايخ فى مارس ١٩٣٨، وتعرض يهودها وكانوا يومئذ ٤٠٠ ألف للأضطهاد نفسه . وبنشوب الحرب كان نصف مليون يهودى مازالوا يعيشون فى المناطق الواقعة تحت السيطرة الألمانية.

النازية فى شرق أوربا:

كانت هناك اتجاهات قديمة ضد اليهود فى شرق أوربا . ومن ثم فإن دولها رحبت بمجىء هتلر للحكم . وطبقت كل من بولندا وليتوانيا ولاتفيا ورومانيا إجراءات ضد اليهود فى عام ١٩٣٤ ، ومالبثت المجر أن حذت حذوهم عام ١٩٣٥ . واتخذت الأحزاب السياسية فى برامجها من حيث معاداة السامية وسعى اليهود للهجرة، غير أن الأبواب كانت موصدة ولم يرحب بهم أحد . وقد أعلن «حاييم وايزمان» فى شهادته أمام اللجنة الملكية عن فلسطين فى نوفمبر أن هناك ستة مليون يهودى يبحثون عن مأوى وهم يعيشون فى دول لا تريدهم ، وخلال الأعوام الثمانية التالية حلت مشكلتهم لقد أبيدوا جميعاً.

الاضطهاد النازى وطرد اليهود:

نشبت الحرب العالمية الثانية فى أول سبتمبر ١٩٣٩ وسيطر النازى على معظم أوربا، ودخل اضطهاد اليهود مرحلة بالغة القسوة. وشكل الجستابوجهازا للأعداد «للحل النهائى»لمشكلة اليهود وضع تحت إشراف «أدولف إيخمان» برئاسة «هيد ريش هملر» . وسلب اليهود كافة حرياتهم وفرض حظر التجول ، والعزل الاقتصادى والثقافى والإجتماعى عليهم . ورحل آلاف منهم من مواطنهم فى المجر واليونان بصفة خاصة . وأعطت إيطاليا ملاذا لليهود فى المناطق الواقعة تحت سيطرتها . ورغم تحالفها مع النازى إلا أنها لم تشترك فى عمليات الإبادة ضد اليهود.

وتمكن كثير من اليهود من الهرب ، بمعونة الفرنسيين والهولنديين والبلجيكيين وتكونت عدة منظمات لمساعدة اليهود فى الحصول على وثائق سفر مزيفة تمكنهم من الرحيل، ونشطت فى ذلك حركات المقاومة . ورفضت دول الشمال إبعاد اليهود المقيمين فيها . وفى يوليو ١٩٣٩ أعطى «جورنج» أوامره بوضع خطة شاملة «للحل النهائى» للمسألة اليهودية، وافق عليها مؤتمر «وانسى» فى يناير ١٩٤٢ وشملت الخطة ترحيل اليهودإلى الشرق واستخدامهم عمال فى مجموعات تحت إشراف كامل فى بناء الطرق.

الإبادة فى الشرق:

سيطر الألمان على بولندا، وجمع اليهود خلال عام واحد فى معازل «جيتو» ، ففى وارسو وحدها حشد نصف مليون فى منطقة كان يعيش فيها ٣٥ ألفا وحرموا من وسائل معيشتهم من غذاء كاف

واستخدموا كالرقيق فى الأعمال الشاقة . وفى يونيو ١٩٤١ ألغى «هتلر» معاهدته مع روسيا وزحف عليها وأباد فى طريقه كل اليهود . وفى المعسكرات الجماعية قضى على الآلاف منهم . وكان أبرزها معسكر «أوشويتز» حيث أعدم ١٢,٥ مليون يهودى على الأقل حتى أول ديسمبر ١٩٤٣ وفق شهادة مدير المعسكر عند محاكمته بعد الحرب . وكان يجرى اختيار الأقوياء الصالحين للعمل فى المصانع ومن لا يصلح يباد.

وكانت محاولات الإنقاذ التى نظمتها الوكالة اليهودية وغيرها محدودة جدا بالقياس إلى ضخامة الخطر . وكان موقف العامة فى أوربا الشرقية عدم الإكتراث، بينما تأرجح موقف الكنيسة من الاحتجاج الشديد فى البداية إلى بعض المحاولات الإنسانية إلى الصمت التام ، والتزم (البابا) جانب الحذر رغم أنه قدم المساعدات لليهود . ولم يتخذ الحلفاء إجراءات فعالة، وقامت الولايات المتحدة فى عام ١٩٤٣ فقط بتشكيل لجنة لبحث حالة ضحايا الحرب ولكن ذلك جاء متأخرا جداً . ورفضت بريطانيا فى فبراير ١٩٤١ التماسا ملحا من «وايزمان» للتصريح بهجرة يهود رومانيا إلى فلسطين ، وعندما ذهب ممثل ليهود المجر إلى القاهرة للأتفاق مع السلطات البريطانية على تمكين يهود المجر من الهجرة لفلسطين اعتقلته هذه السلطات وسجنته.

ونظم اليهود حركة مقاومة ضد النازى، عملت بدون مساعدة وضد كل الظروف الصعبة، وكانت نشطة فى (جيتووارسو) مما دفع النازى إلى تصعيد الإبادة، فلم يبق من نصف المليون الذى كان به

عام ١٩٤٢ سوى ٦٠ ألف يهودى . مما يفسر ردود الفعل اليهودية الحالية لأية حركات تمييز وتحيز، وحرص اليهود على الحياة البشرية وسوء الظن المتخلف تجاه العالم الخارجى ، والإيمان الراسخ بالقوى الكامنة فى التاريخ اليهودى بما يضمن للشعب اليهودى البقاء وعبور المحن.

اليهود عام ١٩٤٥ :

خرج اليهود من الحرب فى وضع محزن، إذ هلك ستة ملايين أى أكثر من مجمل ثلث عددهم قبل الحرب . وأبيدت مراكز للتجمع اليهودى كانت تمثل محاور للوعى الثقافى والروحى اليهودى، خاصة فى شرق أوربا، حيث نشأ مخططو ومفكرو الحركة الصهيونية. وكان يهود بولندا أشد معاناة من غيرهم، فقد كان مجمل عدد اليهود قبل الحرب فى دول أوربا التى احتلها النازى ٩,٨ مليون نسمة، أبيد منهم ستة ملايين على الأقل . وفى بولندا حيث كان عدد اليهود قبل الحرب ٣,٣ مليون بقى منهم فى عام ١٩٤٥ أربعة وسبعون ألفا فقط . وبقى ١٤ ألفا من يهود تشيكوسلوفاكيا البالغين قبل الحرب ٣٥٦ ألفا، وبقى ٢٠ ألفا من يهود هولندا البالغين ١٥٦ ألفا، وحتى الباقون من جحيم النازى لم يسلموا من الاضطهاد، ورغم ما كانوا فيه من بؤس اشتد سعيهم للهجرة لفلسطين حيث كان الوطن القومى أملهم الوحيد.

التعليق :

حاول زعماء إسرائيل كعادتهم ، التركيز على ما قاساه اليهود على يد النازى خلال الحرب العالمية الثانية وأسسوا على ذلك حقوقا لهم

لدى المجتمع الدولى فى ضرورة مساعدة اليهود على التوطن فى فلسطين وطرد سكانها العرب ،وكأن على العرب تحمل مسئولية اضطهاد النازى لليهود ، وهذا يوضح تطور حرب ١٩٤٨ وسوء موقف اليهود فى مراحلها الأولى، ونجاحهم فى استغلال الهدنة الأولى والثانية لتعزيز قواتهم وتسليحهم وركزوا على تفرق العرب وأطماع زعمائهم الشخصية التى انتهت بهزيمتهم. والواقع أن اليهود تمكنوا من تعبئة التأييد الأمريكى الذى عبر عن نفسه فى قرار الرئيس «ترومان» بالأعتراف الفورى بإسرائيل . ويكشف عن الاستراتيجية الدائمة لليهود منذ مؤتمر (بازل) وهو التركيز ومحاولة الحصول على دعم أكبر دولة عظمى قائمة فى أى زمان، وكانت بريطانيا هى تلك الدولة عام ١٩١٧ حين صدر وعد «بلفور» وخلال العشرينات والثلاثينات . ثم كانت الولايات المتحدة هى تلك الدولة منذ الأربعينات وحتى اليوم.

نشاط بن جوريون لتهجير اليهود من أوربا:

وحين قاربت مسرحية الاستقالة ذروتها أستأذن «بن جوريون» الخارجية البريطانية لزيارة المجتمعات اليهودية فى بلغاريا ورومانيا، ليرى بنفسه أساسا فى الواقع لخطته فى تهجيرمليون يهودى إلى فلسطين، وهل يهود هاتين الدولتين، بأوضاعهم وسلوكهم، وقد حررهم الجيش السوفيتى ، وكان له ثلاثة أهداف : اكتشاف موقفهم من الهجرة، حتى يعرف مدى رغبتهم فى شق طريقهم فى فلسطين ، ويشجعهم على ذلك ، وإقناع الحكومات المعنية بالسماح بالخروج.

وكان «بن جوريون» يرى وجوب الإسراع بإنقاذ اليهود الأوربيين قبل فقدانهم إلى الأبد، فلم تبرد الأرض التى تحترق ، بل يبدو وكأن آثار المجزرة البشرية قد تزيدها اشتعالاً . وفى اجتماع جماهيرى كبير نادى «بن جوريون» بإقامة دولة يهودية فى فلسطين.

ولما رفضت رومانيا منحه تأشيرة دخول ، عاد إلى فلسطين. أما عن يهود بلغاريا فقد وضحت الصورة أمامه ، وطلب من «الماباى» والوكالة إرسال مندوبين إليها لتنظيم الهجرة والتعجيل بها، ولكن الهجرة على نطاق واسع لم تقع إلا بعد تأسيس الدولة ، إذ وصل إلى إسرائيل فى عامى ١٩٤٨ و١٩٤٩ خمسة وأربعين ألفا من الخمسين ألفا الذين يؤلفون الجالية اليهودية فى بلغاريا.

استغلال الصهيونية لمعاناة اليهود المضطهدين تحت الحكم النازى:

وفى أكتوبر ١٩٤٥ قام «بن جوريون» بجولته الثانية لأوربا لزيارة اليهود الناجين والمرحلين إلى المعسكرات فى ألمانيا ، فكان أول قائد صهيونى يزور معسكرات اليهود ، حيث نزل ضيفا على قوات الاحتلال الأمريكية والبريطانية وضيفا شخصيا للجنرال دوايت ايزنهاور، ولم يكن الغرض الرسمى لزيارته دراسة أوضاع اليهود فى هذه المعسكرات ، ولكن الوقوف على هدفه الحقيقى إنما كان معاينة مدى ما يمكن الاستفادة منه من محنتهم فى معركته لتأسيس دولة اليهود . وكان فى ذاكرته التخطيط لما بعد الحرب للمؤتمر الصهيونى الأول الذى كان يعد له بعد الحرب. ولم يكن يسعى لأصوات الـ ١٦٥,٠٠٠ يهودى فى المعسكرات ، بل ليصبح ممثلهم والمتحدث

بأسمهم فى المؤتمر الأول الذى انعقد فى يناير ١٩٤٦ فى «ميونيخ» . فزار وعلى مدى أحد عشر يوماً من أكتوبر ١٩٤٥ العديد من المعسكرات فى بعض مقاطعات ألمانيا مثل فرانكفورت وشتوتجارت وميونيخ، وهانوفر، وفى داخاو"Dachau" حيث أحرق ٢٣٨,٠٠٠ فى الأفران ، وكان قد مات حتى ١٥ أبريل من العام نفسه ٣١,٠٠٠ بالتيفود والسل من الـ ٤٨,٠٠٠ الذين كانوا فى برجن - بلسن "Bel-sen - Bergen

ولم تكن المواساة التى قدمها «بن جوريون» لجميع اليهود بالإشفاق أو المداعبة ، بل يحمل المشعل يضيء الرؤيا على الأمل والحلم المشعل بالمكان الذى يجدون فيه قوتهم ويمكنهم من الدفاع عن أنفسهم ولم يكن يتبع طريق «وايزمان» وقادة الصهاينة الآخرين فى الدهاء واستغلال المناسبات ، بل كان قادرا على إبلاغ مستمعيه بأنه فى مقابل ما أصابهم من ألم ومعاناة ، سيكسب الشعب اليهودى دولة ، ولئن كانت كلماته قيمة لوضوحها وبساطتها وتكاد تكون فجة فقد كان يردد أن ما حدث من مجازر لا يمكن إصلاحه ولكن الواجب ضمان عدم تكرارها أبدا.

وكان الباقون على قيد الحياة ، ممن أوقد فيهم «بن جوريون» لهيبا جديدا، وشكل منهم «عنصراً سياسيا» تحت قيادته ، يعارضون كافة المخططات البريطانية لرد اعتبارهم فى أوربا . إذ أخبرهم «بن جوريون» فى مؤتمرهم فى ميونيخ - يناير ١٩٤٦ : أن «عليهم ألا يظلوا ساكنين حتى الأخير منهم لتنضموا إلينا فى فلسطين ، لنبنى معا دولة اليهود» ، فقرر أن «فلسطين هى وطنهم الوحيد».

وقد ثبت صحة تكهن «بن جوريون» ، أن «هتلر» لم يكن يأخذ فقط بل كان يعطى.

وخلال السنوات من ١٩٤٠ حتى مايو ١٩٤٥ ، أخذ أقل قليلا من عشرة آلاف طريقهم إلى فلسطين بطريقة غير شرعية عن طريق البحر ، وفى ٩ نوفمبر ١٩٤٥ وصل خمسة وسبعون ألفا. فلم يكن لليهود عندئذ خيار إلا باجتياح فلسطين بالقوة . وقد أوضحت الأرقام كيف كانت شدة المحنة إذ تجمعت فى معسكرات المبعدين منذ مايو ١٩٤٥ حتى إقامة دولة إسرائيل.

وكانت الهجرة غير الشرعية أحد سلاحين لنضال اليهود ، وكان السلاح الثانى هو المعركة داخل فلسطين . فقد هوجمت نقطة الشرطة التى تحرس الشواطئ ، وخربت محطات الرادار حيث تستخدم لرصد سفن الوافدين بطرق غير شرعية ، فضلا عن اشتباكات مع الجيش البريطانى لتمكينهم من النزول إلى الشاطئ . وردت القوات البريطانية على ذلك بالبحث المتكرر عن محاربى الهاجاناه وأسلحتهم. وفرضت سلسلة من حظر التجول على المدن الكبيرة . وفى ٢٩ يونيه ١٩٤٦ ـ المعروف باسم السبت الأسود ـ أخذ البريطانيون فى البحث والأعتقالات فى كل فلسطين ، حيث حاصروا المستوطنات ، وقتل خمسة من اليهود وجرح العشرات ، واعتقل ثلاثة آلاف تقريبا فى معسكرات، وكان منهم بعض أعضاء الوكالة مثل «شاريت» وغيره.

وكان «بن جوريون» فى باريس فى ذلك الوقت يقود النضال

للتحضير لمؤتمر الصهاينة، الذى افتتح فى «بازل» فى ٩ ديسمبر ١٩٤٦ وانتهى فى التاسع والعشرين بإعادة انتخاب اللجنة التنفيذية برئاسته ، وكانت لجنة العمل قد قررت عدم انتخاب رئيس لمنظمة الصهيونية العالمية، ربما يعنى نظريا وعمليا عزل «وايزمان» ، وعندما قامت الدولة ، رفض «بن جوريون» السماح بإضافة توقيع «وايزمان» على إعلان الاستقلال.

وظل «بن جوريون» بعد إقصاء «وايزمان» ، كالقائد الوحيد لحزب الماباى وقمة الصهاينة ، وقاد النضال ضد بريطانيا حتى استطاع أن يعلن تأسيس دولة إسرائيل ، وأن يصبح أول رئيس للوزراء ووزير للدفاع . وكان أول عمل له فتح أبواب فلسطين ليهود أوربا، ويهود المنفى من الشرق والغرب.

المرحلة الثالثة
للنشاط الصهيونى
١٩٤٠ـ١٩٤٨

القسم السادس عشر

الخلاف بين حكومة العمال البريطانية والصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية

الخلاف بين بن جوريون والحكومة البريطانية:

ورد عن «بن جوريون» فى كتاب «النبى المسلح» أن اللورد «موين» وزير الدولة البريطانى للشرق الأوسط فى القاهرة ، أخبر «بن جوريون» فى لقاء بينهما أن النصر سيكون للحلفاء وأنهم سيقيمون دولة لليهود فى ألمانيا . وأجابه «بن جوريون» بأنه لا يشك فى انتصار الحلفاء ، ولا يهمه مصير ألمانيا ، ولكنهم لن يستطيعوا نقل اليهود إلى ألمانيا لأنهم لن يتراجعوا عن مقررات برنامج «بلتيمور» .

وألقى «بن جوريون» فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٥ خطابا على يهود فلسطين ، شرح لهم سياسته كرد فعل لمقترحات الحكومة العمالية البريطانية ، محذرا من الثقة بحزب العمال الذى كان يؤيد الصهيونية منذ عشرات السنين ، معللا بأن الحزب فى الحكم غيره خارج الحكم ، وأن مسألة فلسطين بالنسبة لبريطانيا ليست مهمة كما هى بالنسبة للصهيونية ، وعقّب «بن جوريون» بأن ما فكر فيه من نوايا حزب العمال قد تحقق بعد أن جاء للحكم كل من «اتلى» و«بيفن» إذ رأى «بيفن» أن مصلحة بريطانيا فى المحافظة على نوع من الصداقة ولو نسبية مع العرب درءا لخطر الأتحاد السوفيتى وتطلعاته إلى النفاذ إلى المياه الدافئة .

ثم سافر «بن جوريون» بعد انتخابه رئيسا للمنظمة العالمية، بعون المؤتمر الصهيونى عام ١٩٤٦ ، إلى لندن حيث ذكر للمستر «بيفن» ، فى مقابلات ومداولات غير رسمية بينهما رفض اليهودالمفاوضة رسميا مع إنجلترا ، واحتمال العثور على النفط فى صحراء النقب ، وعرض عليه إقامة قواعدبريطانية فيها بديلا عن السويس.

وفى هذه المقابلات اقترح «بيفن» خطة الوصاية البريطانية على فلسطين خمس سنوات. والسماح بالهجرة الحرة لـ ٩٦ ألف يهودى على مدى عامين ، وفى نهاية السنوات الخمس تقام دولة مستقلة ثنائية الجنسية يقرر العرب واليهود فيما بينهم مبدأ الهجرة . وقد رفض «بن جوريون» «هذا الأقتراح» مما حمل بريطانيا على اتخاذ القرار بإحالة مشكلة فلسطين على الأمم المتحدة.

كان «بن جوريون» يخشى دائما من عرض القضية على الأمم المتحدة لجهله بأسلوب التصرف، ومواجهة المناورات السياسية الدولية التى لا تهدف لغير تأمين المصالح الشخصية والاقتصادية لكل دولة. وذلك فضلا عن القيمة الانتخابية للعرب المؤيدين بأصوات الدول الإسلامية والدول ذات المصالح الاستعمارية . وقد شرح لأعضاء حزب «الماباى» رأيه فى هذا الصدد ، فقال: «إن موقفنا عند إحالة المشكلة إلى الأمم المتحدة سيكون موقف المتهم فعلينا أن نعى أن ما يقرر مصير هذه المشكلة هو قوتنا وإرادتنا ..». وتأكيدا لهذا الرأى - والأمم المتحدة تناقش المشكلة - أصدر «بن جوريون» بوصفه وزيرا للدفاع فى اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية بيانا ذكر فيه «أن الخلاف مع بريطانيا خلاف سياسى ،

أما مع العرب فهو خلاف يتطلب عمليات عسكرية . وأن «الهاجاناه» ستكون العامل الرئيسى فى هذا القتال . وكانت «الهاجاناه» قد تحولت إلى جيش مقاتل قبل إعلان دولة إسرائيل بثلاثة أعوام.

لقد اهتم «بن جوريون» بتقوية القوات المسلحة فى فلسطين ، وكانت المشكلة الرئيسية التى تؤرقه هى أن أغلب أفراد «الهاجاناه» متطوعين ولم يسبق لهم الاشتراك فى حروب.

ولما أن أعترى المفاوضات فى هيئة الأمم جو من التردد ، وكان الشعور السائد لدى المفاوضين الصهيونيين هو التخلى عن الحكم وإسناده إلى الأمم المتحدة والدول الأخرى ، ولما كان الأمر كذلك بالنسبة للولايات المتحدة التى حاولت إلغاء قرار التقسيم ووضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة ، قال «بن جوريون» فى ٢٠ مارس ١٩٤٨ : إن الاقتراح الأمريكى مضر بالأمم المتحدة ومضر باليهود . فلن تستطيع الأمم المتحدة منع قيام دولة يهودية ، إذ أن القرار الذى أصدرته فى ٢٩ نوفمبر له قيمته المعنوية والسياسية ، ولكن الدولة اليهودية ستخلق بأيدينا ، ونحن الذين نقرر مصير البلد ونكون نحن أساس الدولة ، ولا نقبل أية حماية مؤقتة أو دائمة ، فبرنامجنا السياسى لا يزال كما هو : الأمن للدولة اليهودية ، والسلام بين العرب واليهود» (كتاب النبى المسلح) . وأسرع «بن جوريون» فى مستهل شهر أبريل ١٩٤٨ بتقديم اقتراح بشأن التعبئة العامة اليهودية وتوحيد الموارد والمجهودات الاقتصادية ، وعدم التقيد باتخاذ مواقف دفاعية، بل اللجوء إلى الهجوم إذا ما استدعت ذلك الأوضاع على طول الجبهة ، وكذلك بعدم التقيد بالمساحة التى حددتها الأمم

المتحدة للدولة اليهودية ، وقد قوبلت كافة المقترحات بالقبول ومهدت «لبن جوريون» الطريق لإعلان الدولة اليهودية.

وزعم « بن جوريون» أن العرب الفلسطينيين قد استجابوا لقرار التقسيم» وبدأوا فى الأنسحاب من الأماكن المقررة لليهود فى التقسيم» ولم يذكر السبب الحقيقى الذى أدى بالفلسطينيين إلى هذا الانسحاب» من قهر ومذابح كان على رأسها مذبحة «دير ياسين» فى أبريل١٩٤٨ .

كانت كل خطط «بن جوريون» للعمل تظهر كلها متعاقبة فى اتجاه واحد ، حيث تلقى الأعتراض عند اقتراحها فى البداية ، ثم تقبل فيما بعد وتنفذ . وقد برز عن «أتحاد يافا للتجارة» و«حزب العمال» عام ١٩٠٧ ، أحدوت هاعفودا (١٩١٩) ثم الهستدروت (١٩٢١) ، ثم الماباى (١٩٣٠) ، ثم انتصار الصهيونية عام ١٩٢٨ المتحقق فى ١٩٣٥ ، ثم مطالبته عام ١٩٣٩ بجيش يهودى تحقق فى ١٩٤٤ ، ثم مخططه للتقسيم ، الذى كان أساس سياسته للصهاينة منذ ١٩٣٧ ، وتأسيس» برنامج بلتيمور عام ١٩٤٢ وقدر له الإنجاز بصدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٧ ، ثم إعلانه فى ١٤ مايو ١٩٤٨ إقامة دولة إسرائيل.

ومهما يكن من شيء ، فقد كان هناك قبل ذلك اعتراض مبدئى على الخطة ، وكان محتملا ألا يصل «بن جوريون» إلى هذا الإعلان وكان ذلك نضال الصهيونية مع ثورة الهجرة. فالذى رفضه زملاؤه وحزبه من قبل فى أول الحرب ، نفذوه بمبادرة وشجاعة فائقة عند

نهايتها . وإن اختلف العالم حول الاعتراف ، وظلت عبارات «بن جوريون» (القوة المضادة) و(الكارثة تعنى القوة) و (دولة هى الوسيلة الوحيدة للإنقاذ) دون تغيير.

ولم يكن مناط الكفاح بأقل من إقامة دولة إسرائيل، وحربها للاستقلال، وحروبها مع الدول العربية وتطويرها دولة يهودية. وكانت الإجراءات التى اتخذها «بن جوريون» للإعداد للكفاح تشكل قمة عمله السياسى ، ففى ١٨ أكتوبر ١٩٤٢ عقب عودته من الولايات المتحدة ، أبلغ الوكالة التنفيذية اليهودية أنه يهب نفسه للتخطيط الاقتصادى لاستيعاب الملايين وذلك ما يقتضى وقته كله . وأسس لتحقيق هذا الغرض معهد الأبحاث الأقتصادية للوكالة التنفيذية اليهودية ، وأنشأ فى نطاقه لجنة التخطيط التى ترأسها بنفسه وظل يحتفظ بمنصبه هذا حتى بعد استقالته من الوكالة التنفيذية اليهودية ، وحملته فى يناير ١٩٤٣ للضغط عليها لإقصاء «وايزمان» . إذ عمد إلى تقسيم هذه الحملة إلى مرحلتين: التهديد بالاستقالة والاستقالة ذاتها . فكانت الأولى حين واتته الفرصة فى شكل المحادثات التى أجراها «وايزمان» فى الولايات المتحدة ، فكتب فى ١٢ يناير ١٩٤٣ إلى أعضاء الوكالة التنفيذية اليهودية مهددا بأنه يرفض المشاركة فى المسئولية «فى عمل سياسة الصهاينة ما دام «وايزمان» أجرى محادثات مع الولايات المتحدة دون علمهم أو تفويض منهم » ، ومنح نفسه أجازة بالتغيب عن اجتماعات الوكالة فى يناير وجزء من فبراير ، وفى أواخر فبراير استجاب لوفد من الوكالة بحضور الاجتماعات . وفى ٢٥ يوليه أخطر الوكالة أنه لم يعد يشارك فيها لأنهم لم ينفذوا رغم اقتراحه قرار اتخذ بإقامة مكتب سياسى فى واشنجتن ، تابع للوكالة ويدعو لاجتماع مؤتمر للصهاينة

على نطاق العالم فى فلسطين ، وكان إعلان استقالته فى أكتوبر مفاجأة ، وعارضها رئيس اللجنة ولم يسمح بمناقشة الموضوع . وفى أواخر أكتوبر ونوفمبر صرح به «بن جوريون» للوكالة - بما كان يهمس به من قبل - إن سبب استقالته هو «وايزمان» .

وفى تحرك ذكى لسحب البساط من تحت أقدام «بن جوريون» ، أبرق إليه «وايزمان» فى ٤ نوفمبر يطلب منه إعادة النظر فى استقالته والتوجه إلى لندن مع «موشى شاريت» وآخرين من أعضاء البعثة، فأجاب « بن جوريون» بأنه يأسف لعدم قدرته على تغيير قراره تحت شروط مسبقة لأسباب شرحها فى رسالته إليه فى ١١ يونيه ١٩٤٢ من نيويورك . ثم توجهت بعثة المصالحة إلى لندن فى يناير ١٩٤٤ ونجحت فى الحصول على تأكيدات من «وايزمان» بالتعاون مع «بن جوريون» فى المستقبل ، وأرسال التقارير الأوفى مع مزيد من الاهتمام بتوجيهات القدس ، فسحب «بن جوريون» استقالته . وانصرف إلى الاستمرار فى بناء الحزب وتوحيد منظمات الشباب لإعدادها لمهمة المستقبل ، وكذلك إلى نشاطه فى لجنة التخطيط. وفى مارس ١٩٤٤ كان لايزال يعتقد أن مليونا من الناجين من يهود أوربا قد يرغبون فى الهجرة إلى فلسطين ، وكان يأمل كثيرا فى مخططه للنقل . وعلى ذلك وجه اللجنة للعمل مع معهد البحوث الاقتصادية وكثير من الخبراء لأمداده بـ «خطة لتوطين مليون يهودى فى فلسطين ، فى الزراعة والصناعة والتجارة ، مع خطة لتمويلها» .

وفى يناير ١٩٤٥ ، قرأ «وايزمان» فى لندن عن اللجنة فدهش ، ورغم ما نوقش فى أحاديثه مع تشرشل ، من مائة ألف فقط ، فقد

كان يشك فيما جاء فى خطة «بن جوريون» من استيعاب الدولة مليون يهودى . وقال «بن جوريون» للجنة أن الجانب المالى للخطة لا يقل أهمية عن الجانب السياسى . وتبلورت فى ذهنه التعويضات الألمانية للشعب اليهودى لا للأفراد أو المجموعات ـ عن ستة ملايين يهودى قتلوا . وأنتهى الأمر بتوقيع اتفاقية بين ألمانيا وإسرائيل فى ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ .

المرحلة الثالثة

للنشاط الصهيونى

١٩٤٠ ـ ١٩٤٨

القسم السابع عشر

دور المنظمات الإرهابية

فى قيام دولة إسرائيل

مقدمه

الفصل الأول :

منظمة الهاجاناه

الفصل الثاني :

منظمة «إتسل»

الفصل الثالث :

منظمة «ليحى»

الفصل الرابع

العلاقة بين المنظمات والمواقف من بريطانيا

الفصل الخامس :

حركة العصيان العبرى

الفصل السادس :

مشروعات التقسيم وقيام الدولة اليهودية

الفصل الأول

منظمة الهاجاناه

مقدمه:

فى عام ١٩٢٠ نشأت منظمة «الهاجاناه» وهى كبرى المنظمات الإرهابية الصهيونية المسلحة .

وفى عام ١٩٣٧ أدت التناقضات الداخلية إلى قيام منظمة «إتسل» .

وفى عام ١٩٤٠ إنسلخت عن «إتسل» منظمة ثالثة حملت اسم «ليحى» .

وقد قامت هذه المنظمات الثلاث ونمت فى ظل الاحتلال البريطانى لفلسطين، ومن داخل المستوطنات اليهودية التى عرفت باسم «اليشوف» .

وتختلف تجربة هذه المنظمات عن تجارب حركات التحرر الوطنى لأن الأخيرة تقود حركة التحرر من السيطرة الاستعمارية ومن نفوذها ولاتدخل فى تحالف أبدا مع قوات الاحتلال، بل تعد مثل هذا العمل خيانة وطنية .

أما التنظيمات الصهيونية فقد انخرطت فى علاقة تحالف مع القوات الاستعمارية، رغم قيامها أحيانا بأعمال التظاهر والضغوط

السياسية والإرهابية، ليس بغرض إنهاء وجود القوات الأجنبية بل بهدف الضغط للوصول إلى درجة أعلى من التحالف . كما أن المنظمات الإرهابية الصهيونية المسلحة قامت بتغيير ولائها وارتباطها مع الاستعمار البريطانى إلى الاستعمار الأمريكى الجديد عندما تبينت أن شمس الاستعمار البريطانى أخذت فى المغيب.

وقد اتخذت هذه المنظمات تكتيكات واستراتيجيات تتفق مع أهدافها . وأبرز هذه الأهداف كان تشكيل مجتمع مهاجر من مستوطنين من عنصر وديانة واحده فى الشرق الأوسط - فلسطين - إستنادا إلى دعاوى تاريخية كاذبة، وأطلقوا على المشروع اسم «أرض إسرائيل» . ولذلك قامت التنظيمات الإرهابية الثلاثة من داخل مجتمع المهاجرين المستوطنين، واستخدمت كافة الوسائل ومنها القوه المسلحة لتنفيذ أهدافها.

وقد تنضم هذه التجربة الصهيونية إلى إخواتها من تجارب الهجرة والاستيطان الاستعمارى فى الأمريكتين واستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا، وهى تجربة ظاهرة استعمارية أوربية تحققت عن طريق دول لها جيوش غازية دون أن يكون من أهدافها التخلص كلية من السكان الأصليين أو الاستناد إلى دعاوى تاريخية ملفقة، وإن كان هدفها السلب وتهميش دور السكان الأصليين . أما المهمة العنصرية فى فلسطين فقد قام بها مجموعة من المهاجرين - المستوطنين استنادا إلى تعاون مع السلطة الاستعمارية، ليس بغرض تهميش دور السكان الأصليين بل بهدف إزاحتهم وإنهاء وجودهم فى وطنهم.

وقد انتهت هذه التنظيمات الإرهابية الصهيونية بالتوحيد داخل الجيش الإسرائيلى مع قيام الدولة اليهودية.

والجدير بالذكر أن الحديث عن المنظمات الإرهابية الصهيونية المسلحه مغاير لتناول دور الأحزاب والمنظمات السياسية الصهيونية، التى قد يكون لها دور فى إدارة أو تحريك المنظمات الإرهابية، إلا أن موقعها ليس هذه الدراسة.

كما لن تتناول الدراسة المنظمات الصغيرة الميكرو- والتى كانت تنبعث من الحين للحين، ثم تختفى أو تقوم كجناح لأحد التنظيمات الثلاثة الرئيسية المشار إليها وهى الهاجاناه - وإتسل - وليحى.

أولاً: الهاجاناه

(١) الخلفية والنشأة والتطور:

(أ) الخلفية:

تعود أصول منظمة «الهاجاناه» إلى عاملين أساسيين: الأول داخلى ، يتمثل فى تطور المستوطنات أى «اليشوف اليهودى» فى فلسطين، وإقامة منظمة الحرس اليهودى (هاشومير). والآخر خارجى، يتمثل فى اندلاع الحرب العالمية الأولى ، واستغلال الجناح النشط فى الحركة الصهيونية واقع الحرب ، لتشكيل وحدات عسكرية يهودية.

وقد شكل الحرس اليهودى اللبنه الأساسية للهاجاناه وأمدها خلال المرحلة الأولى من تشكيلها بالعناصر المدربة على استخدام السلاح . وكان الحرس اليهودى قد أقيم قبيل الحرب العالمية الأولى إذ كانت مهمته حراسة المستوطنات اليهودية ، خلال الجزء الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وقد اقتصر على عناصر غير

يهودية من الشركس ومن العرب . ومع بداية الهجرة الثانية (١٩٠٤) وما جلبه من أفكار صهيونية مثل (عبرنة) العمل والحراسة، حراسة عبرية مبنية على الطهارة اليهودية، ولم يكن تحقيق ذلك بالأمر السهل ، خصوصا وأن اليهود لم يعتادوا القيام بمثل هذه الأعمال . بيد أن شعار احتلال العمل والحراسة ، وما ينطوى عليه من معان صهيونية دفع «الييشوف اليهودى» للبدء فى (عبرنة) الحراسة.

وعلى الرغم من نظرة الإزدراء وعدم الثقة التى واجهتها هذه الخطوة، بين أوساط يهودية كبيرة، استمر دعاة (عبرنة) الحراسة فى نشاطهم وفى الدعوة لفكرتهم التى أخذت ، مع مرور الزمن ، إلى جانب اكتسابها هاله من «القدسية» الصهيونية ، تشق طريقها إلى عدد من المستوطنات ، وبخاصة مستوطنات المنطقة الشمالية من فلسطين، وشجع على إقامة «هستدروت هاشومير» (نقابة الحارس) عام ١٩٠٩ . وبذلك تم ترسيخ فكرة الحراسة اليهودية.

إلى جانب توسع الحراسة تدريجيا ، حدث تطور آخر فى مهامها ، إذ لم يعد الحراس مكلفين بحراسة المستوطنات القائمة فقط ، بل كان عليهم حماية النقاط الاستيطانية الجديدة أيضاً ، حيث درج هؤلاء على مرافقة المستوطين أثناء «غرسهم» واقعا جديدا فى فلسطين.

وإلى جانب التطور الداخلى «لليشوف اليهودى» فى فلسطين الذى أفرز منظمة (هاشومير)، كان هناك تطور خارجى ساعد هو الآخر ، على إدخال الروح العسكرية وسط الجاليات اليهودية ، لتصب فى

المشروع الصهيونى ، ونعنى به إندلاع الحرب العالمية الأولى . فمع اندلاع الحرب بين دول المحور ودول الوفاق ، إنعكس انقسام الشعوب الأوربية ، مع هذا الفريق أو ذاك، على الجاليات اليهودية بشكل عام، حيث حاولت كل جالية مسايرة الموقف السائد فى كل بلد تتواجد فيه أو إلتزام جانب الحياد . ولم تشذ الجالية اليهودية فى فلسطين عن هذه القاعدة ، فقد وقفت فى بداية الحرب إلى جانب تركيا ، وعبرت عن تأييدها بإهداء طائرة للحكومه العثمانية تحمل اسم «سيرائيل» .

بيد أن تأييد هذا الجانب، أو ذاك ، لم يرق، عند الأطراف الصهيونية ، إلى مرتبة الدعوه لتجنيد اليهود وانخراطهم فى صفوف الجيوش المتصارعة ، وإنما بقى ضمن إطار الإعراب عن التعاطف ، وذلك فى الوقت الذى لم تتوصل فيه الحركة الصهيونية إلى موقف موحد واضح تجاه الحرب. وقد إرتأت الحركة الصهيونية فى مؤتمرها المنعقد فى كونبهاجن سنة ١٩١٥ عدم التزام الحركة بقرار مع هذا الجانب أو ذاك. وقد ذهبت محاولات «زئيف فلا ديمير جابوتينسكى» ، الرامية إلى حمل المؤتمرين على الوقوف إلى جانب بريطانيا أدراج الرياح . كما لاقت فكرته الداعية إلى إقامة فرقة يهودية تعمل إلى جانب القوات البريطانية معارضة شديدة . ومع ذلك، أخذت الفكرة تشق طريقها ببطء وصعوبة إلى أن أسفرت ، فى نهاية الحرب العالمية الأولى، ليس فقط عن قيام فرقة يهودية واحدة وإنما عن قيام أربع فرق كانت من بين عوامل إنشاء الهاجاناه وتعزيزها.

(ب) النشأة:

فى هذه الفترة أخذت فكرة إقامة تنظيم عسكرى شعبى ، تناط به مهام الدفاع عن المستوطنات اليهودية لحين قدوم القوات البريطانية، فى حال الخطر، تطرح نفسها بالحاح فى الوسط العمالى، خصوصا وأن منظمة «هاشومير» لم تثبت نفسها فى التصدى لحالة النهوض الوطنى الفلسطينى، كما وأن بقايا الكتائب العبرية لم تكن بمستوى الآمال المعلقة عليها. ولم يكن أيضا، بمقدور المسؤولين عن اليشوف اليهودى تحريكها كما يشاءون، بحكم خضوعها للسلطات البريطانية. وعلى الرغم من إشتراك عدد من عناصرها فى التصدى للعرب، إلا أن ذلك لم يرض أولئك الذين أخذت تختمر فى نفوسهم فكرة إقامة تنظيم عسكرى توكل إليه مهام حماية المشروع الصهيونى فى فلسطين.

كان على حزب «أحدوت هاعفودا»، صاحب الفكره، قبل الإعلان عن ولادة التنظيم العسكرى الجديد، ترتيب الأمر مع منظمة «هاشومير»، لتحل محلها، وتشكل العمود الفقرى للتنظيم المزمع إقامته. وبالفعل، عقدت اللجنة الموسعة لمنظمة «هاشومير» فى ١٨ مايو سنة ١٩٢٠ إجتماعا تمخض عن القرارات التالية:

١- حل منظمة «هاشومير».

٢- يشكل أعضاء «هاشومير»، كمجموعه، النواة لتأسيس نقابة الهاجاناه (هستدروت هاجاناه)

٣- تعتبر نقابة الهاجاناه جزءا من حزب «أحدوت هاعفودا».

إثر صدور هذه القرارات، عقد حزب أحدوت هاعفودا مؤتمرا فى طبريا بتاريخ ١٣ ـ ١٥ يونيو ١٩٢٠، تدارس فيه موضوع إقامة «منظمة الهاجاناه»، وأقر قيامها. وهكذا ثم نقل شؤون الأمن من يد منظمه «هاشومير» إلى منظمة «الهاجاناه».

ويلاحظ، هنا، أن تأسيس الهاجاناه لم يأت نتيجة قرار إتخذته الإداره الصهيونيه الممثلة للتكتلات والتيارات السياسية الصهيونيه جميعا، وإنما أتى نتيجة قرار إتخذه حزب ينتمى إلى الإدارة الصهيونية. وكان لهذا الواقع أثر كبير فى مسار التطور المستقبلى للهاجاناه، فضلا عن تبعاته على العلاقات بين التيارات المختلفة فى «الييشوف اليهودى» فى فلسطين.

(جـ) عجز المنظمة وتطورها:

وقد بدا عجز «الهاجاناه» واضحا فى البداية فى صد هجمات الثوار الفلسطينيين على المستوطنات التى سقط بعضها فى يد الثوار وأفلتت مستوطنات من هذا المصير بعد وصول الإمدادات البريطانية .

وقد خضعت الهاجاناه ، خلال سنوات العشرينات، للنقابة العامة للعمال اليهود «الهستدروت» بعد تأسيسها فى ديسمبر ١٩٢٠ . وقامت الهستدروت بدور الإشراف عليها وتعيين لجنتها المركزية . وقد اتسمت الفترة الأولى من التأسيس بعدم متانة العلاقة بين مركز الهاجاناه «اللجنة المركزية» وبين قيادة الفروع واللجان فى المدن والمستوطنات ، إذ جرى انتخاب الأخيرة بواسطة المؤسسات العامة

المحلية ، وكانت هذه اللجان تتحمل المسئولية تجاه الجمهور الذى انتخبها ليس تجاه مركز الهاجاناه.

وفى عام ١٩٢٤ صدر دستور الهاجاناه الذى عرفها بأنها «منظمة عسكرية سرية» تستهدف الحفاظ على اليشوف بواسطة الميليشيا الشعبية.

وقد يتبادر إلى الأذهان تساؤلا حول كيفية تطبيق مبدأ الشمولية الذى حرص عليه الدستور، بفتح أبواب المنظمة لكل عبرى وعبرية بغض النظر عن الإنتماءات والميول الحزبية، فى الوقت الذى تخضع فيه المنظمة لإشراف «الهستدروت» الممثلة لصالح شريحة معينه من «اليشوف اليهودى» . والحقيقة أن منظمة الهاجاناه سعت إلى تحقيق مبدأ الشمولية الذى لم يكن من السهل دائما ، تطبيقه ، فقد انتهك أكثر من مرة، وفى أوقات مختلفة، نظرا للبون الشاسع فى المنطلقات السياسية والفكرية للتيارات السياسية اليهودية فى فلسطين، والواقع أن منظمة الهاجاناه هى الأب الشرعى للحركة العمالية اليهودية. ففى العشرينات ، كانت فروع الهاجاناه وخصوصا فى المستوطنات الزراعية تعتمد أساسا على الأوساط العمالية.

(٢) بعض الأعمال الإرهابية:

(أ) ـ قامت العديد من الأعمال الإرهابية من داخل «الهاجانا» سواء من العناصر الملتزمة بخط المنظمة أو العناصر المنشقة.

(ب)فى السادس من يونيو ١٩٣٣ وبينما كان «حاييم

أرلوزوروف» رئيس الدائرة السياسية فى الوكالة اليهودية ، وأحد الوجوه البارزة فى حزب «مباى»، يتنزه مع زوجته على شاطئ البحر فى تل أبيب، قام مجهولان باغتياله واعتقلت سلطات الأنتداب عدة أشخاص ، كانوايتتمون إلى منظمة «بريت هابريونيم» (عصبة الأشداء) التى تأسست فى صيف ١٩٣١ نتيجة تبلور مجموعة «الحد الأقصى» داخل الحركة التصحيحية، وقد نشطت هذه الجماعة فى إستقطاب العناصر الأكثر تطرفا فى الحركة التصحيحية، وفى إقامة خلايا لها فى أماكن متعدده من فلسطين . وكانت تدعو صراحة إلى إقامة دولة يهودية والتصدى بالحديد والنار، لمن يقف فى وجه هذا الهدف . وكان من أهم نشاطاتها أن تصدت لمنع الإحصاء السكانى العام فى فلسطين عام ١٩٣١ خشية ظهور اليهود كأقلية هناك. كما نشطت فى تهريب اليهود والأسلحة إلى فلسطين ، من خلال تنمية علاقات طيبة مع مهربى المخدرات فى دمشق ، الذين كما ذكر أحد أعضاء الجماعة توصلنا معهم إلى إتفاق، وساعدناهم بنقل الحشيش حتى الحدود المصرية ومقابل ذلك ساعدونا فى تهريب أشخاص وأسلحة عبر الحدود السورية.

وعلى الصعيد الداخلى ، خاضت «عصبة الأشداء» حربا شرسة ضد «الهستدروت» وتوجهاتها «اليسارية» فى الوقت الذى اعتبرتها الحركة العمالية بمثابة عصبة «فاشية» متطرفة.

لم تكن حادثة اغتيال «أرلوزوروف» أول حادثة اغتيال من نوعها فى «اليشوف اليهودى» فى فلسطين ، فقد سبقتها حادثة شبيهة من حيث غموضها، وبقيت لغزا لمدة طويلة، حاولت خلالها، الأوساط

الصهيونية توجيه أصابع الأتهام ضد العرب إلى أن أميط اللثام عنها في كتب التاريخ .

ففى ٣٠ يونيو ١٩٢٤ أطلق أحد أعضاء منظمة «الهاجاناه» النار على الدكتور «يسرائيل يعقوب دى هان» - أثناء خروجه من كنيس يهودى فى القدس وأرداه قتيلا ، بناء على تعليمات صادره عن مركز الهاجاناه بتصفية «الخائن» . وتتمثل خيانة «دى هان» ، وهو شاعر وصحافى مرموق ، من زعماء أغودات يسرائيل ومن مواليد هولندا ، بمحاولته إقامة جبهة «يهودية - عربية» ضد المشروع الصهيونى فى فلسطين ، اعتقادا منه بالضرر الذى تجلبه الصهيونية على اليهود أنفسهم.

وقد ترتب على مقتل «أرلوزوروف» تسمم العلاقة بين التيارين الأساسيين فى «الييشوف اليهودى» . وليس من المبالغ فى شىء ، إذا قلنا أن هذا الموضوع كان من بين العوامل الرئيسية، التى ظلت كامنة فى النفوس طوال أكثر من عقد من الزمن، والتى أوصلت العلاقات إلى حالة من الكراهية والعداء . ففى أعقاب العملية ، جرت بين الحين والآخر، اعتداءات ضد عناصر الحركة التصحيحية ومناصريها فى أماكن عدة من التجمعات اليهودية داخل فلسطين وخارجها على يد أنصار الحركة العمالية. وأبدى رئيس الحركة التصحيحية «زئيف جابوتينسكى» إهتماما بها . وكتب مقالات عده حولها ، وطلب فى إحداها من أنصاره عدم الرد عليها.

وفى مقال آخر نشره بعد حوالى عام على مقتل «أرلوزوروف» ، شن «جابوتينسكى» حملة ضد الإقتتال بين اليهود ، معتبرا إياه منافيا

للحضاره، وركز على إمكانية التعايش بين الآراء المختلفة، ليؤكد جواز تبادل التهم وحتى التشنيعات بين المتخاصمين ، وليحظر، حسب إعتقاده، القيام بعمل واحد هو «لايمكن حدوث أعمال عنف بين اليهود، ولا يجوز ضرب اليهود أو هدم مبانيهم».

والجدير بالذكر ، أن العمال المؤيدين للحركة التصحيحية واجهوا ، منذ مطلع الثلاثينات ، مضايقات جمة كانت تتم على يد مكاتب العمل التابع للهستدروت، ففي كثير من الأحيان ، جرى فصل أعداد منهم، فضلا عن تعرض البعض للإهانات والضرب من جانب العمال المنتمين لحزب «المباى».

ولقد نجم عن تفاعلات قضية الاغتيال وملابساتها حالة فرز جادة، لم تكن فى مصلحة الهاجاناه على الإطلاق، إذ أخذت عناصر «بيتار» المنطوية تحت لوائها تنسحب منها*وتلتحق بـ «المنظمة ب» المنافسة لها. وبذلك، بدأت «المنظمة ب» تشهد نموا سريعا استمر فى التصاعد حتى اندلاع الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ ، لتجد نفسها تضم حوالى ألفى عنصر وتواجه موضوعات سياسية ينظر إليها كل طرف من الأطراف المكونة لها من خلال منظاره الخاص.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن «إتسل» لم تغفر «للهاجاناه» موقفها من اعتداء أعضائها على الأتوبيس العربى، وسخريتها منه. ولم تنس ذلك حتى فى الأوقات الحرجة، فبعد مضى حوالى عشر سنوات، أى فى سنة ١٩٤٨ حدث أن اعتدت مجموعة من «الهاجاناه» على أتوبيس عربى فى طريق بيسان، فتلقفت «إتسل» الاعتداء لتسديد الحساب القديم معها ولتطالب أولئك الذين انتقدوا أعمالها بطلب المغفرة.

ولعل فى العمليات العسكرية القليلة التى نفذتها الهاجاناة عقب صدور الكتاب الأبيض (مايو ١٩٣٩) ما يشير إلى مدى حرج وضعها من جهة، وإلى الوضع المريح لنمو إتسل من جهة أخرى. فقد رأت الهاجاناه، عند صدور الكتاب الأبيض ، ضرورة الرد عسكريا ضد المنشآت البريطانية فى فلسطين ، كتعبير عن السخط الصهيونى ضد السياسة البريطانية الجديدة. وفى هذا الإطار ، نفذت عملية تخريبية ضد أجهزة بث الإذاعة ، إلا أنها وجدت نفسها ، ليست عاجزة عن إصدار بيان بالعملية فحسب ، بل عاجزة أيضاً عن تكذيب بيان إتسل الذى نسبت فيه العملية إلى عناصرها.

وفى العملية الثانية التى أرادت بها «الهاجاناه» التشبيه «باتسل» فى ردها على العرب، حدث الشىء نفسُه. فقد نفذت عناصرها بناء على تعليمات قيادة المنطقة الشمالية ، عملية إرهابية ضد السكان الآمنين فى قرية بلد الشيخ فخطفت خمسة أشخاص من أهالى القرية وقتلتهم، وأشفعت ذلك بعملية أخرى ، حيث انفردت وحدة من قواتها بمنزل عربى يقع على أطراف قرية لوبيا العربية، وألقت قنابلها اليدوية داخله عن طريق النافذة ، الأمر الذى تسبب فى قتل عدد من العرب، بما فى ذلك أربع نساء وطفل، وهم نيام ولم يكن بوسعها نسب العملية إليها، وبخاصة لأن صحيفة دافار الناطقة باسم الحركة العمالية شنت بسرعة، وقبل معرفة هوية الفاعلين، حملة شعواء ضد المسؤولين عنها وضد «سفالة الإرهاب» وشجبت الجريمة ومنفذيها الذين يفتقرون إلى أية «أحاسيس إنسانية» وانتهت إلى القول «أن ذكرى عملية لوبيا كذكرى العمليات التى سبقتها ، ستحكم بالعار على منفذيها المجرمين أياً كانوا». وقد نسبت «إتسل» هاتين العمليتين

إلى عناصرها فى بداية الأمر، ودرجت فيما بعد، على إشهارهما كسلاح فى وجه الهاجاناه، ولاسيما عندما كانت تقوم الأخيرة بإدانة أعمال مشابهة تنفذها «إتسل».

(٣) الأيديولوچية والخط السياسى:

(أ) فى عام ١٩٠٧ ظهر تنظيم يدعى «بارغيورا» وضع على رأس اهتماماته احتلال العمل والحراسة، وإقامة مستوطنات زراعية، بهدف تحقيق شعار «بالدم والنار سقطت يهودا، وبالدم والنار تقوم» ومن أبرز قادته إسحاق بن تسفى» الرئيس الثانى للكيان الإسرائيلى، ويمكن اعتبار هذا الشعار عاما بالنسبة لكل التنظيمات الصهيونية المسلحة منها الهاجاناه.

(ب) ونجد أيضاً مبدأ آخر هو الـ «هفلغاه» وهى المرادف لـ«ضبط النفس» وكإصطلاح سياسى تعد المفهوم العام للسياسة التى قيدت بها الوكالة اليهودية منظمة الهاجاناه أثناء مواجهتها السكان العرب فى فلسطين. فقد رأت الوكالة اليهودية، خلال الفترة الأولى من اندلاع الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦، بناء لاعتبارات كثيرة، هجومية أو إنتقامية. وفى بداية تبلور الـ«هفلغاه» تمسكت الوكالة اليهودية بحرفية تعليمات الدفاع السلبى.

ومع ذلك، لم تتقيد قوات الهاجاناه دائما بسياسة «الهفلغاه» إذ كانت تقوم بين الفينة والأخرى، بالإصطدام مع الثوار الفلسطينيين خارج نطاق المستوطنات. ومع مرور الوقت، ونمو قوتها وتعزيز عرى العلاقات مع القوات البريطانية لم تعد تحرص على تطبيق سياسة ضبط النفس تجاه العرب. وقد حدث هذا التطور فى أواخر

الثلاثينات. وكرس كسياسة رسمية، فى البند الثالث من التعليمات الصادرة عن القيادة القطرية لمنظمة الهاجاناه فى ٢ يوليو ١٩٣٩ الذى جاء فيه «.... من الواجب مهاجمة العصابات أثناء تحركها ومواجهتها قبل اقترابها من المستوطنات ، ويجب إلى جانب الدفاع عن المواقع داخل المستوطنات، مطاردة المهاجمين للقضاء عليهم وغلق طرق إنسحابهم وإذا ما انسحبت العصابة أثناء مطاردتها إلى قرية عربية، يسمح للمطاردين بالعمل داخل القرية أيضاً».

مع تطور أساليب المواجهة لمنظمة الهاجاناه، تطور أيضاً مفهوم «الهفلغاه». والحقيقة أن قادة الحركة العمالية الذين اتبعوا هذا المفهوم . وعلى رأسهم مهندسه «بن جوريون»، لم يتخلوا عنه حتى عندما تجاوزه ، إدراكا منهم أن إصطلاح ضبط النفس يضفى على مواقفهم السياسية مسحة من الأعتدال ، بل ابتدعوا له معانى جديده لا علاقة لها بالدفاع السلبى مثل: طهارة السلاح، تمييز النشاط، الهاجاناه ضد العرب- عن نشاط منظمتى «إتسل وليحى». الذى نعتوه بـ«الإرهاب»، مع أن النشاطين لم يكونا مختلفين، من حيث الجوهر، وإن اختلفا فى الطرق والوسائل والتوقيت والتركيز على الاعتبارات السياسية.

(جـ) وقد حدث تطور آخر داخل الهاجاناه أثر فى اتجاهها الفكرى، وذلك عام ١٩٣١ حيث إنشق رئيس فرع منظمة الهاجاناه فى القدس، وأقام منظمة جديدة اتخذت أسماء متعدده منها : الهاجاناه الموازية ، والمنظمة العسكرية القومية، والهاجاناه اليمينية ، إلا أن الاسم الأكثر شيوعا كان : الهاجاناه«ب» أو منظمة «ب».

وقد أخذت الخلافات تدب داخل «المنظمة ب»وتعصف بها، وذلك عقب تبلور «الهفلغاة»كمفهوم سياسى، وتبنى الهاجاناه له، وساعد فى ذلك عدم التناسق والتجانس بين عناصر المنظمة ، والأطراف الموجهة لها فى «اللجنة المشرفة» فقد استقطبت «المنظمة ب» بين صفوفها ، خلال فترة نموها ، أعدادا كبيرة من أنصار الحركة التصحيحية وحركة بيتار، وتضاءلت أعداد المؤيدين للأحزاب اليمينية والدينية بفعل زيادة أنصار الحركة التصحيحية فى المنظمة، الأمر الذى كان له تأثير كبير على تطور بنيتها . ففى العام الأخير لقيامها ، وجدت المنظمة نفسها تتشكل من قاعدة معظم عناصرها من أنصار الحركة التصحيحية، فى الوقت الذى تتشكل فيه معظم القيادة من الأحزاب الأخرى. وعند ظهور مفهوم ضبط النفس، وعقب اندلاع الثورة الفلسطينية بفترة قصيرة ، أخذ الخلاف يدب فى صفوف المنظمة حول الموقف من هذا المفهوم، حيث وقفت معظم عناصر القيادة إلى جانب «الهفلغاه» بينما اتخذت معظم عناصر القاعده موقفا مناوئا وطالبت بكسر سياسة ضبط النفس.

وسط هذه الأجواء المشحونة بالتوتر ، بين الأجنحة المختلفة، كانت مفاوضات الوحدة بين المسؤلين عن المنظمتين العسكريتين، تشق طريقها بقوة هذه المرة. وذلك على الرغم من مواجهتها للمشاكل نفسها التى برزت خلال المفاوضات سنة ١٩٣٣ ، إضافة إلى مشاكل جديده ناجمة عن تطور المنظمتين وإنعكاس الثورة الفلسطينية عليهما.

(د) ومن الملاحظ أن كافة التيارات والقوى الواقفة وراء المنظمتين ، التقت عقب إندلاع الثورة الفلسطينية حول قاسم مشترك

هو الوحدة، بيد أنها كانت تختلف، من حيث الدافع والهدف، فقد أرادت الحركةالعمالية من الوحدة القضاء على خطر وجود منظمة ثانية بهدف تعزيز المنظمة التى تسيطر عليها، ومن ثم إحكام سيطرتها على «اليشوف اليهودى»، بينما اندفعت الكتلة المدنية نحو الوحدة ، بفعل تخوفها من خطرتنامى نفوذ الحركة التصحيحية داخل «المنظمة ب» ، ورغبتها فى وضع حد لوضعها غير الطبيعى المتمثل فى مساهمتها بقيادة كلا المنظمتين . أما مجموعة القيادة بزعامة «تهومى»، فقد إندفعت نحو الوحدة ليس بسبب تخوفها من خطر تنامى نفوذ الحركة التصحيحية ، وإنما أيضاً، رغبة منها فى تزويد عناصر المنظمة بأسلحة أفضل، وتوفير أسباب التدريب العسكرى لأفرادها ، وكذلك بهدف احتلال مكانة مرموقة فى المنظمة الموحدة.

وهناك عامل آخر ساعد على التوجه الوحدوى يتمثل فى رغبتها بتوفير فرص إنضمام أعضاء «المنظمة ب» إلى سلاح الحراسة التابع للهاجاناه والمسموح به رسميا من قبل سلطات الأنتداب.

أما الجناح التصحيحى ، فقد كان همه الأساسى فى توجهه الوحدوى فرض نفسه كفريق مساو للفريق الآخر، وبالتالى إحراز مكاسب سياسية وحزبية .

وقد بدأ الحديث يدور حول الوحدة عقب إندلاع الثورة الفسطينية، فحدد «بن جوريون»، زعيم الحركة العمالية، شرطين ضروريين لتحقيقهما هما:-

١- ضرورة قيام وحدة حقيقية«وليس شرعية الإنفصال تحت غطاء الأتحاد».

٢ـ خضوع المنظمة الموحدة ، بشكل مطلق للوكالة اليهودية.

ومن الجدير بالذكر أن قادة الوكالة اليهودية، وعلى رأسهم «بن جوريون» ، وقفوا ضد مساهمة عناصر «المنظمة ب» فى سلاح الحراسة المصرح به رسميا ، قبل حدوث الوحدة الإندماجية، وهيمنة الوكالة اليهودية على المنظمة الموحدة . وبرر هذا الموقف بقوله : «لدينا اليوم إمكانية محدودة من الدفاع الشرعى . ولن نفسدها بإدخال عناصر غير مسؤولة،قد ترتكب مجازر» . وكان ينعت المنظمة ب «العصابة» وأفرادها بـ«المتمردين» ولهذا فشلت محاولات الوحدة.

(هـ) ولم تقف الهاجاناه مكتوفة اليدين إزاء النشاط الإعلامى والإرهابى «لاتسل» ، فقد شددت هى الأخرى على التنديد بـ «العصابات» فى منشوراتها التى وزع أحدها فى الوسط اليهودى بتاريخ ٢١ يونيو حاملا توقيع «المهاجرين غير الشرعيين» وكان ينضح بالتنديد برجال إتسل الذين يرعون القائمين على الكتاب الأبيض فى مصادرة صلاحية الوكالة الممثل الوطنى الوحيد ... عصابة الإرهابيين لا تتوجه نحو مقابلة الحكومة الخائنة، إنهم يعمدون فى أعمالهم إلى تصعيد الاضطراب فى «اليشوف» وإضعاف الاستعداد للسيطرة عليه.

ونشطت المؤسسات المسيطرة على الهاجاناه، ولاسيما بعد أن طالت الأعمال الإرهابية أعناق اليهود أيضا، فعممت منشورا مذيلا بتوقيع عدد من الشخصيات اليهودية من الوسطين السياسى والفكرى، فى الوسط اليهودى، ثم نشرته، بعد ترجمته إلى اللغة

العربيـة، في الدول العـربيـة تحت عنوان : لا تقـتل ، وركـز على أن «قتل عرب أبرياء يسعّر بين صفوف الشعب الجار، العداء ضد اليـهود ويوحـده حـول فئة الإرهابيين، كمـا وأن قتل إنجليزى ينسف نضـالنا بين صـفوف الشعب البـريطانى، وقـتل يهـودى على يد يهـودى يعد بمثابة مؤشر لحرب مسلحـة بين اليهود من شأنـها تـدمير اليـيشوف بواسطة يد مدربة من الداخل» . وتوجـه بعد ذلك بالتحـذير والمطالبة : «ليوقف «اليـيشوف» الشر فى مهـده، ليعزل «اليـيشوف» المحـرضين، ليتوحـد اليـيشوف لحماية الوطـن القومى بقـوة من الإرهاب الداخلى ، وأعدائه من الخارج» .

واستغل القائمون على الهاجاناه منصة المؤتمر الصهيونى الحادى والعــشـرين (١٩٣٩) للتنديد بنشـاط إتسل ، والرد على حـمـلاتـهـا الإعلاميـة فى الخارج فقد ركـز موش شاريت فى كلمتـه، أمام المؤتمر على تأكـيد «... الإجـرام والحمـاقـة والعار فى طـريق الإرهاب. هذه الأعمال التى جرت، خـلال الأشهر الأخيرة، والتى يحـاول القائمون عليها تزيينـها بشعارات رنانة، أعمال سخيفة من الناحيـة العملية لا تؤدى إلى أهدافها، ومن الناحية السياسية تلحق الضرر بنا فقط، ومن الناحيـة الأخلاقية مقززة، ومن الناحيـة العسكرية ـ نحن نتـحلى أيضا بالخلق العـسكرى والكبـرياء الـعسكرية ـ مـهـينة» . هذا، فـضـلا عن النعـوت التـى كـان «بن جـوريون» يطلقـهـا علـى أعـضـاء المنظمـة وأعمالها مثل نعته إياهم بـ «المجرمين» ووصفه أعمالهم بـ «الأعمال الجنونية البغيضة» .

(٤) المصير:

(أ) حدث أكثر من إنشقاق داخل الهاجاناة عام ١٩٣١ ومنها الإنشقاق اليمينى والهاجاناة «ب» والتى أشرنا إليها من قبل ومن أبرز أسباب الإنشقاق ما يلى:

** الإنتفاضة الفلسطينية عام ١٩٢٩ وضعف مواجهة الهاجاناه لأعمال الإنتفاضة.

** تصاعد نفوذ الحركة التصحيحية فى أواخر العشرينات، وظهر ذلك من خلال المؤتمر الصهيونى السابع عشر عام ١٩٣٠ حيث حصل التصحيحيون على ٥٢ مقعدا بنسبة ٢١ ٪ من مقاعد المؤتمر.

** تدهور العلاقة بين الهستدروت وقائد الهاجاناه.

(ب) وقد سبق أن نوهنا بالإنشاق الذى عرف باسم المنظمة «ب» وقد شكلت «المنظمة ب» طوال فترة قيامها، ساحة مناورات للأطراف المساهمة فى إنشائها ، فقد استخدمها قائد الإنشقاق «تهومى»، مع عدد من ضباطه، لفرض وجهة نظره الخاصة بموضوع التجييش على الهاجاناه ، ولإحتلال مركز قوى فى الهاجاناه، فى حالة إعادة الوحدة بين المنظمتين، فى حين استغلتها «الكتلة المدنية» لتوسيع نفوذها داخل المؤسسات الصهيونية ومشاركة التيار العمالى فى إدارة هذه المؤسسات بشكل أوسع . أما التيار التصحيحى بزعامة جابوتينسكى فقد رأى فيها ورقة قوية يستغلها فى صراعه مع التيار العمالى، فهى إلى

جانب كونها ساحة حشد للأوساط المعارضة للحركة العمالية ، وما يستتبع ذلك من إضعاف للأخيرة ومنح وزن للطرف التصحيحى بصفته الطرف الأكبر فى قوى التحالف ، تعد أيضاً ساحة جمع لأنصاره بعد تعثر فكرة إقامة جيش عبرى.

ولم يكن يجمع بين هذه الأطراف المعارضة للحركة العمالية منطلقات سياسية أو أيديولوچية معينة بقدر ما كان يجمعها عامل الرغبة فى استغلال هذه المنظمة المنشقة لتحقيق أغراض متباينة. ونتيجة لعدم إعطاء التيار العمالى إهتماما خاصا لحل قضية الإنشقاق بسرعة، وبسبب إزدياد تفاقم الخصومة والعداء مع التياز التصحيحى (وما إغتيال «أرلوزوروف» إلا أحد مظاهره). أستمرت «المنظمة ب» قائمة لفتره طويلة نسبيا. بيد أنها ما لبثت أن وجدت نفسها منقسمه على ذاتها فى سنة ١٩٣٧ ، حيث عاد قسم منها بزعامة «تهومى»، إلى جانب أنصار «الكتلة المدنية» إلى الهاجاناه الأم.

وشكل القسم الأخر منظمة جديدة ،عكس قيامها الخلاف الذى كان قائما بين التيارين الأساسيين فى الوسط اليهودى الذى أصبح يشهد وجود منظمتين تتنافسان من منطلقات مختلفة ، على بسط النفوذ.

(جـ) وبشكل عام دخلت الهاجاناه فى صراع مستمر مع المنظمتين الأخريتين «إتسل، وليحى»، وانتهى الأمر بدمج المنظمات الثلاثة وكان للهاجاناه دائما مركز الصدارة فى العمل المسلح على المنظمتين الأخريتين.

الفصل الثانى

منظمة إتسل

ثانيا : منظمة «إتسل»

١ـ النشأة والتكوين :

(أ) فى عام ١٩٣٧ تمخضت التناقضات الداخلية فى الحركة الصهيونية وداخل الهاجاناه نفسها عن ولادة منظمة ثانية هى منظمة «إتسل» .

(ب) وقد تأثرت هذه المنظمة أيضاً بالتيار التصحيحى بزعامة زئيف فلاديمير جابوتينسكى، الذى كان يؤمن بإقامة كتائب عبرية مقاتلة تعمل فى تنسيق مع القوات البريطانية، وأقام فعلا «منظمة بيتار» التى كانت فى صراع مع حركات الشبيبة الخاضعة للحركة العمالية، والتى كانت تركز نشاطها أساساً فى الاستيطان وسيلة لتحقيق قيام الدولة.

وقد طور «جابوتينسكى» نشاطه بإقامة إطار سياسى عام ١٩٢٥، أى قبل قيام منظمة «إتسل»، على شكل حزب يحمل اسم «اتحاد الصهيونيين التصحيحيين» بهدف تصحيح المسار الصهيونى ومن

بين أهداف الحزب، العمل على تحقيق المشروع الصهيوونى على ضفتى نهر الأردن بإقامة دولة يهودية بأكثرية يهودية.

وقد درج التيار التصحيحى بزعامة «جابوتينسكى» على نقد الهاجاناه وتوجيه هجمات ضد الروح «السلامية» فى الهاجاناه وردت، الأخيرة بتوجيه تهمة الروح العسكرية للتيار التصحيحى ، والجدير بالذكر أن كلاهما لا يؤمن بالاتجاه نحو السلام.

(جـ) وتعد فترة الأعوام الثلاثة التى مرت على قيام «إتسل» فضلا عن كونها مرحلة اختيار صعب مرت بها المنظمة الوليدة لتثبيت أقدامها داخل الييشوف اليهودى، مرحلة جديدة بالنسبة لعلاقاتها مع منظمة الهاجاناه ، تختلف من حيث درجة تفاقم الخلافات بينهما، وطرق معالجتها والنظر إليها . ففى هذه الفترة ، أصبح الييشوف اليهودى يحتضن منظمتين ، تتجانس وتتماثل كل منهما، بهذا المقدار أو ذاك ، مع الحركة السياسية المسيرة لها أكثر من السابق، وتتنافسان لبسط نفوذهما على «الييشوف» [1] اليهودى والسيطرة عليه.

كان للتطور الداخلى لمنظمة إتسل، وتبنيها سياسة كسر «الهفلغاة»، أى ضبط النفس، كما كان لتباين النظرة بين التيارين المسيرين لكلا المنظمتين تجاه القضايا السياسية، ومساعى قيادة الهاجاناه والحركة العمالية الرامية إلى وضع حد لوجود منظمة عسكرية ثانية، أو على الأقل تحجيمها، الفضل فى إيصال العلاقات، بين المنظمتين، إلى درجة من الشدة والتوتر وضعت «الييشوف اليهودى» على شفا الحرب الأهلية. وعلى الرغم من نجاته ، فى هذه

(١) نذكر مرة أخرى أن «الييشوف» كلمة عبرية تعنى منظمة الاستيطان اليهودى.

الفترة ، من هذه الحرب التى اقتصرت على أعمال الاختطاف المتبادل، إلا أن هذه الفترة كانت بمثابة تمهيد لاقتتال أعنف وأخطر فى الأربعينيات.

(د) وواجهت «إتسل» جملة من القضايا الداخلية كان من بينها موضوع العلاقة مع الحركة التصحيحية وزعيمها جابوتينسكى ، أثرت بشكل كبير على مسار تطورها، ومن ثم على علاقاتها مع الهاجاناه، وعلى الرغم من أن المنظمة غدت، عقب إتفاق «المنظمة ب» على ذاتها، أكثر تجانسا وتماثلا مع قيادتها السياسية؛ إلا أن علاقتها، مع هذه القيادة كانت بحاجة إلى ضوابط واضحة وثابتة. ولم يكن ذلك بالأمر الهين، فزعيمها السياسى والعسكرى (القائد الأعلى) جابوتينسكى كان يعيش خارج فلسطين، ولم يكن بوسعه إحكام سيطرته عليها، كما أن العلاقات بين القيادة العسكرية لا تسل وقيادة الحزب التصحيحى فى فلسطين، التى شكلت، من بين صفوفها، لجنة سياسية للأشراف على المنظمة لم تكن، دائما مرضية للطرفين؛ وذلك لأعتقاد القيادة العسكرية بأن قيادة الحزب التصحيحى تميل نحو «الأعتدال». وقد بذل جابوتينسكى جهودا لايجاد حلول تحكم العلاقات بين التنظيمات المنضوية تحت لواء الحركة التصحيحية، غير أنه لم ينجح كثيرا فى هذا المجال لبعده عن فلسطين ، وضعفت صورته فى أواخر الثلاثينات، وحتى بعد موته، فى نظر عدد من أنصاره، ومن بينهم الزعامة العسكرية لاتسل التى أخذت تجنح، أكثر فأكثر، نحو الاستقلالية، وتحاول توجيه الحزب التصحيحى بدلا من أن يقوم هو بتوجهيها.

وربما كان النجاح الذى أحرزه «جابوتينسكى» فى جهوده هذه، يتمثل فى إرساء علاقة متينة بين «إتسل» وحركة «بيتار» التى كانت تحتضن شبيبة الحركة التصحيحية، وقد ساعده فى ذلك واقع التوجه العسكرى لكلا المنظمتين، وأرسى أسس العلاقة بينهما فى إحدى رسائله، أواخر عام ١٩٣٨، التى يقول فيها: «فى المنفى، تسخر جميع فروع الحركة لمبدأ التثقيف العسكرى. وفى البلاد تسخر جميعها لمبدأ الدور العسكرى، وبكلمات أخرى... فى المنفى تسيطر حركة «بيتار» وفى البلاد تسيطر «إتسل» وهذا يعنى أن «إتسل» تسيطر فى البلاد، وبكل المسئولية، على جميع فروع الحركة، وأيضا على الأقتصاد، وسرايا التجنيد، وأيضا على تثقيف الأطفال».

(هـ) وقد قامت محاولات لتوجيه جهود المنظمتين الصهيونيتين، إلا أن المحاولات باءت بالفشل، وعندئذ أخذ تطور «إتسل»، يتسم بالتوجه نحو مزيد من الاستقلالية عن الحركة التصحيحية، وتعززت قوة الجناح المتطرف فى قيادتها ونفوذه. ففى هذه الفترة نشطت قيادة «إتسل» بلا كلل، فى مجال البحث عن حليف لها، فى أوروبا وفى بولونيا بالذات، حيث المركز الرئيسى لليهود، وكان ابراهام شتيرن سكرتير القيادة والرجل الثانى فى المنظمة، قد رأس، عشية إجراء المفاوضات وفد من منظمته، وقام بزيارة لبولونيا استغرقت عدة شهور تمكن خلالها من خلق خلايا سرية لمنظمة اتسل بين صفوف حركة بيتار، دون علم «جابوتينسكى» أو موافقته، كما تمكن من إقامة علاقات وطيدة مع المسئولين البولونيين أعطت ثمارها فى ثلاث مجالات هى: التدريب العسكرى، والتزود بالأسلحة، وفتح أبواب بولونيا لهجرة اليهود منها، وأرسى «شتيرن»

علاقات طيبة مع الأجنحة الفعالة فى الحركة التصحيحية التى كانت ترى فى «جابوتنيسكى» شخصا معتدلا؛ الأمر الذى أدخل «إتسل» فى صراع مع زعيم الحركة التصحيحية الذى اعتبر التحرك الجديد للمنظمة لا يشكل نقدا وحتى نقيضا لسياسته فقط، وإنما يشكل كذلك تحديا لزعامته.

وجد «شتيرن» آذانا صاغية لدى المسئولين البولونيين الذين لبوا على الفور مطالب «إتسل» ، وأخذوا يدعمونها بالأسلحة ويقيمون دورات عسكرية خاصة لعناصرها، مدفوعين إلى ذلك بهدف التخلص من التجمع اليهودى فى بولونيا وخلق أعوان لهم فى الشرق الأوسط. ويستشم هذا من شرح أحد قادة إتسل، لمسؤلين بولونيين، تماثل المصالح بين المشروع الصهيونى وبولونيا، على الطريقة الهرتسلية، بقوله لهم: «إذا تعاظم الضغط على العرب بقوة ردود فعل إتسل، ستضعف مكانتهم السياسية؛ وبذلك تصبح هجرة اليهود من بولونيا، المعنية بهجرتهم، ممكنة». وبفعل تماثل المصالح بين الطرفين، تمكنت إتسل، من إعداد وتخريج اعدادا من عناصرها؛ فى فلسطين، فى دورات مكثفة جرت فى بولونيا، ومن تدريب عناصر أخرى، هناك من أوساط شبيبة حركة بيتار. وذلك فى الوقت الذى كانت فيه الهاجاناه تعيش عصرها الذهبى؛ إذ شهدت نموا سريعا ابتدأ منذ اندلاع الثورة الفلسطينية، وتنظيما له على شكل وحدات عسكرية مختلفة يربو تعداد أفرادها على العشرين ألفا، كانت تحظى بدورات عسكرية على يد الضباط البريطانيين، بفعل تماثل المصالح الصهيونية والبريطانية، بشكل حاد فى تلك الفترة ، وفق رؤية الحركة العمالية التى لم تغفل هى الأخرى، فى الوقت نفسه مسألة

تماثل المصالح مع بولونيا، حيث حظيت هناك بدورات عسكرية على استخدام الأسلحة خصصت لأعداد من عناصرها.

(٢) بعض الأعمال الأرهابية.

(أ) أدخل بعض قادة إتسل أسلوب أعمال السطو والسلب التى شنها بنفسه ، حين نظم مجموعة من خريجى (عصبة الأشداد) للسطو على بنك العمال التابع للهستدروت العمالية، و الواقع وسط تل أبيب وقد تمكن أفراد المجموعة من الاستيلاء على حقيبة تحتوى على مبلغ ٤٥٠٠ جنيه، إلا أنهم اصطدموا مع المارة الذين قبضوا عليهم وسلموهم إلى الشرطة . وكانت هذه العملية فاتحة لعمليات سطو أخرى كثيرة قامت بها «إتسل» ضد البنوك والمؤسسات فى فلسطين وتركت، فى حينه أثراً سيئاً، بين صفوف «اليشوف اليهودى»، تجاه أفراد المنظمة، وأثارت غضب قادة الهاجاناه الذين اعتبروا أن عملية السطو جرت ضد مؤسسة خاضعة لهم وبغرض خدمة الأهداف السياسية لا تسل ، كما أثارت انفعال أوساط كثيرة وبخاصة أن أسماء المقبوض عليهم كانت لاتزال عالقة فى أذهان الكثيرين ، منذ محاكمة المتهمين باغتيال أرلوزوروف.

ومن الجدير بالذكر ، أن محاولة السلب هذه لم تكن أولى عمليات المنظمات الصهيونية المسلحة؛ فقد سبقتها عملية سلب قامت بها منظمة الهاجاناه فى أواخر سنة ١٩٢٣ ، عرفت باسم عملية «أكس» ضد عصابة يهودية كانت تقوم بتهريب الذهب من بيروت إلى فلسطين، واستولت على ١٥ ألف ليرة ذهبية ، مبررة عملها بالحاجة لشراء الأسلحة.

(ب) وفى الوقت نفسه، تعرضت «إتسل» ، لهزة أخرى، أساءت إلى سمعة المنظمة الوليدة، وإلى قائدها بالذات بين جمهرة الييشوف. عندما قام أحد أعضاء «إتسل» بإطلاق النار - بحكم إيمانه بضرورة كسر سياسة «ضبط النفس» - على أحد المواطنين العرب فأرداه قتيلاً ، ولاذ بالفرار. وتمكنت الشرطة من العثور على مسدسه فى بيته، فى الوقت الذى تسترت فيه إتسل على المكان الذى يختبئ فيه. وتم التخلص من الفاعل بالقائه فى نهر العوجا مربوطا بالحديد، فى محاولة لطمس معالم الجريمة . ولسوء حظه، عادت الجثة ، بعد فترة، وطفت على وجه الماء، وعثر عليها فى الثامن من سبتمبر ١٩٣٧ ، حيث تم التعرف على هوية صاحبها . ولم يتمكن قائد «إتسل» من تبرير عمله إزاء سخط الييشوف اليهودى من جهة، واستغلال مجموعة القيادة المنافسة له للحادث من جهة أخرى ، ففضل الهرب من فلسطين .

(جـ) وقد اتخذت الأعمال الانتقامية، أو عمليات كسر «ضبط النفس» أشكالاً عدة ، من بينها اقتناص أى عربى، بغض النظر عن السن والجنس، فى الأمكنة التى يمكن فيها للجانى الفرار، ومن بينها أيضاً إلقاء قنبله على مقهى عربى، أو وضع مواد ناسفه فى أسواق الخضار وأماكن التجمع ، فى المدن العربية الرئيسية مثل يافا وحيفا والقدس، أو نصب كمين لأتوبيس عربى. وقد نجم، عن بعض هذه العمليات ، أزهاق أرواح العشرات من المدنيين العرب ، وكانت فاتحة هذه العمليات ، عملية نفذتها إتسل فى تل أبيب فى شهر يونيو عام ١٩٣٧ ، حين أطلق أفرادها الرصاص على بائع خضار عربى وأصابوه بجراح بالغة.

وفى شهر أبريل عام ١٩٣٨ أطلق عضو «إتسل» مع عنصرين أخرين، النار على أتوبيس عربى فى الجليل، ولم يتمكن أفراد المجموعة من الفرار، فقد ألقى القبض عليهم شرطى يهودى، وسلمهم إلى السلطات البريطانية. التى أخضعتهم إلى محاكمة كان نتيجتها حكم الأعدام على أحدهم، وفى التاسع والعشرين من يونيو ١٩٣٨ نفذ الحكم ، بعد أن ترك وصية على حائط زنزانته تقول: «أومن بأنهم لن يضبطوا أنفسهم عقب موتى».

وجاء الرد على امتداد الشهرين التاليين ، على شكل عمليات إرهابية موجهة ضد المدنيين العرب، تعد بالعشرات. وقد كان من أبرزها عمليات وضع كميات من المواد المتفجرة الموقوتة وسط التجمعات العربية ، فى المدن الفلسطينية الرئيسية ، ذهب ضحيتها نحو مئة وسبعين شهيد ا ومئات أخرين أصيبوا بجراح، الأمر الذى زاد من رقعة الخلافات ، بين «إتسل والهاجاناه» التى كانت تقوم هى الأخرى بشن هجمات ضد الثوار الفلسطينيين؛ جنباً إلى جنب، مع القوات البريطانية . وبناء غلى اتفاق تام معها، لإخماد الثورة الفلسطينية ؛ وذلك لاعتقادها بأن عمليات إتسل تسئ قبل كل شيء إلى العلاقة القائمة مع السلطات البريطانية، وتضر تحقيق المشروع الصهيونى.

(د) واجهت «إتسل» والحركة التصحيحية اليوم الذى نشر فيه الكتاب الأبيض بتظاهرات صاخبة قامت فى وسط تل أبيب ، واحتل خلالها المتظاهرون مبانى حاكمية القضاء ورفعوا عليها العلم العبرى، وقاموا بحرق سجلات مكتب تسجيل الأراضى، بعد أن ألقوها غلى قارعة الطريق ، وهم يرددون شعارات تندد بخيانة

بريطانيا وخيانة «وايزمان»: «وايزمان الخائن أنصرف» . وأصدرت منظمة إتسل وسط هيجان التجمع اليهودى فى فلسطين ، منشورا موجهاً إلى العمال العبريين والشبيبة العبرية فى أرض إسرائيل أتهمت فيه الوكالة اليهودية بأنها تضر بالقضية الصهيونية.

إلى جانب النشاط التحريضى المحموم، انتهجت «إتسل» ، هذه المرة، خطين فى نشاطها العسكرى. إذ لم يعد المواطنون العرب هم المقصودون وحدهم بعملياتها الإرهابية بل أصبحت الممتلكات العامة أيضاً تشارك التجمعات العربية الآمنة فى تلقى الضربات ولو بشكل أخف. فقد قررت قيادة المنظمة ، غداة نشر الكتاب الأبيض ، توجيه ضرباتها ضد المنشآت البريطانية، وتصعيد عملياتها ضد العرب ، مما أكسبها مزيداً من الأنصار ، بين صفوف «البيشوف» الذى كان يتقد غضباً ، فى ذلك الحين، مما أسماه بخيانة البريطانيين للتعهد الذى قطعوه على أنفسهم سنة ١٩١٧ .

ومن الجدير بالذكر والتأكيد معاً ، أن النقلة الجديدة فى موقف «إتسل» برفع السلاح فى وجه البريطانيين والذى تمثل بضرب الممتلكات البريطانية ، وفيما بعد ، بضرب الرموز البريطانية ، لم تستهدف إخراج القوات البريطانية من فلسطين، وإنما كان يراد منها، توجيه ضغوطات سياسية مصاحبة أحياناً بأعمال عنف بغية دفع بريطانيا للتحالف مع الحركة الصهيونية ، والأرتقاء بالعلاقات بينهما إلى أقصى حد ممكن ، بحيث يصبح «اليشوف اليهودى» فى فلسطين، بمؤسساته المختلفة شريكاً لبريطانيا وحليف لها فى المشرق العربى بحكم تماثل المصالح بينهما . وكان «جابوتينسكى» أول من روج لهذه النظرية وغرسها فى وجدان قادة «إتسل» والتصحيحيين ،

وبقى مؤمناً بها، متحمساً لها حتى مماته. ومن هنا تبلور لدى «إتسل» قناعة ترى النضال ضد بريطانيا بمثابة حوار بين شريكين وليس على الإطلاق، حرباً بين عدوين . وقد عبر أحد مسئولى الحركة التصحيحية ، عن ذلك بوضوح عندما قال: بريطانيا والشعب اليهودى ، من الناحية الموضوعية ... شريكان فى بناء اللبنة اليهودية فى أرض إسرائيل ... يمكن أن يكون متعارضين لفترة معينة، ولكنهما ليس عدوين ، وعلى الأقل ليس عدوين أبديين ولنبرهن له (الشريك البريطانى) أن خيانته وخداعه لنا غير مريحين وخطرين».

فى إطار هذه النظرة ، وجهت «إتسل» ضربات ضد بعض المؤسسات الحكومية، مثل محطة الإذاعة وخطوط الهاتف وقضبان السكك الحديدة ، مع الحرص على أقتصار الأضرار على الممتلكات العامة فقط ، كما استأنفت نشاطها الأرهابى ضد التجمعات السكانية العربية، وفق أسلوبها السابق . ومن الملفت للنظر فى سلوك إتسل فى هذه الفترة ، تنظيرها للأعمال الانتقامية الموجهة ضد العرب ، فقد رأت فيها ما يساعد على الارتقاء بالعلاقات مع الشريك البريطانى إلى درجة التحالف ، ويستشم ذلك من تعميم داخلى كانت القيادة ، قد عممته على عناصرها جاء فيه؛ عشية اندلاع حرب عالمية، تبحث بريطانيا عن حلفاء . وفى الحرب هنالك حاجة للمقاتلين، ولا فائدة من أولئك الذين يضبطون النفس. ولن يكون مستغرباً أن يتم، فى يوم الاختيار ، اختيار الطرف العربى المقاتل ، وليس الطرف اليهودى الحريص على ضبط النفس.

ويبدوأن «إتسل» قد شعرت فى هذه الفترة، بتعاظم قوتها ، ويظهر ذلك من الخطط الطموحة لقائدها «رزئيل» الذى دعا، عند صدور الكتاب الأبيض ، إلى ضرورة توسيع العمل ضد العرب على الصعيد العسكرى أيضاً. أى يتوجب تدريب الشباب على دخول قرية عربية، والسيطرة عليها، وطرد سكانها، وما شابهه.

مع بداية استئناف «إتسل» عملياتها الارهابية ضد العرب، ألقت سلطات الأمن البريطانيـة، فى مطار اللد ، القبض على «دافيد رزئيل» فى ١٩ مايو سنة ١٩٣٩ ، ولم يتمكن هذه المرة من الأفلات فأودع السجن. وعلى الفور عين «جابوتينسكى» مكانه، كرئيس للقيادة، و«حانوخ كلعى» المسئول عن فرع القدس . ولم تؤثر عملية اعتقال القائد وحملة الاعتقالات الأخرى، على النشاط الموجه ضد العرب ، فقد استمرت المنظمة فى نهجها القديم الذى لم يخرج عن إطار قتل المارة الأبرياء ، وألحاق أكبر عدد من الخسائر وسط التجمعات العربية فى الأسواق ، أو اقتناص أى عربى يصادف وجوده فى المستوطنات والتجمعات اليهودية. ومن أبرز عملياتها، فى هذه الفترة التى استمرت حوالى ثلاثة شهور، عملية سينما ركس فى القدس، وعملية تفجير الحمار المحمل بالمواد الناسفة فى سوق الخضار فى حيفا؛ وقد أسفرت هاتان العمليتان عن استشهاد العشرات وإصابة الكثيرين بجراح ؛ ومن أبرزها أيضاً عملية ثالثة جرت ضد قرية بير عدس العربية، حين هاجمت القرية مجموعة عناصر المنظمة فى محاولة لتحقيق خطة رزئيل للاستيلاء على قرية عربية، ولم تتمكن المجموعة من دخول القرية، فاكتفت بمهاجمة

منزل عربى تحت جناح الظلام، قتلت فيه أربع نساء وأصابت طفلا بجراح . وقد استمرت «إتسل» فى القيام بهذا النوع من العمليات على الرغم من توصية «جابوتينسكى»، الذى تخوف من الرأى العام فى بريطانيا ، بالكف عن ضرب الشيوخ والنساء والأطفال.

وسط النشاط المتعاظم ضد الممتلكات العامة والمواطنين العرب ، فتحت المنظمة عقب تزايد عدد المعتقلين بين صفوفها، وللمرة الأولى، جبهة جديدة داخل «اليشوف اليهودى»، ضد المخبرين اليهود، وقامت فى فترات مختلفة، بتصفية ثلاثة يهود يعملون فى جهاز الشرطة التابع لحكومة الأنتداب . اتهمتهم المنظمة بالتعاون مع المخابرات البريطانية ضد أفرادها ، فى الوقت الذى اعتبرته الوكالة اليهودية بمثابة جندى يعمل لصالحها.

(٣) الأيديولوچية والخط السياسى:

(أ) ولعل فى واقع هيمنة «إتسل» على حركة بيتار- فى فلسطين ، ما دفع قيادتها العسكرية إلى الجنوح نحو المزيد من الاستقلالية عن قيادة الحزب التصحيحى.

إلى جانب ذلك ، لم تكن القيادة العسكرية، فى المراحل الأولى من قيام «إتسل»، من نوعية متجانسة، الأمر الذى أثر على تطور التنظيم وساعد على توسيع الهوة مع الهاجاناه. فقد تزعم إتسل عند قيامها «أو بيرت بيتكر» الذى قدم إلى فلسطين حديثاً من شنغهاى فى الصين، بعد أن شغل هناك منصب مندوب حركة بيتار، وكان بيتكر، وهو من مواليد روسيا ، قد انضم إلى جنود الجيش الأبيض ، الذين قاوموا الثورة البلشفية التى قادها لينين. ثم توجه بعد فشل

الجيش الأبيض، إلى الصين وأقام فى المنطقة الخاضعة للنفوذ البريطانى ، حيث أنضم إلى القوات البريطانية وترقى إلى رتبة كولونيل، ثم أصبح مندوباً لحركة بيتار فى الصين. ولدى وصوله إلى فلسطين فى فترة انشقاق «المنظمة ب» على نفسها، أصبح من الشخصيات العسكرية الأوفر حظا لقيادة المنظمة الجديدة على الرغم من أنه لم يكن يتقن اللغة العبرية وغير محيط بالواقع الفلسطينى وتطور «اليشوف اليهودى»، وقد استّن ، خلال فترة قيادته، رتباً عسكرية لعناصر «إتسل» وقادتها، وذلك لأضفاء مزيد من الروح العسكرية.

(ب) اعتبرت الهاجاناه عمليات «إتسل» هذ بمثابة إرهاب، وجرائم من شأنها إلحاق الضرر بالمشروع الصهيونى؛ وذلك لأنها تتيح للبريطانيين أن يتدخلوا فى شئون «اليشوف اليهودى». أما «جابوتينسكى» القائد الأعلى لاتسل، فيبدو أنه كان على خلاف مع مجموعة قيادة «إتسل» تجاه هذا الموضوع ولم يكن مستقراً على رأى واضح تجاهه ؛ إذ يجد المرء تناقضا، بين مواقفه المعلنة ورسائله المتعلقة بقضية ضبط النفس. ففى خطاب له فى وارسو، سخرمن هذه السياسة التى تنتجها الهاجاناه، مشبها الدور الذى يلعبه اليهودى، بموجبها بدور الفأر ومما قاله: تعلمون أن مجموعات من الأشخاص فى البلاد، بضعة آلاف مسئولون عن كسر «الهفلغاه»، تلك «الهفلغاه» التى قام فيها اليهود بدور الفأر ، فى حين كان العربى سيد البيت فى المدينة. لقد كان اليهود منهمكين فى إشعال الشموع تخليدا لذكرى الشهداء فقط. أما فى رسائله إلى قادة إتسل، وفى أحاديثه أثناء اجتماعاته معهم، فقد كان يتخذ موقفاً مغايراً؛ ففى أعقاب ارتكاب

جماعته عملاً فظيعاً ضد العرب، وجه تحذيراً «لدافيد رزيئيل» ، القائد الثالث لاتسل ، يقول فيه يجب ألا يتكرر ذلك ثانية. وأوصى بتحذير السكان العرب، ودعوتهم لإخلاء المنطقة المعرضة لعمل انتقامى. ولم يكترث رزيئيل المؤيد لكسر الهفلغاه بأمر القائد الأعلى، مما يدل على مدى استقلالية إتسل عن الحركة التصحيحية، ويتضح ذلك من تعليقه على تحذير قائده فقد قال: «من الواضح أن جابوتينسكى» لا يوضح لنفسه الشيء الذى يريد منّا القيام به. ربما ينصحنا بإبلاغ العرب سلفاً متى وأين بالضبط نعتزم الهجوم، أو بتقديم أسماء وعناوين المهاجمين إليهم!. وفى اجتماع له عقده فى شهر يونيو ١٩٣٧ ، مع مسئولين عن منظمته، لم يبد «جابوتينسكى» حماسا تجاه كسر الهفلغاه، وفق طريقة اتسل، فقد قال: «لا أعرف ما هى البطولة فى إطلاق الرصاص نحو ظهر فلاح يجلب الخضار على حمار، ليبيعها فى تل أبيب ، كما أنى لا أعرف ما هى الفائدة العامة من ذلك الأمر ويمكن القول أنه لم يكن متحمساً كثيراً لكسر سياسة الهفلغاه، بفعل عاملين:

١ ـ التخوف من أن يؤدى تعاظم الأعمال الأرهابية إلى تصفية إتسل على يد البريطانيين.

٢ ـ التخوف من تبعات النشاط الأرهابى على مساعيه السياسية الرامية لإقناع بريطانيا بإعادة بناء الفرقة اليهودية، على يد الجيش البريطانى.

ومن الجدير بالذكر، أن البعض من قادة إتسل العسكريين كان يشارك «جابوتينسكى» تخوفه من العامل الأول، وبخاصة عندما

كانت السلطات البريطانية تتخذ تدابير الحد من النشاط الأرهابى لاتسل ، مثل ابراهام شتيرن الذى دعا، فى وقت حرج بالنسبة للمنظمة، إلى الكف عن معارضة ضبط النفس واعتناق ما أسماه بالهفلغاه القومية.

(جـ) وأثناء تضييق الخناق على منظمة إتسل، وخلال انهماك السلطات البريطانية فى البحث عن مجموعة القيادة، وانشغال هذه الأخيرة فى قضية أساسية واحدة هى التستر عن أعين جهاز المخابرات ، برز أمامها موضوع، أو بالأحرى، مغامرة «الثورة المسلحة» كما تبلورت فى ذهن «جابوتينسكى» الذى بعث فى تلك الفترة بالذات، بعدة رسائل إلى قيادة منظمته بهذا الخصوص.

ولم تفاجأقيادة «إتسل» بالفكرة، بحد ذاتها وإنما فوجئت بتوقيت تنفيذها، فقد شرح «جابوتينسكى»، فى رسائله السرية لقيادة المنظمة بالتفصيل خطة الثورة المسلحة التى ستبدأ وفق خطته، فى شهر أكتوبر ١٩٣٩ بوصول سفينة تحمل مهاجرين يهود مع أسلحتهم بقيادة «جابوتينسكى» نفسه ، إلى المياه الإقليمية لفلسطين بالقرب من تل أبيب، وتقوم «إتسل» بضمان انزالهم إلى الشاطئ بقوة السلاح إذا اقتضى الأمر، وفى الوقت نفسه، تقوم جماعات من المنظمة بثورة مسلحة علنية تتم السيطرة خلالها على مبانى الحكومة فى القدس، ويرفع فوقها العلم العبرى. وتوصى الخطة باستمرار السيطرة على المبانى لمدة ٢٤ ساعة على الأقل، بغض النظر عن الخسائر، ويجرى خلال ذلك فى عواصم أوروبا الغربية وأمريكا، الأعلان عن إقامة حكومة يهودية مؤقتة.

وفى نفس الوقت الذى تلقت فيه مجموعة القادة الرسائل المذكورة، كانت تعيش أسوأ أيامها، إذ أصيب بشلل تام تقريبا، فى حين كانت قيادتها تشعر بالحلقة تضيق عنقها أثر اتساع حملة الاعتقالات. فى هذه الأجواء عقدت القيادة التى كانت تتألف من «شتيرن»، و«حايخمان «وكلعى و«لوفنسكى» و«الياف»، اجتماعا فى تل أبيب فى ٣١ أغسطس١٩٣٩، للتداول فى الخطة المذكورة لاتخاذ قرار بشأنها، وأثناء تداولها فى أحد بيوت تل أبيب، سيطر على جو الجلسة شكوك حول إمكانية نجاحها. ومع ذلك، فقد وافقت أكثرية القيادة، من حيث المبدأ، على الثورة المسلحة، كما اقترحها «جابوتينسكى»، ورأت فيها انسجاما مع خط إتسل والحركة التصحيحية. ولم يعارض الخطة سوى «أبراهام شتيرن» الذى اعتبرها مثابة ظاهرة تفتقر إلى الفائدة ، فضلا عن اعتقادها بأن صاحبها يريد منها، التخلص من خصومه السياسيين داخل إتسل. وبينما كانت القيادة تحاول إجمال ردها على جابوتينسكى ، فوجئت بقوات الأمن تقتحم الباب، لتسوقها إلى المعتقلات وتضعها إلى جانب دافيد رزيئيل الذى كان قد سبق زملاءه.

(د) ونظراً لمفهوم «إتسل» المتسق مع مقالات جابوتينسكى لتماثل المصالح بين الصهيونية والاستعمار البريطانى ، والمعتمد على توجيه ضغوطا سياسية ضد السياسة البريطانية تجاه القضية الفلسطينية، مصاحبة أحياناً بمظاهر العنف، للارتقاء بالعلاقات بين الطرفين الشريكين إلى أعلى درجة من التحالف. لم تجد كل من قيادة إتسل والحركة التصحيحية، عيباً أو حرجاً فى إحداث انقلاب جذرى فى موقفها السابق تجاه بريطانيا، لتنافس الحركة العمالية

والهاجاناه، من خلال الموقف الجديد، على كسب ود الاستعمار البريطانى عن طريق إقامة أوثق العلاقات مع أجهزته المختلفة، وعلى رأسها جهاز المخابرات؛ الأمر الذى تأتت عنه مبعثات خطيرة انعكست على تطور منظمة إتسل نفسها، وعلى العلاقات بين المنظمات العسكرية الصهيونية.

ومن بين العوامل التى ساعدت على حدوث النقلة الحادة فى موقف إتسل، وما استتبع ذلك من رفع الحلقة التى أخذت تضيق حول عنقها وانتشالها من حالة الشلل، اندلاع الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩.

٤ - المصير

(أ) استمرت إتسل تقود اعمالا تتصف بالتطرف وبالصراع مع الهاجاناه، وانتهى أمرها كسابقها بالتصفية داخل الجيش الإسرائيلي منذ الاستقلال.

(ب) وكان من أبرز قيادات إتسل التى تركت آثار فيما بعد فى السبعينيات والثمانينات مناحم بيجين زعيم تجمع الليكود فى نفس الفترة.

الفصل الثالث

منظمة «ليحى»

ثالثاً: منظمة ليحى

١ـ النشأة والتطور:

(أ) فى يونيو ١٩٤٠ أى بعد مضى قرابة عشرة أشهر على إندلاع الحرب العالمية الثانية، حدث إنشقاق خطير فى إتسل ، تمخض عن ولادة منظمة جديدة حملت فى بداية تكوينها، اسم «إتسل فى إسرائيل» أى المقاتلون من أجل حرية إسرائيل.

وهناك عوامل رئيسية وثانوية متداخلة تقف وراء الإنشقاق ، ومن أبرزها عاملان رئيسيان يتمثلان فى العلاقة مع كل من بريطانيا، والحركة التصحيحية.

ويبدو أن عملية تحديد العدو، والتحالف مع أعداء بريطانيا كانتا، فى ذلك الحين، تمران فى طور التبلور ، إذ لم يشدد أصحاب هذا الفريق على مسألة التحديد بقدر ما شددوا على مسألة المقابل الذى حققه «رزيئيل» بوقفه النشاط ضد السلطة البريطانية. إضافة إلى ذلك، فإن قضية التعاون بين المخابرات البريطانية وبين قسم خدمات المعلومات التابع لاتسل، التى تعد من الأسباب المساعدة

على تأجيج الخلافات بين الفريقين، لم تواجه، في بداية الأمر، بحزم من جانب فريق شتيرن، سواء عاد ذلك لعدم معرفة هذا الفريق بمدى ما قطعه التعاون من شوط بعيد، أم لرغبة كامنة في نفوس العديد من أعضائه في التخلص من السجن، وبخاصة أن فريق رزئيل كان يدعي أن علاقاته مع المخابرات البريطانية تستهدف إطلاق سراح قيادة المنظمة من المعتقلات. وهكذا فقد اكتفى فريق شتيرن بالمطالبة بوقف الاتصالات مع أجهزة المخابرات البريطانية بحجة أن «هذا الأمر ينطوي على خطورة».

(ب) كما لم تكن قيادة منظمة «إتسل» موحدة الرأي تجاه العلاقة مع الحركة التصحيحية، فعلى الرغم من أن القيادة كانت تجمع على ضرورة الحصول على المزيد من الاستقلالية عن الحركة التصحيحية، إلا أنها كانت تختلف حول النقطة التي يتوجب الوصول إليها، أو عدم تجاوزها، في الصراع من أجل الاستقلالية وقد انقسمت إلى فريقين، الأول تزعمه «رزئييل» الذي دعا للحصول على أكبر قدر من الإستقلالية ضمن إطار الحركة التصحيحية، والتف حوله أعضاء الحركة التصحيحية وأنصارها، بينما دعا الفريق الثاني بزعامة «شتيرن» الذي لم يسبق له أن كان عضوا في الحركة التصحيحية، أو «بيتار» للخروج من دائرة الارتباط بالحركة، بدعوى أن «المنظمة هي جيش، والجيش لا يمكن أن يكون تابعا لحزب ما».

ومن هنا عمل أنصار هذا الفريق على تجاوز تعليمات «جابوتينسكي» أكثر من مرة، وعلى تحدي زعامته، كما فعل «شتيرن» في بولونيا أثناء زيارته لها، بإجرائه اتصلات سياسية مع المسئولين هناك دون استشارة زعيم الحركة التصحيحية، علاوة على

محاولة غزو حركة بيتار فى بولونيا عن طريق إقامة خلايا سرية فى داخلها تابعة لإتسل.

ومما زاد من خطورة مساعى فريق «شتيرن» الرامية إلى استقلال المنظمة، مصاحبتها لعملية تبلور مواقف مغايرة للموقف العام للحركة التصحيحية حول جملة من القضايا السياسية والفكرية. وهناك من يضيف إلى العوامل المساعدة عامل الصراع الشخصى بين رزيئيل وشتيرن، حول قيادة المنظمة، ومع أن هذا العامل قائم، بيد أن هناك من يبالغ فى حجمه، وخصوصا بين أوساط الحركة التصحيحية.

(جـ) وفى ١٦ يونيو ١٩٤٠ تم الإفراج عن مجموعة القيادة من سجن المزرعة، وغداة اليوم التالى انعقد ، فى تل أبيب ، جلسة عاصفة صاخبة لقادة المنظمة. لم يتمكن فيه رزيئيل من تبرير نشاطه، واعترف بفشله كقائد، واستقال من منصبه. ولم تفوت مجموعة القيادة الفرصة، فانتخبت «إبراهام شتيرن» رئيسا للقيادة، وعينت «حانوخ كلعى» قائدا لمنطقة القدس، و«أهارون حايخمان» قائدا لمنطقة تل أبيب و«حاييم لوفينسكى» عضو قيادة. وبعد مضى حوالى أسبوع أشفعت إجراءاتها التنظيمية ببيان سياسى يحمل رقم ١١٢، عممته على أعضاء المنظمة.

ويعتبر هذا البيان الخطير بمثابة إنقلاب على زعامةجابوتينسكى والحركة التصحيحية، فضلا عن كونه يشكل توجها جديدا حادا فى مسار المنظمة، وقد جاء فيه:

١ـ تعيش إتسل وتقاتل بالسلاح لإنشاء ملكوت إسرائيل فى حدودها

التاريخية، وعلى عناصرها التهرب بكل الوسائل من أى تجنيد أجنبى.

٢ـ تقيم إتسل تحالفات مع الإسرائيليين وغيرهم، ولكنها لاترهن حريتها. ولايمكن لها، فى أى حال من الأحوال، أن تصبح أداه بيد حليفها مقابل المساعدة التى يقدمها الأجانب، كما وأنها لاتتحالف مع إنهزامى الهاجاناه، إن دفاعنا هو الهجوم وحربنا فى مناطق العدو.

٣ـ تخضع إتسل لقادتها الذين يوجهونها للقتال.

وقد حاول القائد الأعلى لإتسل «جابوتينسكى» رأب الصدع فى المنظمة إلا أنه أصيب فى الثالث من أغسطس ١٩٤٠ فى نيويورك بنوبه قلبية أودت بحياته، ونزل الخبر على أنصاره نزول الصاعقه، وأثار الانفعال لدى الكثيرين، حتى بين صفوف خصومه. فقد تأجج الصراع، وأصبح من غير الممكن إعادة الوحدة بين الطرفين، بسبب البلورة الحادة التى حدثت داخل صفوف فريق رزيئيل، والتى نجمت عن سخط الكثيرين من أعضاء إتسل الموالين للحركة التصحيحية وحزنهم على موت جابوتينسكى. وقد استغل هؤلاء الموت، مشيعين أن موقف مجموعة القيادة هو الذى تسبب فى إصابة القائد الأعلى بنوبة قلبية، وذلك فى الوقت الذى كشفت فيه مجموعة القيادة، فى حملتها المضادة، النقاب عن بعض الأسرار الخاصه بالتنظيم مثل قيام فريق رزيئيل بتسليم وثائق تخص مؤسسات يهودية إلى المخابرات البريطانيه.

(د) وخلال الفترة التى.جرى الإنشقاق فيها، والتى استغرقت بضعة أشهر، انقسمت الفروع جميعها على نفسها.

ومن الملاحظ أن فريق شتيرن استقطب، فى بداية الأمر، أكثر ضباط الفروع، وتنافس مع فريق رزيئيل حول إستقطاب الأعضاء. ومن الملفت للنظر أن كفتى الميزان لم تهدأ خلال هذه الفترة. فقد كان الميزان يهتز يوميا تقريبا نتيجة عملية الإنضمام بهذا الفريق أو ذاك؛ أو الإنسحاب منهما، بيد أن الأخطر من ذلك كان الصراع المرير الذى حدث بين الفريقين حول إقتسام الأسلحة، ذلك أن الإنشقاق الجديد غير المتفق عليه يختلف عن إنشقاق «المنظمه ب» الذى كان قد اتفق عليه سلفا مما ساعد فى تأجج حدة الصراع حول الأسلحة وفى عدم التمكن من التوصل إلى إتفاق حولها. هذا فضلا عن الرغبة القوية لدى فريق شتيرن فى الحصول عليها جميعها، إعتقادا منه بأنه صاحب المنظمه الوحيده التى تقاتل البريطانيين. وبالتالى فإنه أحق من الفريق الآخر بالإحتفاظ بها. وكذلك الرغبة القوية لدى فريق رزيئيل فى منع حصول الفريق الآخر عليها لأنها تقوى من خصمه.

ونتيجة لاستمرار النزاع بين الطرفين، وجدت منظمة إتسل نفسها، بشقيها، فى نهاية سنة ١٩٤٠، قد فقدت أكثرية عناصرها، إذ خرج منها حوالى ١٥٠٠ عنصر من مجموع ٢٥٠٠، وقد تطوع معظم المنسحبين فى الجيش البريطانى وانضم عدد آخر منهم إلى الهاجاناه، وفضل البعض الخروج نهائيا من التنظيمات العسكرية وتقاسمت كل من إتسل وليحى العدد الباقى. وأحرزت الأولى قصب

السبق فى هذا المجال بفضل قوة الشرعيه وكذلك بسبب المطاردات التى عانت منها ليحى على يد البريطانيين بدعم من مخابرات إتسل، حيث امتلكت حوالى ٨٠٠ عنصر، بينما كان لدى فريق شيترن حوالى ٢٠٠ عنصر.

ويبدو للوهلة الأولى أن الإنشقاق فى إتسل جاء لمصلحة الهاجاناه المنافسة لها بإعتبار أنه ينطوى على إضعافها وإدخالها فى طور التفسخ الذى من شأنه أن ينهيها أو يدفعها للوحدة معها لتبقى، فى ساحة «الييشوف اليهودى»، منظمة عسكرية واحدة ، وهو أمر لم يحدث بعد ذلك.

(هـ) وعقب البيان الشهير الذى أصدرته مجموعة القيادة العامة بزعامة شتيرن والذى يحمل الرقم (١١٢) وبعد الصراع المرير مع الحزب التصحيحى وفريق رزيئيل المدعومين من جابوتينسكى القائد الأعلى لإتسل، لم تتمكن مجموعة القيادة من الاستمرار فى الإدعاء بأنها تمثل القيادة الشرعية للمنظمة، لذا عمدت فى شهر سبتمبر ١٩٤٠ إلى إصدار البيان رقم واحد مختارة إسما جديدا لها هو «المنظمة العسكرية القومية فى إسرائيل» (كاختصار : إتسل فى إسرائيل) تميزا لها عن الاسم السابق: «المنظمة العسكرية القومية فى أرض إسرائيل) ثم ما لبث الإسم أن تغير، بعد حوالى عام ونصف العام ، إلى (ليحى)وهو اختصار للكلمات العبرية الثلاث «لوحامى حيروت يسرائيل» (المحاربو ن من أجل حرية إسرائيل) .

أعلنت مجموعة القيادة فى بيانها رقم واحد عن «أبعاد المسؤلين عن الإنهزامية والفشل» وعن أن المنظمة الجديدة «إتسل فى إسرائيل»

هى «الممثل الوحيد لليهودية المقاتلة». وهدفها «أن تشكل بأسرع وقت ممكن، وبجميع الوسائل، عاملا يكون بمقدروه السيطرة على البلاد بقوة السلاح».

٢ـ العمليات الإرهابية:

(أ) إنهمكت «ليحى»، عقب صدور بيانها الأول، بالتفكير فى صياغة مبادئ جديده تكون بمثابة برنامج سياسى يهتدى به الأعضاء فى نشاطاتهم الجديدة. ويبدو أن مجموعة القيادة وجدت خزينتها شبه خاوية بعد أن ذهبت معظم أموال الخزينة إلى فريق رزيئيل. فاضطرت إلى تدشين عملياتها بأعمال السطو. بالفعل قامت بسلسلة من أعمال السرقة الصغيرة غير الصارخة، وأشفعتها، بعد ذلك، بعملية كبيرة . فقد قام أفرادها، فى منتصف سبتمبر ١٩٤٠، بالسطو على البنك البريطانى الفلسطينى فى تل أبيب.

خلال الفترة السابقة، استخدمت «ليحى» سلاحها ضد البريطانيين وضد عناصر يهودية، ففى أعقاب مصرع شتيرن جرت ثلاث محاولات إنتقامية ضد رجال الأمن البريطانيين. وجهت الأولى فى النصف الثانى من أبريل١٩٤٢ ، ضد ماككونل قائد شرطة القدس بوضع متفجرات فى سيارته، ونجا الضابط من الانفجار الذى أودى بحياة شرطى عربى. وفى اليوم نفسه، جرت المحاولة الفاشلة النازية ضد المسؤل الرئيسى لشرطة فلسطين، بوضع مواد متفجرة جرى اكتشافها قبل تفجيرها بالقرب من بيته. وبعد مضى قرابة عشرة أيام، جرت المحاولة الثالثة ضد الضابط البريطانى «مورتون» قاتل «شتيرن»، بنصب لغم لسيارته أسفرعن إصابة السيارة بأضرار دون إصابة الهدف.

نتيجة لمحاولات الأغتيال الفاشلة، عززت السلطات البريطانية من حملتها التصفوية ضد أنصار المنظمة ، الأمر الذى دفعها لإصدار تعليمات ، تنص على ضرورة احتفاظ العنصر بسلاحه (مسدس) طوال اليوم، وعدم تسليم نفسه للشرطة فى حالة الاصطدام معها.

ولا شك بأن عنصر ليحى أصبح ، بفعل التعليمات ، لا يتميز عن عناصر المنظمتين الأخريين بالحذر والإحساس الدائم بالخطر فقط، بل أخذ يكتسب، أكثر فأكثر، مبدأ الاغتيالات الشخصية.

وفى الوقت الذى واجهت المنظمة فشلا، فى محاولاتها الرامية لوضع حد لحياة عدد من رموز السلطة البريطانية، بينما نجحت فى مجال تصفية عناصر يهودية، فقد صفت اثنين من عناصرها الأول هو «إبراهام فيلنتسك» من أوائل المنضمين إلى فريق شتيرن ومن أوائل المعتقلين، وقد صفى عقب الإفراج عنه فى النصف الثانى من فبراير ١٩٤٣ بتهمة الخيانة، والثانى هو «الياهو حلعاوى» زميل «إسحاق شامير» ومنافسه، وجرت تصفيته بتهمة المغامرة. كما صفت شخصا ثالثا ليس من عناصرها، هو «يسرائيل برتيسكر» الذى شغل منصب رئيس مخابرات إتسل لفترة، وصفى هذا فى الثالث من سبتمبر ١٩٤٣ بتهمة مساعدة البريطانيين فى إلقاء القبض على عناصر المنظمة.

وكان من نتائج تعاظم أعمال الإغتيالات، أن عرضت المنظمة نفسها لملاحقة أجهزة الأمن البريطانى ومطاردتها، فى وقت كانت أحوج ما تكون إلى تنظيم نفسها، بعد أن عادت للحياة من جديد فى جو معاد لها وسط «الييشوف اليهودى»، حيث اعتقل العديد من

عناصرها، الذين كان من بينهم، أحد قادتها، «يسرائيل الداد»، الذى أودع المعتقل، وأفلت منه بعد عام تقريباً. ومع ذلك ، فقد استغلت المنظمة واقع مثول عناصرها أمام المحاكم لبث أفكارها ومبادئها، واستحدثت بذلك سلاحا جديدا فى نضالها، حيث كان أعضاؤها لا يتوقفون عند التهم الموجهة إليهم، ولايولونها اهتماما وإنما كانوا يركزون على عدم شرعية محاكمتهم، ليسهبوا، بعد ذلك، بطرح أفكار منظمتهم ومبادئها. ولم ينطو هذاالأمر على خدمة المنظمة إعلاميا وتعزيز صورة أفرادها فى نظر البعض من شرائح التجمع اليهودى، فقط بل انطوى أيضاً على تميزها عن التنظيمات الصهيونية اليهودية فى هذا المجال.

(ب) فى السادس من نوفمبر ١٩٤٤ ، نجحت «ليحى» فى اغتيال وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط اللورد موين، بالقرب من منزله فى القاهرة، وفق خطة رسمها إسحاق شامير وأعدها بدقة منذ مدة طويلة. وكما استغلت الهاجاناه وجود متطوعين يهود فى الجيش البريطانى لأغراض صهيونية بحتة مثل تسهيل النشاط الصهيونى فى الشرق الأوسط، وتهريب مهاجرين يهود إلى فلسطين ومن بينهم مجندون يهود فى القوات البولونية، استغلت «ليحى»، هى الأخرى، وجود متطوعين يهود فى القاهرة فى أعداد خطة الاغتيال. وأرسلت اثنين من عناصرها فى فلسطين هما «الياهو حكيم» و«إلياهو بيت تسورى» إلى خليتها العسكرية فى القاهرة التى كانت تنشط فى مجال تهريب الأسلحة البريطانية لتنفيذ الخطة.

وجرى التنفيذ عقب مضى أسبوعين على الإجراء البريطانى الخاص بإبعاد أعداد من إتسل وليحى إلى أرتيريا. لم يتمكن

العنصران من الهرب وإنما ألقى القبض عليهما ومثلا أمام محكمة، أصدرت بحقهما حكم الأعدام الذى نفذ فى الثامن والعشرين من مارس ١٩٤٥ . ولم يكن نصيب بعض أفراد الخلية العسكرية المغروسين فى القاهرة بأفضل من مصيرهما، فقد ألقت سلطات الأمن البريطانى القبض على أحد المسؤلين وأودعته السجن بعد أن أعترف بتفاصيل الخطة، ثم مالبث بعد مضى ثمانية شهور أن انتحر. كما ألقت القبض على جندى يهودى خدم فى سلاح الطيران وفر بعد العملية إلى فلسطين مع مجند آخر عضو فى مخابرات ليحى، بفضل تعاون المجند معها مقابل تمكينه من الهجرة خارج فلسطين، ونفت الجندى المتهم إلى أرتيريا، بينماتمكنت ليحى من تصفية رجل مخابراتها المتعاون مع السلطات البريطانية قبل أن ينجح فى مغادرة فلسطين .

لم تصدر ليحى بيانا حول هذه العملية التى تعد أخطر عملية قامت بها أثناء سنوات قيامها. بل إلتزمت جانب الصمت واكتفت بنشر تعميم داخلى سرى على عناصرها.

اتهمت فيه اللورد موين، أثناء تسلمه منصب رئاسة المستعمرات فى العامين ١٩٤١ و ١٩٤٢ ، بوضع العراقيل أمام الهجرة اليهودية. والتسبب فى «كارثة شروما»، سفينة المهاجرين غير الشرعيين التى غرقت، ورفض فى خطاب له أمام مجلس اللوردات وجود «جنس يهودى نقى»معتبرا أن اليهود هم خليط من شعوب عدة.

وكانت «ليحى» قد تطرقت، قبيل العملية ، إلى اللورد موين، فى بيان لها أصدرته حول عملية الإبعاد إلى أرتيريا، اتهمته فيه بمحاباة

العرب بإقتباسها قولا ورد فى إحدى خطبه، «إن العرب الذين عاشوا، وقبروا موتاهم فى فلسطين، على امتداد خمسين جيلا، لن يسلموا بلدهم إلى اليهود عن طيب خاطر».

أما فى بياناتها اللاحقة ، فقد ركزت ليحى إلى جانب «خيانته» للمشروع الصهيونى ، على سخرتيه من الإتفاق الصهيونى النازى الذى أبرم فى هنجاريا بين «يوثيل براند» ، من نشيطى لجنة الإغاثة والإنقاذ اليهودية فى هنجاريا وبين «أدولف إيخمان» المسئول عن تصفية أعداد كبيره من اليهود، بخصوص تخليص الجاليه اليهودية وتهجيرها مقابل حصول الجيش الألمانى على عشرة آلاف شاحنة من دول الحلفاء، وقوله لبراند «ماذا أفعل بمليون يهودى؟» .

ومع مرور الوقت، أخذت تضيف فى بياناتهاعامل مقاومة الاستعمار كدافع لها لوضع حد لحياة أحد أركان الاستعمار البريطانى تمشيا مع مقولتها القائلة بضرورة محاربة الاستعمار البريطانى ، وليس «الإدارة البريطانية السيئة» فى فلسطين، كما تركز مقولة إتسل .

٣- الأيديولوچية والخط السياسى .

(أ) أبرز السمات الخاصة بمنظمة ليحى كان العداء للتعاون مع بريطانيا، وكان لوقف «رزيئيل» نشاط إتسل ضد الإدارة البريطانية فى فلسطين عند إندلاع الحرب، ووقوفه إلى جانب بريطانيا، أثرها العميق على قيادة المنظمة، فقد عارضت مجموعة القيادة، بزعامة «إبراهام شتيرن» ، هذا التوجه بقوه لسببين:-

الأول: يعود إلى عدم حصول «رزيئيل »على أية مكاسب سياسية مقابل تنازلاته .

والثانى: وهو الأهم ، يتعلق بفهمه المغاير لطبيعة العدو وتحديده له.

ففى الوقت الذى اعتبر فيه «رزيئيل» أن العدو الأساسى، فى تلك الفترة، يتمثل فى ألمانيا، مما يستدعى الوقوف إلى جانب بريطانيا، رأت مجموعة القيادة غير ذلك، إذ أجمعت على ضرورة عدم الوقوف إلى جانب بريطانيا وعلى شجب «الهفلغاه» تجاهها. بينما اعتبرها فريق من مجموعة القيادة، بزعامة «شتيرن» بمثابة العدو الرئيسى محدثا بذلك انقلابا فى تحديد العدو، حيث لم يعد العرب، مع مرور الوقت، العدو رقم واحد للحركة الصهيونية وفق ما ترعرعت عليه إتسل، بل «السلطة البريطانية كسلطة عربية فى البلاد وأصبح العرب، وفق التقويم الجديد، مجرد مشاغبين».

ومن هنا لم يجد شتيرن وفريقه، بعد أن اعتبروا الحرب بمثابة فرصة للنضال ضد البريطانين، ما يعيب النضال من خلال التحالف مع دول المحور ضد ما اعتبروه العدو الرئيسى. ورأى أنصار هذا الفريق ، فى موقف رزيئيل المفوت لهذه الفرصة خيانة، كما عبر عن ذلك الدكتور «يسرائيل الداد»، من أنصار «شتيرن» ، بطرح الخلاف بين الفريقين على الوجه التالى: «هدنه مع السلطة البريطانية بدون شروط، أو محاربة السلطة البريطانية فى كل ظرف». ليصل إلى أن الهدنة مع البريطانيين، أو انتهاج سياسة المفاجأة تجاههم، كما فعل رزيئيل ، بمثابة خيانة.

(ب) ومن الملاحظ هنا، أن المنظمة الجديدة لم تربط تبرير قيامها ووجودها بالخلافات فى وجهات النظر التى قامت بينها وبين

الحركة التصحيحية فقط، بل أيضاً، بعاملين آخرين عدتهما أكثر أهمية، وأضفت عليهما، مع مرور الزمن، أهمية خاصة. وهذان العاملان يتمثلان، فى اعتقادها، بكونها المنظمة الوحيدة، على الصعيد التنظيمى، غير الخاضعة لمؤسسة حزبية، والوحيده، على الصعيد الأيديولوچى، الداعيه إلى«الصهيونية المقاتلة» فى الوقت الذى تعتنق فيه الهاجاناه أيديولوجية «الصهيونية المقاتلة العملية» وتسير فيه إتسل وفق ايديولوچية «الصهيونية السياسية». ومن هنا اعتبرت نفسها ولو نظريا، وذلك لعدم ارتباطها بأى حزب داخلى، المنظمة الوحيده المؤهلة أكثر من غيرها لتمثيل التجمع اليهودى بأسره والقادرة على زجه فى أسلوب نضالى صهيونى جديد مغاير لأسلوبى المنظمتين الأخريين.

ومع ذلك فهناك رفض من التجمع اليهودى الإستيطانى من تطبيق فكرة «الصهيونية المقاتلة» الموجهه ضد الإستعمار البريطانى كبديل للصهيونية العملية أو السياسية، إدراكا منه للعلاقة الجدلية القائمة، بين وجوده والوجود البريطانى فى فلسطين.

(جـ) وأخذت المنظمة، بدعم من المبالغ المسروقة، تنشط فى مجال الأهداف «السامية»، على حد قولها، والمتمثلة فى إصدار مجلة داخلية تحمل اسم (فى العمل السرى) وفى ترويج «مبادئ البعث» التى اشغلت مجموعة القيادة نفسها بها لمدة، لتكون بمثابة برنامج سياسى للمنظمة. والحقيقية أن هذه المبادئ المكونة من ثمانية عشر بندا كانت أقرب إلى الشعر المنثور، أو إلى الشعارات ، منها إلى برنامج سياسى. ولا غرابة فى ذلك إذ أن كاتبها شتيرن كان شاعرا حالما قبل أن يكون قائدا سياسيا. فالبند الذى يتطرق إلى الشعب

يعرفه كالتالى: «شعب إسرائيل هو شعب ممتاز، خالق دين الوحدانية، ومشرع أخلاقيات الأنبياء وحامل حضارات العالم، عظيم التقاليد والبذل، وفى إرادته الحياة وقوه الإحتمال وطول النفس، والثقه والخلاص». أما الوطن فيعرف كالتالى: «الوطن هو أرض إسرائيل فى حدودها المفصلة فى التوراه.. هى أرض الحياة، يسكنها بأمان الشعب العبرى كله». والشعب والوطن «بالسيف إحتل إسرائيل أرض إتسرائيل، فيها أصبح شعبا، وفيها يعود للبعث.

لذا فإن إسرائيل وحده فقط يتمتع بحق امتلاك أرض إسرائيل. هذا الحق مطلق، لم ينتف ولن ينتفى أبداً، والهدف:

١ ـ إنقاذ البلاد .

٢ـ قيام المملكة .

٣ ـ بعث الأمة، والتحالف«عقد تحالف مع جميع المعنيين بنضال المنظمة، المستعدين لمساعدتها بشكل مباشر». ومصير السكان العرب الفلسطينين يحدد كالتالى:«حل قضية الأجانب بواسطة التبادل السكانى».

(د) ويبدو أن العلاقة الصهيونية الفاشية كادت تصل، فى نموها وتطورها، إلى درجة منح النظام الفاشى«وعد بلفور» جديد للحركة الصهيونية. ومن بين المؤشرات الدالة على ذلك حديث الصحيفة الناطقة باسم «موسولينى» عن إمكان قيام دوله يهودية فى فلسطين. فقد جاء فى الصحيفة المذكوره «ليس وطنا قوميا، فهذا إصطلاح غامض يفتقر تماما إلى أى معنى سياسى ، بل دوله حقيقية» . بيد

أن إشتداد التمحور الاستعماري الأوروبي ، ووضع الحركة الصهيونية ثقلهاإلى جانب أحد المحاور أثر على العلاقات بين الطرفين. حيث عادت إيطاليا الفاشية، في أواخرالثلاثينيات. وأخذت تردد ما كانت قد اعتادت على ترديده في بداية العشرينات، بأن الحركة الصهيونية أداه بيد الاستعمار البريطاني.

من خلال هذا السياق التاريخي يمكن لنا الإطلاله على موضوع إتفاق القدس الذي شكل المحاولة الأولى من قبل فريق شتيرن لإحداث اتصالات مع دول المحور.

قبل أشهر من إنشقاق إتسل بشكل نهائي ، وفي أثناء الخلافات التي حدثت بين قادتها حول موضوع التحالفات، قدم «موشي روتشتاين»، أحد المسؤلين في «المنظمة ب» خلال فترة قيامها ، وأحد المقربين إلى جهاز قسم خدمات المعلومات التابع لإتسل، اقتراحا إلى القيادة يدعوها للاتصال بعملاء المخابرات الإيطالية التي يقيم اتصالات معها، للتوصل إلى اتفاق بين إتسل والنظام الفاشي في إيطاليا، يعتمد على إقامة نظام فاشي في فلسطين وعلى دعم دخول الإيطاليين إليها، مقابل الحصول على السلاح وإعلان فلسطين دولة يهودية، ووصل الاقتراح إلى آذان مجموعة القيادة وهي في السجن، عن طريق «رزيئيل» ، الذي لم يبد حماسا له خلافا للمجموعة المذكورة.

وعقب عملية الانشقاق، عاد الوسيط ثانية وعرض رغبة الإيطاليين على جناحي إتسل. ويبدو أن فريق رزيئيل رفض التباحث معه. ويشتم ذلك من تباهي «يعقوب مريدور»، خليفه

«رزئيل»، عقب اعتقال البريطانيين له فى فترة متأخرة، قوله أمامهم: «إن منظمته رفضت باشمئزاز اقتراحات جدية للحصول على أسلحة ومبالغ ماليه ضخمة من جانب إحدى دول المحور» . ولم يكن الأمر كذلك لدى فريق شتيرن الذى استمر فى التباحث مع الوسيط على الرغم من الشكوك الى أخذت تحوم حوله عقب حصول مخابرات إتسل على وثائق من أحد قادة الهاجاناه فى حيفا تشهد على أن «الوسيط» أبلغ الهاجاناه عن اتصالاته مع إتسل. وقد أسفرت جهود الوسيط عن اتفاق يعرف باسم: (اتفاق القدس) ١٩٤٠ . وسلمت قيادة «إتسل فى إسرائيل» الوسيط صيغة الاتفاق لإرسالة إلى السلطات الإيطالية.

ويرتكز الإتفاق المكون من اثنين وعشرين بندا على محاربة النفوذ البريطانى فى فلسطين ومنطقة البحر الأبيض المتوسط انطلاقا من المصالح المشتركة التى تجمع بين الطرفين. فقد تعهد الطرف(أ) (الفاشى) بدعم قيام دولة عبرية فى فلسطين وشرق الأردن على أن تكون القدس القديمه والأماكن المقدسه خاضعة للكنيسة الإيطاليه. وتعهد الطرف (ب) (إتسل فى إسرائيل) بالتعاون مع إيطاليا فى مجالات عده. ومن الملاحظ ، فى بعض البنود، رغبة شتيرن وفريقه فى إحداث اتصالات مع الحلقة الأقوى فى دول المحور، ألمانيا النازيه، عن طريق إيطاليا. فالبند الثامن عشر يدعو إلى أن يبذل الطرف(أ) من ناحيته كل الجهود لإقامة علاقات سياسية ودبلوماسية بين الأطراف المرتبطة به بإتفاقيات تبادلية، وبين الطرف (ب) من أجل الإسراع فى عقد إتفاق بينهم. على غرار هذا الاتفاق.

تقديم المساعدة لألمانيا النازية. فقد تعهد الطرف (ب) بـ «تقديم مساعدة للطرف (أ) فى الشكل والوقت اللذين يحددهما الطرفان» ومن الطريف هنا الوقوف فى البند السادس عشر المتعلق بالعلاقات مع العرب، حيث نص على ما يلى:«يتعهد الطرف(أ) بالحصول على موافقة دول الشرق على إقامة الدولة العبرية، ويتعهد الطرف (ب) من ناحيته بتقديم مساعدات للعرب على شكل إرشادات لتطوير الكنوز الطبيعية فى العالم العربى.»

بعد التوقيع على الأتفاق بالحروف الأولى من جانب بعض الأشخاص من فريق شتيرن، أصر الوسيط على توقيع هذا الأخير عليه، قبل التوقيع النهائى للسلطات الإيطالية، الأمر الذى آثار شكوك شتيرن وجماعته، فرفض التوقيع خشية أن تكون المخابرات البريطانية وراء الاتفاق.

ومع مرور الوقت إتضح أنه لا علم لإيطاليا بالموضوع لا من قريب أو بعيد، وأنه من صنع المخابرات البريطانية والهاجاناه ورئيس قسم خدمات المعلومات التابع لإتسل وذلك بهدف معرفة مدى استعداد الطرف (ب) للتحالف مع دول المحور، والتصرف على ضوء ذلك ضده. وليس من المستغرب أن تكون لعبة إتفاق القدس ١٩٤٠ من بين الأسباب التى دفعت المخابرات البريطانية إلى قتل شتيرن بعد حوالى عام، بدم بارد، وسط اغتباط أوساط يهودية كبيره من بينها الهاجاناه، للتخلص من «رئيس العصابة» الذى حاول الاستعانة بـ«الجزار» ضد «العدو».

على الرغم من فشل التحالف مع الإيطاليين عن طريق الوسيط المزعوم وتبعاته على «إتسل فى إسرائيل» أقدم شتيرن وبإصرار على القيام بمحاولة جديدة للاتصال بألمانيا النازية بالذات فى محاولة لتطبيق البند الثامن عشر من إتفاق القدس بشكل مباشر . فقد أرسل ، بعلم مجموعة القياده، مبعوثا خاصا إلى بيروت يتقن لغات عدة، يدعى نفتالى لوبينسكى وهو أحد نشيطى المنظمة للاجتماع بالمسؤولين عن جهاز المخابرات الألمانية إبان عهد فيشى. وتمكن فى أواخر سنة١٩٤٠ من الاجتماع بضابط المخابرات النازى «أوتوفون هنتج»، الموفد إلى الشرق الأوسط خصيصا فى مهمة استقصاء الأوضاع السياسية والعسكرية فيه. ومن الطبيعى ألا تتم الصفقة بالسرعة التى توخاها المبادرون بها. فقد كان الضابط النازى صريحا أمام موفد شتيرن ، ويتضح ذلك من قوله له، بعد أن عرض عليه الوفد التحالف مقابل تعهد ألمانيا بدعم قيام دولة يهودية فى «أرض إسرائيل» أنه «على الرغم من وجود أناس معتدلين مثله على استعداد للتفاوض معنا، فإن للحكومة الألمانية موقفا متطرفا تجاه اليهود، ولا يعتقد إنهم سيتباحثون معنا». ولكنه أبقى باب المفاوضات مفتوحا بعدم استبعاده إمكانية قيام دولة لليهود. ولكن ليس فى فلسطين بل فى جزيرة مدغشقر . إلا أن شتيرن رفض الفكرة. ودعا مبعوثه للاستمرار فى المفاوضات التى تمخضت ، فى نهاية الأمر، عن إرسال مذكرة إلى الحكومة النازية فى برلين عن طريق ضابط المخابرات النازى فى بيروت. تحتل صفحتين، وتحمل عنوان«الخطوط الأساسية لاقتراح المنظمة العسكرية القومية فى فلسطين بخصوص حل القضية اليهودية فى أوروبا والمشاركة الفعالة لإتسل فى الحرب إلى جانب ألمانيا».

لم يكن حظ مذكرة «إتسل فى إسرائيل» بأفضل من حظ إتفاق القدس، فقد وصلت إلى عنوانها فى برلين، لتحتل مكانا لها فى الأرشيف النازى ، وذهبت آمال نفتالى وجهوده من أجل تلقى الإجابة أدراج الرياح .إذ سقطت حكومة فيشى فى سوريا بيد قوات الحلفاء فى يونيو ١٩٤١ ، وسقط معها «نفتالى» فى قبضة المخابرات البريطانية التى أودعته السجن.

لم يؤثر فشل المحاولتين على عزيمة قيادة «إتسل فى إسرائيل» ولم يحل دون مواصلتها السعى بكل الوسائل الممكنة للاتصال مع ألمانيا النازية. فعلى الرغم من انحسار ظلال نفوذ دول المحور عن سوريا ولبنان، وما يستتبع ذلك من صعوبة فى اللقاء، أقرت القيادة فى أواخر سنة ١٩٤١ ، مهمة جديده أغيطت «بناتان يلين» - (اسمه فى ذلك الحين ناتان فريدمان يلين) الذى قدر له ، فيما بعد، شغل مركز رئيسى فى ليحى، وكانت المهمة ذات شقين: الأولى، وهو الأساسى، ويقضى بالتفاهم مع الألمان حول خطة مشتركة توضع وفق روحية المذكرة المرسلة من بيروت إلى برلين، الآخر ثانوى ويرتهن تنفيذها بنجاح الشق الأول، يتلخص فى إحداث اتصالات مع دول البلقان والجاليات اليهودية فيها لتشجيع الهجرة إلى فلسطين.

بهذه المحاولة الفاشلة ، توقفت جهود فريق شتيرن للوصول إلى ألمانيا النازية، وبقيت ، إلى جانب كونها نقطة إتهام كانت تعمد المنظمات المنافسة لليحى إشهارها فى وجهها حينما تشاء، مثار جدل بين المؤرخين الصهيونيين. ففى الوقت الذى يركز فيه المؤرخون والدارسون من غير المتعاطفين مع المنظمة على مأساوية

الاتصالات مع النازيين الناجمة عن التصورات الخاطئة لقائد المنظمة، يركز المتعاطفون فى المقابل، على واقع مأساة مصرع شتيرن وهو يحاول خدمة المشروع الصهيونى ، إنطلاقا من فهمه الخاص. ويسرد هؤلاء وقائع تاريخية تشهد على تعاون عدد من قادة الحركة الصهيونية مع أشخاص معروفين بعدائهم لليهود، كإجتماع «هرتسل» مع الوزير القيصرى «بليفه»، المسؤول عن المجازر ضد اليهود فى روسيا القيصرية ، وتوقيع «جابوتينسكى» على اتفاق مع «بيتليورا» المعروف بعدائه لليهود إبان الثورة البلشيفيه فى روسيا، وتعاون «حاييم وايزمان» مع «موسولينى» فى مجال الصناعة الكيماوية فى إيطاليا ، واتفاق «النقل» الذى أبرم بين رئيس الدائرة السياسية فى الوكاله اليهودية، الدكتور حاييم أرولوزوروف، وبين السلطات النازية، ليخلصوا من ذلك، بأن شتيرن لم يحد فى جهوده الحثيثة لعقد تحالف مع النازيين، عن الطريق الصهيونى، مركزين على أنه يسعى ويرمى إلى خدمة المشروع الصهيونى إسوة بالذين سبقوه.

٤- المصير:

(أ) عكست محاولات شتيرن السرية لعقد تحالف مع ألمانيا النازية نفسها على تطور المنظمة وأثرت، بشكل كبير، على بنيتها. فقد تبلورت وتجسدت بنيتها التحتيه المشكلة من الأعضاء الذين يجهلون تلك المحاولات، نتيجة تعرضهم، لما تصوروه، لحملة ظالمه تصورهم بالطابور الخامس بشنها ضدهم، إلى جانب المخابرات البريطانية، أعضاء الهاجاناه، وكذلك رفاق الأمس فى إتسل. وفى

الوقت نفسه، ولأسباب عدة، حدث تفكك بين صفوف القيادة المحيطة بالمحاولات السرية. بيد أن الأخطر من ذلك كان تمهيد تلك الجهود الطريق لتعريض المنظمة إلى أعمال المطاردة والملاحقة التى وصلت إلى حد التصفية على يد المخابرات البريطانية، وقد تم ذلك بدعم من جانب الهاجاناه بواسطة قوات البلماح [١] ومؤازرة مستتره من جانب أوساط فى إتسل.

عقب الانشقاق، وبعد أن فرغ فريق شتيرن من تنظيم نفسه، كان من المفترض أن يتوجه نشاطه، على شكل عمليات عسكرية ، ضد ما اعتبره العدو الأساسى، إلا أنه لم يفعل شيء يذكر فى هذا المجال، فقد إنغمس فى مجالات التنظير والترويج «مبادئ البعث» إضافة إلى قيامه بسرقات صغيره هنا وهناك، وسط محاولاته السرية للتحالف مع ألمانيا النازية . وقد حدث هذا دون أن تقوم المنظمة بأى نشاط عسكرى ضد البريطانيين، الأمر الذى أثر كثيراً على الأفراد وعلى بعض المسؤلين الذى أخذوا يتساءلون عن السبب فى تأجيل النضال ضد الحكم الأجنبى دون تلقى إجابة شافيه. وحدا ذلك بالكثيرين منهم، أفرادا أو جماعات، للانسحاب ،من صفوف المنظمة.

عقب الإنشقاق شكل شتيرن قيادة جديدة أكثر إنسجاما من القيادة السابقة. ويبدو أن هذه القياده وافقت رئيسها على أن الوقت غير مناسب لخوض غمار القتال ضد البريطانيين بسبب الأزمة العميقة التى ألمت بالمنظمة على كافة الأصعده تنظيميا وسياسيا وماليا. وكانت الأزمة المالية أكثر هذه الأزمات حده وتشكل قضية أساسية

(١) البلماح هى القواة الضاربة الرئيسية فى الهاجاناه.

لها، فقد ذاق العديد من هؤلاء طعم الجوع، مما دفع الكثيرين منهم إلى تنظيم أنفسهم فى «كميونات» إتقاء لغائلة الجوع. ومن هنا أخذت عمليات السلب والنهب تشغل تفكير القياده أكثر مما كانت تشغلها العمليات العسكرية ضد السلطات البريطانية.

واشفعت المنظمة محاولاتها هذه بعملية سطو أخرى ناجحة، أثارت هذه المرة تقزز الوسط اليهودى، ليس لكونها موجهه ضد مؤسسة يهودية فقط ، وإنما لوقوع ضحايا يهودية نتيجة لها. ففى ديسمبر ١٩٤١ مكنت مجموعة من المنظمة لموظف يعمل فى شركة «همشبير همركزى» بعد خروجه من بنك العمال التابع للحركه العمالية، حاملا لحساب شركته مبلغ ١٠٩٣ جنيها فلسطينيا، وهاجمته وسط الشارع، وخطف أفرادها الثلاثة حقيبة النقود منه وفروا هاربين بها. وعقب استغاثة الموظف، طارد المارة الأشخاص الثلاثة الذين أطلقوا النار لإرهاب المطاردين، إلى أن قدمت سيارة للشرطة، وتبادلت معهم إطلاق النار، وقد سقط أثناء ذلك، ومن رصاص أفراد المجموعة شخصان من الجمهور اليهودى، وتمكنت الشرطه من إلقاء القبض على عنصرين أودعتهما السجن.

نتيجة لسلسلة عمليات السطو، ولا سيما تلك المصاحبه بسقوط ضحايا من اليهود، تضررت صوره «إتسل فى إسرائيل» وسمعتها كثيراً فى نظر الجمهور اليهودى، الذى يمقت بالأساس توجهها المعادى لبريطانيا، ويتقد غيظا من مجرد الإشاعات حول علاقاتها مع النازيين. وقد استغلت المنظمتان المنافستان لها هذا الواقع، وعملتا، جنبا إلى جنب، وبشكل متفاوت، مع السلطات البريطانية لتصفية جماعة شتيرن.

(ب) تعرضت «إتسل فى إسرائيل» منذ ولادتها، لأعمال المطاردة والملاحـقـه على يد قـوات الأمن البـريطانيـة، ومع مـرور الوقت، وإزدياد عدد معتقليها فى السجون ، ومعظم هؤلاء وقع نتيجة أعمال السطو، وتعرضهم للتعذيب على يد جهاز مخابراته. ولذا أعدت خطة تستهدف «جذب رؤساء المخابرات فى تل أبيب وتصفيتهم».

وقد استغلت أوساط الهاجاناه والوكاله اليهوديه عمليات ليحى لحث السلطات البـريطانيـة، بشكل علنى، للقضـاء على «عـصـابة القتل». ولم يكن الموقف الجماهيرى العام لليبشوف أفضل بالنسبة لفريق شتيرن، من موقف الهاجاناه ، فقد طالبت بعثة عن اللجنة القـومـيـة، وبلدية تل أبيب والمجـالس المحليـة اليـهـودية السلطات البريطانية «تصفية مظاهر الإجرام».

ومن الطبـيعى، والحـال كـذلك، أن يكون الرأى العام لليـيشوف اليهودى مناوئا ليس للمقترحات السياسية لجماعة شتيرن فقط وإنما لوجود المنظمة أيضاً ، معتبرا إياها مجرد فئه إرهابيـة تسىء إلى اليـيشوف. وكان الكثير من عناصر المنظمة فى الوقت الذى كان يمتنع فيه إناس عن تأجير شققهم إلى أشخاص يحتمل أن يكونوا تابعين لها.

وفى صبيحة الثانى عشر من فبراير ١٩٤٢ ، تمكنت قوات الأمن البريطانية بقيادة «مورتون ويلكين» من اقتحام المنزل الذى كان يقيم فيه «إبراهام»شتيرن» عند امرأة رئيس مخابرات منظمته الذى وقع سجينا نتيجة العملية التى قام بها مورتون قبل مدة ضد الأربعة القياديين . ومن الملفت للنظر أن مصادر الهاجاناه ترجع إكتشاف مخبأ شتيرن إلى ملاحظة وردت ضمن رسالة بعث بها السجين إلى

إمرأته يسأل فيها عن أحوال «الضيف»، على الرغم من جهودها العلنية التى كانت تبذلها لمطاردة عناصر منظمة شتيرن ومسؤوليهم وملاحقتهم وتسليمهم إلى السلطات البريطانية.

بعد إقتحام المنزل فى تل أبيب ، أخذت عناصر الأمن تفتش محتوياته، وامتدت يد ضابط المخابرات ويلكين داخل الدولاب بعد فتحها لتلمس وسط الملابس جسد إنسان، تبين على الفور أنه الشخص المطلوب رقم واحد. وبعد تكبيل يديه، أخرجت قوات الأمن المرأة من الغرفة، لتنطلق بعد ذلك ثلاث رصاصات أودت بحياة شتيرن بحجة أنه حاول الهرب كما جاء فى البيان الرسمى . خلافا لما تجمع عليه كثير من المصادر الصهيونية بأن عملية القتل نفذت بدم بارد. ومن المرجح أن تكون نهاية شتيرن قد تمت فعلا بهذا الشكل، خاصة وأن البريطانيين لم يتجاوزوا فى عملهم هذا رغبة أوساط كثيرة داخل الييشوف اليهودى، وعلى رأسها الهاجاناه فى التخلص من شتيرن وجماعته.

وبذلك لم يبق من المنظمة سوى شراذم بسيطة لا تستقر فى مكان، ووجدت فى المزارع والحقول المكان الأكثر أمنا لإتقاء عيون الهاجاناه المنتشره داخل الييشوف اليهودى، وعيون سلطات الأمن البريطانية.

وفى هذه الأثناء، بدا وكأن المنظمة لفظت أنفاسها الأخيرة، بيد أنها ما لبثت، بعد مده، أن انتزعت من دائرة الاختناق والموت وبعثت فيها الحياة من جديد، وتأتى ذلك بفضل هجرة مجموعة من عناصر بيتار إلى فلسطين وإنضمامها إلى منظمة شتيرن (ليحى) وهروب إسحاق شامير (رئيس الكنيست ووزير الخارجية ورئيس

الوزراء فى السبعينات والثمانيات) من السجن وهو أمر أدى إلى تصعيد عمليات المنظمة وعودتها للعمل مرة أخرى.

(جـ) واستمرت صراعات ـ ليحى ـ ضد المنظمات الأخرى وضد بريطانيا إلى أن تم دمجها كبقية المنظمات داخل الجيش الإسرائيلى عقب الاستقلال.

الفصل الرابع

العلاقة بين المنظمات والمواقف من بريطانيا

رابعا: العلاقة بين المنظمات والمواقف من بريطانيا

١- علاقة المنظمات بسلطة الانتداب البريطانية:

(أ) وقد مر مبدأ الشمولية فى تجربة أصعب مع مطلع الثلاثينيات، وذلك حينما أقيمت «المنظمة ب» وأخذت العلاقات بين التيارات السياسية المختلفة تسير نحو مزيد من التعقيد. وإزاء ذلك، وجد المسؤلون عن الهاجاناه أنفسهم مضطرين، حيال ضرورة الحفاظ على مبدأ الشمولية وخشية حدوث انشقاق فى منظمتهم، أو ولادة تنظيمات عسكرية منافسة، إلى إحداث تغيير فى طريقة قيادة منظمة الهاجاناه لتعزيز مبدأ الشمولية، فقد جرى نقل صلاحية الأشراف على الهاجاناه إلى الإدارة الصهيونية كممثلة لجميع التيارات الصهيونية، بمشاركة «الهستدروت» وأوساط المدنيين، وألحق هذا الإجراء بإجراء آخر ينص على توزيع القيادة مناصفة بين الهستدروت والمدنيين. وشهدت منظمة الهاجاناه، فى هذه الفترة تغييرات فى جهازها، فقد تم للمرة الأولى تشكيل قيادة قطرية

تسيطر على عشرين فرعا، نشطت فى مجال أمتلاك الأسلحة وتخزينها وتدريب الأفراد، بشكل كبير بين الهاجاناه وسلطات الأنتداب البريطانية، إحساساً من الطرفين بالخطر المشترك المحدق بمصالحهما المشتركة. ففى صيف سنة ١٩٣٧ ، أقامت منظمة الهاجاناه سرايا الميدان التى انيطت بها مهام مهاجمة الثوار العرب. وبعد ذلك بعام، أقام الضابط البريطانى «أدور تشارلز وينفيت» سرايا النار المعروفة أيضاً باسم سرايا الليل الخاصة لصالح منظمة الهاجاناه، بغرض مهاجمة الثوار الفلسطينيين ليلاً، وأسفر تماثل المصالح فى هذه الفترة عن اشراك البريطانيين قوات الهاجاناه فى الجهود الحربية البريطانية ضد الفلسطينيين، بيد أن الأخطر من ذلك تمثل فى سماح سلطات الأنتداب لمنظمة الهاجاناه بإقامة سلاح الحراسة، وشرطة المستوطنات العبرية التى غدت قوة شرعية تابعة لها، وقد تعززت بسرعة وبلغ عدد أفرادها سنة ١٩٣٩ ، حوالى عشرين ألف رجلا يتوزعون على عشر كتائب.

(ب) مع تزايد نشاط إتسل الأرهابى الموجه ضد العرب، تحركت سلطات الأنتداب البريطانية، وأخذت تحاكم من تلقى القبض عليه وتصدر أحكاماً مختلفة، كان من بينها حكم الأعدام. ومن الملاحظ أن الوكالة اليهودية وقيادة الهاجاناه كانتا تبذلان جهوداً كبيرة، وتقدمان مساعيهما الحميدةعندالبريطانيين لتخفيف الأحكام الصادرة على الرغم من معارضتهما الشديدة لنشاط إتسل، كما حدث مع أحد عناصر المنظمة عندما كمن لسيارة عربية وأطلق النار عليها؛ فى مطلع سنة ١٩٣٨ ، وكانت نتيجة حصاره مقتل طفل عربى يناهز السادسة من عمره. فقد حكمت عليه المحكمه، بعد إلقاء القبض

عليه، بالإعدام إلا أن الحكم خفف إلى السجن المؤبد بفضل تدخل الوكالة اليهودية.

وكان الاستمرار فى كسر «الهفلغاه»، والردعلى الأعدام الموضوعين الأساسيين المطروحين على جدول أعمال القيادة الجديدة لإتسل. وقد دار نقاش داخل المنظمة، حول أعمال القيادة الجديدة لإتسل. وحول وسائل الرد. واقترح البعض توجيه ردة الفعل ضد الشرطة البريطانية، بيد أن الأكثرية تخوفت من تبعات ذلك على المنظمة، وأبدت تخوفها من احتمال تصفية إتسل على يد البريطانيين. وتقرر بأكثرية الأصوات توجيه الأعمال الانتقامية ضد العرب . انسجاما مع رأى «جابوتينسكى» الذى بعث برسالة إلى قيادة منظمته يطالب فيها بالرد بقوة، فى حال تنفيذ حكم الإعدام.

وأدى التعاون بين الهاجاناه والسلطات البريطانية، إلى اعتقال المزيد من أفراد إتسل وقادتها ووضعهم فى السجون. ويبدو أن قيادة إتسل كانت تدرك، فى ذلك الحين، أن موجة الاعتقالات الكبيرة، بين صفوف منظمتها، ناجمة عن التعاون القائم بين الهاجاناه وجهازها الاستخبارى بالذات، وبين المخابرات البريطانية. ومما يشير إلى ذلك، فقرة وردت فى بيان للمنظمة تنص على أن المطلوب من أعضاء المنظمة جميعهم التحلى بالحذر والامتناع عن الثرثرة. ويجب أن نتذكر دائماً أن هناك كثيراً من الآذان تسترق السمع، وكثيراًمن أشرار الحلف بين صفوف اليشوف.

ويؤكد الدكتور لوبوتسكى، أحد زعماء الحركة التصحيحية بعد اعتقاله فى سجن عكا، فى شهادته، قيام تعاون فى تلك الفترة بين الهجاناه والمخابرات البريطانية ضد إتسل.

ويبدو أن الوشايات قد انتعشت كثيراً فى ظل التعاون الذى قام بين الهاجاناه والمخابرات البريطانية، وقطعت شوطا بعيداً مما حدا برئيس بلدية تل أبيب لإثارة الموضوع مع قادة الحركة العمالية، واستنكار ماأسماه بفساد الحياة العامة فى المدينة، حيث تسود حوادث الاعتقال الناجمة عن الوشايات.

(جـ) وفى السابع عشر من مايو ١٩٣٩ ، نشرت الحكومة البريطانية وثيقة صادرة عن البرلمان البريطانى أطلقت عليها اسم الكتاب الأبيض. وقد أثار الكتاب الأبيض سخط مختلف أوساط الحركة الصهيونية التى أجمعت على معارضته والتصدى له، مع الاختلاف فى الطرق والوسائل، كما احتل - حتى زوال الأنتداب البريطانى عن فلسطين، وعلى الرغم من غياب عامل الجديةلدى البريطانيين فى مجال تطبيقه ـ مكاناً بارزاً فى العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة، حيث درج البعض على تلقفه كتهمة فظيعة يلقيها فى وجه الفريق الآخر، الأمر الذى يدعونا للوقوف على بعض بنوده.

أنصب السخط الصهيونى على ثلاثة بنود تمس موضوعات ثلاثة هى: إنهاء الأنتداب البريطانى، وإقامة دولة فلسطينية، وتحديد الهجرة اليهودية، وتحديد بيع الأرض فى فلسطين.

وقد نص البند المتعلق بإنهاء الأنتداب البريطانى على التالى: أن الهدف الذى ترمى إليه حكومة جلالته هو أن تشكل، خلال عشر سنوات، حكومة فلسطينية ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة تضمن للبلدين متطلباتهما التجارية والحربية فى المستقبل، ضماناً مرضياً.

وهذا الاقتراح، بتشكيل دولة مستقلة، من شأنه أن ينطوى على التشاور مع مجلس الأمم بقصد إنهاء الأنتداب.

وفيما يتعلق بموضوع الهجرة، نص الكتاب الأبيض على أن تكون الهجرة، خلال السنوات الخمس التالية، بمقدار من شأنه أن يزيد عدد السكان اليهود فى فلسطين إلى ما يقرب من ثلث مجموع سكان البلاد بشرط أن تسمح قدرة الاستيعاب الاقتصادية بذلك. فإذا أخذت بعين الأعتبار الزيادة الطبيعية المتوقع حصولهافى عدد السكان العرب واليهود، وحسب حساب عدد المهاجرين اليهود غير الشرعيين الموجودين الآن فى البلاد فإن ذلك يسمح بإدخال نحو ٧٥٠٠٠ مهاجر يهودى، خلال السنوات الخمس التالية، اعتباراً من أول أبريل من السنة الحالية. وورد فى بند آخر أن تسمح بزيادة الوطن القومى اليهودى عن طريق الهجرة إذا كان العرب على استعداد للمثول لتلك الهجرة ولكن ليس بدون ذلك. وجاء أيضاً: أن حكومة جلالته مصممة على قمع الهجرة غير المشروعة، وتتخذ الآن إجراءات أخرى للحيلولة دونها وإذا أفلح عدد من المهاجرين اليهود غير الشرعيين فى دخول البلاد على الرغم من تلك الإجراءات، وكان هؤلاء ممن لا يمكن إبعادهم، ينزل عددهم من الحصص السنوية. وفيما يتعلق بملكية الأرض، نص الكتاب الأبيض على أنه لابد من وضع القيود على انتقال الأرض من العرب إلى اليهود.. من خلال منح المندوب السامى سطات عامة حول هذا الموضوع.

وفى ١٦ يناير سنة ١٩٤٠، صادقت الحكومة البريطانية على وثيقة جديدة تحمل اسم قوانين انتقال الأراضى ١٩٤٠، لتنظيم

تطبيق القيود على انتقال ملكية الأراضى لليهود وفق روحية الكتاب الأبيض. وقد قسمت فلسطين بموجب هذه الوثيقة إلى ثلاث مناطق: المنطقة الأولى، يسمح لليهود بامتلاك الأراضى فيها وتشكل نسبة ٥٪ من مساحة فلسطين، وتبلغ مساحتها ١,٣٤٣,٠٠٠ دونم وكان اليهود يمتلكون فيها ٦٨٨,٠٠٠ دونم . والمنطقة الثانية وتشكل نسبة ٣١٪ من فلسطين يحظر على اليهود امتلاك الأراضى فيها إلا بأذن خاص من المندوب السامى. والمنطقةالثالثة تشكل نسبة ٦٤ ٪ من مساحة فلسطين، لا يحق لغير العرب الفلسطينيين امتلاك الأراضى فيها، وسمحت القوانين لليهود الذين يمتلكون أراضى فى تلك المنطقة، وهم أقلية ضئيلة ، ببيع أراضيهم أو تأجيرها للفلسطينيين فقط.

تحكمت طبيعة العلاقات القائمة بين كل من التيارين الصهيونيين وبريطانيا بأشكال الردود ضد الكتاب الأبيض والقانون الخاص بانتقال الأراضى ودرجة عنفها، ويبدو ذلك واضحاً تماماً فى ردود الفعل التى أعقبت صدور الوثيقتين. فقد اتسمت هذه الردود بتزعم التيار التصحيحى، وعلى رأسه إتسل، لموجة الغضب التى أخذت شكل مظاهرات صاخبة وأعمال عنف، فى الوقت الذى حافظت فيه الهاجاناه والحركة العمالية على التظاهر بهدوء، والتستر على أعمال العنف التى قامت بها. بينما اتسمت ردود الفعل على الوثيقة الثانية بتزعم التيار العمالى، بما فى ذلك الهاجاناه، لموجة السخط التى أخذت شكل مظاهرات صاخبة تخللتها اشتباكات مع قوات الأمن، فى الوقت الذى حرصت فيه إتسل على عدم الاشتراك فيها، مكتفية

بالتنديد فقط، بحكم الانقلاب الذى طرأ على علاقاتها مع السلطة البريطانية عند اندلاع الحرب العالمية الثانية.

اعتمدت الوكالة اليهودية فى مجال ردها على سياسة الكتاب الأبيض، السلاح الأساسى للحركة الصهيونية المتمثل فى الهجرة والاستيطان: إذ أخذت تنشط فى ميدان الهجرة غير الشرعية، وفى استكمال المشروع الاستيطانى . وكذلك قامت بعمليات إرهابية ضد العرب، وفق أسلوب إتسل حيث وجهت سلاحها ضد قريتى لوبيا وبلد الشيخ وقتلت عدداً من سكانهما.

لم تكن قيادة كل من الييشوف المنظم والهاجاناه، تجمع على رأى موحد تجاه موضوع التصدى للكتاب الأبيض، وذلك لتعدد التيارات وتباين الاجتهادات. وقد انعكس ذلك فى المؤتمر الصهيونى الحادى والعشرين الذى انعقد فى جنيف فى ١٦ أغسطس ١٩٣٩ دون حضور التصحيحيين إذ برزت فيه وجهتا نظر أساسيتان تتعلقان بالتصدى لسياسة الكتاب الأبيض، مثل وجهة النظر الأولى المعتدلة ـ الدكتور حاييم وايزمان - الذى رأى أن طريق النضال الأساسى يتمثل فى استمرار المشروع الاستيطانى فى فلسطين. أما وجهة النظر الثانية فمثلها «بن جوريون» بطرحه أمام المؤتمر خطة تتشكل فى نقاط ثلاث: .

١ ـ الهجرة من أجل الهجرة.

٢ ـ النضال من أجل الاستيطان.

٣ ـ النضال بالسلاح ضد السلطة البريطانية فى حال تصديها للهجرة والاستيطان.

ولم يتمكن المؤتمر من اتخاذ قرار واضح تجاه مسألة النضال ضد سياسة الكتاب الأبيض كما طالب الفريق الذى تزعمه «بن جوريون» لتخوف العديد من أعضائه من مغبة ذلك على مستقبل العلاقة مع بريطانيا وأوضح هذا الأمر، صراحة، الدكتور سيلفر بدعوته إلى الامتناع عن القيام بأعمال مقاومة يائسة وعن العصيان المدنى وعن عدم التعاون.

نتيجة لانقسام قيادة الييشوف المنظم تجاه مسألة التصدى للكتاب الأبيض، وعدم تمكنها من تنظيم وبلورة ضغط صهيونى فعال ومتواصل، فشلت حملة التصدى للكتاب الأبيض خلال الشهور الأولى من صدوره، وتعثرت مع اندلاع الحرب العالمية الثانية.

(د) مع اندلاع الحرب، اتخذت الحركة الصهيونية والتنظيمات المتفرعة عنها، خلافاً لما كان عليه الوضع فى الحرب العالمية الأولى، موقفاً موحداً إلى جانب بريطانيا. ففى اليوم الذى نشبت فيه الحرب بين بريطانيا وألمانيا، هرعت الوكالة اليهودية، وأصدرت بياناً أعلنت فيه تأييدها اللامحدود لبريطانيا، وذلك بدعوى الدفاع عن الوطن، وسلامة الأمة العبرية، وانتصار الأمبراطورية البريطانية. كما أعلن رئيس الإدارة الصهيونية «دافيد بن جوريون» عن دعم الصهيونية لبريطانيا من خلال مقولته التى لم تبرح لسانه طيلة أيام الحرب: «سنقاتل إلى جانب بريطانيا ضد هتلر». وكأن الكتاب الأبيض غير قائم ، وسنناضل ضد الكتاب الأبيض وكأن الحرب غير قائمة. كما أعلن أيضاً زعيم الحركة التصحيحية «زئيف جابوتينسكى» وقوفه إلى جانب بريطانيا، واتخذت إتسل هى الأخرى موقفا مشابهاً.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن الرجل الثانى فى إتسل، وهو «ابراهام شتيرن» كان عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية، يخالف الإجماع الصهيونى المؤيد للتحالف مع بريطانيا، وينتقد بشدة مقولة زعيمه «جابوتينسكى» حول موضوع التحالف. وقد عبر عن ذلك فى مقال له نشره فى صحيفة (أومرلعام) الناطقة باسم إتسل وتطرق فيه إلى احتمال نشوب الحرب والدور الذى يتوجب على التنظيم اليهودى العسكرى القيام به. وبعد أن طرح مفهومه لحدود أرض إسرائيل التى تتجاوز، حسب اعتقاده، ضفتى «نهر الأردن» وتشمل أجزاء كثيرة من الوطن العربى، وأن الطريق إلى اكتسابها يتم بالقوه المسلحة، كما أن شتيرن قد اتهم بمحاولة إقامة نظام فاشى بالتعاون مع إيطاليا وألمانيا.

(هـ) وشهدت المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية، نمطاً جديداً من العلاقات بين المنظمتين الصهيونيتين المسلحتين : «الهاجاناه وإتسل» تختلف عن النمط السابق من حيث موقع ادارة الصراع بينهما فى مجال المنافسة على بسط النفوذ داخل «الييشوف اليهودى». فبينما كانت إتسل فى السابق تصارع منافستها من موقع التصدى لسلطات الانتداب والسياسة البريطانية تجاه القضية الفلسطينية، فى إطار نظرية الضغط الخاصة «بجابوتينسكى»، كانت هذه الأجهزة تواجهها، من موقع التحالف والتعاون مع سلطات الانتداب. أما فى هذه المرحلة، فقد أصبح الوضع، مع اندلاع الحرب، مختلفا، إذ أخذ الصراع يدور بين الطرفين، فى دائرة تنافسيهما، حول توثيق العلاقة مع السلطات الاستعمارية فى فلسطين.

(٢) العلاقة بين المنظمات:

(أ) شبح الحرب الأهلية:

خيمت على الييشوف اليهودى فى فلسطين، ظلال النصف الثانى من عام ١٩٣٨، خلال حرب أهلية مرفقة بتهديدات من قبل قادة الحركة العمالية بتصفية إتسل، وبأعمال خطف متبادلة بين المنظمتين العسكريتين مترافقة مع محاولات للوحدة بينهما.

ومن بين الأسباب التى ساعدت فى وصول العلاقات بين إتسل والهاجاناه إلى درجة عالية من التوتر:

١- رغبة الهاجاناه فى وضع حد لنشاط إتسل اعتقاداً منها بأنه يؤثر سلباً على العلاقة مع بريطانيا واستعدادها فى الوقت نفسه، لقبول الضغوط البريطانية الداعية إلى الحد من تفشى الأرهاب وسط التجمع اليهودى.

٢ - استمرار الفشل فى انتهاج سياسة كسر ضبط النفس، وسط احتدام تنافس المنظمتين على النفوذ فى الوسط اليهودى.

٣ - تبادل أعمال الخطف.

وكرد على حادث اختطاف الهاجاناه لعضو من إتسل، قررت قيادة إتسل اختطاف أحد قادة الهاجاناه، ونفذت قرارها، بعد مضى حوالى أسبوع، حين قامت مجموعة من عناصرها فى تل أبيب باختطاف المدعو «زخاريا ككيون»، واحتفظت به فى مكان سرى خارج المدينة، ولم تطلق سراحه إلا بعد أن اتضح لها أن رجلها قد

أصبح بيد سلطات الأمن البريطانية. وقد عكست الصدمات الناجمة عن أعمال العنف وعن أعمال الخطف المتبادلة الناجمة عن أمتداد أرهاب إتسل إلى الشارع اليهودى، مدى التوتر الذى وصلت إليه العلاقات بين المنظمتين والذى أوصل «الييشوف اليهودى» إلى شفا الحرب الأهلية، والتهديد بها، وهذا ما فعله رئيس الدائرة السياسية فى الوكالة اليهودية، «موشى شاريت»، عندما شهر سلاح التهديد بالحرب الأهلية، خلال المراحل الأولى، من نشاط إتسل الرامى لكسر الهفلغاه.

وقد حاول الوسطاء إقناع «جابوتينسكى» بكبح جماح رجاله الذين خرجوا عن طورهم وطرح فكرة الوحدة حتى لا تتم مجابهة أعمال إتسل، لم يكتف «جابوتينسكى» برفض التهديد ، بل وجه تحذيراً نشرته الصحافة اليهودية فى أوروبا، أعلن فيه أن الهاجاناه تعد العدة للقيام بمذبحة ضد رجاله، وسيرد التصحيحيون عليها ضد أنصار الحركة العمالية خارج فلسطين.

وتصدى بن جوريون زعيم الحركة العمالية، هو الآخر، بعنف لنشاط إتسل، مركزاً حملته على الضرر الذى يلحقه بالعلاقات الصهيونية ـ البريطانية. وقد نجم عن هذه الرؤية تعاون وثيق بين الييشوف المنظم والسلطات البريطانية للحد من نشاط إتسل، وقد أخذ هذا التعاون أشكالاً عدة كانت أخطر بكثير من أعمال الخطف المتبادلة والأشتباكات بالأيدى.

(ب) محاولات توحيد المنظمات:

وجرت وسط هذه الأجواء المشحونة بالتوتر والحقد ، مساع ومحاولات عدة لتحقيق الوحدةبين الطرفين، أو على الأقل، للتوصل إلى اتفاق ينظم العلاقة بينهما. بيد أن تباينت المواقف السياسية، والتنافس على قيادة الييشوف.

وقد بدأت الاتصالات بين «الياهو غولمب» و«جابوتينسكى» ، عرض غولمب، خلالها تسوية يتم بموجبها اشراك وحدات إتسل فى سلاح الحراسة شريطة الأنصياع لتعليمات مؤسسات الييشوف المنظم؛ وفيما يتعلق بالهفلغاه اقترح عدم قيام إتسل بأية عملية انتقامية إلا بموافقة الطرفين. ومن الجدير بالذكر، أن هذا الاقتراح كان مشفوعاً بالتهديد، وباءت هذه المحاولة بالفشل بسبب رفض «جابوتينسكى» فكرة خضوع إتسل لمؤسسات الييشوف، ورفضه أيضاً الاستمرار فى الحوار تحت ظلال التهديدات.

وأخيراً توصل المتفاوضون فى التاسع عشر من سبتمبر ١٩٣٨ ، إلى صيغة اتفاق بين الهاجاناه وإتسل (ورد الأسم فى الأتفاق المنظمة ب)، وكانت أبرز نقاطه ما يلى:-

١ - يستهدف الاتفاق وضع خطة عمل مشتركة للتنظيمين شريطة أن يستمر كل منهما فى الحفاظ على كيانه المستقل وغير المرتبط دون أن يضر ذلك البنية التنظيمية لكل منهما.

٢ - تلتزم «المنظمة ب» بوقف العمليات الخارجة عن إطار الدفاع العادى.

٣ ـ تأخذ «المنظمة» نصيبها المناسب فى الدفاع الشرعى، وتشارك فى جميع أشكاله: الشرطة الأضافية، مجموعات الكمائن، والمجموعات المتحركة، وفى الوحدات التى قد تتشكل فى المستقبل.

٤ ـ تخضع كل وحدة لتعليمات قائد المنطقة الذى يصدر تعليماته لقائد الوحدة ويتلقى رجال الوحدة الأمر عن طريق قائدهم المباشر فقط.

ونص الأتفاق أيضاً على ضرورة تشكيل لجنة مشتركة بتوجه المنظمتين ونفوذهما، ودعا منظمة الهاجاناه إلى مساعدة أفراد إتسل فى مجال التدريب العسكرى.

وقد جرى التوقيع عليه بالأحرف الأولى فى بيت رئيس بلدية تل أبيب، بحضور قادة المنظمتين. ولم يبق أمام تنفيذ الأتفاق الذى يسرى مفعوله لمدة عام سوى التصديق عليه من جانب الحركة العمالية و«جابوتينسكى» الموجود فى وارسو والذى سرعان ما هرع إلى مباركته ودعا أعضاء منظمته فى الوقت نفسه، للحفاظ بعناد على استقلاليتهم.

قوبل الاتفاق بالترحاب من جانب زعامة الحزب التصحيحى وبتأييد نصف قيادة إتسل له، وتحفظ النصف الآخر عليه، كما قوبل بموافقة أكثرية قيادة الحركة العمالية مع تحفظ أقلية ضئيلة تجاهه. وبدا وكأنه يملك حظاً وفيراً من النجاح . وعلى الرغم من ذلك، فقد مات فى مهده وذلك لتصدى «بن جوريون» له بكل صلابة وشدة. والحقيقة أن «بن جوريون» الذى اعتبر الاتفاق بمثابة نصر لإتسل

ومن ثم لخصومه السياسيين، لم يعارضه من زاوية المكاسب التى حصلت عليها إتسل، فحسب، وإنما عارض المفاوضات وتصدى لها منذ اللحظة التى وصلت فيها أخبارها إلى أسماعه وبسبب تتابع الأحداث وانشغال تفكير جابوتينسكى فى شىء آخر مغاير تماماً (هو الثورة المسلحة) وانهماك قادة إتسل بالتصدى لجهاز المخابرات البريطانى، لم تجر لقاءات بين الطرفين وآل مصير مشروع الاتفاق إلى الفشل أسوة بالمحاولات السابقة.

(جـ) عودة الشقاق:

حدث تمرد إتسل فى عام ١٩٤٤ وفق نظرية الضغط الخاصة بجابوتينسكى، إذ انتهجت المنظمة أسلوبا عسكريا اعتمد على توجيه الضربات ضد المؤسسات والمنشأت الحكومية ذات العلاقة بالمشاريع الصهيونية مع الارتباك، فى بعض الأحيان فى تحديد الأهداف الواجب ضربها، والتخوف من إمكانية تصوير العمليات وكأنها تعرقل الجهودالبريطانية. لمحاربة النازيين وأخضاع هذا الأسلوب لخدمة هدف سياسى واضح هو إقامة الدولة العبرية فى فلسطين فوراً على أن تكون حليفة للإمبراطورية البريطانية.

وعقب إعلان إتسل التمرد، صعدت ليحى من نشاطها العسكرى ضد ما اعتبرته العدو الرئيسى ممثلا بالأستعمار البريطانى، متبنية أسلوب الاغتيالات الشخصية ومتأثرة، بشكل كبير، بعامل الانتقام، دون أن تتحرر عملياتها العسكرية، فى هذه الفترة، من أسار هذا التكتيك البسيط المصاحب بغريزة الانتقام.

واتخذت سلطات اليشوف المنظم موقفا مناوئاً لإعلان إتسل عن تمردها ضد الإدارة البريطانية فى فلسطين ومعارضا له؛ وأخذت معارضتها تصاحب حملات إعلامية، تشتد ضراوتها ضد المنشقين مع ارتفاع وتيرة عنف إتسل ضد الإدارة البريطانية، لتتحول إلى مجابهة وتصد وحرب أهلية عقب اغتيال اللورد موين.

انطلاقاً من هذه العوامل مجتمعة، اجتمعت التيارات المنطوية تحت لواء الوكالة اليهودية على التصدى للمنشقين. وهى وإن تكن قد اختلفت فى الطرق والوسائل، فقد اتفقت على شن حملة شعواء ضد التمرد، معتبرة إياه إرهاباً إجرامياً تقوم به عصابات قاسية تافهة. وساهم كل من زعيم الهاجاناه ورئيس الوكالة اليهودية فى إدارة الحملة وبلورتها . فقد عبر الياهو غولمب عن الموقف العام للهاجاناه تجاه التمرد بتصريحات متعددة.

وقبل شروع الهاجاناه بحملة التصفية ووسط الإعداد لها، وفى أجواء مشحونة بحرب إعلامية عنيفة لم يوفر فيها الطرفان أبشع النعوت والصفات، جرت ثلاثة لقاءات بين القيادتين حاولت فيها الهاجاناه حمل إتسل على وقف نشاطها الإرهابى بالطرق الدبلوماسية مهددة، فى الوقت نفسه بوقفه عنوة وبقوة السلاح وبالتعاون مع أجهزة الأمن الحكومية، بحجة إساءته لمسار تحقيق المشروع الصهيونى وعرقلته. وفى المقابل حاولت إتسل إبراز مكاسب التمرد وفوائده على المشروع الصهيونى، مع التهديد بأنها لن تقف مكتوفة اليدين فى حال البدء بتصفيتها.

وانفضت الاجتماعات وسط إجواء خانقة من التهديد بالحرب الأهلية، وبعد مضى يومين، عقدت قيادة إتسل جلسة تدارست فيها

العلاقات مع «اليسار» على ضوء نتائج اللقاء الذى تم بين قيادتى المنظمتين، وتمخضت الجلسة عن: «إصدار تعليمات مشددة للجميع بعدم الرد على أى عمل استفزازى من جانب اليسار».

وكانت الاتصالات بين الهاجاناه وليحى، منذ أعلان هذه الأخيرة عن قيامها من جديد، فقد جرت بين قيادتى المنظمتين لقاءات سرية عدة، ولاشك بأن إحساس الهاجاناه بأن ليحى لا تشكل حالة منافسة لها داخل اليشوف قد سهل كثيراً فى عقدالاجتماعات التى كانت تجرى بين الفنية والأخرى لحل أشكال داخلى بين المنظمتين.

ولكن مع الأعلان عن خبر اغتيال موين وعن هوية مرتكبى العملية، ألمت باليشوف اليهودى حالة من الصدمة المشفوعة بالذهول. وتصدت الصحف الصهيونية، على الفور مدينة الجريمة ومرتكبيها.

بيد أن الأهم من ذلك كان انعكاس الحدث وتبعاته على العلاقات بين المنظمات الصهيونية المسلحة. فقد عدته الهاجاناه، بمثابة ثمرة للأسلوب الإرهابى الذى يمارسه المنشقون عن اليشوف المنظم وغير الخاضعين لتعليماته، تحمل أضراراً جمة للمشروع الصهيونى وتضع عراقيل صعبة أمام تحقيقه بتعريضها العلاقات البريطانية الصهيونية للخطر، بينما اعتبرته إتسل بمثابة تجاوز واضح لمقولة الضغط الخاصة بمعلمها الروحى، مما يتناقض مع السعى للتحالف مع بريطانيا، ويعرض المشروع الصهيونى للخطر. أما ليحى، فيبدو أن عنف أصداء الحدث، إلى جانب تصور كل من الهاجاناه وإتسل لخطورته، قد دفعها إلى التزام جانب الصمت، والتفكير بروية، وبأعصاب باردة، للخروج من تبعاته سالمة بجلدها.

(د) التصفية

خلال المراحل الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، شهد اليشوف اليهودى فى فلسطين على امتداد فترة ستة أشهر حرباً أهلية صليبية، تمثلت فى حملة التصفية الشهيرة باسم السيزون التى أعدتها الهاجاناه وقادتها ضد إتسل.

وتعود أسباب هذه الحملة التصفوية ذات النتائج الخطيرة، إلى عاملين أساسين هما:

الأول: يكمن فى حدة التباين التى كانت قائمة بين موقف كل من الهاجاناه وإتسل تجاه موضوع العلاقة مع سلطات الأنتداب والاستعمار البريطانية، ومع أن هذا التباين، بحد ذاته، يعد أحد مبررات وجود أكثر من منظمة داخل اليشوف، وإلى جانب كونه قد رافق نشوء المنظمتين وتفاوت حجمه وبعده بين الحين والآخر، ووقف فى كثير من الأحيان إلى جانب عوامل أخرى وراء تأزم العلاقات بين الطرفين، إلا أنه بلغ من الحدة، فى هذه الفترة، درجة أصبح معها من الصعوبة بمكان تقليص حجمه بالوسائل السابقة، وبخاصة بعد أن أعلنت أتسل التمرد ضد الإدارة البريطانية فى فلسطين، بهدف دفع بريطانيا نحو الأسراع فى تحقيق المشروع الصهيونى، والتحالف معها، وفق مقولة الضغط الجابوتينسكية. وقد حدث هذا فى الوقت الذى خرجت فيه الهاجاناه على تنمية علاقات الصداقة والتعاون مع بريطانيا مدفوعة إلى ذلك بفعل سياستها التقليدية فى هذا المجال، والوعود البريطانية بخصوص تحقيق الكثير من المطالب الصهيونية عند انتهاء الحرب العالمية الثانية.

الثانى: يكمن فى الصراع الذى كان دائرا حول بسط النفوذ داخل اليشوف . ومع أن هذا العامل كان قائماً فى الفترة السابقة، وأخذ أشكالاً وتعابير له، عكست نفسها، فى أشد حالاتها، باشتباكات وأعمال خطف متبادلة، إلا أنه لم يرتق إلى الحالة التى وصل إليها خلال فترة السيزون. ففى هذه الفترة، لم يعد الحديث عن المشروع الصهيونى مغطى بضبابية الوطن القومى. وإنما أخذ يتسم بوضوح أكثر، حيث بدأ اصطلاح الدولة اليهودية يتردد على ألسنة التيارات الصهيونية جميعها كمطلب صهيونى من الدرجة الأول، وبدأ اصطلاح «الدولة فى الطريق» يتردد على ألسنة الهاجاناه. ومع اعتقاد التيارات الصهيونية بإمكانية قيام الدولة واقتراب موعد الحسم، بدأت وتيرة الصراع حول بسط النفوذ داخل اليشوف تزداد تسارعاً.

ونتيجة لتضافر هذين العاملين، وتداخلهما، إلى جانب عوامل أخرى ثانويةوصلت العلاقة بين المنظمتين المتنافستين إلى حد القطيعة، ومن ثم إلى الحرب الأهلية التى اتخذت شكل تصفية كبيرة حملت اسم السيزون.

ثم بدأت الهاجاناه حرباً اقتصادية ضد إتسل، وتمكنت من تقليص التبرعات التى تتلقاها هذه الأخيرة سواء عن طريق الفرض أو عن طيب خاطر، وزجتها، بفعل أعمال المتابعة والتعقب فى وضع دفاعى، حمل قيادتها على التفكير فى أمر واحد يتمثل فى كيفية الإفلات من هذا الوضع. وهكذا، لم يبق أمام الهاجاناه سوى إتمام التصفية.

وبعد مضى حوالى أسبوع على النداء الشهير الذى وجهه بن جوريون فى مؤتمر الهستدروت السادس، بدأت آلة التصفية تتحرك

ولم تتوقف بشكل نهائى إلا بعد مرور حوالى نصف عام. ففى فترة التصفية، كانت الأحياء اليهودية فى المدن الفلسطينية الرئيسية، مثل القدس وحيفا وتل أبيب، وبعض المستوطنات الكبيرة، تشهد منظراً جديداً ما لبث أن أصبح مألوفاً: مئات من رجال الهاجاناه يتوزعون على الشوارع الرئيسية ومفترقات الطرق حاملين قوائم بأسماء عناصر أتسل مع صور لبعضهم، ويقومون بالتدقيق فى هويات المشتبه بهم من اليهود. هذا فى الوقت الذى كانت تقوم فيه مجموعات أخرى باقتحام منازل معينة بحثاً عن المطلوبين، والذى كانت تحاصر فيه مجموعات ثانية مناطق معينة بحثا عن قيادة إتسل.. وتم خلال الأسبوع الأول من العملية اعتقال ٦٤ شخصاً.

لم تتمكن الهاجاناه من القضاء على إتسل وإن أفلحت فى توجيه ضربة شديدة مؤلمة لها، شلت نشاطها، ثم توقفت عن إتمام العملية بعد أن قطعت بها شوطاً بعيد المدى بفعل تضافر عوامل عدة، أهمها معارضة العملية، أو التحفظ على جوانب منها، من قبل معظم التيارات السياسية فى اليشوف اليهودى.

وكذلك، فإن الجمهور اليهودى لم يكن معبأ ضد إتسل كما كان عليه الوضع إبان العمل الموجه ضد إبراهام شتيرن وفريقه فى أواخر ١٩٤١ و أوائل ١٩٤٢ ، لهذا فهو لم يبد تجاوباً مع أعمال مطاردة عناصر إتسل وملاحقتهم لأسباب عدة، من بينها حرص إتسل على موقفها بعدم الرد. وتحملها أعمال المطاردة الأمر الذى جعل عناصر إتسل يبدون فى نظر الكثيرين فى وضع المطاردة، مما أتى عنه

(١) أنشط أجهزة الهاجاناه.

استدرار عطف بعض الأوساط فى اليشوف اليهودى، وعدم إبداء الحماس من جانب أوساط أخرى تجاه التصفية. أضف إلى ذلك استياء الهاجاناه من شريكها المتعاون معها فى التصفية، حيث أخذت بعد مضى أشهر، تبدى أمتعاضها من استغلال أجهزة الأمن البريطانية لمعتقلى إتسل.

لهذه الأسباب مجتمعة، تَوقفت عملية التصفية دون أن تصل إلى نهايتها، التى خرجت منها إتسل خائرة القوى شبه مشلولة.

جاءت نهاية عملية التصفية على شكل مؤتمر خاص فى مارس ١٩٤٥ فى مستوطنة ياغور أعلن فيه كل من «سنيه وغوالمب» عن انتهاء النشاط ضد المنشقين بعد أن شلت حركتهم. بيد أن نشاط الهاجاناه لم يتوقف كلية ضد إتسل عقب هذا المؤتمر، بل توقف نشاط البلماح فقط، وبقيت مخابرات الهاجاناه مستمرة فى عملية التصفية إلى أن كفت عنه فى أواخر مايو من العام نفسه. ووزعت الهاجاناه فى ذلك الوقت، منشوراً موقعاً باسم الشبيبة الطلائعية يعلن عن نجاحها فى القضاء على الأرهاب، واستعدادها للقضاء عليه ثانية فى حال تجدده.

وقد كان للمستجدات الطارئة على الوضع السياسى، وما استنتج ذلك من تشابه فى نظرة كل من المنظمتين تجاه الحليف البريطانى الفضل فى تخفيف التوتر بين المنظمتين، وتحسين العلاقة بينهما والارتقاء بها إلى أفضل حالاتها. ووجدت التنظيمات الثلاثة نفسها عقب التصفية تعيش حالة وحدوية بقيادة اليشوف المنظم للمرة الأولى فى تاريخها، تحت لواء حركة العصيان العبرى.

الفصل الخامس

حركة العصيان العبرى
الصدام بين الحركة
الصهيونية وبريطانيا

خامسا: حركة العصيان العبرى

١- الصدام بين الحركة الصهيونية وبريطانيا ووضوح الإنحياز الأمريكى.

(أ) خلفية الصدام

مثلما أسفرت الحرب العالمية الأولى بفضل نشاط قادة الحركة الصهيونية فى ذلك الحين، والتقاء المصالح الاستعمارية والصهيونية عند هذا الهدف، عن منح «بلفور» وعدا للحركة الصهيونية بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، كذلك أسفرت الحرب العالمية الثانية بعد مضى قرابة ثلاثة أعوام على إنتهائها عن ثمرة أخرى للصهيونية تمثلت فى قيام إسرائيل، وذلك بفضل النشاط المحموم للحركة الصهيونية وتشابك المصالح الصهيونية - الأمريكية - البريطانية،والجرائم النازية التى ارتكبت بحق اليهود.

ومع إنتهاء الحرب العالمية الثانية أصبح بيد قادة الحركة الصهيونية سلاحان قويان لخدمة المشروع الصهيونى والإسراع فى تحقيقه هما : دماء اليهود من ضحايا النازية، والمعتقلون اليهود

والذين اقتلعوا من بيوتهم فى أماكن مختلفة من أوربا وتم جمعهم، أسوة بمعتقلين آخرين من غير اليهود، فى مخيمات خاصة تمهيدا لتنظيم حياتهم من جديد فى أوطانهم الأصلية. وقد تشبث قادة الحركة الصهيونية بالسلاح الأول فى مجال الدعوة لإقامة دولة يهودية فى فلسطين، بينما رفعوا السلاح الثانى، باعتباره موضوعا ملحا، لتسريع عملية بناء الدولة.

ومما لا شك فيه أن بصمات الجرائم النازية فى أوربا تنافس بصمات «بلفور» ، فى عام ١٩١٧ ، فى مجال خدمة المشروع الصهيونى لإقامةالدولة الصهيونية فى فلسطين، أو على الأقل تنافس فى تسريع قيام هذه الدولة.

وقد أدرك قادة الحركة الصهيونية قوة مفعول هذين السلاحين الجديدين، وجعلاهما محور نضالهم فى هذه الفترة.

ولم يدعوا فرصة، أو مناسبة، تمردون استغلالهما لخدمة هدف واضح هو: إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين.فقبل إعلان النصر النهائى على النازية، بعثت الوكالة اليهودية مستغلة مآسى اليهود فى أوربا، إلى المؤتمر التأسيسى للأمم المتحدة المنعقد فى سان فرانسيسكو فى أبريل ١٩٤٥ مذكرة تستهدف بروح خطة بلتيمور لسنة ١٩٤٢ ، طالبت المؤتمرين فيها تنبى البنود التالية:ـ

١ـ إصدار إعلان يقر بموجبه تحويل فلسطين إلى دولة يهودية.

٢ـ الإلغاء الفورى للقيود المفروضة على الهجرة وامتلاك الأراضى.

٣- حق الوكالة اليهودية فى إدارة شؤون الهجرة، وضرورة توفير الدعم المادى الدولى لها فى هذا المضمار.

٤- حق الوكالة اليهودية فى تمثيل اليهود فى كل مؤتمر تبحث فيه القضية الفلسطينية.

وخلال المراحل الأولى من الحرب العالمية الثانية، أخذت الحركة الصهيونية تراهن على القوة الأمريكية المتعاظمة وأحرزت نجاحا كبيرا فى بناء علاقات متينة مع الحزبين الرئيسيين هناك: الجمهورى والديمقراطى. وتبنت سياسة جديدة أكثر وضوحا تجاه مصير فلسطين، بمباركة الأوساط الأمريكية الحاكمة وتأييدها. ومع انتهاء الحرب، وخروج الولايات المتحدة الأمريكية منها كقوة عظمى لم تعان، سواء فى الأرواح أو الممتلكات، ما عانته بقية الدول الكبرى، أصبحت هذه الدولة ذات وزن عالمى أكبر، الأمر الذى زاد من وزن العوامل الداخلية فى تقرير سياستها العامة، وكان من بين هذه العوامل اليهود الموجودين فيها.

وأدركت الحركة الصهيونية مدى ما وصل إليه الأقتصاد البريطانى من تدهور نتيجة الحرب، ومدى إرتباطه بالأقتصاد الأمريكى الذى لم يتأثر كثيراً، بل استفاد من تحطم أو إصابة اقتصاد الدول الكبرى. واستغلت هذا الواقع لصالحها مستخدمة دعم الولايات المتحدة لها. كعامل ضغط على بريطانيا لحملها على تغيير سياسة الكتاب الأبيض.

وسط هذه الضغوط الرامية لحمل بريطانيا على تغيير سياستها وإلغاء الكتاب الأبيض، كانت هذه تمر فى مرحلة انتقال : فقد كانت

معركة الانتخابات البرلمانية بين حزبى المحافظين والعمال على أشدها.

وأسفرت المعركة فى شهريوليو ١٩٤٥ ، عن انتصار حزب العمال وتشكيله حكومه برئاسة «كليمنت أتلى» وتعيين «إرنست بيڤن» وزيرا للخارجية. ولم يكن من السهل على حزب العمال البريطانى، عقب تسلمه مقاليد الحكم، تنفيذ ما وعد به فى حملته الانتخابية، ولا حتى إلغاء الكتاب الأبيض رسميا.

وإزاء الضغوط الصهيونية الأمريكية ، كان من أولى المهام التى قامت بها حكومة العمال، تشكيل لجنة وزارية خاصة للخروج بتوصيات تهتدى بها الحكومة فى سياستها تجاه القضية الفلسطينية، ومن بين التوصيات التى خرجت بها الحكومة وأقرتها، السماح بالهجرة اليهودية إلى فلسطين على أن لا تتعدى ١٥٠٠ مهاجر شهريا، ناقضة بذلك الكتاب الأبيض. وحرصت الحكومة البريطانية على إطلاع قادة الحركة الصهيونية على التوصيات قبل نشرها وإعتمادها رسميا، إلا أنها لم تجد من يستجيب لها. فقد رفض رئيس الإدارة الصهيونية، «حاييم وايزمان»، عرض وزير خارجية بريطانيا بخصوص سقف الهجرة الجديد.

وقد أدلى وزير خارجية بريطانيا ببيان فى نوفمبر ١٩٤٥، وكشف البيان النقاب عن أن الحكومة البريطانية تعتزم تشكيل لجنة تحقيق بريطانية أمريكية لتقصى الحقائق والخروج بتوصيات حول الموضوعين المذكورين: يهود أوروبا والهجرة، والموقف العربى والصهيونى، تهتدى السياسة البريطانية بها.

وتشكلت لجنة التحقيق من اثنى عشر عضواً، ستة بريطانيين وستة أمريكيين، وتولى رئاستها شخصان، بريطانى وأمريكى، وتمثل الجزء الأول من نشاطها بعقد اجتماعات مطولة فى الولايات المتحدة ولندن وبعض العواصم الأوروبية مع قادة الحركة الصهيونية وزعماء الجاليات اليهودية. كما استمعت إلى شهادات أدلت بها شخصيات أمريكية وبريطانية، وزارت مخيمات المعتقلين اليهود فى أوروبا، وأطلعت على أوضاعهم وأحوالهم. أما الجزء الثانى: وهو زيارة فلسطين وبعض العواصم العربية، فقد تم فى بداية شهر مارس ١٩٤٦ حيث استمعت إلى شهادات ومحاضرات لزعماء الحركة الصهيونية وبعض الزعماء الفلسطينيين والعرب وعدد من الشخصيات البريطانية.

وفى العشرين من أبريل ١٩٤٦ أصدرت لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية تقريرا يتضمن عشر توصيات، أهمها التوصية الثانية التى طالبت بالتصديق الفورى على السماح لمئة ألف يهودى من «ضحايا المطاردات النازية والفاشية»، بدخول فلسطين، على أن تتم هجرة هؤلاء خلال الفترة المتبقية من عام ١٩٤٦ . وفيما يتعلق بالهجرة اليهودية بشكل عام ، جاء فى التوصية هذه :«أن الهجرة الحقيقية ستتقدم بسرعة طالما تسمح الظروف بذلك». وكذلك التوصية الثالثة التى ركزت على ضرورة عدم تحول فلسطين إلى دولة يهودية، أو دولة عربية ومع الحرص على عدم «سيطرة اليهودى على العربى أو سيطرة العربى على اليهودى». وأوضح التقرير ، فى التوصية الرابعة، طبيعة الفترة الانتقالية . إذ دعت هذه التوصية إلى استمرار

الانتداب البريطانى فى فلسطين «إلى أن يستأصل هذا العداء» وإلى حين توقيع اتفاقية وصاية بإشراف الأمم المتحدة. أما التوصية السابع، فقد دعت إلى إلغاء قوانين الأراضى لعام ١٩٤٠ .

وكان الأمريكيون هم الطرف الوحيد الذى أعلن عن سروره واغتباطه بالنتائج التى توصلت إليها اللجنة. ولم يدع الرئيس الأمريكى الفرصة تفوته دون إصدار بيان، عقب صدور التوصيات، يعلن فيه «إننى سعيد للغاية لموافقة لجنة التحقيق الأمريكية البريطانية على طلبى الخاص بإدخال مئة ألف يهودى فورا إلى فلسطين .. كما أننى مسرور لكون اللجنة أوصت بالفعل بإلغاء الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ ، بما فى ذلك القيود على الهجرة وامتلاك الأراضى، لكى يتمكن الوطن القومى اليهودى من الإستمرار والتطور».

على الرغم من أن البيان أحدث ثغرة كبيره فى سور الكتاب الأبيض ، وذلك بإنتهاكه ركيزتين أساسيتين فيه هما : ركيزة الهجرة، حيث سمح بهجرة ١٥٠٠ يهودى شهريا على الرغم من أن الهجرة اليهودية كانت قد استنفذت جميع ما خصص لها من تصاريح (٧٥ ألف تصريح) وفق الكتاب الأبيض، وركيزة التعهد بإقامة دولة عربية فى فلسطين، بإعلان بيڤن عن اعتزام حكومته وضع فلسطين تحت الوصاية الدولية، وعلى الرغم من أن قادة الحركة الصهيونية، مثل «وايزمان» و«بن جوريون» «وشاريت»، كانوا على علم مسبق بنوايا حكومة العمال وتوجهاتها السياسية، إلا أنهم أصيبوا إلى جانب الييشوف اليهودى بخيبة وخذلان من إعلان السياسة البريطانية على الملأ. وقد اتسمت ردود فعل الوسط اليهودى

فى فلسطين بالغضب والسخط ضد «خيانة» حكومة حزب العمال للوعود السابقة.

(ب) بوادر العصيان العبرى:

وأخيراً أخذت قيادة الهاجاناه تعد مشروع خطة للنضال ضدالسياسة البريطانية، تعتمد على دمج النشاط العسكرى بالعصيان المدنى دون الحاق الأذى بأرواح أفراد الخصم. وترتكز هذه الخطة على ثلاث مراحل عمل تخدم هدفا استراتيجيا واحدا هو حماية الهجرة والاستيطان. وهذه المراحل الثلاث التى تعد بمثابة خيارات عمل أمام السياسة هى :

١- القيام بمظاهرات فى المدن ترتبط بموضوعى الهجرة والاستيطان، مع إبداء مقاومة سلبية ونشطة لأعمال التفتيش، والتعرض للزوارق وأجهزة الرادار.

٢- االقيام بعمليات ضد شبكة الاتصالات وقوات الشرطة والمخابرات.

٣- القيام بعمليات ضد أهداف عسكرية هامه كالمعسكرات والمطارات وأنابيب النفط.

وعلى الرغم من أن حكومة العمال البريطانية، أقدمت على إحداث ثغرة كبيره فى سور الكتاب الأبيض، إلا أن هذه الثغرة لم تكن بالمقدار الذى يمكن لهذا النشاط التوقف عنده.

ووسط التباين من وجهتى النظر البريطانية والصهيونية، أخذ الفريق الصهيونى ينشط فى تبنى سياسة جديده تعتمد على توجيه

الضغوط السياسية المشفوعة بمظاهر عسكرية ضد الإدارة البريطانية فى فلسطين. وقد ساعدت عوامل أربعة، اثنان منها خارجيان أما الآخران فداخليان على انتهاج هذا الخط الجديد.

١ - التأييد الأمريكى:

بلغ الدعم الأمريكى للمشروع الصهيونى فى هذه الفترة أوجهه، فقد تسابق الحزبان الرئيسيان هناك على إعلان تعاطفهما الشديد مع الصهيونية، واتخذ مجلس الشيوخ والنواب، مع ظهور حركة العصيان، قرارا مؤيدا للصهيونية.

أضف إلى ذلك نشاط الرئيس ترومان تجاه قضية الهجرة اليهودية، والموقف الشهير لسلفة الرئيس «هوفر» الداعى إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين وتهجير سكانها العرب إلى العراق.

وبمقدار ما شكل هذا الدعم من حالة ضغط على بريطانيا، فإنه شجع قادة الحركة الصهيونية على اتخاذ النقلة الجديده فى الموقف من الحكومة البريطانية.

٢- الحرج البريطانى إذ كان الفريق الصهيونى يدرك تماما مدى الحرج الذى يحيط برد الفعل البريطانى على إعلان التمرد أو العصيان، آخذت بعين الاعتبار المجازر التى ارتكبت بحق اليهود على يد النازية، والضغوط الأمريكية والصهيونية. وكذلك التماثل فى المصالح الجوهرية للطرفين.

٣- وجود شخصيات من الفريق «النشط» فى التيار الصهيونى على رأس الهاجاناه.

٤- تخوف الهاجاناه من ازدياد نفوذ كل من إتسل وليحى فى الوسط اليهودى، فى حال مواصلة سلطات الييشوف المنظم انتهاج سلاح الاحتجاج اللفظى، خاصة وأن المنظمتين المنافستين، كانتا قد أخذتا تنشطان عسكريا تحت مظلة الحملة السياسية الصهيونية وتلقيان أذنا صاغية داخل الييشوف اليهودى.

٢- محاولات الوحدة بين المنظمات المسلحة: -

شكلت ليحى، صغرى التنظيمات الصهيونية، حلقة وصل بين التنظيمين المتنافسين : الهاجاناه وإتسل. وقد كان لضغوط الهاجاناه عليها، وتخوفها من احتمال افتقادها لإطارها التنظيمى، فضل فى دفعها للقيام بدور حلقة الوصل، وإبداء نشاط ملموس فى هذا المجال.

تمكنت ليحى من الإفلات من عملية التصفية بفضل «الاتفاق السرى» الذى أبرم بينها وبين الهاجاناه، عقب مصرع اللورد موين فى القاهرة. واستغلت المنظمة هذه الفترة التى عاشت فيها تحت كنف الهاجاناه ، لإعداد عناصرها فى دورات تدريبية. وقطعت شوطا كبيراً فى هذا المجال ولا سيما فى ميدان تطوير جهازها للمخابرات . ومع انتهاء فترة التصفية وانتهاء الحرب العالمية، وبدء الييشوف المنظم بحملة سياسية محمومة، واستعداد الهاجاناه للعمل عسكريا لإعطاء ثقل للحملة السياسية، أخذت أنظار قيادتها تصبو نحو ليحى لإدخالها فى توجهها الجديد لإضفاء صفة الشمولية على النضال العسكرى. من أجل هذا الغرض، جرت اتصالات عده بين «موشى سنيه» و«يسرائيل غليلى» و«ناتان يلين مور» بهدف تحقيق وحدة المنظمتين تحت عنوان التصدى للسياسة البريطانية،

ومعارضتها لاستئناف نشاط إتسل، وتعاونها، حتى فى ذلك الوقت، ولو بشكل مخفف، مع سلطات الانتداب ضدإتسل، فإنها اكتفت باستمرار الحوار الوحدوى مع ليحى.

على ضوء مسار العلاقة بين الهاجاناه وليحى، وما يحمله هذا من ضغوط على المنظمة الصغيرة التى راحت تسعى محاولة تكييف نفسها مع الأوضاع المستجدة، وتأكيد ذاتها واستقلالها، تحركت ليحى ومدت يدها نحو إتسل بعد أن كانت الاتصالات قد انقطعت بينهما عقب مصرع اللوردموين، طارحة عليها فكرة تكتل المنظمات الثلاث إلى مستوى الوحدة فى حال ارتقاء وتيره النضال ضد السياسة البريطانية بغية دفع الحكومة البريطانية إلى انتهاج سياسة موالية أكثر للصهيونية.

وتوصلت التنظيمات الثلاثة، فى نهاية الأمر، وبعد لأى، إلى اتفاق حول ضبط العمليات العسكرية وتنسيقها بقيادة حركة العصيان العبرى. واتفقت الأطراف على إبقائه شفهية ولم تقم بصياغته كتابة.

عكست الاتفاقية المتسمه بالفضفاضية والغموض العلاقات بين التنظيمات الثلاثة، إذ أنها حاولت التوفيق بين سعى الهاجاناه لإخضاع التنظيمين الآخرين لسلطة اليشوف المنظم «البند الثالث» وسعى كل من إتسل وليحى للحفاظ على وجودهما المستقل وتأكيده «البند السادس» ومن الجدير بالذكر أن البند الخاص بالاستيلاء على الأسلحة والحصول على الأموال وإطلاق سراح المعتقلين«البند السادس» كان مثار خلاف شديد بين الطرفين، ولم توافق عليه الهاجاناه إلا بعد مداولات واقتراحات مضادة من بينها اقتراح يدعو إلى فتح خزينة الهاجاناه ومستودعاتها أمام التنظيمين.وهذا مالم تكن

الهاجاناه لترضاه إطلاقا، مما إضطرها إلى رفع اعتراضها عن مسألة الحصول على الأسلحة والأموال وبذلك، أمكن التوفيق بين موضوعى الهيمنة والاستقلالية.

٣ـ طبيعة حركة العصيان العبرى:

إن حركة العصيان العبرى التى ضمت تحت سقفها التنظيمات الصهيونية الثلاثة، والتى اختارت الوكالة اليهودية وقيادة الهاجاناه اسمها، لم تكن ثورة أو تمرداً ضد الوجود البريطانى الاستعمارى فى فلسطين. وليس من العبث تعمد القائمين عليها اختيار صفة «العصيان» دون التمرد أو الثورة.

ولم يكن فهم إتسل مغاير لفهم قادة الهاجاناه ووسائل إعلامها تجاه الاستعمار البريطانى، وإن كانت ، بفعل ضغوط الظروف، وممارستها لإعلان«التمرد» وما استتبع ذلك من ردود فعل بريطانية قد أخذت تتجاوز فى بعض الأحيان نظرية الضغط الخاصة. أما ليحى ذات الفهم «المعلن» المغاير للطبيعة الاستعمارية لبريطانيا. فقد سارت، طوال فترة حركة العصيان، وفق فهم كل من الهاجاناه وإتسل، وغضت الطرف عن فهمها «المعلن» بيد أن السؤال الذى يطرح نفسه هو كيف تناضل الحركه الجديدة ضد قوة أجنبية لا ترى فى بقائها ما يتناقض مع أهدافها، بل وترى فيها قوه وسنداً لها، وتعتبر جنودها حلفاء لها ؟

وبرز داخل اليشوف اليهودى، وكنتيجة لطبيعته كمجتمع مهاجرين ومستوطنين فى طور التكوين لم تسمح له درجة التطوير التى بلغها الاستغناء عن القوة الاستعمارية التى احتضنته على الرغم

من تعارضه معها، فريقان يحملان أسلوبين للمواجهة: أنصار «النضال المرتبط» وأنصار «النضال المتواصل».

(أ) النضال المرتبط:

ينطلق أصحاب هذا الفريق من الإدعاء القائل بأن ليس بمقدور التجمع اليهودى الإستيطانى الصهيونى فى فلسطين مواجهة بريطانيا والاشتباك مع قواتها، اعتقادا منهم بأن الاشتباك الحقيقى سيؤدى. فى نهاية الأمر إلى إضعاف اليشوف وتدميره. لذا فهم يرون ضرورة ارتباط النضال بمشاريع حيوية للمشروع الصهيونى فى حددوها بثلاثة هى:-

الهجرة والاستيطان ، نمو القدره العسكرية فى إطار الهاجاناه. فإذا ما تصدت سلطات الانتداب لهذه المشاريع، أو لأحدها يجب، حينذاك، فقط النضال والتصدى للقوة المباشرة التى تحاول المساس بها، أو بأحدها، مع الحرص على تقليص الخسائر البشرية فى أى صدام.

(ب) النضال المتواصل:

ينطلق أصحاب هذا الفريق من وجهة النظر القائلة أن النضال ضد السياسة البريطانية هو بحد ذاته ضرورة سياسية، إذ أنه يستهدف تغيير السياسة البريطانية برمتها لصالح المشروع الصهيونى. لذا لا يمكن ربطه أو تقييده بالمشاريع الصهيونية آنفه الذكر.

٤ـ تصاعد حركة العصيان:

عقب إعلان وزير الخارجية البريطانى بيانه الشهير الذى هز اليشوف اليهودى فى الصميم ، وتسبب فى حدوث مظاهرات ومسيرات احتجاجية فى الوسط اليهودى. كان على حركة العصيان أن تتحرك لتغيير السياسة البريطانية المعلنة، فقررت توجيه ضربة ضد محطتى شرطة لعلاقتهما بمنع التسلل من المهاجرين اليهود إلى فلسطين.

ولم يكن أمام السلطات البريطانية إزاء الخسائر فى الأرواح، مناص من تصليب موقفها تجاه كل من إتسل وليحى، فألقت القبض على أعداد من مناصريهما، ونفت ٥٥ شخصا منهم إلى أرتيريا.

عقب التصلب فى موقف سلطات الانتداب البريطانية تجاه الصهيونية، واتخاذ الأولى بعض الإجراءات التشريعية ضد الأخيرة، رأت قيادة حركة العصيان العبرى وقف النشاط العسكرى لفترة استغرقت قرابة شهرين، استغلتها إتسل وليحى فى القيام بأعمال السطو على الأسلحة، والأموال، استنادا إلى البند السادس فى اتفاق «حركة العصيان».

بعد هذه العمليات ومع وصول اللجنة البريطانية- الأمريكية، وفى أوائل مارس ١٩٤٦ ، أمرت الوكالة التنظيمات المنطوية تحت لواء حركة العصيان بوقف نشاطها طوال فترة مكوث اللجنة فى فلسطين، باستثناء أنشطة صغيرة وافقت عليها تتعلق بموضوعى، الهجرة والاستيطان . مثل قضية مستوطنة بريا والهجرة «غير الشرعية»، لا

تصل حدتها إلى الدرجة التى يجد البريطانيون أنفسهم مضطرين للتحرك دفاعا عن أرواحهم.

وإبان الاتصالات فى وجود اللجنة البريطانية ـ الأمريكية تعهد الطرف الصهيونى الحفاظ على الأمن ، بيد أنه رفض، وبشكل قاطع عملية تجميع الأسلحة من اليهود، بحجة أن تنفيذ التوصيات سيواجه بمقاومة من العرب وليس من اليهود. ووقف البريطانيون عند هذه النقطة بالذات، أى مقاومة العرب التى تتطلب بناء على تقديرات قيادة أركان الجيش البريطانى، إرسال فرقة إضافية إلى فلسطين وسفك مزيدمن الدماء، إلى جانب وقوفهم عند الأعباء المالية التى يتكلفها مشروع نقل مئة ألف شخص، ومطالبتهم بتحمل الولايات المتحدةنصيبها من هذه الأعباء.

وفى نهاية الأمر، استقر الموقف البريطانى، وسط المفاوضات التى أجريت مع الفريق الصهيونى والاتصالات التى تمت مع الولايات المتحدة، وإزاء مختلف الضغوط، على تشكيل لجنة بريطانية أمريكية ثانية لدراسة سبل تطبيق توصيات اللجنة السابقة. وقد عرفت هذه اللجنة باسم، «لجنة موريسون ـ جرايدى» نسبة إلى إسمى رئيسيها اللورد هربرت موريسون البريطانى، والسفير هنرى جرايدى الأمريكى، وتوصلت اللجنة الجديده إلى مشروع خطة جديدة، طرحته أمام البرلمان البريطانى فى أواخر شهر يوليو ١٩٤٦ ويتلخص فى تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق:

منطقة يهودية، وأخرى عربية تحكمان محليا، ومنطقتان أخريان: القدس والنقب تخضعان لحكم بريطانى مباشر، على أن تخضع

المناطق الأربعة لحكومة مركزية. وتضمن المشروع حل قضية هجرة المئة ألف بادخالهم، خلال عام، إلى المنطقة اليهودية.

مع تبلور المشروع بتشكيل اللجنة الجديدة، كانت العلاقات البريطانية الصهيونية قد عادت إلى سابق تأزمها، وسط حملة صهيونية محمومة، موافقة بضغوط أمريكية ضد سياسة حكومة العمال، ومشفوعة بمظاهرات يهودية ضخمة فى الولايات المتحدة. إزاء هذا الوضع، كان لابد من عودة حركة العصيان إلى سابق نشاطها، لإعطاء ثقل للحملة السياسية.

وقد تحكمت طبيعة العلاقة القائمة بين الاستعمار البريطانى والمشروع الصهيونى بردود فعل سلطات الانتداب البريطانية على نشاط حركة العصيان العبرى، إلى جانب عوامل خارجية أهمها، تنامى وزن الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة وما يستتبع ذلك من ضغوط ثقيلة على السياسة البريطانية، وكذلك تعرض اليهود فى أوروبا للمجازر النازية.

لذا كانت ردود الفعل، طوال فترة حركة العصيان، تتسم بالليونة المفرطة إذا ما قيست بردود الفعل الدارجة والمألوفة لقوات إحتلال ضد أية حركة تحرر وطنى لشعب محتل. وقد اقتصرت هذه الردود على إقامة حواجز فى بعض الطرقات بحثا عن المشبوهين، وعلى مداهمة بعض المستوطنات والأحياء دون إخضاعها لتمشيط دقيق.

ومع نفاد صبر القوات البريطانية قامت بعملية حاسمة، ففى صبيحة السبت ٢٩ يونيو ١٩٤٦، نفذت قوات بريطانية كبيره يقدر

عددها بـ ١٧ ألف رجلا أول ضربة من نوعها ضد قيادة الوكالة اليهودية وحركة العصيان. لم تفاجأ قيادة الهاجاناه بالعملية وإن كانت قد ارتبكت حيالها. فقبل يوم من البدء بالتنفيذ، اتصل أحد كبار الضباط البريطانيين من المتعاطفين مع المشروع الصهيوني بالهاجاناه وأبلغها بتفاصيل الخطة الواسعة النطاق التى كان من المقرر لها أن تبدأ مع الفجر.

مع فجر السبت،اقتحمت قوات كبيره، فى كل من القدس وتل أبيب، المؤسسات التابعة للوكالة اليهودية، واحتلت مقر الوكالة، واستولت على وثائقها للبرهنة على دورها فى قيادة حركة العصيان. كما اعتقلت عددا من أعضاء الوكالة «موشى شاريت» رئيس الدائرة السياسية فى الوكالة اليهودية.

وشملت أعمال التفتيش، إلى جانب التجمعات اليهودية فى المدن، قرابة ٢٧ مستوطنة يهودية. وبلغ العدد الإجمالى للمعتقلين اليهود من جراء العملية، حوالى ٢٧٠٠ شخص من بينهم حوالى مئتى عنصر من قوات البلماح. اقتيدوا جميعهم إلى عدد من المعتقلات.

وسط أجواء الذهول التى ألمت باليشوف اليهودى من جراء العملية، أخذت مواقف التيارات الصهيونية المختلفة تتباين حول الموقف من البريطانيين، وتمحورت حول وجهتى نظر، تدعو الأولى إلى مواصلة النضال وفق نهج حركة العصيان، والتفت حولها الفئات المختلفة من الأحزاب الصهيونية، ومثلها «بن جوريون» - كان خارج فلسطين - الذى شن حملة شعواء ضد ما أسماه بـ «مجزرة يوم السبت» وأعرب عن اعتقاده أن المجزرة الجسدية التى جرت هذا الأسبوع ..

جاءت كنتيجة مباشرة للمجزرة السياسية لسلطات الأنتداب التى مضى عليها، حتى الآن، سبع سنوات... وهى المسؤولة... عن موت عشرات الألوف من أبناء إسرائيل وأطفال إسرائيل الذين قتلوا إبان الحكم النازى.

٥- نهاية حركة العصيان العبرى:-

(أ) ظهر يوم ١٢ يوليو ١٩٤٦، حدث، وفق خطة أعدها «عميحاى باجلين» عن إتسل وساهم فيها «إسحاق ساديه» عن الهاجاناه، إنفجار فى فندق الملك داوود فى القدس أدى إلى انهيار القسم الجنوبى منه وإلى وقوع خسائر كبيره فى الأرواح.

وضعت، حسب الخطة، مواد ناسفة زنتها ٣٥٠ كج مع جهازين للتفجير أحدهما خاص بالتوقيت بحيث يحدث الانفجار عقب مضى نصف ساعة على تشغيل الجهاز، والآخر معد لإفشال أية محاولة لإبعاد الموادالمتفجرة عن المكان أو حل جهاز التفجير. وتأجل موعد تنفيذ الخطة أكثر من مرة لمطالبة الهاجاناه بذلك من جهة، ومطالبة ليحى، من جهة أخرى، بمزيد من التنسيق بين العملية التى تعتزم إتسل تنفيذها والعملية التى كان من المقرر أن تقوم بها مجموعة تابعة لها ضد مبان حكومية قريبة من فندق الملك داوود، فى وقت واحد.

كان صدى العملية، بين صفوف الجمهور اليهودى فى فلسطين، مشوبا بالإستياء والخوف من ردود الفعل المحتملة. وأصبح البيشوف اليهودى يعيش، من جديد، تحت ظلال أزمة شبيهة بتلك التى

أعقبت مصرع اللورد موين فى القاهرة، ولم يكن بوسع نجاح العملية رفع الروح المعنوية التى أخذت بالتدهور تخوفا مما يحمله هذا النجاح، بين طياته، من احتمالات خطره للمشروع الصهيونى.

أما قيادة الهاجاناه، فقد واجهت العملية بالدهشة والارتباك بسبب الخسائر الكبيره التى وقعت فى الأرواح، ووجدت نفسها تمر فى وضع يعيد إلى الأذهان، فى بعض جوانبه الوضع الذى إجتازته إتسل فى علاقتها مع ليحى عقب مصرع اللورد موين فى القاهرة.

خلافا لردود الفعل المرتبكة لقادة الهاجاناه كانت ردود فعل قادة المؤسسات الصهيونية، (الوكالة اليهودية واللجنة القومية والهستدروت)، تتسم بالتنديد الواضح الصريح، مع تحميل «المنشقين» مسئولية ما أسمته بـ، «العمل الإجرامى» فى القدس، فقد أعرب قادة هذه المؤسسات وكذلك رؤساء البلديات اليهودية فى بيان غداة اليوم الثانى للعملية، عن «استيائهم للعمل الشنيع الذى لا مثيل له، ونفذته «عصابة مجرمة».

كتلخيص لما سبق، يمكن القول أن تبعات عملية فندق الملك داوود على التنظيمات الصهيونية والعلاقات القائمة فيما بينها كانت خطيره. فقد أدت إلى خلق أزمة وخلخلة فى قيادة الهاجاناه، إنعكستا فى إستقالة زعيمها «موشى سنيه»، كما أنها أعادت العلاقات بين التنظيمات «الهاجاناه فى وجه المنشقين» إلى سابق عهدها، حيث أخذت تتبادل التهم القاسية التى كانت تصل إلى درجة التخوين وسط دعوات التصفية، الأمر الذى أثر على أسس حركة العصيان العبرى وعصف بها، وأفرغها من محتواها ومضمونها.

عقب عملية فندق داوود وما أسفرت عنه من خسائر فى الأرواح، أخذت سلطات الانتداب البريطانية تنشط للجم نشاط التنظيمات الصهيونية، وأعدت خطة لمحاصرة تل أبيب وإخضاعها لحملة تفتيشية واسعة النطاق.

ومهدت لذلك بإتخاذها خطوتين، الأولى موجه إلى الرأى العام، والثانية إلى القوات البريطانية المرابطة فى فلسطين. فقد أصدرت الحكومة البريطانية، عقب مضى يومين على عملية الفندق «كتابا أبيض» يتضمن إثباتات وبراهين على العلاقة القائمة بين الوكالة اليهودية وما أسمته بالنشاط الإرهابى فى فلسطين وعلى قيادة الوكالة لهذا النشاط.

وجاءت الخطوة البريطانية الثانية على شكل تعميم داخلى وجهه اللفتنانت جنرال باركر، القائد العسكرى الجديد للقوات البريطانية، إلى ضباط جيشه، وعدهم فيه بالأنتقام لضحايا عملية فندق الملك دواود وسائر العمليات الأخرى. وجاء فى التعميم الذى تسرب إلى يد مخابرات إتسل والذى نشرته هذه بدورها، على الملأ عبر إذاعتها السرية، والذى تلقفته وسائل الإعلام الصهونية فى الخارج وعممته، بدورها، باعتباره وثيقة «لا سامية» إن «الطائفة اليهودية فى البلاد ليس بوسعها التنصل من مسؤلية سلسلة الفظائع التى وصلت إلى ذورتها بتفجير جزء كبير من مكاتب الحكومة فى فندق الملك داوود.

(ب) فى صبيحة ٣٠ يوليو ١٩٤٦ أى عقب مضى أسبوع على عملية الفندق نفذت سلطات الأنتداب عملية ضد مدينة تل أبيب التى تحتضن ثلث عدد المستوطنين اليهود فى فلسطين، أطلقت عليها اسم

(سمك القرش) اشترك فيها أكثر من عشرين ألف جندى بريطانى. وقد استهدفت العملية إلقاء القبض على أكبر عدد من مسؤولى التنظيمات الثلاثة، وكشف مستودعات الأسلحة التابعة لها. وقد عمد البريطانيون فى تصريحاتهم وتوضيحاتهم عند البدء بالتنفيذ، إلى التمييز بين الهاجاناه وكل من إتسل وليحى.

ففى حديث صحافى لقائد الحمله البريطانية، أكد هذا على أن العملية «ليست موجهة ضد الهاجاناه، وإنما هى بمثابة خطوة .. لتصفية «العصابات الإرهابية».

وخلال الضربة البريطانية الثانية، كانت حركة العصيان العبرى تلفظ أنفاسها الأخيره. فقد كانت الهاجاناه، العمود الفقرى للحركة، قد أوقفت نشاطها عقب الضربة الأولى المعروفه بـ «السبت الأسود» بناء على تعليمات قيادة الوكالة اليهودية، وتمسكت بالتعليمات عقب الضربة الثانية. واعتبر التنظيمان الآخران، شريكاها فى الحركه، هذا التوقف فى أدبياتهما الصادرة فى ذلك الحين، بمثابة خنوع واستسلام وفى بعض الأحيان خيانة.

بينما رأى أحد قادة إتسل «شموئيل كاتسى»، فى مذكراته عن تلك الحقبة - ويبدو تحت تأثير الرواسب القديمة - أن وقف نشاط حركة العصيان، غير ذلك، إذ أنه لم يعتبره استسلاما اعتقادا منه أن «العصيان» الذى أجمعت عليه التنظيمات الثلاثة لم تصل إلى مرتبة العصيان وذلك بطرحه فى سياق تقييمه للحركة، تساؤلا ورداً : «كيف يمكن للوكالة اليهودية توضيح استسلامها وتبريره حيال أول طلقة نارية بريطانية جاده؟ الأمر بسيط لم يكن هناك استسلام، فحقيقة، الأمر أنه لم يكن هناك عصيان أبداً».

وبذلك انتهت مرحلة اللقاء الوقتى ، لتفتح المجال أمام مرحلة أخرى عادت بالعلاقات بين التنظيمات إلى سابق عهدها، ومهدت الطريق أمام «سيزون» آخر، قلل من حجمه وحدته اقتراب ساعة حسم مستقبل فلسطين.

الفصل السادس

مشروعات التقسيم وقيام الدولة الصهيونية

سادساً: مشروعات التقسيم وقيام الدولة اليهودية

١- مشروعات التقسيم:

أ- أصبح من الواضح عقب معارضة طرفى الصراع لمشروع «موريسون - جرايدى»، وتباين موقفيهما تجاهه، أن القضية الفلسطينية أخذت تنعطف وتشق طريقها نحو التدويل ولم يكن هذا الأنعطاف حاداً، فقد حدث فى أعقاب محاولة أخيرة للجمع بين الطرفين تمثلت فى الدعوة البريطانية لعقد مؤتمر لندن فى مطلع سنة ١٩٤٧ .

سارت المفاوضات التى كانت تدور بين الطرفين فى دائرة مغلقة، ردد فيها الطرفان الأساسيان موقفيهما المتناقضين تجاه مستقبل فلسطين، الأمر الذى دفع وزير خارجية بريطانيا إلى إخراج آخر ما فى جعبته: مشروع جديد مع إشهار سيف التهديد بالتدويل. ويعد مشروع بيفن بمثابة نسخة معدلة لمشروع موريسون- جرايدى استبدل بموجبه نظام الأنتداب بنظام وصاية بريطانية لفترة خمسة أعوام تقام بانتهائها دولة فلسطينية فدرالية بموافقة الطرفين. وفى حال تعذر الموافقة تطرح القضية على بساط البحث فى الأمم المتحدة.

إزاء تعثر المفاوضات أعلنت بريطانيا فى أواسط فبراير سنة ١٩٤٧ عن اعتزامها إحالة القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة، وبدأ الانعطاف هذا يشق طريقه بشكل جلى فى أوائل مارس من العام نفسه، وذلك عندما تقدمت بريطانيا بطلب إلى الأمم المتحدة تدعو فيه إلى عقد جلسة طارئة للجمعية العامة بغية انتخاب لجنة خاصة، من بين صفوفها لدراسة القضية الفلسطينية، وتقديم توصيات إلى الجمعية فى دروتها الإعتيادية المقبلة. وعادت ثانية، فى أوائل شهر أبريل، وبعثت بالاقتراح نفسه إلى السكرتير العام للأمم المتحدة.

عشية إنعقاد الدورة العادية للجمعية العامة فى سبتمبر وخلال مناقشتها لتقرير اللجنة وسط أجواء الترقب الصعبة، أعلنت بريطانيا، على لسان أكثر من مسئول، عن اعتزامها إجلاء قواتها من فلسطين. ولم يكن فى هذا الإعلان، ما يثلج صدر قادة التيارات الصهيونية وتنظيماتها المسلحة؛ إذ أنهم عدوا الجلاء، فى هذا الوقت المبكر، يتنافى والمسعى الصهيونى الثابت والرامى إلى استمرار التواجد البريطانى العسكرى فى فلسطين، إلى أن تصبح الجالية اليهودية أكثرية فيها، أو إلى أن تصل إلى تلك الدرجة من القوة التى تمكنها من إقامة الدولة اليهودية وتحول دون أى خطر يهددها من السكان الأصليين. وجاء الأعلان قبل أن يتم التيقن من توافر ضمان لتحقيق أى من الشرطين، مما آثار تخوفات على مصير المشروع الصهيونى.

وبعد حوالى شهرين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة اجتماعاً خاصاً صوتت فيه على مشروع التقسيم الذى نال ٣٢ صوتا مقابل معارضة ١٣ صوتا وامتناع عشرة عن

التصويت وبذلك ، نال ثلثى الأصوات، واستقبل بفرحة غامرة من قبل الأوساط الصهيونية العالمية التى لم تعادلها إلا فرحة الأعلان عن قيام الدولة فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . ولم يكن بوسع معارضة كل من إتسل وليحى المعلنة للتقسيم تعكير أجواء الفرح العارم التى واجهتها أجواء من المرارة والسخط بين صفوف السكان الأصليين أهل البلاد الشرعيين.

(ب) فى هذه الفترة، أقدمت قيادة الهاجاناه على وضع مهمة أساسية نصب أعينها وقد تمثلت هذه المهمة بالعمل على ترسيخ الخوف من الخطر المرتقب المتمثل فى العرب فى أذهان الأعضاء وتضخيمه والتهويل من شأنه. وقد كان هذا نتيجة لحملة من العوامل المتضافرة هى: إحساس قيادة الهاجاناه بعدم إيلاء الييشوف اليهودى كبير أهتمام لإمكانية التصادم مع السكان الأصليين بسبب الفترة الطويلة من الهدوء (حوالى ثمانية أعوام) التى سادت العلاقة بين السكان العرب والتجمع الاستيطانى الصهيونى. وتوجيه أنظار اليشوف خلال فترة العصيان، نحو معاداة السياسة البريطانية، فى الوقت الذى كان فيه التنظيمان الأخران يواصلان، من خلال وسائل أعلامهما، التركيز على معاداة الإدارة البريطانية، أو الاستعمار البريطانى والتقليل من شأن العرب واعتبارهم حليفا محتملاً، وسط أجواء الأقتتال الداخلى واحتمال نشوب لهيب حرب أهلية.

وقد لعب «بن جوريون» دوراً أساسياً فى رسم هذه المهمة، ففى أواخر يونيو ١٩٤٧ ، بعث بتعليمات إلى قيادة الهاجاناه أكد فيها على الخطر العربى المستقبلى بالنسبة للمشروع الصهيونى.

ولم تكن هذه العملية معزولة عن الجو العام للوضع الذى وصلت إليه التنظيمات الصهيونية تجاه السكان العرب، وعلى رأسها الهاجاناه التى أرادت إطفاء الحرائق فى الوسط اليهودى عن طريق إشعالها فى المحيط العربى. ولعل التناقض القائم بين رغبة قائد ليحى فى تمديد الوجود البريطانى فى فلسطين وبين تخوفه من احتمال تغير الظروف الدولية فى حال التمديد لغير مصلحة المشروع الصهيونى، فيها ما يفسر مشاركة ليحى للهاجاناه فى مسلسل الجرائم البشعة التى نفذت ضد السكان العرب. وذلك على الرغم من ادعائها بمناهضة الاستعمار ورفعها شعارالأخوة العربية اليهودية.

٢- الصدام العربى الإسرائيلى

(أ) - تركزت الاشتباكات الأساسية فى بداية الحرب داخل المدن المختلطة وفى ضواحيها، وانتهجت التنظيمات الصهيونية، إلى جانب أسلوب القتال الثابت، أسلوب «أضرب وأهرب».

وقد أخضعت الهاجاناه نشاطها العسكرى، فى المراحل الأولى فى الحرب، لخدمة تنفيذ قرار التقسيم، بينما هدف التنظيمان الآخران، فى نشاطاتهما العسكرية، إلى توسيع حدود الدولة المقترحة، ووضعا، ولاسيما إتسل، خططاً طموحة لخدمة هذا الهدف ، فقد انهمكت إتسل فى محاولة لتوسيع صفوفها وبناء جيش نظامى مواز للهاجاناه. وعبر قائدها بيجن (نوفمبر ١٩٤٧) عن ذلك بقوله: على «إتسل أن تتحول خلال فترة قصيرة من جسم عسكرى سرى مقلص إلى جيش نظامى يأخذ على عاتقه مهمة نقل الحرب إلى خارج حدود التقسيم».

وبناء على ذلك، أعدت المنظمة خطة استراتيجية تعتمد على احتلال مناطق عربية خارج حدود الدولة اليهودية المقترحة ووضعت نصب عينيها تحقيقها. والمناطق التى تشملها الخطة هى :-

١ - القدس ٢- يافا ٣ - اللد والرملة ٤ - المثلث (نابلس، جنين، طولكرم).

لم تكن قدرة إتسل العسكرية تتلاءم مع خططها الطموحة، لذا، لجأت إلى أسلوب «الضرب والفر» معتمدة على ما يحدثه هذا الأسلوب من أثر نفسى لدى الخصم، ومن بين ما قامت به، على سبيل المثال، دخول عناصرها فى ١٣ ديسمبر ١٩٤٧ ، القدس العربية وإلقائهم مواد متفجرة وسط التجمعات العربية أودت بحياة عشرة من العرب وألحقت إصابات بالعشرات، ودخول عدد من العناصر يافا بزى عربى، وإلقائهم قنبلة فى أحد المقاهى مما تسبب بمصرع ستة أشخاص وإصابة عدد كبير بجراح. وفى حيفا، ألقت مجموعة من عناصرها قنبلة على حشد عمالى عند معامل تكرير البترول فى المدينة، أسفر انفجارها عن مصرع ستة عمال عرب وإصابة عدد منهم بجراح.

ولم تختلف عمليات ليحى عن عمليات إتسل ، وإنما نافستها فى هذا النوع من النشاط الأرهابى المتمثل بزرع القنابل الموقوته وإلقاء المواد المتفجرة بين التجمعات العربية.

لم تكن الهاجاناه بعيدة عن هذا الأسلوب، وإن انتقدته، فقد نفذت عمليات كثيره مشابهة فى إطار ما أسمته بالعمليات الانتقامية

مستخدمة أسلوب نسف البيوت وحرقها. ويمكن القول أن التنظيمات الصهيونية واجهت المرحلة الأولى من الحرب العربية الإسرائيلية التى انعكست بتبادل إطلاق النار فى المدن المختلفة، وبالسيطرة على طرق المواصلات، بأسلوب متقارب تميز باستناده على الأرهاب وفق طريقة «أضرب وأهرب» واستهدافه إدخال الرعب بين صفوف السكان العرب بغية دفعهم إلى الرحيل. وقداختلفت الهاجاناه، فى هذه الفترة، فى نشاطها العسكرى، عن التنظيمين الآخرين من حيث تحديد هدف الحرب، ففى حين رأت أنه يتمحور حول تطبيق قرار التقسيم. رأى التنظيمان الآخران أنه يتمثل بكسر هذا القرار عبر احتلال أراضى عربية تقع خارج حدود الدولة اليهودية المقترحة. كما اختلفت عنهما فى ضوابط النشاط العسكرى، فقد خرجت على ربط عملياتها الانتقامية - لا تختلف عن العمليات الأرهابية للتنظيمين الآخرين وإن تفوقت عليها فى حجم الخسائر - بالعمليات العسكرية العربية، وتصويرها وكأنها رد فعل عليها، خلافاً للتنظيمين الآخرين اللذين لم يخضعا عملياتهما لردود الفعل.

فى هذا الجو، وعقب تفاقم العلاقات بين الهاجاناه وإتسل وبعد عودة عدد من المثقفين اليهود للعمل من أجل وحدة الصف داخل اليشوف بغية مواجهة الأخطار، وبعد مفاوضات مطولة تقطعت أكثر من مرة، توصل الطرفان، فى ٧ مارس ١٩٤٨ ، إلى مسودة اتفاق وحدوى شبيه إلى حد كبير، بصيغة اتفاق حركة العصيان العبرى. وهو ينص فى جوهره على التالى: تلتزم إتسل بحل نفسها لمنظمة عسكرية عند الإعلان عن تشكيل الحكومة وتلتزم بعدم مهاجمة

البريطانيين والعرب بدون موافقة مسبقة، وتخضع وحداتها الموجودة فى نطاق جبهات الهاجاناه لتعليمات قيادة الهاجاناه وتمتنع عن القيام بأية أعمال عنف أو سرقة، وعن امتلاك السلاح، إلا بعد الاتفاق على ذلك، وتقوم بالمهام التى تلقى على كاهلها.

(ب) وفى غضون ذلك، كانت إتسل وليحى تعدان العدة لترتكب، بدعم من الهاجاناه ومؤازرتها، فى قرية دير ياسين، واحدة من أفظع المجازر التى ارتكبت ضد المدنيين الآمنين.

ففى وسط المكاسب التى حققتها الهاجاناه فى معارك الطريق إلى القدس وتحت وطأة المنافسة بين التنظيمات، أعدت إتسل وليحى خطة لاحتلال قرية دير ياسين العربية، وأبلغتا قائد الهاجاناه فى القدس بالخطة، فوافق عليها ، وأرسل بعد ساعات من بدء المعركة، ذخائرإلى مقاتلى إتسل وليحى إلى جانب مجموعة من مقاتلى البلماح. وبوصول هذه المجموعة المزودة بأسلحة، بما فى ذلك مدفع هاون، تغير سير المعركة، فقد انقض المهاجمون الذين يمثلون التنظيمات الصهيونية الثلاثة واحتلوا القرية وارتكبوا فيها، بعد سقوطها أبشع المجازر فقد انهمكوا فى قتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ بطرق ووسائل مختلفة، كحصد الأهالى بالرصاص بعد إيقافهم صفوف بالقرب من الحوائط، وإلقاء قنابل عبر النوافذ لأزهاق أرواح السكان الموجودين داخل البيوت، ونسف البيوت على من فيها إلى أن تحولت القرية إلى أنقاض.

عند ذلك انهمك المهاجمون فى جمع ما تبقى من السكان على قيد الحياة وحولوهم إلى أسرى ليسيروا بهم فى شوارع القدس

اليهودية فى موكب النصر ليعودوا بهم ثانية إلى القرية وينفذوا فيهم حكم الأعدام.

وإذا كان من الواضح تماماً دور الهاجاناه فى سقوط القرية؛ إلا أن دورها فى ارتكاب المذبحة ضد السكان يكتنفه الغموض. فقد أجمعت مصادرهاعلى أن قوات البلماح انسحبت منها عقب سقوطها، تاركة لعناصر التنظيمين الآخرين القيام بالمذبحة.

وبلغت حصيلة هذه المجزرة أكثر من مئتين وخمسين شهيداً بين رجل وامرأة وشيخ وطفل، لاقوا حتفهم بطرق ووسائل بربرية بشعة، جعلت اسم القرية الصغيرةالوادعة الآمنة الواقعة قرب مدينة القدس، يتردد فى كل مكان وزمان كشاهدعلى ذروة الجرائم الصهيونية.

وخشيةمن احتمال قيام البريطانيين بعمل ما، أمام هول ما حدث، ضد إتسل طلب قائد الهاجاناه فى القدس من قيادة إتسل الاحتفاظ بالبلدة لمدة ٤٨ ساعة وبعد انقضاء المدة ، قدمت قوات من الهاجاناه إليها بعدأن انسحبت إتسل وليحى منها دون أن يحدث أى تدخل بريطانى.

وعلى الرغم من أن دير ياسين قد جمعت وألفت بين قلوب التنظيمات الصهيونية الثلاثة التى لم يسبق لها أن نسقت وشاركت مجتمعة حتى ذلك الحين فى أية عملية، إلا أنها، فى الوقت نفسه، شكلت شرخاً فى العلاقات القائمة فيما بينها، فقد هرعت أجهزة الييشوف المنظم وأدانت العملية محملة المنشقين وحدهم مسئولية المذبحة.

فقد أصدرت الوكالة اليهودية بياناً استنكرت فيه ما جرى فى دير ياسين على يد من اسمتهم بالمنشقين واصفة ما جرى بالوحشية والبربرية، ولا يتفق مع روح الشعب اليهودى وتقاليده المتمدنة الموروثة، وحرصت على إرسال نص بيانها إلى الملك عبدالله مختتمة إياه بالقول: «والوكالة اليهودية، وهى ترفع ذلك إلى مقام جلالتكم، تكرر من جديد استنكارها لهذا الحادث الفظيع الذى فاجأ الشعب اليهودى، كما فاجأ سائر الناس» كما أدانت الحاخامية اليهودية ما حدث، كما أصدرت الهاجاناه مع تسلمها القرية من قوات إتسل وليحى، بياناً موجهاً إلى الجمهور اليهودى فى فلسطين هاجمت فيه بشده «بربريه» التنظيمين الآخرين ووحشيتهما.

٣- محاولة حل البلماح

والبلماح هى القوه الضاربة فى منظمة الهاجاناه وكلمة بلماح تعنى الكتائب الساحقة.

وكانت الهجاناه، عشية إعلان الدولة اليهودية ووسط التوتر الذى ساد علاقاتها، تعانى من أزمة داخلية خطرة، ناجمة عن مساعى «بن جوريون» الحثيثة الرامية لتحويل المنظمة إلى جيش نظامى على غرار الجيش البريطانى. ولم يكن ذلك بالأمر السهل، ليس لأن ولادة المنظمة وتطورها اعتمدا أسلوب عمل المليشيا فقط، وإنما أيضاً وهو السبب الأهم، لأن ولاءات قطاعات منها كانت متعددة بتعدد التيارات الحزبية.

كان «بن جوريون» قد قطع ، عقب تسلمه مسؤلية الأمن فى الوكالة اليهودية، شوطاً بعيداً فى مجال تجييش المنظمة، وقد ساعدت

فى ذلك، اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية. بيد أن عملية التجييش لم تقض على تعددية الولاءات داخل المنظمة. فقد بقيت قوات البلماح، بأكثريتها الساحقة، موالية لحزب مبام ـ الذى تشكل من اندماج حزبى أحدوت هاعفودا وهاشوميرها تسعير، اللذين كانا يشكلان الجناح اليسارى فى الحركة العمالية. بينما كانت تقف معظم عناصر القوات الأخرى إلى جانب حزب مباى الذى يتزعمه «بن جوريون». وكان من الطبيعى أن ينعكس تنافس الحزبين، حول بسط النفوذ فى الوسط اليهودى، على الهاجاناه.

ومع اقتراب موعد الأعلان عن الدولة اليهودية، ووسط شبكة العلاقات التنافسيةالقائمة بين التيارين العماليين على بسط النفوذ، استدعى «بن جوريون» إليه فى ٢ مايو ١٩٤٨ «يسرائيل جليلى» وأبلغه عن الغائه منصب رئيس القيادة القطرية فى الهاجاناه، وأوضح له أنه يرفض مقولة بن أهارون (مبام) القائله بضرورة خلق جيش حزبى عمالى. وأصدر إثر إنتهاء الاجتماع، تعليمات إلى القيادة العامة للهاجاناه وقيادتها القطرية أعلن فيها عن إلغاء منصب رئيس القيادة القطرية ، وإنهاء عمل «يسرائيل جليلى» فى هذا المنصب.

القسم الثامن عشر

عرض القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة

الفصل الأول
مشكلة فلسطين والأمم المتحدة
وإعلان قيام دولة إسرائيل
الفصل الثانى
مقدمات الحرب
الفصل الثالث
بدايات العمليات العسكرية

الفصل الأول

مشكلة فلسطين والأمم المتحدة وإعلان قيام دولة إسرائيل



مشكلة فلسطين والأمم المتحدة

أعلن وزير خارجية بريطانيا فى مجلس العموم فى ١٨ فبراير عام ١٩٤٧ قرار إحالة المشكلة الفلسطينية على الأمم المتحدة. وفى ٢٨ أبريل من العام نفسه اجتمعت الجمعية العامة لبحث الموضوع. وحاولت بريطانيا إحباط المساعى لحل المشكلة الفلسطينية فى الأمم المتحدة، لولا الموقف المفاجئ للأتحاد السوفيتى فيما رأى من أن مشكلة فلسطين كانت أضعف نقطة فى التحالف الأنجلو- أمريكى، وأنه بموافقة اليهود ضد بريطانيا والاستجابة لبعض مطالب الصهيونيين يستحوذ على نفوذهم لإضعاف حلف الأطلنطى.

ووافق الاتحاد السوفيتى على أرسال لجنة تابعة للأمم المتحدة لدراسة الأوضاع فى فلسطين، وكانت مؤلفة من مندوبين عن دولتين آسيوتين ودولتين من الكومنولث البريطانى، ودولتين من أوروبا الشرقية، ودولتين من أوروبا الغربية، وثلاث دول من أمريكا الجنوبية. وقد قابل «بن جوريون» اللجنة المذكورة، ورفض جميع المقترحات التى تقدم بها أعضاء اللجنة: رفض الوصاية، والحكم الثنائى. وقال: «إنه لن يكون هناك تعاون بين العرب واليهود ما لم يكن اليهود أغلبية». وطلب «بن جوريون» من أعضاء اللجنة مساعدة اليهود فى تحقيق أهداف ثلاثة:

أولاً : إلغـاء الكتـاب الأبيض لعـام ١٩٣٩ . ثانيـا: تكوين دولة يهودية. ثالثا : تشجيع التعاون والتحالف بين اليهود والعرب.

وقد سأل مندوب «بيرو» بن جوريون عن سبب الفصل بين اليهود والعرب فى النواحى الثقافية والصحية والخدمات الاجتماعية، مبينا أن هذا الفصل لا يشجع على التعاون الذى يطالب به اليهود. فأجابه «بن جوريون» بأن الفرنسيين والأنجليز يختلفون فى مثل تلك الأمور، وكانوا يعدون أنفسهم أعداء ولكنهم اليوم يتعاونون بالرغم من كل هذه الاختلافات (كتاب مولد إسرائيل).

وقد دبر «بن جوريون» والمنظمة الصهيونية ولجنة الأمم المتحدة فى فلسطين حادثة السفينة «الخروج» لإثارة الرأى العام العالمى وكسب عطف أعضاء اللجنة. فقد كان على ظهر السفينة ٤٥٠٠ مهاجر غير شرعى، استرعى عددهم انتباه الرأى العام العالمى، وأحرج الحكومة البريطانية التى صممت على إعادتهم إلى الدولة التى أبحروا منها (فرنسا). ويذكر «بن جوريون» عن حادثة سفينة «الخروج» فى كتاب «بن جوريون ينظر إلى الوراء»: «كان علينا إذ تأكدنا أن بريطانيا لن تحقق شيئا فى صالح اليهود، قد حفزتنا على الإصرار على إقامة دولتنا، أن نحصل على استقلالنا بمجهودنا الخاص، وأن محاولات المستر «بيفن» المثبطة لجلعنا أقلية، قد حفزتنا على الإصرار على إقامة دولتنا».

ظهر قرار لجنة الأمم المتحدة فى أول سبتمبر ١٩٤٧ داعيا إلى تقسيم فلسطين بأغلبية الأصوات، وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ صدر قرار لجنة الجمعية العامة للأمم المتحدة بالتقسيم، ووافق الأتحاد السوفيتى

والولايات المتحدة عليه، إلا أن بريطانيا أعلنت عدم قدرتها على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة وقررت الأنسحاب من فلسطين بأسرع ما يمكن مع إصرارها على تسليم فلسطين للأمم المتحدة وحدها.

وادعى «بن جوريون» أن هدف بريطانيا من الأسراع بالأنسحاب من فلسطين خلق فراغ سياسى فى البلاد، وأضاف أن فى استطاعة اليهود تأليف حكومة مؤقتة فى الفترة الانتقالية، وأمر بالتعبئة العامة لجميع القوات اليهودية والانضمام إلى«الهاجاناه». وأثناء نظر المشكلة الفلسطينية فى الأمم المتحدة ، بدأ يصل إلى فلسطين المتطوعون من كافة أنحاء العالم. وذكر «بن جوريون» أن مساعدتهم هى التى مكنتنا من الانتصار فى الحرب «كتاب النبى المسلح».

وأخذ«بن جوريون» يجتمع بقادة «الهاجاناه» وقادة «الأرجون» و«شتيرن» وإن لم تكن له سلطة إلا على «الهاجاناه»، وقرر هؤلاء القادة أن فى استطاعتهم القضاء على مقاومة العرب فى فلسطين وإن اختلف الأمر إذا تدخلت جيوش الدول العربية فى المعركة. لذلك اهتم الصهيونيون بتأمين الغذاء والسلاح للمستعمرات اليهودية.

كان لليهود حين قررت الأمم المتحدة التقسيم، وقررت بريطانيا الأنسحاب السريع من فلسطين، مؤسسات قوية راسخة لها تنظيمات على جانب كبير من الدقة والتنظيم، كالوكالة اليهودية، والهستدروت، والمجلس الوطنى، والهاجاناه، التى ساعد الأنجليز على تدريبها والأمريكان على تسليحها، بينما لم يكن يسمح للعرب فى فلسطين بأى تنظيم سياسى شامل، مع حظر حمل السلاح عليهم، مما يبين التحيز السافر لليهود من جانب سياسة الأنتداب البريطانية.

عرض القضية على الأمم المتحدة:

طلبت بريطانيا فى ١٢ أبريل ١٩٤٧ ادراج مسألة فلسطين على جدول أعمال الأمم المتحدة معلنة عجزها عن اقتراح سياسة محددة. وقد رحب بعض زعماء الصهاينة بذلك بينما خشى آخرون، ونوقش الموضوع فى الجمعية العامة فى ٢٨ أبريل حيث قررت السماح للوكالة اليهودية بالأعراب عن وجهة نظرها. وتشكل وفدها برئاسة «دافيد بن جوريون» وشكلت الجمعية العامة لجنة خاصة بفلسطين. وقررت اللجنة رغم معارضة شديدة من الدول العربية، أن تشمل استقصاءاتها بحث وضع اليهود المشردين. واقترحت غالبية أعضائها بعد مناقشات مستفيضة واستقصاءات، دار بعضها فى فلسطين، إنهاء الانتداب البريطانى وتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية، وكانت هذه نقطة تحول هامة. وركز اليهود جهودهم الدبلوماسية على الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة فضمنوا فى منتصف أكتوبر ١٩٤٧ تأييد أمريكا وروسيا للتقسيم. وكان لوايزمان فضل الحصول على تأييد الرئيس الأمريكى ترومان لقيام دولة يهودية مستقلة فى فلسطن، كما كان له فضل التأثير على اللجنة لضم صحراء النقب لهذه الدولة، باعتبار أن العقبة تمثل المنفذ الرئيسى لاسرائيل على البحر الأحمر والمحيط الهندى، ولها أهمية بالغة لقيام علاقات تجارية مع الهند والشرق الأقصى واستراليا ونيوزلندا، وذلك أن وضع العقبة فى يد العرب سيمثل خطرا دائما للدولة اليهودية واقنع ترومان بذلك. كذلك بذل اليهود ضغوطا دبلوماسية كبيرة على فرنسا التى كانت تتجه نحو الامتناع عن التصويت. وفى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧

وافقت الجمعية العامة على اقتراح التقسيم بأغلبية ٣٣ دولة ضد ١٣ وامتناع عشرة دول من بينها بريطانيا على التصويت. وبذلك صدر القرار بأكثر من أغلبية الثلثين .

الوضع العام فى فلسطين وقيام الدولة اليهودية باسم اسرائيل

لم تكن الظروف الداخلية فى فلسطين ولا أوضاع الجماعات اليهودية المترددة، مشجعة لاتخاذ القرار بإعلان الدولة اليهودية. كما أن الأوضاع الخارجية والدولية لم تكن مستعدة لتقبل مثل هذا الإجراء الجذرى. ففى اجتماعات «ليك سكس» عدلت الولايات المتحدة عن رأيها بشأن التقسيم . ورأت الاستعاضة عنه بالوصاية. ووقع خلاف بين الصهيونيين الأمريكيين والحكومة الأمريكية، ومارس «ناحوم جولدمان» ضغوطا قوية على «بن جوريون» حتى لا يعلن الدولة عقب انتهاء الانتداب حتى لا يغضب الولايات المتحدة.

وفى داخل فلسطين كان زعماء «الماباى» مترددين وعلى رأسهم «شرتوك» الذى كان ضد الأعلان. يضاف إلى ذلك ما نصح به كل من الجنرالين «مارشال» الأمريكى و«مونتجومرى» البريطانى، لـ «بن جوريون» من عدم الإسراع بإعلان الدولة خشية تغلب العرب على اليهود، نظرا لما يتحلون به من إمكانيات عددية وقدرات عسكرية ومادية.

كانت الأراء سواء فى الحزب داخل فلسطين أو لدى جماعات الصهيونيين فى الولايات المتحدة، أو أصدقاء اليهود من الشخصيات السياسية والعسكرية العالمية كلها ضد إعلان الدولة مباشرة بعد إلغاء

الانتداب، إلا أن «بن جوريون» لم يكن مستعدا للأخذ بهذه النصائح أو العمل ببعضها رغم أنه لم يكن راضيا عن حالة الاستعداد العسكرى فى «الهاجاناه».

فقد أدرك «بن جوريون» الذى يدين جميع الصهيونيين له اليوم وعلى مر التاريخ بالفضل والريادة، إنه إذا لم يقرر على الفور إعلان الدولة فإن حلم قيام الدولة اليهودية سيزول وأن أى تقاعس فى هذه المرحلة التاريخية الحاسمة قد يكلف اليهود الانتظار أجيالا أخرى. إذ كان الزعيم الصهيونى الوحيد الذى عرف كيف يستغل قرار الأمم المتحدة، وتواطؤ القوى الاستعمارية، وضعف العرب وانقساماتهم فى تحقيق هدف الصهيونية الذى نادى به «هرتزل» عام ١٨٩٧، وهو قيام دولة اليهود على أرض الميعاد فلسطين.

وقد قال «بن جوريون» كنت أعرف أن أعداءنا العرب أضعاف عددنا، وقواهم أضعاف قوانا ولكن كانت عندنا الإرادة القوية لا لأننا محاربون أفضل من العرب ولكن لأن الهزيمة بالنسبة لنا فيها دمارنا ونهاية قوميتنا ؛ بينما الهزيمة بالنسبة للجيوش العربية لا تعنى ضياع بلدانهم ولا نهاية قومياتهم. «من كتاب النبى المسلح».

وفى مساء الجمعة ١٤ مايو ١٩٤٨ أعلن «بن جوريون» الدولة اليهودية، وترأس الحكومة المؤقتة التى تألفت من ستة وثلاثين عضوا تشكل ائتلافا واسعا يضم كل الفئات ما عدا الشيوعيين وحزب «حيروت» وهكذا حقق «بن جوريون» قيام الدولة اليهودية بالعنف والإرهاب والدهاء.

وسقطت فى هذه اللحظة من حسابات «بن جوريون» سنوات الشتات وأيام المنفى وأصبحت الدولة الجديدة هى الوريث الشرعى والطبيعى لمملكة داوود، وأعداءها اليوم هم ورثة أعدائها فى الماضى. ومن هذا المفهوم أسس دعائم الدولة بعلقية «الجيتو» ومفاهيمه المستوردة من شرق أوربا.

وكانت أولى الخطوات التى اتخذها بوصفه وزيرا للدفاع، أن نصب نفسه قائدا عاما لكافة القوات اليهودية دون أى اعتبار للخلافات الحزبية والشخصية. إذ كان متأكدا أن الدولة الوليدة تواجه حرب حياة أو موت. ووافقت الحكومة المؤقتةعلى هذا الرأى، وأعلن فى ٢٦ مايو ١٩٤٨ قيام الجيش الإسرائيلى وبذلك لم تكن الهاجاناه مجرد منظمة عسكرية سرية بل أصبحت جيش الدفاع الإسرائيلى ولم يكن فى بادئ الأمر سهلا جمع كافة المقاتلين اليهود تحت قيادة «بن جوريون»، ولكن إصراره ذلل العقبات، وساعده على النجاح، ما حصل عليه من طائرات قادها متطوعون يهود، من الانجليز والأمريكيين ومن جنوب أفريقيا. وكانت أولى أوامر «بن جوريون» للقوات اليهودية باتخاذ خطة الهجوم بدلا من الدفاع لاعتقاده بأنه سيحدد بالقوة العسكرية حدود دولة إسرائيل التى لم يتمكن زعماء العالم فى «ليك سكس» من تحديدها.

الفصل الثانى

مقدمات الحرب

الأوضاع العربية ـ الإسرائيلية
قبل عرض القضية على الأمم المتحدة عام ١٩٤٧

مقدمات الحرب:

كانت الدول العربية مقسمة سياسيا وإقتصاديا ومنقسمة على نفسها بشأن فلسطين ولم تنس سوريا أن فلسطين، كانت جزءاً من إقليمها في ظل الاحتلال العثماني، وكانت ترغب في أن تضم على الأقل شرقي الجليل حتى تضع منابع نهر الأردن تحت سيطرتها. وكانت المشكلة ثانوية بالنسبة لمصر التي كان كل اهتمامها في تحقيق جلاء الانجليز عن أراضيها وضم السودان. وكانت لبنان مهتمة بالدفاع عن نفسها ولم تفكر بجدية في الاشتراك في أي حرب ضد إسرائيل. ولم تكن المملكة العربية السعودية مهتمة بالاشتراك في أي تدخل عسكري. أما الدولة الوحيدة المهتمة بفلسطين مباشرة فكانت شرق الأردن التي كان ملكها عبدالله يسعى لضمها لمملكته ويعتمد في ذلك على الفيلق العربي تحت قيادة «جلوب باشا». وكان يضم قوة حسنة التدريب مزودة بالأسلحة البريطانية وضباط بريطانيون. وكانت العراق، وإن لم يكن لها حدود مشتركة مع فلسطين، مهتمة بأن يكون لها منفذ على البحر المتوسط عند حيفا حيث ينتهي خط بترول الموصل. ورغم اختلاف دوافعها فقد اتحدت الدول العربية في معارضة التقسيم. وعقد اجتماع للجامعة العربية في أكتوبر ١٩٤٧

تقرر فيه أن تتخذ الدول العربية إجراءات عسكرية على حدودها مع فلسطين، وأن تساعد عرب فلسطين فى نضالهم. وكان أهم قراراته أن تقوم الدول العربية باستيعاب العرب الذين قد ينزحون من فلسطين نتيجة لتدخل الجيوش العربية فيها . أما اليهود فقد تركزت قواتهم العسكرية فى تنظيم الهاجاناه، وكانت هناك فضلا عن ذلك منظمتان سريتان متطرفتان هما: «الأرجون زفاى ليومى وشتيرن» ولكنهما كانتا صغيرتين عددا وتأثيرا. وكانت مهمة الهاجاناه دفاعية، يضم جهازها الضارب ٢١٠٠٠ مقاتل وألف احتياطى وكان تسليحها أقل كثيرا من العرب.

واستمرت المناوشات بين اليهود والعرب فيما بين ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ حتى ١٥ مايو ١٩٤٨، وتمكن العرب فى فلسطين من تدمير عدة قوافل إسرائيلية وهددوا الاتصال مع المستوطنات اليهودية المنعزلة. وبذلك حقق العرب نجاحا كبيرا فى أول مرحلة من المواجهة رغم فشلهم فى الاستيلاء على أية مستوطنة إسرائيلية. على أنهم أوضحوا للجميع أن قرار التقسيم لن يمكن فرضه بدون اللجوء للقوة. ومن ثم سحبت الأمم المتحدة فجأة فى مارس ١٩٤٨ تأييدها لمشروع التقسيم. وبدا أن العرب أوشكوا على تحقيق هدفهم وبدأت مجموعات عربية مقاتلة تصل عبر الحدود من الدول المجاورة فى صورة متطوعين. وبدأ جيش التحرير العربى برئاسة «فوزى القاوقجى» مهاجمة المستوطنات اليهودية فى الشمال.

واستعدت الهاجاناه، رغم ما واجهته من هزائم، لليوم الذى يمكنها فيه الأخذ بزمام المبادرة وتحويل الموقف لصالحها. وأسرعت

فى شراء السلاح من أوربا وخاصة من تشكوسلوفاكيا. وفى مارس ١٩٤٨ أعدت خطة للسيطرة على المناطق المخصصة للدولة اليهودية فى مشروع التقسيم وحمايتها، وتمكنت من تحقيق الجزء الأكبر من الخطة رغم بعض المتاعب فى قتالها ضد الفيلق العربى الأردنى واستولت على مناطق طبرية وحيفا والجليل الأعلى. ومع ذلك فقد ظل الوضع فى ١٤ مايو ١٩٤٨ يثير القلق خاصة مع دخول الجيوش النظامية لكل من مصر والأردن وسوريا ولبنان الحرب ولديها إمكانياتها العسكرية الضخمة من دبابات وطائرات. وأكد «إيجال يادين» رئيس عمليات الهاجاناه فى تقريره فى ٢١ مايو ١٩٤٨ أن الكثير سيعتمد على الروح القتالية والتخطيط والتكتيك الذى تتبعه القوات اليهودية.

وقد حققت الهاجاناه عدة انتصارات فى الأسابيع الأولى من مايو مما أحدث الاضطراب فى صفوف العرب، ورغم ذلك كان موقف العرب السياسى أفضل بسبب تدفق فرق المتطوعين من الدول العربية المجاورة دعما لثورة عرب فلسطين ضد قرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة، وما صاحبه من تردد الخارجية الأمريكية، وطالب المندوب الأمريكى فى مجلس الأمن فى ١٩ مارس بوقف كل محاولات فرض قرار التقسيم وبحث خطة لفرض وصاية مؤقتة على فلسطين، وقررت جامعة الدول العربية المضى فى غزو فلسطين فور انتهاء الانتداب فى ١٥ مايو، ووضعت خطة لذلك.

غير أن الصراعات الداخلية العربية عاقت تنفيذ الخطة المذكورة فحجب الملك عبدالله موافقته عليها حيث خشى من أن تنتهى جهود

الفيلق العربى الأردنى بانتصار أعدائه فى فلسطين وخاصة المفتى.
وأجرى الملك مفاوضات سرية مع الوكالة اليهودية فى أكتوبر ١٩٤٧ وافق خلالها على أن تضم قواته الجزء المخصص للعرب فى فلسطين دون قتال. ووافقت الوكالة فى مستهل مايو ١٩٤٨ على عقد اتفاق مع الملك على هذا الأساس. وقابلت جولدا مايرسون (جولدا مائير) الملك فى منزل صديق له فى عمان. ولم ينكر الملك تعهده السابق وإنما ذكر أن الوضع تغير بتدخل الدول العربية الأخرى، ومع ذلك أشار إلى أنه إذا وافق اليهود على الامتناع عن إقامة دولة ووقف الهجرة وضمه كل فلسطين . فقد يتمكن من إقناع المعتدلين العرب لعدم الدخول فى الحرب. وقد رفضت «جولدا مائير» اقتراحه.

وأخذت سلطات الأنتداب فى الانسحاب دون تسليم المرافق لليهود الذين أعدوا لجانهم المدنية لإدراة الدولة. وفى ١٤ مايو ١٩٤٨ غادر السير «ألان كننجهام» . المعتمد السامى البريطانى فلسطين نهائيا. وفى تمام الساعة الرابعة مساء اليوم نفسه عقد اليهود اجتماعا حضره مائتان وأربعون شخصا فى متحف فى تل أبيب وقرأ «دافيد بن جوريون» إعلان استقلال دولة إسرائيل.

وفى البيت الأبيض اجتمع الرئيس «ترومان» مع وزيرى الخارجية والدفاع لبحث خطاب أرسله «وايزمان» طالبا الاعتراف بالدولة اليهودية . وفى تمام الساعة الخامسة والدقيقة ١٦ وافق الرئيس «ترومان» على إعلان اعتراف الولايات المتحدة بدولة إسرائيل. وكان لأعتراف أمريكا بإسرائيل وقع الصاعقة على الجمعية العامة للأمم المتحدة أدهش مندوبى أمريكا أنفسهم. وكان الاتحاد السوفيتى

تاليا فى الأعتراف . وفى صباح اليوم التالى دخلت إسرائيل الحرب حيث هاجمت الطائرات المصرية منطقة تل أبيب، ووصلت القوات المصرية فى هجوم سريع إلى مسافة ٢٢ ميلا فقط جنوبى تل أبيب متفادية المستوطنات المنعزلة فى النقب. وهاجمت القوات السورية وادى الأردن ولكنها اضطرت للأنسحاب تحت ضغط المقاومة الشديدة عند مستوطنة ديجانيا. وعلى الصعيد السياسى اجتمع مجلس الأمن وطالبت أمريكا بوقف إطلاق النار، وعارضه بريطانيا، ووعد العرب بوقف الحرب إذا ألغى إعلان استقلال إسرائيل وهو ما رفضته إسرائيل. وفى ٢٤ مايو أعلنت الحكومة المؤقتة لإسرائيل قبولها لوقف إطلاق النار. ولم يوافق العرب إلا بعد١٣ يوما عندما انهكت جيوشهم. وسرى وقف إطلاق النار فى١١ يونيو. وعين الكونت برنادوت وسيطا دوليا للأمم المتحدة واتخذ من جزيرة رودس مقرا له.

ولم تتمكن الجيوش العربية من تحقيق أهدافها غير أن وضع إسرائيل كان مقلقا وحرجا حيث ظلت القوات العربية تسيطر على أكثر من ثلث المناطق المخصصة للدولة اليهودية فى قرار التقسيم. ففى الشمال كان السوريون متحصنين فى الضفة الغربية للأردن، وفى الوسط كان العراقيون فى إحدى النقاط على بعد عشرة أميال فقط من ساحل البحر المتوسط، وكانت القدس التى تمكنت القوات اليهودية من السيطرة على جزء منها بدون تسليح كاف. وكان جيش إسرائيل فى حاجة ماسة لإعادة تنظيمه.

ونشر الوسيط الدولى مقترحاته التى عارضتها بشدة كل من إسرائيل والدول العربية. باستثناء شرق الأردن حيث اقترح ضم كل

من القدس وصحراء النقب لها. واقترح فيها اتحاد إسرائيل وشرق الأردن. ونشبت الحرب من جديد فى ٨ يوليو حيث قررت مصر بدءها من جديد. غير أن الهدنة القصيرة غيرت الموقف العسكرى فتمكنت إسرائيل خلالها من زيادة قواتها المحاربة فضمت حوالى ٢٥٠٠٠ محارب قدموا من الخارج، وحصلت إسرائيل على دبابات ومدفعية وأسلحة صغيرة مكنتها خلال ٣٨ يوما من القتال قبل إقرار هدنة ثانية فى ١٨ يوليو من تحقيق انتصارات هامة فى الشمال والوسط، فاستولت على ٢٠١ من مجمل ٢١٩ قرية عربية تقع فى نطاق الدولة اليهودية، فضلا عن ١٤ مدينة عربية، واستولت القوات العربية على ١٤ موقعا يهوديا بما فيها الحى اليهوى فى القدس القديمة. غير أنها كلها باستثناء مستوطنة واحدة كانت تقع فى الجزء المخصص للعرب فى التقسيم.

وفشل قرار وقف إطلاق النار الثانى بسبب إصرار القوات المصرية على منع وصول الامدادات للمستوطنات المنعزلة فى النقب، ونشبت الحرب ثانية فى ١٥ أكتوبر حيث حققت القوات الإسرائيلية نجاحاً فى الجنوب حيث القوات الإسرائيلية، وسيطر على غربى الجليل فى الشمال بعد أن دمرت قوات جيش التحرير العربى برئاسة فوزى القاوقجى. وقامت بآخر عملية فى النقب فى ديسمبر حيث تخطت خط الحدود الدولى مع مصر وكانت على بعد بسيط من قاعدة العريش المصرية، وهنا تدخلت بريطانيا ووجهت إنذارا للقوات الإسرائيلية بالانسحاب فورا من الأراضى المصرية أعمالا لإلتزامها بأحكام معاهدة ١٩٣٦ للصداقة والتحالف بين بريطانيا ومصر.. وبذا

اضطرت القوات الإسرائيلية للانسحاب وأعلنت مصر استعدادها للدخول فى مفاوضات هدنة مع إسرائيل. وفى ٧ يناير ١٩٤٩، توقف القتال مع مصر.

وعقدت المفاوضات فى رودس فى ٣١ يناير ١٩٤٩ بحضور الدكتور رالف بانش بعد مقتل الكونت برنادوت على يد إرهابيين يهود فى القدس هو العمل الذى اتخذت الحكومة الإسرائيلية إجراءاً فوريا عنيفا حياله بأن حلت المنظمات الإرهابية المنشقة.

وقد أدهش انتصار إسرائيل العالم، وبل وأدهش الإسرائيلين أنفسهم وقد كلفها أربعة آلاف قتيل وألفى مدنى ولكن لم يكن هناك خيار أمامها.

الفصل الثالث

بدايات العمليات العسكرية عام ١٩٤٨

العمليات العسكرية المصرية

جند اليهود بعد ١٥ مايو ثلاثين ألفا من «الهاجاناه» بتسليح متواضع، وعملت الحكومه وعمل الاقتصاد بكفاءة، وكانت الميزة الوحيدة التى يملكها اليهود هى الخبرة والمهارة العسكرية، وتولى «يادين» قيادة العمليات الإسرائيلية، وله خبرة طويلة فى مهمة «الهاجاناه» فى العمليات السرية، وكان بعض قواد فرقته قد حاربوا فى الجيش البريطانى. وقد قسم «يادين» قواته المحدودة بدقة للدفاع عن تل أبيب والقدس والسهل الساحلى والطريق السريع لممر القدس ألخ.. وحزام لمحاصرة القوات المصرية فى الجنوب.

وفى ١٦ مايو تحركت فرقة مدرعة سورية جنوبا تجاه المستوطنات اليهودية فى وادى الأردن، وكانت قد أخلت قرى عديدة منها، ولكن توقف تقدمها لوجود مدفعية يهودية غير متوقعة، وتراجعت إلى الطريق الجبلى ولم يعاودوا المحاولة. وأثبت العراقيون تأثيرهم بصعوبة، وتركزت المعركة فى شرق الأردن بالقرب من حدود فلسطين قبل ١٤ مايو، ولكن واجه العراقيون مقاومة يهودية عنيفة ، لذا وضع القائد العراقى فرقة فى موضع دفاعى. وكانت أصعب مناطق الحرب فى الجنوب عبر خط المصريين لفرقة ساحل

البحر المتوسط، وحتى ٦ مايو كانت قيادة الجيش المصرى تشارك نفس توقعات الحكومة المصرية بأن الأمم المتحدة ستحل القضية الفلسطينية بشكل ما، وعندما صدرت الأوامر بالتحرك فعلا، أكد رئيس الوزراء النقراشى لقائد القوات المصرية بأن مجلس الأمن - ودون طلب - سيأمر بهدنة قبل أن تصبح الحرب خطيرة. وكان المصريون يتخبطون فى هدفهم حتى اللحظة الأخيرة، وكان «عزام» أمين عام الجامعة العربية يتباهى فى مؤتمر صحفى بتاريخ ١٥ مايو بأن هذه الحرب ستكون حرب إبادة ومجزرة بشرية مثل مجازر المنغوليين.

وكان الجيش المصرى المهاجم ينقسم إلى قسمين: أحدهما بقيادة الأميرلاى «محمد نجيب»، وكان ضابط هيئة الأركان الرئيسى الرائد «عبد الحكيم عامر» وقاد «محمد نجيب» فرقة من شرقى سيناء عبر الطريق الساحلى الممتد إلى غزة وتل أبيب. أما القسم الثانى فكان تحت قيادة اللواء «أحمد عبد العزيز» والذى دخلت قواته فى ٢٠ مايو إلى «بير سبع» وواصلت شمالا تجاه «بيت لحم»، فى حين تحرك محمد نجيب بقواته بحذر بالغ جهة تل أبيب. ولمواجهة هذا التهديد أمر «يادين» بنقل جزء من قواته من ممر القدس إلى الساحل، ولما كانت متعبة وتسليحها ضعيفا- نتيجة الخسائر الكبيرة التى منيت بها -فقد وصلت القوات المصرية إلى مسافة ستة عشر ميلا من تل أبيب، والتى كان يصل تعداد سكانها مائتين وخمسين ألفا، يشكلون الركيزة الأساسية لمستوطنة اليهود فى الأراضى المقدسة، وسيعنى سقوطها نهاية دولة إسرائيل الجديدة، وفى ٢٩ مايو أمر «يادين» بمحاصرة

مواقع نجيب فى الليل ومهاجمتها من الخلف، وبذلك بدأ التراجع من جانب القوات المصرية وأصبح هجومهاعلى تل أبيب محفوفاً بالخطر. وأصبح الإنجاز المصرى الوحيد هو السيطرة على الطرق الرئيسة للنقب. وكان هذا كافيا للنقراشى وحكومته فى المرحلة الراهنة.

وكما سبق فلم يكن الملك عبدالله يخفى مطامعه فى ضم الجزء العربى من الأراضى المقدسة، وبصفة خاصة القدس بمؤسساتها الإسلامية التاريخية المقدسة والمكرمة . وفى أواخر مايو - بعد قتال شرس - بدأت الفرق الإسرائيلية فى طرد الجحافل العربية للخلف من الطريق المؤدى إلى شمال القدس، وفى ٢٩ مايو أغار رجال المشاة من المصريين والأردنيين على كيبوتز «رامات راشيل» الواقع على مدخل القدس الجنوبى، وكانت - فى أعنف أوقات حرب فلسطين - هى المستوطنة الصغيرة التى تغيرت عليها وضع الأيادى خمس مرات فى أربعة أيام ، ولكنها ظلت فى النهاية فى أيدى اليهود. وسقطت القدس القديمة فى أيدى العرب، وسلم «الهاجاناه» المدافعون عنها فى ٢٨ مايو، وبضياع المدينة بمعابد اليهود التاريخية كانت الضربة المؤلمة لرجال الدين اليهود. لكنه كان ذا قيمة وأهمية عسكرية صغيرة.

التقييم من جديد وإعادة النظر :

فى ١١ يونيه ظفر مجلس الأمن باتفاقية من العرب والإسرائيليين على هدنة لمدة شهر واحد، وكان كلا الجانبين مرهقا، ومن الناحية الاستراتيجية يجنى العرب أقل المزايا، فى حين يتوقع اليهود وصول

الأفراد والمؤن من الخارج، مما سيقويهم دون شك فى نهاية الهدنة. وكانت هناك أولوية عاجلة للعرب وهى توحيد قواتهم مباشرة، إذ عندما أعطى العراقيون قيادة قواتهم للواء «المواوى» قائد القوات المصرية عارض الملك عبدالله ذلك، وفقد الملك الهاشمى مصلحته واهتمامه باستمرار الحرب. وفى الحقيقة، عندما بدأت الهدنة كان المصريون والإسرائيليون فى الجهة الجنوبية يجرون اتصالات ويلتقون فى المناسبات، وبالفعل لم يكن قرار استمرار الحرب من المصريين، ولا من قيادات الجيوش العربية، لكنه كان من قياداتهم السياسية. وزاد العرب قواتهم فى الأسبوع الأول من يوليو فى فلسطين من اثنين وثلاثين ألفا إلى خمسة وأربعين ألفا من الأفراد. وعلى الجانب الآخر كان اليهود مستمرين فى زيادة قواتهم، ولو أن النقب كانت بشكل كبير فى أيدى المصريين، وكان العراقيون على بعد أحد عشر ميلا من البحر المتوسط، والطريق الرئيسى الضيق من الساحل إلى القدس ظل فى خطر عظيم. وخلال وقف إطلاق النار كانت المواد الغذائية والأدوية تصل إلى المدينة المقدسة، وازدادت التعبئة بشكل محزن. وبوصول المهاجرين الجدد من المتطوعين العسكريين اليهود من الخارج، وصل عدد اليهود إلى ستين ألف رجل فى منتصف يوليو، ووصلت آلاف الأطنان من المعدات الحربية، معظمها من تشيكوسلوفاكيا الشيوعية التى تتبع خط موسكو فى تأييد إسرائيل ضد الرجعية العربية والوجود البريطانى الأمبريالى فى الشرق الأوسط.

وفى ٨ يوليو وقبل انتهاء الهدنة، هاجم «نجيب» من جديد النقب، ونجح اليهود فى استعادة احتلال الركن الشمالى الشرقى من النقب،

مما أقنع «يادين» بأن المصريين لم يعودا بعد يشكلون أى تهديد، لكن وجود ألفين من العرب فى الجليل الأدنى كان خطرا حقيقيا كبيراً، لكن وفى أسبوع واحد طهر اليهود المجتمعات العربية المجاورة، وفى عملية قادها الأميرالاى «موشى ديان» تمكن اليهود من السيطرة على منطقة اللد - الرملة وبالتالى توسيع عنق ممر القدس، وعند رحيل البريطانيين، وبتصاعد أعمال العنف العدائية، هرب حوالى مائة وخمسة وسبعين ألفا من العرب من البلاد. وبعد ١٥ مايو حول هجوم الجيوش العربية المنظم الأراضى المقدسة إلى ساحة للقتال، وفر أهالى فلسطين العرب بأعداد كبيرة خوفا على أنفسهم من قذائف النار، وبانتهاء الحرب فى يناير ١٩٤٩ كان قد رحل حوالى ستمائة وخمسين ألف فرد تقريبا، وأكثر من ثلثى كل السكان العرب فى البلاد، ولم يكن كل الذين غادروا ديارهم غادروا فلسطين نفسها، بل حوالى مائتين وأربعين ألفا من الأفراد عبروا إلى الجزء الشرقى المحتل، وحوالى ستين ألفا آخرين عبروا نهر الأردن إلى المملكة الهاشمية، بالإضافة إلى مائة وثمانين ألفا فروا تجاه غزة داخل الأراضى الفلسطينية على طرف شبه جزيرة سيناء، والباقى وجد ملاذا فى الدول العربية المجاورة، وفى البداية ساعد رحيل العرب أمن وأهداف إسرائيل الاقتصادية وتقليل التهديد من قبل الطابور الخامس، وإتاحة المساكن والأراضى الزراعية للمهاجرين اليهود الجدد، وبمرور السنين عاش اللاجئون حياة منعزلة فى خيام.

فشل الطلب المصرى:

بدأ الكونت «برنادوت» مبعوث مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة المعين للتوسط بشأن فلسطين، يتفاوض على وقف النار للمرة الثانية فى ١٨ يوليه، وعلى عكس الهدنة السابقة فى يونيو، فإن وقف إطلاق النار الجديد كان سيبقى دون تحديد زمن، وفى تقريره إلى مجلس الأمن فى ١٦ سبتمبر أعطى من جانبه مخططا تفصيليا للسلام فى الأراضى المقدسة توضع بمقتضاه النقب تحت حكم اليهود والتى خصصها قرار الأمم المتحدة بالتقسيم للعرب، وتعويض العرب بالجليل الأدنى الذى كان مخصصا لإسرائيل، وتدويل مدينة القدس المقسمة حاليا بين الأردن وإسرائيل، وقد عارض كلا الجانبين التقرير. وبعد يوم اغتال أرهابيون يهود الكونت «برنادوت» فى القدس، وقد كان واضحا لرئيس الوزراء «بن جوريون» أن مخطط الأمم المتحدة بالنسبة للنقب والقدس يشكل ضغطا على اليهود وأنه يجب تقوية وضع إسرائيل فى المساومة بواقع عسكرى جديد وحاسم، واتفق مع «يادين» على أن الأولوية لهجوم على نطاق شامل فى النقب.

وكان المصريون يسيطرون فى منطقة الصحراء الجنوبية على ثلاثة قطاعات طويلة:

الأول: هو المنطقة الساحلية من رفح إلى غزة.

والثانى: شريط داخلى يمتد من العوجة شمالا عبر بير سبع إلى بيت لحم.

والثالث : شريط كان يربط بينهما يخترق البلاد عبر طريق يمتد من المجدل عبر الفالوجا إلى بيت جوبرين.

ورغم أن المصريين عززوا قواتهم بخمسة عشر ألف مقاتل، فإن إسرائيل قد تلقت فى نفس الفترة سيلا من الأمدادات من المهجر. وفى الإعداد لهجوم جديد نقلت إسرائيل - جوا - فرقة من الرجال والمواد لمطار جويفى شمال النقب وتحت جنح الظلام تسللت القوات خلف خطوط المصريين . وفى أوائل أكتوبر تحركت فرقتان إضافيتان نحو الجنوب حتى بلغ عدد القوات المتمركزة على الجبهة الجنوبية إلى ثلاثين ألفا. وبدأ الهجوم فى ١٤ أكتوبر، وضربت الطائرات الإسرائيلية قواعد النقب على الطريق الساحلى إلى «ميت حانون». وأن دور «يادين» الحقيقى هو خط طرق «الفالوجا» . وفى ١٥ أكتوبر شنت قوات المشاة الإسرائيلية هجوما شاملا، وكانت معركة وحشية والخسائر فادحة فى كلا الجانبين . ثم توالى استيلاء الإسرائيليين على المواقع الأخرى حتى النقب العليا، وأصبح تمركز المصريين فى فلسطين بحوالى ثلاثين ألف رجل، واجهوا احتمال الحصار قرب «الفالوجا»، وعندئذ أرسل «ايجال آلون» قائد القوات الإسرائيلية على الجبهة الجنوبية ثلاث فرق تجاه «بير سبع» عاصمة النقب، وفى الأسبوع الأخير من أكتوبر ، وبعد أن بدأ تطبيق قرار الهدنة الثالث الصادر عن الأمم المتحدة، وبدأ المصريون إجلاء وحداتهم من غرب النقب، وأخيراً حوصرت الفرقة الرابعة - وقوامها ثلاثة آلاف رجل - فى منخفض شمال غربى «الفالوجا» وشلت حركتها، وتجاهل الطرفان الهدنة فى المنطقة المعزولة وقاومت

الفرقة الرابعة تحت قيادة عقيد سودانى «طه بك» الحصار الإسرائيلى المطبق، وجرى لقاء بين «آلون وطه بك» فى كيوتز شرق الفالوجا، ولكن أصر «طه بك» على أنه سيحارب حتى آخر طلقة وآخر رجل لديه، وبعد مناقشات اتفقا على إقامة اتصال بين الميجور كوهين مساعد آلون والميجور «جمال عبدالناصر» مساعد «طه بك». وكان ناصر غاضباً على البريطانيين متهما إياهم بتدبير هذه الحرب وأنها خدعة لصرف انتباه المصريين عن احتلال بلادهم، كما كان «الحلفاء» العرب هدف حنق عبدالناصر وبصفة خاصة الملك عبدالله الذى لم يبد أدنى رغبة فى مساعدة المصريين أثناء الحصار، وأعلن ناصر أن الحاكم الهاشمى سيدفع يوما ما ثمن «خيانته» وكان تعبير الميجور الشاب يعكس الشك بين حكومته وشرق الأردن، والتصميم على تجميد ضم الهاشميين لفلسطين العربية. وأثار النقراشى وحكومته «حقوق الشعب الفلسطينى» «وحكومة شبه مستقلة للأراضى المقدسة. وفى سبتمبر ١٩٤٨ رتبت الحكومة المصرية لـ «حكومة عموم فلسطين» ومقرها غزة، وفى أوائل أكتوبر تبنت مصر وتكفلت برعاية «المجلس الوطنى الفلسطينى»، واجتمع فى غزة وانتخب الحاج«أمين الحسينى»مفتى القدس رئيسا له. وخلال أسبوعين حظى هذا النظام الصورى باعتراف رسمى من سوريا ولبنان والعراق. ولم يقف عبدالله ساكنا فقد نظم مؤتمراً من الوفود الفلسطينية وتبرأ من نظام غزة، وأخيراً وفى أول ديسمبر فقد قبل عبدالله طلب المؤتمر الثانى لتوحيد فلسطين وشرق الأردن فيما يسمى «المملكة الأردنية الهاشمية العربية» وجاء رد القاهرة الغاضب، واستنكر كبار علماء الأزهر المخطط الهاشمى واتهامه بالتدخل للقضاء على الوحدة

العـربيـة، وفـى الوقت الـذى كـشف كل من المصـريين والأردنيين الآخر، كان اليهود يعدون لتصفية الوجود المصرى فى الأراضى الإسرائيلية، وكانت وحداتهم البالغ عددها مائة ألف جندى مستعدة وكذلك معداتهم بما فيها المدفعية الثقيلية والمدرعات، وكانت القوات المصرية موزعة على الحدود مع إسرائيل فى شعبتين: القوة الشمالية مكونة من لواءين بجانب رفح وغزة تؤيدها قاعدة سيناء الكبيرة فى العريش. والشعبة الجنوبية المكونة من لواءين تمتد من «العوجة» إلى «بير عصلوج» ولأعلى تجاه بير سبع، هذا بالإضافة إلى اللواء الرابع المحاصر فى «الفالوجا». وكـان المصريون يتوقعون الهجوم ضد خطهم الشمالى الفاصل الذى يهدد المنطقة الساحلية كثيفة السكان، ولكن «يادين» فاجأهم وأخذ المبادأة بالاندفاع جنوبا تجاه «العوجة». وقد بدأ الهجوم فى مساء ٢٢ ديسمبر، إذ أرسل «آلون» وحدة مدرعة تجاه غزة ووحدة مشاة فى اتجاه الطريق الرئيسى بين «بير عصلوج» و«العوجة» ، وبعد قتال استسلمت الحامية وواصل الإسرائيليون تقدمهم حتى «أبو عجيلة»، وهى داخل أراضى سيناء المصرية بعشرة أميال، ومن هناك مارسوا ضغطا تجاه ساحل البحر المتوسط فى اتجاه العريش ذاتها.

وكانت الحكومة المصرية تواجه صدى الأحداث فى الداخل، فقد كـان «فـاروق» يريد بدخول حرب فلسطين صرف الأنتباه عن الاضطراب الاقتصادى وللتفوق على خصومه ـ حزب الوفد ـ وقد شغلت أنباء الانتصارات الحقيقية والخيالية الصحافة، ثم أصبح فشل الجيش فى حرب فلسطين معروفا، كما انتشرت الكوليرا بين الطبقات

الدنيا والوسطى، وبتحريض من الاخوان عمت المظاهرات شوارع القاهرة والأسكندرية، ورفعت الشعارات الوطنية ضد المصالح اليهودية وضد حكومة النقراشى، واعتقد بعض المراقبين السياسيين أن مصر على حافة حرب أهلية، واعتبر النقراشى الإخوان خارجين على القانون وقرر مطاردتهم ، وقبل أن ينفذ قراره اغتاله أحد الإخوان فى ٢٨ ديسمبر.

المرحلة الثالثة
للنشاط الصهيونى
القسم التاسع عشر
١٩٤٠ ـ ١٩٤٨

دور الولايات المتحدة

من قيام دولة إسرائيل

الوقائع كما ذكرها «دين اتشيسون»

وزير خارجية الولايات المتحدة آنئذ فى كتابه «عاصرت الأحداث»

DEAN ACHESON
"Present AT THE Creation"

عاصرت الأحداث

« دين اتشيسون »

DEAN ACHESON
“PRESEMT ATTHE CREA TIAN”

عاصرت الأحداث
نبذة عن حياة
دين اتشيسون

- ولد فى ميدلتون ١١ أبريل عام ١٨٩٣ .
- تخرج من جان ييل عام ١٩١٥ وحصل على شهادة القانون من هارفارد عام ١٩١٨ .
- خدم فى سلاح البحرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الأولى.
- فى فبراير عام ١٩٤١ عين مساعدا لوزير الخارجية.
- وفى أغسطس عام ١٩٤٥ عين وكيلا لوزارة الخارجية.
- وفى عام ١٩٤٦ كان رئيسا للجنة خاصة بإعداد الخطة للحظر الدولى على الطاقة الذرية.
- استقال فى يونيو عام ١٩٤٧ وعاد إلى مهنة المحاماة.
- وفى يناير عام ١٩٤٩ تسلم منصب وزير الخارجية خلفا للجنرال

جورج مارشال، وكان قد ساهم بجهد فى إعداد وتنفيذ مشروع مارشال.

- فى خلال فترة عمله وزيرا للخارجية أشرف على إعداد الترتيبات من أجل إقامة حلف الأطلنطى ومعاهدة السلام مع اليابان التى وقعت عام ١٩٥١ .

- كما كان مسئولا أيضا عن إقامة جماعة الأمن الأوروبى وموجها لسياسة أمريكا خلال حرب كوريا.

- استقال فى يناير عام ١٩٥٣ وعاد لمزاولة العمل الحر فى المحاماة.

- وفيما يلى أهم الكتب التى أصدرها:

«عاصرت الأحداث»

دور الولايات المتحدة فى قيام دولة إسرائيل

مقدمة

لعل القارئ يتساءل لماذا ادخلنا هذا الفصل فى مسيرة تاريخ مؤامرة إسرائيل فى اغتصابها أجزاء من الوطن العربى، وفى زرع دولتها فى قلب العالم العربى فتفصل أجزاءه البرية إلى شرق وغرب.

ولكن الجواب على هذا التساؤل لا يأتى من طرفنا ولكنه يجئ من شخصية أمريكية هامة تولت المناصب السياسية حتى وصلت إلى قمتها كوزير للخارجية الأمريكية.

وإنا نلجأ إلى القول العربى الأصيل عندما نقول «وشهد شاهد من أهلها».

إن «دين اتشيسون» وزير الخارجية فى عهد الرئيس ترومان كما وردت اعترافاته فى كتابه «عاصرت الأحداث» وفيه يتحدث عن خفايا وأسرار الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط وعن قيام دولة إسرائيل ودور الرئيس «هارى ترومان».

وقد أخلص اتشيسون لضميره فى عرض الأحداث، وكيف أن وزارة الخارجية الأمريكية كان لها رأى محايد خوفا على مصالح أمريكا فى العالم العربى. وحاولت أن تتمسك بالحقائق وأن تتخذ طريقا وسطا بين حقوق الشعب العربى وبين الأطماع الصهيونية، ولكن البيت الأبيض ضرب بآراء وزارة الخارجية الأمريكية عرض الحائط واتخذ قراراته منحازا انحيازا فاضحا للصهيونية متأثراً بما يوجبه اللوبى الصهيونى لدرجة أن ترومان فى مقابلة له مع «ونستون تشرشل» رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك العهد إذ قال عن نفسه «أنه صهيونى ليس للعرب أصوات انتخابية فى أمريكا».

إننا نترك للقارئ فرصة الاطلاع على تحليلات وآراء «دين اتشيسون» السياسية عند استعراضه أحداث القضية الفلسطينية دون تدخل من جانبنا ودون أى حذف أو تعليق أو اختصار - فالمؤلف له مكانته وقد توخى الصدق فيما كتب.

عاصرت الأحداث

تقديم :

اقتبس المؤلف عنوان كتابه من المأثور عن الملك «الفونس العاشر» ملك أسبانيا فى القرن الثالث عشر «لو أنه كان قد قدر لى أن أوجد عند بداية الخليقة لكنت قد ساهمت فى تنظيم وسعادة البشرية».

وقد تضمن الكتاب شرحا وافيا لكافة الأحداث التى عاصرها «دين اتشيسون» عندما كان وكيلا فوزيرا للخارجية الأمريكية فى الفترة التى أعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من تطورات سياسية هامة، حيث كانت السياسة الأمريكية تتعثر فى خضم هذه المشاكل، وكان تعثرها هذا وليدحداثة عهدها بها.

وحرص على أن يعرض للمشاكل والأحداث على هذا النحو، ولكن من خلال الإطار العام الذى يحيط بالسياسة الأمريكية، بل أنه راعى فى الوقت ذاته أن يوضح ويشرح كيف كانت المصالح الغربية تصطدم بصفة عامة مع المبادئ التى كانت الولايات المتحدة تدعى أنها ترغب فى إقرارها بعد الحرب العالمية الثانية.

ويمضى موضحا كيف كانت السياسة الغربية تبدو فى كثير من الأحيان متناقضة مع نفسها إلى أن تسلك فى النهاية سبيلا مسدوداً، وهو الأمر الذى حدا بالولايات المتحدة إلى أن تتدخل لمعالجة هذا التخبط رغما عنها، وربما فى أمور كانت تود لو تجنبتها لتعارضها مع المبادئ الأساسية التقليدية المعلن عنها.

ثم يقول إن ضعف الحلفاء الغربيين هو الذى أرغم بلاده على هذا التدخل لحل الفراغ السياسى والعسكرى فى كثير من دول العالم، وللتصدى للزحف الشيوعى الذى بدأ جارفا بعد الحرب مباشرة، وأن هذا التدخل أملته ضرورات الأمن لأنه كان يستهدف بالدرجة الأولى إرساء قواعد وركائز قوية تكون بمثابة خطا أماميا لحماية مصالح الولايات المتحدة وكيانها القومى.

وفى معرض استعراض المؤلف لمشاكل الشرق الأوسط، يحاول أن يعالج كل مشكلة على حدة، ثم لا يلبث أن يربط بينها جميعا فى عبارة مفادها: «أن بريطانيا وفرنسا وهما الحليفتان الأساسيتان قد خرجتا من الحرب ضعيفتين، وكان على الولايات المتحدة حينذاك أن تحل محلهما لملء الفراغ الاستراتيجى وهى عازفة عن ذلك حقا».

ويؤكد أنه استطاع خلال عمله فى وزارة الخارجية أن يستخلص حقيقة مؤكدة مفادها أن بريطانيا برغم ضعفها كانت لا تزال تتعلق بأحلام الأمبراطورية، حتى أن تصرفات مسئوليها كانت تتسم دائما بالعناد والتعنت الذى يفتقر إلى المنطق السليم ، أما فرنسا فلم تكن لها سياسة مخططة على الإطلاق ، وإنماإستبد بها قصر النظر، فأطلقها

على النهج الاستعمارى فاعتقدت أنه وسيلة للتهرب من معالجة مشاكل البلاد التى تسيطر عليها، وذلك بالإعلان أن هذه البلاد أجزاء منها، ومن ثم فإن مشاكلها تعد من الشئون الداخلية الخاصة التى لا يجوز للأمم المتحدة التدخل فيها.

وهذا الموقف من جانب كل من بريطانيا وفرنسا كان يضع الولايات المتحدة فى حيرة وحرج، ذلك أنه فى الوقت الذى ينبغى أن تؤيد فيه حلفاءها، كان عليها أ ن تجد الحلول لمشاكل ما بعد الحرب، وغالبا ماكانت تتعارض مع موقف الدولتين الاستعماريتين الحليفتين.

وقد اهتم المؤلف بمشكلة فلسطين، فأفرد لها فصلا بعنوان «لغز فلسطين» وأورد فيه الأحداث على النحو التالى:

أولاً:

١- طرد اليهود من دول أوروبا الشرقية بعد الحرب.

٢- تأثير «جاكوبسون» وهو صديق حميم «لترومان» عليه، وإقناعه بأن إيجاد مأوى لهؤلاء اليهود يعتبر عملا إنسانيا يوازى إعلان حقوق الإنسان التى نادى بها «وودرو ويلسون».

٣- موافقة ترومان على تهجير مائة ألف يهودى إلى فلسطين كدفعة أولى.

٤- كان المؤلف فى ذلك الوقت وكيلا للخارجية وحاول الاعتراض، واقترح بديلا لهذه الخطوة مضاعفة العدد الذى كانت تسمح به حكومة الأنتداب إلى ثلاثين ألفا شهريا، بدلا من خمسة

عشر ألفا، كما أوضح أنه لم يوافق أصلاً على مبدأ التهجير، وتأكيد قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين، لأن ذلك معناه إنشاء دولة تحوطها دول معادية، وتهديد لمصالح الغرب فى الشرق الأوسط.

ويذكر أنه على الرغم من أنه كان وكيلا للخارجية ثم وزيرا لها إلا أن سلطته كانت محدودة، فقد كان ترومان واقعا تحت تأثيرقوى من الصهيونية، كما أنه يضع فى اعتباره الانتخابات وأصوات اليهود، لذلك فقد كان يتخذ القرارات شخصيا دون اعتبار لآراء الخبراء غير المغرضين.

٥ ـ كانت بريطانيا لا تريد فى ذلك الوقت الاستمرار فى تحمل الأعباء والمسئوليات المادية والعسكرية للأنتداب، وكانت ترغب أن تقوم الولايات المتحدة بمشاركتها فى تحمل هذه الأعباء، إلا أن خطوط السياسة الأمريكية فى ذلك الوقت كانت تستهدف أن لا تتدخل تدخلا سافرا فى مشاكل الشرق الأوسط، وإن كانت على استعداد لتحمل الأعباء الاقتصادية والمالية وترقب التطورات السياسية.

ثانيا:

أوضح فيما يتعلق بالنزاع العربى الإسرائيلى، أن العرب كانوا ضعفاء سياسيا لأنهم غير متحدين، وأن اليهود استطاعوا بمهارة استغلال الفرصة التى اتاحتها لهم بريطانيا لضيقها من أعباء الأنتداب فى فلسطين، فأعلنوا فورا إنشاء دولتهم على أثر إعلان بريطانيا أنها ستنهى الانتداب فى مايو سنة ١٩٤٨ عندما وجدت رفضا مستمرا من أمريكا بعدم مشاركتها صراحة فى نتائج مسيرة الأحداث والتطورات.

وفى هذا المجال ذكر المؤلف أن تعنت وعدم مرونة السياسة البريطانية فيما يتعلق بجلاء قواتها عن مصر تحقيقا لرغبة الشعب المصرى كان من أسباب تدهور الموقف، وكان فضلا عن ذلك سببا غير مباشر فى رفض مصر الارتباط بالقيادة الموحدة للشرق الأوسط.

ومضى المؤلف ذاكرا أن السياسة الأمريكية حاولت استقطاب ثورة مصر عام ٥٢ منعا لتدهور الموقف، وكان ذلك سببا فى ازدياد غضب بريطانيا، وهنا بدأ التدخل الأمريكى فى المنطقة بهدف معالجة المسائل بصورة مباشرة ووضع ركائز لحماية مصالحها بما يدرأ الشيوعية ويحول دون تسربها للمنطقة.

لغز فلسطين

ترجع صلتى [1] بالمشكلة الفلسطينية، المشكلة الدولية المعقدة،إلى ذلك التاريخ الذى تولى فيه الرئيس الأمريكى «ترومان» مهام منصبه، فقد شاءت الظروف أن يكون للرئيس «ترومان» الأثر الأكبر فى المشكلة، وشاءت نفس الظروف أن أقتفى خطواته، وأن يكون لى نصيب منها.

لقد حظى اليهود«ضحايا النازية» باهتمام وعطف الرئيس ترومان شخصيا الذى أخذ على نفسه عهدا بأن يعمل شيئا من أجل مشكلتهم، فانتهز فرصة أن هناك «وعد بلفور» وفيه تعهد بإقامة وطن قومى لليهود، فاعتمد على هذا الوعد واستند إلى ماسبق أن صدر عن الرئيس الأمريكى «وودرو ويلسون» عن حق تقرير المصير، وآل على نفسه أن يأخذ بيد اليهود. ولقد كان لصداقته الوطيدة بالصهيونى «أيدى جاكوبسون» الأثر الكبير فيما اعتنقه من آراء ، ولعل هذه الصداقة أو العلاقة هى ما قصده رئيس الوزراء البريطانى «مستر آتلى» ووزير خارجيته «آرنست بيفن» حين أتهما الرئيس «ترومان»

(١) الكلام هنا لـ «دين اتشيسون»

بأن تأييده للهجرة اليهودية إنما مرجعه لتأثير بعض الانتهازيين السياسيين فى داخل الولايات المتحدة.

ثم يقرر المؤلف أنه لم يتفق مع الرئيس ترومان فى اتجاهاته إزاء المشكلة الفلسطينية، خاصة وأن محاولة تحويل «الوطن القومى لليهود» إلى«دولة إسرائيل» كان أمرا يزيد الأمور تعقيدا، ويهدد كلا من المصالح الأمريكية ومصالح الدول الغربية فى منطقة الشرق الأوسط.

ولقد كان واضحا فى سبتمبر ١٩٤٥ - حين تولى المؤلف «دين أتشيسون» وكالة وزارة الخارجية - أن رئيس الجمهورية شخصيا هو الذى يوجه سياسة الولايات المتحدة إزاء المشكلة الفلسطينية. وإذا نظرنا إلى اتجاهات موظفى الخارجية الأمريكية إزاء المشكلة، وجدناهم فى عهد الرئيس «روزفلت» يقفون موقفا محايدا، ثم إذا بهم يتحولون - بدافع الحرص على الوظيفة - إلى مواكبة اتجاهات الرئيس «ترومان»، وهنا لا يفوته ذكر مستر «لوى هندرسون» مدير قسم الشرق الأوسط الذى اتهم بواسطة بعض الصهيونيين بأنه يعمل على عرقلة تنفيذ سياسة الرئيس الأمريكى ترومان ، رغم كفاءة «لوى هندرسون» وإخلاصه.

وقد تركزت سياسة الرئيس الأمريكى ترومان حول نقطتين:

- تهجير مائة ألف يهودى فورا من شرق أوربا إلى فلسطين.

- عدم تحمل الولايات المتحدة مسئوليات عسكرية أو سياسية لتنفيذ النقطة الأولى.

ولذلك قام مستر «ترومان» بكتابة رسالة إلى مستر «تشرشل» يبلغه رغبته فى مناقشة مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين فى الاجتماع الذى كان مزمعا عقده فى «بوتسدام» ولكن شاءت الظروف أن يحل مستر «آتلى» محل مستر «تشرشل» فى رئاسة الوزارة، ومستر «آتلى» لم يكن مستعدا لمناقشة الموضوع.

هذا فى الوقت الذى قدم مستر «ترومان» إلى رئيس الوزراء المصرى ولبعض رؤساء الوزراء العرب تأكيدا بأنه «لن يتخذ قرارا بشأن الوضع الأساسى الحالى فى فلسطين دون موافقة كاملة من جانب العرب واليهود» ، وأكد بأنه سوف يستطلع رأيهم، وأن ذلك لا يتنافى مع شعور العطف على الأمانى اليهودية.

ثم أرسل الرئيس «ترومان» نداءا ثانيا إلى رئيس الوزراء البريطانى لفتح باب الهجرة اليهودية، ورد مستر «آلى» أنه لا يزال فى حاجة لمزيد من الوقت لدراسة المشكلة.

وهنا يجدر ذكر النصيحة التى قدمها مستر «لوى هندرسون» لوزير الخارجية الأمريكية «بيرنز» عندما اقترح أنه يجب قبل فوات الأوان، وقبل أن تتأزم الأمور الحصول على موافقة البريطانيين والسوفييت والأمريكيين بالطبع، وإن أمكن الفرنسيين أيضا، للأتفاق على حل، ثم عرضه على العرب واليهود ، وليس هناك دليل على أن هذه النصيحة وصلت للرئيس الأمريكى.

لقد كان الرئيس الأمريكى يرى للمشكلة وجهين:

- فى المدى البعيد: المشكلة من اختصاص الأمم المتحدة.

- فى المدى القريب: الأمر العاجل هو أن اليهود فى أوروبا فى حاجة ماسة للمساعدة.

ويقول المؤلف أنه تولى مهام منصبه فى هذا الجو العجيب، وأنه قد جرت بينه وبين العرب اتصالات، وكان رده دائما، «أن هذه المسائل الهامة تثير اهتمام الرئيس شخصيا» وأنه لم يكن يملك التصريح بأكثر من ذلك. وقد اتسم العرب بالصراحة أثناء ما جرى من اتصالات، فقد حدثه السفير المصرى فى ٣ أكتوبر ١٩٤٥ بالقلق الذى يساور العرب نتيجة ما يذاع عن رسالة سيوجهها الرئيس الأمريكى إلى البريطانيين لحثهم على زيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وذكر السفير المصرى بالوعد السابق من الرئيس الأمريكى الأسبق «روزفلت»، وأنه يجب التأكيد أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية لم تتغير، وأنها ماتزال ملتزمة بتعهدها السابق. ولقد فاتحت وزير الخارجية فى الأمر فاقترح نشر رسالة «روزفلت» القديمة للملك «عبدالعزيز آل سعود» التى يؤكد فيها المبادئ الأمريكية وصداقة أمريكا للعرب، ووافق الرئيس ترومان على نشر الشطر الثانى «صداقة أمريكا للعرب».

لجنة التحقيق الانجلو أمريكية

كان رئيس الوزراء البريطانى مستر «آتلى» يرى وجوب اشراك الولايات المتحدة فى المسئولية الشاملة عن القضية الفلسطينية، فاقترح لجنة تحقيق أنجلو- أمريكية، مهمتها دراسة احتياجات اليهود الذين يهاجرون من شرق أوروبا، والعدد الذى يمكن استيعابه منهم، وبعد ذلك تقترح اللجنة الحل الدائم للمشكلة الفلسطينية، وقدمت

اللجنة تقريرها للحكومتين فى ٢٢أبريل ١٩٤٦ ، وقد أعلن عن جزء من التقرير، ولكن يمكن القول بأن أهم نقاط التقرير هى:

- عدم سيطرة اليهود على العرب.

- وجوب المحافظة على الصبغة البريئة للأماكن المقدسة لكل من المسلمين والمسيحيين واليهود.

- أن يعمل الأنتداب على الموازنة بين العرب واليهود، مع تشجيع الهجرة بعد استيعاب مائة ألف مهاجر جدد، ووقف القيود المفروضة على بيع الأراضى.

ولكن للأسف كانت نقاط التقارير يناقض بعضها البعض، وكان التعارض شديدا بين الولايات المتحدة وبريطانيا، فقد وقفت بريطانيا موقفا متشددا من الهجرة.

وقد اقترح المؤلف حسما للخلاف أن يبدأ مستر «آتلى» مشاورات مع العرب واليهود على أساس ما ورد فى التقرير، وقد أبرق الرئيس «ترومان» بذلك للمستر «آتلى»، الذى رد طالبا «فسحة من الوقت حتى نبدأ مباحثاتنا».

وقد اتصل بى وزراء من مصر والعراق ولبنان والعربية السعودية وسوريا فى ١٠ مايو للأعراب عن «الشعور بالألم فى العالم العربى نتيجة لهذا التقرير» وطالبوا بسرعة رفض التقرير، وطبعا وعدتهم بالتشاور قبل اتخاذ قرار.

وبعد ذلك قدمت خطابات للوكالة اليهودية وإلى اللجنة العربية العليا، وقد رفضت اللجنة العربية التقرير كله وبالإجماع، أما الوكالة

اليهودية فردت ردا غامضا تشكو فيه أن تهجير المائة ألف يهودى سيتم بعد الاتفاق على المشكلة الفلسطينية ككل.

وفى ظل هذه الملابسات صرح مستر «بيفن» وزير خارجية بريطانيا بقوله: «آمل ألا يساء فهمى إذا قلت - مع التسليم بحسن النوايا - أن سياسة الولايات المتحدة تجاه الهجرة اليهودية إلى فلسطين كانت سياسة مبنية على أساس أنها لا ترغب فى وجود كثيرين منهم فى نيويورك. وقال: «إن حكومة صاحبة الجلالة ليست مستعدة لأرسال فرقة أخرى فى فلسطين للمساعدة لتهجير مائة ألف يهودى من أوروبا».

وفى الوقت نفسه أرسل مستر«آتلى» قائمة بها أكثر من ٤٠ سؤالا محددا طلب فيها ردودا محددة لتخطيط عمليات التهجير، وذلك بقصد أن يشرك الأمريكيين بحيث لا يقتصر دروهم على دور الناصح زلق اللسان، لذلك قرر الرئيس الأمريكى تعيين لجنة من وزراء الخارجية والخزانة والحرب للمساعدة فى مجال تقرير وتنفيذ السياسة الأمريكية تجاه المشكلة الفلسطينية.

اللجنة الوزارية

ولقد اندلعت أعمال العنف فى النصف الأخير من يونيو فى فلسطين، وبدأت سلطة الأنتداب عدة اعتقالات لزعماء الحركة المسلحة الصهيونية، ودمر فندق الملك داوود حيث كان جزءا من القيادة البريطانية وسكرتارية المندوب السامى، وأعلنت المنظمة الصهيونية «أرجون زفاى ليومى» مسئوليتها عن الحادث.

وكان الرئيس الأمريكى قد أعلن استعداد الولايات المتحدة لتحمل مسئولياتها بشأن الالتزامات المالية والفنية لنقل مائة ألف يهودى من أوروبا إلى فلسطين، وسافرت إلى لندن بعثة من الخبراء الأمريكيين، وبعد تفاقم الأحداث بدأت تظهر بعض نتائج المحادثات الأنجليزية الأمريكية، ومنها اقتراح إنشاء دولة فلسطينية فيدرالية لليهود والعرب فيها مقاطعات مستقلة لها سلطات محلية واسعة ، أو إنشاء حكومة فيدرالية تحت إشراف الأنتداب.

وظهر اقتراح مساعدة الولايات المتحدة اقتصاديا لجميع الدول العربية، منها ٥٠ مليون دولار لعرب فلسطين بصفة خاصة، كما أعلن عدم الربط بين موضوع استيعاب المائة ألف يهودى وبين الموافقة على إنشاء الدولة الفيدرالية السالف الإشارة إليه.

وبعد بضعة أيام من رفض العرب واليهود للمشروع، عهد الرئيس الأمريكى «ترومان» إلى المؤلف معالجة المشكلة، ولكن بعد أن تمكن رئيس الوزراء البريطانى من اقحام الولايات المتحدة فى المشكلة، ومن ثم إحلالها محل بريطانيا، وبعد أن كان الأمر لا يعدو كونه نزاعا مسلحا بين الدولة المنتدبة واليهود أصبح الموقف يهدد بالأنفجار فى الشرق الأوسط، مما جعل الرئيس الأمريكى يعلن عدم ارتياحه للتقرير، ودعا «تشرشل» إلى أن يعلن فى مجلس العموم أنه ينصح الحكومة البريطانية بالتخلى عن الأنتداب إذا لم تقدم الولايات المتحدة المساعدات الضرورية.

إعلان ٤ أكتوبر ١٩٤٦ «اليوم الكبير»

فى ذلك اليوم أعلن الرئيس الأمريكى أنه سيعاود جهوده لتسهيل هجرة مائة ألف يهودى إلى فلسطين، وأعلن توقعه موافقة الرأى العام الأمريكى على اقتراح تقسيم فلسطين، إلا أن هذا الأعلان واجه اعتراض الكثيرين، وكان أشد الناس رغبة فى التعرف، بوجه التحديد، على وجهة النظر الأمريكية، السفير البريطانى الذى كان منحازا للجانب الصهيونى، بخلاف رئيس وزراء بلاده مستر «آتلى» ووزير الخارجية مستر «بيفن» - كما حاول أميران سعوديان معرفة النظرة الأمريكية بدقة وهما : الأمير فيصل ملك السعودية فيما بعد، وولى العهد وقتئذ الأمير سعود، خاصة فى الفترة التى تم فيها تغيير وزير الخارجية الأمريكى بتولى الجنرال «مارشال» تلك الوزارة، وكان الهدف معرفة ما إذا كان ثمة تغيير فى السياسة الأمريكية تجاه المشكلة الفلسطينية.

وقد ذكر المؤلف أن السفير البريطانى أبلغه فى هذا الصدد أن مستر«بيفن»، أخطر الزعماء اليهود فى نيويورك، أن بريطانيا غير قادرة على إيجاد حل لمشكلة فلسطين فى المستقبل القريب، وأنها تزمع إنهاء الأنتداب وتسليمه للأمم المتحدة بعد أن رفضته الولايات المتحدة، وذكر السفير البريطانى أن الحاضرين من زعماء اليهود اقترحوا تقسيم فلسطين تفاديا لتأزم الموقف.

وعاود السفير البريطانى بعد ذلك الاتصال بالمؤلف بعد تولى «الجنرال مارشال» وزارة الخارجية لإبلاغه أن بريطانيا بصدد الدخول فى مباحثات مع زعماء العرب واليهود، وأن الحكومة

البريطانية تستطلع الرأى فى حالة عدم الوصول إلى اتفاق فى شأن التقسيم أو إنشاء دولة فيدرالية أو تسليم الأنتداب للأمم المتحدة.

ويرى المؤلف أن الحل فى ذلك الوقت كان فى الالتجاء إلى التقسيم بوصفه أسهل وأقل تعرضا للمعارضة، ولكن العرب كانوا يتوجسون خيفة من أنه بعد تهجير المائة ألف يهودى أن يختل التوازن. ولم يشترك اليهود فى مؤتمر لندن، ولم تلق الولايات المتحدة بثقلها، وأعلنت بريطانيا أنها ستحيل الموضوع برمته فى ١٤ فبراير عام ١٩٤٧ إلى الأمم المتحدة، وقرر المؤلف أن التجاء بريطانيا للأمم المتحدة وتخليها عن الأنتداب زاد فى أعباء الولايات المتحدة التى كان يجب - فى رأى المؤلف - الاتفاق معها مسبقا على حل يوافق عليه الجميع.

المسئولية تحال على الأمم المتحدة

فى ٢٢ فبراير ١٩٤٧ أبرق وزير خارجية الولايات المتحدة إلى وزير خارجية بريطانيا بأن إحالة المشكلة للأمم المتحدة لن يخفف من حدتها، واستفسر منه عن إمكانية زيادة حصة الهجرة خلال نظر المشكلة على الأمم المتحدة، ولكن وزير خارجية بريطانيا مستر «ارنست بيفن» ذكر بأن بريطانيا ستسحب خلال شهر قواتها من اليونان، ثم هاجم مجلس العموم البريطانى الولايات المتحدة وسياستها إزاء المشكلة الفلسطينية.

وكان واضحا أن الأمم المتحدة لا تستطيع تدارك الأبعاد الحقيقية للمشكلة دون معاونة أحد الأطراف، واقترحت الولايات المتحدة مساعدة سكرتارية الأمم المتحدة بمجموعة قليلة العدد من بعض العناصر المحايدة الممتازة للمعاونة.

وفى ٢ أبريل طلبت بريطانيا من سكرتارية الأمم المتحدة عقد جلسة خاصة للجمعية العامة لتكوين لجنة مهمتها دراسة وضع فلسطين ومستقبلها.

وفى الفترة من ٢٨ أبريل إلى ١٥ مايو عقدت الجمعية العامة عدة جلسات، ولكن لم يلبث وزير خارجية الولايات المتحدة الجنرال «مارشال» أن أعلن تضاؤل الأمل فى إيجاد تسوية للمشكلة، لأن أى حل لن يتم إلا إذا صاحبته القوة.

وكان آخر ما أعلمه ـ نظرا لاستقالتى بعد ذلك ـ هو ضغط الوكالة اليهودية على الولايات المتحدة لتمارس ضغوطها لزيادة حصة الهجرة اليهودية، ولقد التزمت من جانبى موقف المعارضة، وفوجئ الجميع بعد ذلك أنه فى منتصف يوليو استطاع ٥٥٠٠ مهاجر يهودى الدخول خلسة بطريقة غير قانونية إلى فلسطين. وتم حجزهم فى حيفا وإعادتهم إلى أوروبا، وبدأ فى نهاية العام النضال بين اليهود والعرب فى جميع أرض فلسطين، إلا أننى لم يتيسر لى وقتئذ الوقوف على معلومات دقيقة فى هذا الصدد نظراً لأننى لم أكن أشغل أى منصب رسمى فى ذلك الحين.

وفى الفترة ٤٧ / ١٩٤٨ ـ وهى الفترة التى كنت خلالها بعيدا عن المناصب الرسمية ـ احتدمت المواجهة بين العرب والإسرائيليين فى الشرق الأوسط، وكان آخر عهدى بالمشكلة عندما قدم مستر «بيفن» اقتراحا لعقد جلسة خاصة للجمعية العمومية للأمم المتحدة لتولى الأنتداب بدلا من بريطانيا، والتمهيد لإنشاء حكومة تقرر مستقبل فلسطين، إلا أن الاضطرابات دعت بريطانيا إلى أن تعلن إنهاء

مسئولياتها فى ١٥ مايو ١٩٤٨، الأمر الذى أدى إلى إعلان قيام (دولة إسرائيل) فى ١٤ مايو مما أعقبه اعتراف الرئيس «ترومان» على أساس الأمر الواقع، فى الوقت الذى كان المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة لا يزال يؤيد إقامة وصاية مؤقتة على فلسطين.

وعينت الأمم المتحدة الكونت «برنادوت» وسيطا لها، ولم يقدر لجهوده النجاح، وكانت النهاية اغتياله، ثم خلفه «رالف بانش» الذى تمكن من تحقيق وقف إطلاق النار، ودعا إلى المباحثات فى جزيرة ردوس.

وكان على المؤلف أن يتصل بالبريطانيين للوقوف موقفا موحدا من المشكلة، أو وضع قاعدة أكثر تعقلا بشأن المساعدات الأمريكية تتحلل بريطانيا بمقتضاها مما تفرضه عليها معاهداتها مع مصر والأردن، وأثير موضوع فرض حل على الشرق الأوسط تقرره بريطانيا وأمريكا يتناول الحدود واللاجئين، ولكن الخارجية الأمريكية لم تلبث أن أدركت أن فرض حل سيساعد على تدخل السوفييت فى المنطقة. ويستطرد المؤلف قائلا: «ولعل العرب واليهود الآن أكثر تعقلا بعد اندلاع الصدام بينهما وأكثر ميلا لإجراء مشاورات تحت إشراف «رالف بانش»، ومعنى هذا فى رأى المؤلف «بدون تدخل أمريكى فى ذلك الحين».

وكانت مجهودات المؤلف - حسبما يذكر - تستهدف تحسين الوضع، لولا أنها لم تكلل بأى نجاح طوال خدمته بالوزراة.

ويستطرد المؤلف ليقرر أنه طلب من «رالف بانش» العمل بالخارجية الأمريكية وكيلا لشئون الشرق الأوسط وجنوب آسيا والمسائل الأفريقية لولا أن رفض بانش ذلك بلباقة.

التصريح الثلاثى بشأن الشرق الأوسط

وقد نوقش موضوع الشرق الأوسط فى الاجتماعات الثلاثية التى دارت، وقد كانت المصادمات بين العرب واليهود قد خفت حدتها، ولم تؤد المناقشات إلى حل للمشاكل القائمة، كما فشلت لجنة الأمم المتحدة فى التوفيق فى الوقت الذى اشتدت فيه الاضطرابات فى إيران، وقيام الثورة فى مصر ضد البريطانيين.

وقد أصدر الوزراء الثلاثة المجتمعون فى لندن تصريحا ثلاثيا بشأن المواجهة العربية الإسرائيلية، وقد جاء فيه أنه إذا أبدت إحدى دول المنطقة (الشرق الأوسط) نواياها العدوانية ضد دولة أخرى، أو انتهكت حدوده، فإن الدول الثلاث تتخذ على وجه السرعة الإجراءات اللازمة، سواء فى نطاق الأمم المتحدة أو خارجها لتفادى ذلك.

ولم يكتب لهذا التصريح الثلاثى أدنى قدر من التنفيذ، فقد انغمست دول التصريح فى مشاكل بعيدة الصلة عن الشرق الأوسط، وانتهز الأتحاد السوفيتى الفرصة وبدأ فى نشردعايته فى أوروبا وفى الشرقين الأدنى والأوسط.

وكمظهر لانعدام فعالية التصريح ما حدث عام ١٩٥٦ حين انتهكت إحدى الدول حدود دولة، وحين تضاربت مواقف الحكومات صاحبة التصريح ،خاصة وأن بريطانيا وفرنسا لم تترددا فى استعمال القوة المسلحة خارج نطاق الأمم المتحدة، مما أدى بالأتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبعض دول الأمم المتحدة - فى ظل التهديد بالتدخل المسلح - إلى العمل على وقف التدخل الفرنسى الإنجليزى الإسرائيلى.

ومظهر آخر لانعدام فعالية التصريح هو نزول القوات الأمريكية فى الأراضى اللبنانية فى يوليو عام ١٩٥٨ عند قيام لبنان بالشكوى غير الجدية طالبة حمايتها من التهديد الأجنبى (المصرى).

وهكذا تأكدت عدم فعالية هذا التصريح، بل ويمكن القول بأنه ولد ميتا.

التعليق

والواقع أن وجهة نظر «دين اتشيسون» هذه قد تكون واحدة من الآراء القليلة المسجلة التى جاهر بها مسئول أمريكى على هذا المستوى العالى وناهض فيها تخطيطات الصهيونية.

ولعل الظروف والملابسات لظهور هذا الرأى الخطير بالنسبة لإسرائيل تمثلت فى أن العالم كان قد فرغ لتوه من حرب عالمية طاحنة، وأن الصهيونية كانت منهمكة فى حرب مع العرب، وأن «اتشيسون» كان وزيرا لخارجية الولايات المتحدة عام ١٩٤٩ . ولذا كانت هذه الظروف غير مشجعة مما أستتبع أن توجه الصهيونية وإسرائيل معاولها لهدم «أتشيسون» إلا أنها ، وقد تم اعتراف معظم الدول بها بالإضافة إلى فقدان «أتشيسون» فى نظرها لأية قيمة سياسية تستحق الالتفات، فإنها التزمت عدم الاكتراث حتى لا تعطى الموضوع أهمية دون مقتضى، بالإضافة إلى افتقاد المبرر أو المصلحة فى إثارة موضوع أصبح فى سجل التاريخ.



الرئيس هارى ترومان أعترف باسرائيل بعد ساعة من إعلان قيامها.

القسم العشرون

تقييم

للرجلين اللذين أقاما دولة اسرائيل

١ - «حاييم وايزمان»

و

«دافيد بن جوريون»

تقديم

إن تاريخ اليهود المعاصر وقيام دولة إسرائيل والعودة من الشتات هو فى حقيقة الأمر وواقعه محصلة عمل - صاحبى رسالة - يعتبران من أبرز القادة البرجماتيين الذين عرفهم التاريخ اليهودى الحديث، «حاييم وايزمان - ودفيد بن جوريون»، فاليهما يرجع الفضل الأكبر لما حققته الصهيونية العالمية من انتشار ونفوذ سياسى واقتصادى فى انحاء العالم، وإن كان التاريخ اليهودى قد سجل للرجلين بعض الخلافات فى الطرق والوسائل النضالية، بلغت فى بعض الأحيان المعارضة والقطيعة، إلا أن هدفهما الأساسى كان متفقا عليه وهو جمع شتات الشعب اليهودى الذى عاش أكثر من ثمانية عشر قرنا، ذاق فيها كل أنواع المذلة والمعاناة والاضطهاد، وتحقق حلم اليهود الأكبر بإقامة دولة فى قلب العالم العربى، أساسها المبادىء الصهيونية التى وضعها «هرتزل» فنفذها هذان الرجلان بكل دقة ومثابرة.

ومن خلال سيرة الرجلين - يمكن أن نتتبع من واقع فلسفتهما وأعمالهما وطرق ووسائل أدائهما، وتاريخ الحركة الصهيونية بعد وفاة - هرتزل - إلى أن قامت دولة اسرائيل.

فالرجلان وإذا صح القول - من واقع دراسة حياتهما - كانا بمثابة الروح والجسد للكيان اليهودى والصهيونى القائم حالياً.

«بن جوريون» و «وايزمان»
اسباب الخلاف بين الزعيمين

وضع «روبرت سان جون» فى مؤلفه «BEN GURION» «بن جوريون» مقارنة «فسيولوجية» و«طبقية»، بين «وايزمان» و «بن جوريون» ليلقى الضوء على جانب أساسى مهم كان سببا فى الخلاف الذى كان مستحكما بين الزعيمين قرابة أربعين عاما. فذكر فى مستهل دراسته ما يلى:

كان عقد العشرينات وقتا حافلا بالنشاط لبن جوريون وانطلاقه السريع فى عمله، عصيبا لشعب فلسطين اليهودى. فقد كانت لهم جميعا سنوات من الحيرة والشك، والتوتر، ولحظات عارضة من الإنجاز والغبطة احيانا، وفترات أكثر من الحزن غالبا بسبب الإحباط واليأس أحيانا.

وفى ابريل عام ١٩٢٠، التقى زعماء قوات الحلفاء على شاطىء المصيف الايطالى فى مدينة «سان ريمو» لتوزيع المكاسب والغنائم، ولكن وحتى ذلك الوقت لم يتخذ أى اجراء رسمى أو شكلى بالنسبة لفلسطين.

وكان يهود فلسطين ينظرون، الى إعلان «بلفور» على أنه قصاصة من الورق، يعطى بريطانيا الانتداب على فلسطين، وتعنى

هذه الورقة أن اولئك الذين قسموا الهيمنة تواً، يقولون للعالم أنه فى حالة هذا الانتداب فإن الشعب المعنى مستعد تقريبا لنظام حكم ذاتى، وأن مدة الإنتداب تبعا لذلك ستكون قصيرة.

وقد عم الغضب يهود فلسطين فيما عدا قليلا منهم. إسرائيل تحيا ثانية بعد زهاء ألفى عام. الا أن «بن جوريون» كان يتوجس خفية بعد أن درس بتأن مضمون كلمات الانتداب ومراميها الخفية.

فالمادة الرابعة تقول، يجب أن تعترف دولة الانتداب «بوكالة يهودية» لتمثيل الشعب اليهودى عندما يعمل لاقامة وطنه القومى. وراودت «بن جوريون» تساؤلات، كيف سيتم الإختيار، من سيكون الرئيس؟ وما هى السلطات التى تمارس؟

أما المادة السادسة فتقول سيسمح بهجرة اليهود (أى إلى فلسطين) وسيشجع اليهود على الاستقرار فى البلاد.

والتساؤل الهام هو..كيف.. .. وعلى يد من .. ومتى.. وأين؟

ورأى «بن جوريون» المهاجرين يتجمعون فى تل أبيب، حتى تستعد المدن الصغيرة الجديدة لهم، وقد جاء الكثير منهم بمال قليل، يريدون استثماره فى فتح محلات أو البدء فى أعمال صغيرة ويستخدمون عمالة رخيصة.

وبعد قليل من «سان ريمو» دعى الى عقد مؤتمر هام للصهاينة فى لندن، وقرر اتحاد العمال إيفاد «بن جوريون» متحدثا باسمه، وكان هذا هو أول تجمع عالمى حضره فى قاعة البرت هول.

وعلى المنصة كان هناك متحدثون من الشخصيات البارزة من نيويورك وبوسطن وباريس ووارسو، ومن جميع أنحاء العالم، وكان «بن جوريون» وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره رئيس حزب سياسى من ألفى عضو على برنامج خطة العمل.

وفى هذا المؤتمر، لأول مرة، يختلف «بن جوريون» مع «وايزمان» وخلال الاثنين والثلاثين عاما التالية، كان هذا الرجلان فيما بينهما يقودان مصائر ملايين اليهود فى إسرائيل وغيرها من أنحاء العالم. وكان أصدقاء «وايزمان» يطلقون عليه اسم «مهندس» دولة اليهود «إذا كان «وايزمان» هو المهندس، فإن «بن جوريون» هو المقاول العام والمؤسس وقد عملا سويا أوقاتا خلال الثلث التالى من القرن، كما يجب أن يكون الاتفاق بين المهندس والمنفذ، ولكنهما فى فترات أخرى كانا بعيدين جدا فى تفكيرهما حتى بدا التوفيق بينهما مستحيلا.

كلاهما كان يهوديا مولودا فى روسيا، وكلاهما كرس حياته من أجل ما يطلق عليه الآن اسم إسرائيل، وهنا ينتهى التشابه.

ثم بدأت المقارنة بين «وايزمان» و «بن جوريون» والاختلاف بين تكوينهما وسلوكهما، فبينما كان «وايزمان» ارستقراطيا وسيما، كان مظهر «بن جوريون» يبدو وكأنه رئيس عمال، يفخر بأنه رجل من العامة وواحد من الشعب، يسعى فى كل مناسبة إلى هدفه الاسمى، ألا وهو إقامة دولة لليهود فى فلسطين كمرحلة، ثم التوسع فى كل فلسطين ولو بحد السيف والقوة الغاشمة فى مرحلة تالية.

وكان «وايزمان» الذى درس فى برلين وسويسرا يفاخر بحصوله على الكثير من الدرجات العلمية، بينما علّم «بن جوريون» نفسه بنفسه دون أى درجات علمية من أى نوع، حتى منحته الجامعة العبرية شهادة فخرية.

وكان «وايزمان» ثريا بالوراثة عن أهله ويستمتع كأولاد الأغنياء الانجليز، بينما كان «بن جوريون» - حتى بعدأن أصبح رئيسا للوزراء يجلس حول مائدة المطبخ لتناول الغذاء ويعاونه ضيوفه أحيانا فى تنظيف الأوانى.

وكان «وايزمان» يستضيف رجال الدولة، أمثال لورد «بلفور»، كما كان يعرف «ونستون تشرشل «منذ الصبا، ويحاكى ملك إيطاليا والبابا وليدى «استور» و «ماكدونالد» وغيرهم، بينما كان «بن جوريون» يفضل - حتى بعد أن أصبح رئيسا للحكومة - الترفيه بالكيبوتز والطلائع الشبابية وضباط الجيش ورجال المخابرات.

وكان لـ «وايزمان» أصدقاء حميمين فى كل مدينةهامة فى العالم، بينما لم يكن لـ «بن جوريون» طيلة حياته سوى قلة، كما كان «وايزمان» يعالج المشاكل كلها بعقل متفتح وأسلوب علمى، على حين يفكر «بن جوريون» بقلبه، وبينما كان «وايزمان» نادرا ما يفقد أعصابه، كان ين جوريون» يفقد أعصابه غالباً.

وكان «وايزمان» يضرب المثل بسويسرا - الدولة الصغيرة - وكأن هناك سويسريون خارجها أكثر من داخلها، دون إحساس معاد نحو السويسرى لأن له وطنا يمكن أن يعود اليه، ويمكنه دعوة الأخرين

إليه، بينما لم يستخدم «بن جوريون» مثلا كهذا على الاطلاق، ولكنه كان يستخدم تعبيرا هو: ما يخصنى هى بلادى الأصلية «يقصد إسرائيل».

لقد ذهب «وايزمان» إلى فلسطين، وغادرها بعد وقت قصير، ولم يعد الا بعد زمن طويل حين قامت دولة إسرائيل، وانتخب رئيسا لها، وقضى بقية سنى عمره فيها، بينما دق «بن جوريون» جذوره عميقة فى تربة الوطن، أرض إسرائيل.

كان «وايزمان» صديقا للحركة العمالية فى فلسطين، دون أن يأخذ دورا سياسيا فيها على الإطلاق، أما «بن جوريون» فقد قامت كل مهامه على العمل السياسى.

وكان «وايزمان» ليبراليا، أما «بن جوريون» فكان اشتراكيا، «وايزمان» اكاديمى، «وبن جوريون» رجل عنف.

شعر «وايزمان» بأن «بن جوريون» لم يظهر إلا قليلا جدا من الاهتمام بالرأى العام العالمى، وشعر «بن جوريون» بأن «وايزمان» أظهر الكثيرجدا من الاهتمام بما عسى أن يفكر أولئك من خارج الشرق الأوسط.

«وايزمان» جامعى يصف نفسه بأنه معتدل، بينما «بن جوريون» متقلب، غير صبور يتلهف على نتائج سريعة.

أحس «وايزمان» خلال معظم حياته بأنه لا أمل فى دولة يهودية إلا عن طريق بريطانيا، بينما ضاق «بن جوريون» بالبريطانيين حتى أصبح عدوا لدودا فى النهاية بعد سلوك «أرنست بيفن» وزير الخارجية البريطانى الذى نقض وعد حزب العمال.

كـان مـعظم هذا التناقض بين الرجلين ظاهرا للجـمـيع، ولعل المقارنة قد تركت شعورا غير مقصود باستعلاء «وايزمان»، لكنه يبدو أن سلوك «بن جوريون» قد غلب عليه الحقد والاستياء الغريزى من «وايزمان» وأسلوب حياته وفلسفته وسياساته، ولكنه اعترف مثنيا على الأهمية الكبرى لوايزمان فى قضية الصهاينة.

الخلاف بين «وايزمان» و «بن جوريون»

فى التطبيق السياسى

حضر «وايزمان» مؤتمر «بلتيمور» وصوت تحت ضغط الأغلبية بالموافقة على مقرراته مع أنه فى قرارة نفسه كان معارضا للبرنامج، وعلق على مسلكه هذا بقوله: «إن فن السياسة استهداف الممكن واستطلاع ما يمكن الحصول عليه».. غير أنه عندما عاد إلى لندن أخذ يتفاوض مع الإنجليز بما يخالف برنامج «بلتيمور» مما حمل «بن جوريون» على تقديم استقالته، ورفض «وايزمان» ما طلبه بعض الصهيونيين من الذهاب إلى فلسطين لتفسير موقفه وتوضيحه لـ «بن جوريون» إلا أنه تعهد بعدم اتخاذ أى اجراء الا بموافقة اللجنة التنفيذية للمنظمة.

وباشهار سلاح الاستقالة انتصر «بن جوريون» على «وايزمان» وبالتالى على «شرتوك» الذى أخذ جانب «وايزمان» فى هذا الخلاف. ومنذ ذلك الحين بدأ الخلاف بين «موسى شرتوك» الوارث الروحى «لوايزمان» وبين «بن جوريون».

وكـان «بن جـوريون» يرى أن الاسـتـقـلال أهم من زيادة تـدفق الهجـرة، بينما رأى «وايزمـان» أن اليهود إذا ما حـصلوا على تصـريح بهجـرة مائة ألف يهودى كـانوا على استعداد لنسيان فكرة الاستقلال. وكان رأى «بن جـوريون» على النقيض من رأى «وايزمـان» فـالدولة اليهودية هى أمل كل يهودى عند «بن جوريون».

وكانت اللجنة الأنجلو- أمريكية التى شكلت بناء على طلب الرئيس الأمـريكى «ترومـان» لدراسـة الوضع فـى فلسطين قـد أوصت فى تقـريرها بالسـمـاح للمـائة ألف يـهودى بالـهـجـرة إلـى فلسطين مع تحذيرها من قيام أية دولة سواء عربيـة أو يهودية فى فلسطين، ورأى وايزمـان و «شرتوك» بعض الأمل فى تقرير هذه اللجنة، بينما رفض «بن جوريون» رفضا قاطعا هذا التقرير، وأصدر قرارا سريا للهاجاناه ببناء قـرى جـديدة فـى الأمـاكن الممنوع فـيـها تملك اليـهـود، وشـجـع كذلك على الهجـرة غير القانونيـة وخاصة الواقعة من فرنسا وهو البلد الذى كان اليهود يتدربون فيه على الحرب، كما طلب من «الهاجاناه» تحريض اليهود على إعلان العصيان المدنى وعدم إداء الضرائب.

وفى المؤتمر الـصـهـيـونى الذى عقـد فى «بازل» عـام ١٩٤٦ ظـهـر الصـراع على أشـده بين «بن جـوريـون» و «وايزمـان»، وكـان أغلب أعـضـاء «المابـاى» والأشـتـراكـيـون يؤيـدون «وايزمـان» لـتـخـوفـهـم من أهداف الصـهـيـونيين الأمـريكيين الذين كـانوا ينـادون بنقل مـركـز الحركة إلى «نيويورك» خاصـة بعد أن أصبح «سيلفر» رئيس المنظمة وقبل الاشتراك فى مؤتمر لندن الذى دعت إليه الحكومـة البـريطانيـة فى شهر يناير ١٩٤٧.

كان «وايزمان» «وشرتوك» واتباعهما يرون وجوب الوصول إلى اتفاق مع دولة الانتداب، وطلبوا من المؤتمر أن يوافق على التقسيم ويقبل المفاوضة مع الحكومة البريطانية.

أما «بن جوريون» الذى يؤيده «سيلفر» ومؤيدوهما فقد رأوا فى التقسيم أنه يجب أن يأتى من قبل بريطانيا أو العرب، لأن هذا الطلب إن جاء من قبل الصهيونية قلل من مكانتها، وهو أساسا يتعارض فى الوقت نفسه مع مقررات مؤتمر «بلتيمور» الذى قرروا فيه بكل فلسطين وطالب «بن جوريون» بالحاح بالسماح بهجرة غير مقيدة، وإعادة السكان اليهود وتخليصهم من ألمانيا، مؤكدا أن هذا لن يتحقق إلا بقيام دولة يهودية تضمهم، وتزعم «بن جوريون» المعارضة الثائرة ضد «وايزمان» الذى اشترط لقبول الرئاسة مفاوضة بريطانيا، وانسحب من المؤتمر قبل نهايته عندما أدرك أنه هزم ولم ينتخب لرئاسة المنظمة. وبمغادرة «وايزمان» المؤتمر وهزيمته بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ الصهيونية. وكأن التاريخ يعيد نفسه.

فالمعارضة الثائرة التى قادها «بن جوريون» ضد «وايزمان» تذكرنا بالمعارضة الشرسة التى قادها «وايزمان» ضد «هرتزل» فى عام ١٩٠٣. واعتمد «بن جوريون» فى حملته على «وايزمان» بما وقع من أن بريطانيا قد غيرت سياستها فلا داعى لأن يبقى «وايزمان» سجين اعتداله وولائه لبريطانيا «كتاب النبى المسلح» THE ARMED PROPHET.

وانتخب المؤتمر «بن جوريون» رئيسا للمنظمة العالمية، وانتخب «سيلفر» لرئاسة الوكالة أو فرع المنظمة الصهيونية الأمريكية.

وأعلن المؤتمر فى جلسته الختامية الدعوة الى تكوين دولة يهودية فى كل فلسطين، وذكر أن فى الأمكان التقسيم إذا اقترحته بريطانيا، ثم الرفض التام لكتاب عام ١٩٣٩.

وبالرغم من الخلاف الشديد بين «بن جوريون» و «وايزمان» فلم يتردد «بن جوريون» فى تأييد ترشيح «وايزمان» لرئاسة الدولة الجديدة. وقد ذكر مؤلف كتاب «ERROR TRIALAND»، أن «بن جوريون» قال فى هذه المناسبة مبررا موقفه: «إننى لا أعتقد بأن الرئاسة أمر ضرورى للدكتور «وايزمان» بقدر ما هى ضرورية لاسرائيل». وكان من رأى «وايزمان» أن تكون الرئاسة على نمط الرئاسة فى الولايات المتحدة، الا أن «بن جوريون» كان يريد السلطات فى يد الوزارة التى تكون مسئوليتها أمام الهيئة التشريعية وليس أمام الرئيس، وذكر مؤلف «THE ARMED PROPHET» أو «النبى المسلح» أن «بن جوريون» كان يرمى إلى أن يكون رئيس الدولة رمزا لها ليس غير، ونجح فى ذلك. إذ كانت أول وزارة شكلت فى دولة إسرائيل مسئولة أمام الكنيست.

كان «وايزمان» غير راض على وضعه، لذلك قضى أكثر وقته فى معهده «معهد وايزمان» فى رحبوت، فلا يظهر إلا فى المناسبات الرسمية. وكان أبلغ تعبير عن الحالة التى وصل اليها «وايزمان» فى نهاية حياته ما وصفه به «موريس آدل» مؤلف كتاب «داود تاريخ بن جوريون DAVID, THE STORY OF BENGURION»، أسير المعهد».

وتعرض مؤلف كتاب «BEN GURION LOOK BACK» إلى الاختلاف فى شخصية الزعيمين، فذكر أنهما يختلفان فى أمور

كثيرة بالرغم من اتفاقهما فى التزامهما بالصهيونية. إذ كان الخلاف بينهما فى الممارسة التكتيكية والتوقيت المناسب لا حول أهداف الصهيونية ومخططاتها. وكان «بن جوريون» يرى فى مسلك «وايزمان» وتصرفاته ما يذكره بما كان للحكام العظام والملوك من بنى إسرائيل فى عصور التاريخ القديمة من السطوة والسيطرة، فاعتبر نفسه وتصور أنه القائد الأول للدولة اليهودية الجديدة، متناسيا أن بريطانيا تخلت عنه ولم يعد القائد الفعلى للحركة الصهيونية. وذكر المصدر نفسه أن «بن جوريون» قال «إن القدر كافأ وايزمان» بأن أتاح له شهود ميلاد دولة اسرائيل والعيش فيها، بعكس النبى موسى عليه السلام الذى سمح له فقط أن يرى الأرض دون أن يدخلها».

وقد شيعت إسرائيل فى التاسع من شهر ديسمبر ١٩٥٢ جنازة «وايزمان» وانتهت بذلك حياته الحافلة ومجهوداته فى تنفيذ مخططات الصهيونية بالطرق السياسية والدبلوماسية الهادئة وأغلق كذلك أحد الأبواب التى كان تهب منها الرياح المعارضة على «بن جوريون».

المراجع العربية

(١) اسرائيل الكبرى الدكتوراسعد رزق، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٨.

(٢) إسرائيل الكبرى، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى. الدكتور أسعد رزق.

(٣) إسرائيل ١٩٨٥؛ أحداث ومواقف. اعداد رضا سليمان.

(٤) إسرائيل والقارة الأفريقية، الأبعاد والحاضر الدكتور محمد عبدالعزيز ربيع.

(٥) إسرائيل ١٩٨٤.

(٦) الأخوان المسلمين والصلح مع إسرائيل. حسين كروم.

(٧) الأصول التاريخية لمسألة طابا ـ دراسة وثائق دكتور يونان لبيب رزق.

(٨) انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربى الإسرائيلى ـ مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية.

(٩) اندماج الأحزاب العمالية الثلاثة، محمود عطا الله.

(١٠) التفسير الكبير للفخر الرازى ط (٣) (١١)تاريخ الرسل والملوك. امين جرير الطبرى، دار المعارف.

(١٢) التاريخ السرى لحرب إسرائيل. ميشيل بار زدهار.

(١٣) التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط. اسماعيل فهمى.

(١٤) تطبيع العلاقات بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل. وزارة الخارجية المصرية.

(١٥) تاريخ فلسطين السياسى تحت الإدارة البريطانية المذكرة التى قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ترجمة فاضل حسين، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٦.

(١٦) حول تاريخ الأنبياء عند بنى إسرائيل. م.ص. سيجال، ترجمة وتعليق دحسن ظاظا بيروت، ١٩٦٧.

(١٧) الحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل، حمدى فؤاد.

(١٨) حقيقة اسرائيل. اللواء الركن محمود مشيت خطاب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧.

(١٩)دلالة الحائرين. موسى ميمون ـ عارضة بأصوله العربية والعبرية حسين أتاى، جامعة أنقرة، ١٩٧٢.

(٢٠) دقت أجراس السلام، عبدالمنعم شميس.

(٢١) الدبلوماسية الصهيونية.الدكتور فايز صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت،١٩٦٧.

(٢٢) رواية بن جوريون للتاريخ. الدكتور سيد نوفل، إدارة الاستعلام والنشر جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦٢.

(٢٣) السادات رجل الحرب... ورجل السلام، موسى بدوى.

(٢٤) السلام بين مصر وإسرائيل، مجدى حماد وأخرين.

(٢٥) السلام الصعب. فوميل لبيب.

(٢٦) السلام الضائع فى كامب ديفيد. محمد ابراهيم كامل.

(٢٧) السياسة الأميريكية تجاه الصراع العربى الاسرائيلى منذ حرب ٧٣ وحتى اتفاقية كامب دفيد. محمود محمد عبدالفغار.

(٢٨) سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية. نصار علمية.

(٢٩) الشرق الأدنى القديم؛ جـ ١ مصر والعراق عبد العزيز صالح، المطابع الأميرية القاهرة، ١٩٦٧.

(٣٠) عند مفترق الطريق - حرب أكتوبر ماذا حدث فيها وماذا حدث بعدها، محمد حسنين هيكل.

(٣١) العرب والتحالف الأمريكى الإسرائيلى مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية:

(٣٢) الفكر الإسرائيلى وحدود الدولة. معهد الدراسات والبحوث العربية.

(٣٣) لفكر الدينى الإسرائيلى.حسن ظاظا، القاهرة، ١٩٧٥.

(٣٤) الفن القصصى فى القرآن الكريم. محمد أحمد خلف الله، القاهرة، ١٩٥١.

(٣٥) قاموس الكتاب المقدس - بطرس عبدالملك وآخرون. بيروت، ١٩٦٤.

(٣٦) القرن الكريم.

(٣٧) قرار الحرب فى السياسة الإسرائيلية. السيد عليوه.

(٣٨)قصص الأنبياء.ابن كثير. القاهرة.

(٣٩) قصص الأنبياء. أحمد الثعلبى النيسابورى القاهرة، ١٩٥٤.

(٤٠) قصص القرآن. عبدالوهاب النجار، مطبعة الحلبى، القاهرة، ١٩٦٦.

(٤١) القصصى القرآنى. عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٥.

(٤٢) قنطرة الشر إسرائيل؛ طريق الامبريالية إلى العالم الثالث. عباس محمود العقاد.

(٤٣)كامب ديفيد بعد ١٠ سنوات. وليام ـ ب كوانق.

(٤٤) الكتاب لمقدس (كتب العهد القديم والجديد) دار الكتاب المقدس، القاهرة.

(٤٥) الكتب التاريخية فى العهد القديم. مراد كامل، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٦٨.

(٤٦) المابابى الحزب الحاكم فى إسرائيل. ابراهيم العابد، منظمة الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦.

(٤٧) ماذا نأخذ بالمفاوضات. ناصف منير الريس.

(٤٨) مبادرة السلام: رحلة القرن العشرين توثيق وتحليل علمى. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٤٩)محاربون ومفاوضون. كمال حسن على.

(٥٠) المدخل إلى سياسة اسرائيل الخارجية. سيد نوفل.

(٥١) مصر وأمريكا ـ عرض تاريخى لتطور العلاقات المصرية الأمريكية. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية.

(٥٢) مصر والصراع العربى الاسرائيلى.

(٥٣) مصر والعرب واسرائيل فى الكتب المقدسة محمد أحمد محمود حسن.

(٥٤) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم. أبوالمحاسن عصفور ـ دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

(٥٥) معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وملحقاتها والاتفاق التكميلى الخاص

باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفةالغربية وقطاع غزة الموقعان فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩.

(٥٦) معاهدة السلام العربية لإسرائيلية فى ضوء قواعد القانون الدولى مزودة بالوثائق والخرائط. ابراهيم محمد العنانى.

(٥٧) الملل والنحل. محمد بن عبدالكريم الشهر ستانى مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٧.

(٥٨) المناظرة بين بطرس غالى وموش ديان، أمام الجمعية البرلمانية الأوروبية. اسامة الغزالى حرب.

(٥٩) المنظمة الصهيونية العالمية. اسعد عبدالرحمن منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٧.

(٦٠) مؤتمر كامب ديفيد.. رؤية علمية. عبدالعزيز سليمان فؤاد وأخرين.

(٦١) المواجهة المصرية الإسرائيلية فى البحر الأحمر. د. عبدالعظيم رمضان.

(٦٢) الموقف المصرى فى المفاوضات الخاصة. باقمة ترتيبات انتقالية للضفة الغربية وغزة. وزارة الخارجية المصرية.

(٦٣) الوجود الاسرائيلى والعربى فى أفريقيا.

محبات أمام الشرابى

(٦٤) وعليكم السلام. محمود عوض.

(٦٥) اليوميات الفلسطينية مجلد ٥،٤ من ٦٧/٧/١ الى ١٩٦٧/١٢/٣١.

(٦٦) اليوميات الفلسطينية مجلد ٦ من ٧/١/٦٧ إلى ١٩٦٧/١٢/٣١

المراجع الأجنبية

1- The Road to Camp David. U. S. Negotiation Strategy towards the Arab– Israeli Conflict. Thomas Parken.

2- The Secret Wars of The C.I.A . (1981-1987). Bop Woodward.

3 - The Commanders. Bop Woodward.

4- Present at the Creation, "My years in the State Department".Dean Acheson.

5 - Herzil. Amos Elon.

6 - Israel's Secret Wars. I an Blak& Benny Morr.

7 - Ben- Gurion of Israel. Barent Litrinoff.

8 - Zionism and the Arabs, 1882-1948. (Astudy of Ideology).Yosef Gorny.

9 - Ben- Gurion. Robert St. John.

10- Ben- Gurion and the Palestinian Arabs from Peace to War.Shabtal Tereth.

11- Ben- Gurion "The Burning Ground" 1986- 1948.Shabtal Tereth.

12 - Ben- Gurion (Apolitical Biograbhy).Maurice Edelman.

13 - The Israeli- Egyptian War of Attrition" 1969- 1970. Yaacove Bar, Siman to.

14- Suze The Twice- fough War (Ahistory).Kennet Love.

15 - Egypt and Israel. Howard M. Sachor.

16 - Israel: Year of Challenge.

17- Ben- Gurion looks back.

18- The Arab Brycott of Israel.

19 - The Economic of Peace Making. (Focus on the Egyptian). Chill, Dan. S.

20 - Israeli Pitnetion. The Promise of Peace Economic Cooperation Between.Arab, Ruth. W.

21 - Egypt- Israel. Bruton Henry, J.

22 - Double Vision Conflict. Chafete, Ze'ew.

23 - Decisions in Israeles Forign Policy. Aronse, Shloms.

24 - Destination Peace, Three decades of Israel Foriegn Policy. Brecher, Michael.

25 - Israel's Global role. Rafael, Gideon.

26 - Israeli Egyptian War of Attrition. Shahak, Israel.

27 - Negotiating for Peace in the M. E. Bar- Simon-ton Yaacov.

28 - Egypt- Israeil.Fahmy Ismail.

29- The United States and Israel. Sacher, Morley.

30 - The Palestinian proplem and U. S. Policy. Reich, Bernard.

31 - Egypt and the U.S. Kuniholm, Bruce Robelle.

32- Politicial Ideologesof israelis, Memeograph 1965. Meyer; Gail E.

33 - Ideogical Change in Israil Micihigan State University. Anyonovsky, aoron.

34 - The Government of the State of Israeil, Twayne Pulishers INC, New Yourk 1963. Arayan; Alan.

35 - Rebirth and Destiny, N; Y 1954. Ben- Gurion, David.

36 - Ben- Gurion Looks back (talks withe Moshe Pearlman) New York 1956. Simon and Shuster.

37- Bar Zohar, Michael .The Armed Prophet: A Biograbhy of Ben-Gurion Arthur Barmer Limited, London 1966.

38- Badi Joseph. The Covernment of Israel Twayne Publishers Inc. New York 1963.

39- Begin, Menochem. The Revolt: Story of the Irgun Henry Schuman, New York 1951.

40- Ben Gurion, David, Israel: years of challenge, anthony Blond, London 1964.

41- Ben Curion, David. Rebirth and Destiny of Israel Philosophical libary, New York, 1954.

42- Bernestien, Marver, H the Politics of Israel Princeton New Jersey, 1957.

43- Comay, Joan Ben Gurion and the Birth of Israeal Random House, New York 1967.

44- Gooke, Hedley V. Israeal: Ableing and a curse stevenes and sons, Limited London; 1960.

45- Dayan, Moshe. Diary of the Siniai Cammpaing English Translation by George Weidenfield and Nicolson Ltd London, 1966.

46- Dunner, Joseph, The Republic of Israel. Whititlesey Housse, New York, 1950.

47- Edelman Maurice. David the Story of Ben Gurion G.P. Putnam's Sons, New York 1965.

48- Goldsmith, S. Twenty 20th century jews. Shengold publishers, inc, New York 1962.

49- Grandos, Jorge Garcia The Birth of Israel: the Drama as I saw it Alfred A Knopf, New York, 1948.

50- Horowitz, David. State in the Making. Alfred Knopf, New York 1953.

51- Hurewitz, J. C. The Struggle for palestine, W. Norton and Co Inc New York 1950.

52- Learsi, Rufus. Fulfilment: The Epic Story of Zie.

53- Desmond Donnlly, Struggle for the World-the Cold War: 1917-1963 New York: St. Martin's.

54- Foreign Relations of the United States,, 1941 (Washington, D.C.U.S. Government Printing office) Vol. III, p. 20 I.

55- Foreign Relatiions of the United States, 1942 (Washington, D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. I' p, 530.

56- Foreign Relations of the United States: 1941 Cited (ch.2) vol IV, pp 841. 42.

57- Longer and Gleason, the Underdard war, 1940-1941, Cited (ch. 3) pp; 909-10.

58- Foreign Relations of the United State, 1943 (Washington, D.C. U.S. Government Printing Office) Vol, II, P. 866.

59- Foreign Relations of the United State 1944. (Washington; D.C.U.S. Government Printing Office) Vol. IV.

60- Harley A. Notter; Postwar Foreign Policy U.S. Government Printing Office, 1949.

61- Sherman Kent; Strategic Intelligence (princetion University Press 1949) p, VIII.

62- Ransom. Central; Intlligence and National Security Cited, pp; 52. 53.

63- Truman, Years of tria land Hope Cited (Ch. 16) pp. 132-33.

64- Current Development in United States Foreign Policy (Washington, D.C. Brookings Instituion), Vol II No 4 November 1949 pp. 4,5.

65- Sill Samuel p. Huntington' the Common Defense (New York; Columbia University Press; 1961) pp. 50. 51.

66- Michael Howard and Robert Hunter, Israel and the Arab WoOrld' the Crisis of 1967 (London : Institue of strategie Studies, 1967)p. I.

67- Richard P. Stebbins, the United States in World Affairs 1951 (New York: Harppers Brother, 1952)p. 273.

68- Records of Conversations, Notes and papers Exchanged Between the Royal Egyptian Government and the United Kingdom Government, March 1950 Novemlber 1951 (Cairo Egyptian Ministry of foreign affairs, 1951) p. 155.

69- Department of State Bulletin, vol. XX v, October.

70- Andre' Chouragui- l'Eltat D' Israel- p. 93.

71- Ceorge Livet- les Cuerres de Religion 2a, edicao Paris, 1966.

72- Ceorges Contenau- les Civilisations Anciennes du Proche Orient" Paris, 1948.

73- Abbe' Jules Claras - "La Faillite des Religions" Harblay- (France)- pg. 200.

74- Cecile Morrision - les Croisades" _Paris 1969- pg 107.

75- Andre' chouragui- "Histories du Judaisme" 4a. edicao Paris, 1968- pg. 24.

76- Ldem- L'Etat d'Israel" 5a. ed-Paris, 1967- Pg 25.

77- Ander Chouragui- "L'Etat d'Israel" 5a.ed. Pgs 16 e 17.

78- Idem, idem, pg. 19.

79- Idem, idem, pg 24.

80- Idem, idem, pg 26.

81- Idem, idem, pg 29.

82- Idem, idem, pg 30.

Bibliography:

1- David Sling, Shimon Peres, Intervews, London, 1972.

2- Aaron S. Klieman, Israel and the World after 40 Years pergman-Bras sey's intemational Defense publishers, New York 1990.

3- Eliahu, The objectives of Israel's Foreign Police, Anglo-Israel sociation, 1957.

4- Herzi Diaries, Vol. I.

5- Dr. Fayez Sayegh, The Zioist Diplomacy, Research, Center, P.L.O. Beirut, 1969.

6- Moshe Peariman, Ben,- Gurion looks Back, New York, 1959.

7- Walter Eyton; The First ten years, Adiplomatic History, London. 1952.

8- ALex Bein, abiography of the Theoder Herzl, London, 1057.

9- J.L. Talmon, Israel among the Nations, London, 1970.

10- Ben Gurion Rebirth and Destingy of Israel, New York.

11- Michel Brecher, The Foreign Policy System of Israel Oxford University press, 1972.

12- David Ben - Gurion, Israel among the Nations, The Government of Israel, Year Book, 1952.

13- Reuven Shiluah, Ressearch center. The Middle East Record, 1960.

14- Henry. Kessingar, Domestic and Foreign Policy, Internationol politics and Forign policy, 1969.

15- Chaim Weizmann, Triad and Error, an autobiography, Shochon Books, New York, 1969.

16- Holt Rine Heart and Winston, Ben - Gurion, Israel, Years of Challenge.

17- Robert loewenberg and Micheal Widlianasky, can Israel Survive a Paleastinian State? Hebrew University, Jeruasalem, May 1990.

18- Abba Eban, The New Diploamacy, International Affairs in the Modern age, Weidenfeld and Nicolson, London, 1983.

19- Simaon D. Messing The Story of flasha, Priniting offset Company Borrklyn, New York, 1982.

20- The integration of the United States Jewy and Israel Durham University Miacrofilms.

21- The Stistical Abstracts of Israel, Vol 39, 1989.

22- Zeev Schiff and Ehud Yaari, ISrael's War in lebanon Edited and transIted by ina Friedmon, Simon and Schuster, New York 1984.

Periodicals:

1- Soviet Jewish Affaris, Vol, 17 No 3. 1987.

2- The New Times, May, 15, 1990.

3- The Jewish Observer, August 25. 1987.

4- The New Outlook, August/ September, 1985.

5- The Jerusalem Quartly, No. 37. Ideolooy and Israeli Foreign Policy.

6- American Arab Affairs,. Spring, 1989.

7- The Jerusalem Quarterty No. II. 1989.

8- The Jewish Observer. March/ 15 1964.

9- Antonovsky, Aaron, Political Ideologies of Israelis, Memeograph, 1965.

10- Aryan, Alan, ideological change in Israel, Michaigan State University, 1965.

11- Badi, Joseph, The Government of the State of Israel, Twayane Publishers Inc, New York, 1963?

12- Ben - Gurion, David, Rebirth and Desting, N.Y. 1954.

13- Ben - Gurion Looks Back (In talks with Moshe Pearlman) Simon and Shuster, New York, 1956.

14- Bernstein, Marver, H., The Politics of Israel, Princeton, Princeton University Press, 1957.

15- Cooke, Hedley Vicars, Israel, a Blessing and a Curse, London, Stevens, 1960.

16- Gordon, A. D., Selected Essays, Trans, By Frances Burnce (N. Y. League for Labor Palestine, 1938).

17- Government of Israel, Corernment Yearbook, 1953- 1954.

18- Government of Israel, Statisical Abstact, 1964.

19- Hadwin; Arnold, politics in Israel, London, Anglo - American Association, 1960.

20- Kerem Moshe, The Kibbutz, Published by "Israel Digest Jerusalem, October, 1963.

21- Kraines, Oscar, Gorernment and Politics in Israel, Boston, Houghton Mifflin, 1961.

22- Lillienthal, A. What Price Israel, Hennry Regnery Commpany; Chicage, 1953.

23- New Outlook, Tel-aviv, Vol. 6, No 4 and 7' Vol. 7, No 4.

24- Peretz, Don, The Middle East Today, Holt, Rinehdhrt Awinston Inc? N. Y. 1963.

25- Seligman, Lester, G. Leadershib in a New Nation, Athzrton Press, New York, 1964.

26- Who's Who (Israel)

27- Zweig, Ferdynand, The Israel Worker, Sharon Books New York, 1959.

28- Dead- Line Date of World Affairs, New York 1948-1966.

29- Keesings Contemporary Archires, London, 1948- 1966.

30- Israel Government Year Book 1952.

31- American Jewish Year book 1966 American Jewish committee New York.

32- The Jewish Encyclopedia Vol. VI.

33- The Standerd Jewish Encyclopedia.

محتويات الكتاب

الموضوع

كلمة المؤلف ٧

القسم الأول :

اليهود في العهد القديم

١ ـ عصر الآباء الأولين ١٣
٢ ـ عصر القضاة والملوك ٣١
٣ ـ عصر سقوط الملكية ٤٩
٤ ـ عصر النبوة والأنبياء ٥٩

القسم الثاني :

اليهود والإمبراطوريات القديمة

١ ـ النفي والميعاد (الآشوريون ـ بابل الجديدة ـ الفُرس) ٧١
٢ ـ اليهود في العصر الهليني ٧٩
٣ ـ اليهود تحت السيطرة الرومانية ٩٣

القسم الثالث :

اليهود والعهد الجديد

١ ـ اليهود في العصر المسيحي ١٠٩
٢ ـ اليهود في العصر الإسلامي ١٢٥

القسم الرابع :

اليهود وعصر النهضة فى أوربا ١٤٥

١ ـ المراكز الجديدة للاستيطان اليهودى.................. ١٤٧

٢ ـ المعاداة للسامية والهجرات........................ ١٦٣

٣ ـ هجرة اليهود إلى أمريكا........................ ١٧٣

القسم الخامس :

أوضاع اليهود السياسية والاجتماعية

قبل ظهور الصهيونية

١ ـ أوضاع اليهود عامة قبل ظهور الصهيونية................ ١٨٣

٢ ـ الهاسكالا.. ١٩١

٣ ـ أحباء صهيون.................................... ١٩٧

القسم السادس :

الصهيونية السياسية العالمية ٢٠٥

القسم السابع :

المبادئ الرئيسية في تاسيس الحركة الصهيونية

التي وضعها تيودور هرتزل ٢٢٧

القسم الثامن :

المرحلة الأولى للصهيونية

(١٩٠٤ ـ ١٩٢٠).

الرواد التوسيعيون................................ ٢٤٣

١ ـ «ماكس ترودو».. ٢٤٥

٢ ـ «فلاديمير جابوسنكى»................................ ٤٤٩

القسم التاسع :

الرواد الواقعيون

١ ـ «حايم وايزمان».. ٢٦١

٢ ـ «دافيد بن جوريون».................................. ٢٦٩

٣ ـ «جولدا مائير».. ٢٨٥

القسم العاشر :

المرحلة الأولي للصهيونية

١٩٠٤ ـ ١٩٢٠

١ ـ أوضاع اليهود فى أوربا فى الحرب

العالمية الأولى ٢٩٣

٢ ـ يهود أمريكا والصهيونية فى فترة

الحرب العالمية الأولى.................................. ٣٠٥

٣ ـ الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط

إبان الحرب العالمية الأولى............................ ٣١٥

٤ ـ الصهيونية والمؤسسات الاجتماعية والسياسية اليهودية

فى الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى............ ٣٢١

المرحلة الثانية للصهيونية العالمية

(١٩٢٠ - ١٩٤٠) .

أولاً - عقد الانجازات (١٩٢٠ - ١٩٣٠)

ثانياً - عقد الخلافات (١٩٣٠ - ١٩٤٠)

القسم الحادى عشر :

١ - مؤتمر السلام فى باريس ١٩٢٠ .... ٣٤٥

٢ - أوضاع العرب واليهود فى فلسطين

بعد مؤتمر السلام عام ١٩٢٠ .... ٣٥١

- النشاط الصهيونى داخل فلسطين وخارجها.......... ٣٦٣

القسم الثانى عشر :

عقد الإنجازات الصهيونية

١ - «الهستدروت» ٣٧٥

٢ - القوة العسكرية «الهاجاناه» ٣٩٩

٣ - حزب « الماباى » ٤١١

القسم الثالث عشر :

عقد الخلافات بين الصهيونية وحكومة الانتداب

١ - بداية الخلافات ولجنة «بيل» لتقسيم فلسطين.......... ٤٣٧

٢ - رأى «بن جوريون» فى العرب.......... ٤٤٥

٣ - الخلاف بين الصهيونية وبريطانيا

على الكتاب الأبيض ١٩٣٩ .... ٤٥١

المرحلة الثالثة للصهيونية العالمية

(١٩٤٠ - ١٩٤٨) .

القسم الرابع عشر :

١ - «بن جوريون» فى الولايات المتحدة

وقرارات مؤتمر «بلتمور» ٤٦٣

٢ - العلاقات الصهيونية البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية

بقيادة «وايزمان» ٤٧١

القسم الخامس عشر :

اضطهاد النازية لليهود واستغلال الصهيونية لمعاناة

اليهود في أوريا.. ٤٨١

القسم السادس عشر :

الخلاف بين حكومة العمال البريطانيةوالصهيونية

بعد الحرب العالمية الثانية....................................... ٤٩٣

القسم السابع عشر :

دور المنظمات الإرهابية فى قيام دولة إسرائيل

١ - منظمة «الهاجاناه» ٥٠٥

٢ - منظمة «إتسل».. ٥٢٩

٣ - منظمة «ليحى»...٥٤٩

٤ - العلاقة بين المنظمات والمواقف من بريطانيا......................٥٧٧

٥ ـ حركة العِصيان العبرى.. ٥٩٩
٦ ـ مشروعات التقسيم وقيام الدولة اليهودية...........................٦٢٣

القسم الثامن عشر :

عرض القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة

١ ـ مشكلة فلسطين والأمم المتحدة وإعلان قيام
دولة إسرائيل.. ٦٣٧
٢ ـ مقدمات الحرب... ٦٤٧
٣ ـ بدايات العمليات العسكرية.. ٦٥٧

القسم التاسع عشر :

دور الولايات المتحدة من قيام دولة إسرائيل ٦٦٩

القسم العشرون :

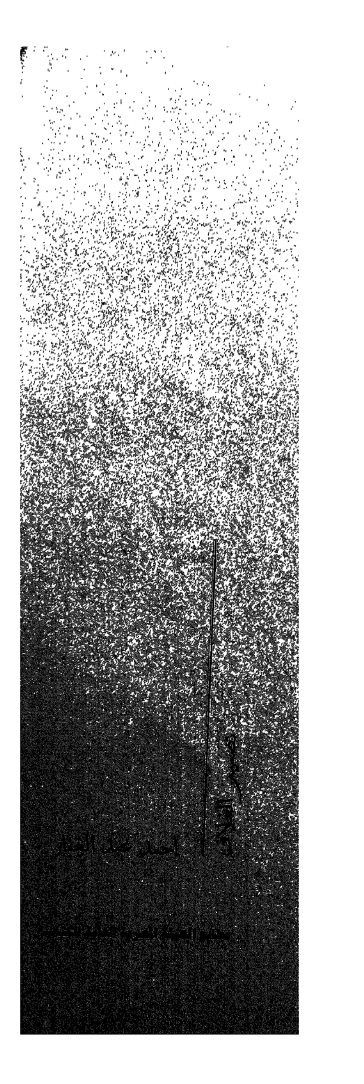
تقييم

للرجلين اللذين أقاما دولة إسرائيل.............................. ٦٩٧
المراجع العربية ٧١٣
المراجع الأجنبية ٧١٨

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٨٦٦٥

I.S.B.N 977-235-417-9





السفير الدكتور/ حسين شريف

* حاصل على ليسانس فى القانون ـ ودكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية من جامعة السربون بباريس.
* إلتحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٤٢ وعمل بالاتحاد السوفيتى وفرنسا وإيطاليا والحبشة والعراق وسوريا ولبنان والبرازيل ورومانيا، ثم مديراً لإدارة أمريكا الشمالية وكندا بوزارة الخارجية، ثم سفيراً لمصر فى البرازيل. وهو عضو الآن فى المجالس القومية المتخصصة. وعضو جمعية العلوم السياسية.
* مثل مصر فى العديد من المؤتمرات الدولية بالخارج.

له مؤلفات منها:

* وحدة وادى النيل باللغة الفرنسية.
* مفهوم السياسة الأمريكية من خلال مؤلفات هنرى كيسنجر.
* النواحى الاقتصادية والسياسية الأمريكية تجاه العالم.
* التحدى اليابانى فى التسعينات.
* السياسة الخارجية الأمريكية ـ اتجاهاتها وتطبيقاتها من الحرب العالمية الثانية إلى عام ١٩٩٤ (جزءان)
* المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ ـ من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية ١٩٠٠ق م ـ ١٩٩٥م (أربعة أجزاء)
* له مقالات عديدة فى السياسة الدولية.
* حاصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من مصر.
  ووسام أوفسيه من الدرجة الأولى من فرنسا.
  ووسام الرافدين من العراق.
  ووسام وكزويرودى سول من البرازيل.

---

٢٢ جنيه